المعَاني السَّنيَّة
من
الخُطب المنبريَّة

لفضيلة الشـيخ

محمد أنور أحمد المرشـدي

الخطيب والإمام بإمارة الشارقة

قدّم لها وسعى إلى نشرها

الشيخ عمر نديم قبـلان



تقديم
فضيلة الشيخ عمر نديم قبلان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، أحمده سبحانه وتعالى وأستعينه، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، اللَّهمّ صلِّ وسلِّم وبَارَكَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كان من أمر هذا الكتاب (**المعاني السَّنِيَّة من الخُطَب المنبريَّة**) لفضيلة الشيخ محمد أنور أحمد المرشدي حفظه الله ورعاه أنه ألّف هذه الخُطب وألقاها على مُصَلِّي مسجده في إمارة الشارقة في مشوار دعوته إلى الله عزّ وجَلّ ومن فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم على نحو ربع قرن من الزمن. وبقيت هذه الخُطب بخط يده طيَّ السجلات؛ محفوظة على الرفوف، لم يستفد منها إلّا من سمعها منه على أهمية الموضوعات التي كان يلقيها على الناس؛ فكان منها ما يطرح ويعالج قضايا معاصرة، يعيشها الناس، كدور الشباب في بناء المجتمع، ومهور النساء، والوسطية في الإسلام، والكسب الحلال وغيرها، وكان منها أيضاً تلك الموضوعات التي تُعَدّ قديمة حديثة في آن معاً، والتي تحض على مكارم الأخلاق وتسعى إلى صلاح المجتمع، كموضوع القناعة وإصلاح النفس، ومحاربة الغِش، وبيان بعض صوره، وبِر الوالدين، والأمانة والوفاء والتواضع وغيرها.

وكم كان يحزنني ما آلت إليه تلك الخُطب وذلك الجهد الخالص وبقاؤه على الهيئة التي رأيتها، فاقترحت على الشيخ جزاه الله خيراً وعزمت عليه أنْ ينفض عنها غبار تلك السنين ويكشف عنها النقاب ويظهرها في كتاب يجمعها، وما زلت أراجع الشيخ حتى أذن الله بذلك، فنهضنا نجمع ونرتِّب، وكانت لنا أثناء ذلك مشاورات ومناقشات مع دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق، ثم بدا لنا أن ما جمعناه كان عبارة عن خُطب ودروس وهي من الكثرة ما قد تتجاوز عند الطباعة مجلدين كبيرين، فما كان مِنّا إلّا الاختصار، ولكن دونما إخلال، فَتَمّ استبعاد ما تكرر موضوعه، وذلك في حال وُجِد للموضوع الواحد أكثر من خُطبة، واستُبعدت أيضاً تلك الدروس لنشرها في مجلد منفصل.

وبعد أن استقر العمل على صورته التي ارتضاها الشيخ، واستوى على هذا الشكل، تهيأ له أن يُعنون الكتاب بـ(**المعاني السَّنِيَّة من الخُطَب المنبريَّة**).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل في هذا العمل موعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وأن يكون فيه تذكرة لمن أراد أن يَذَّكر، وأن يكون فيه دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتقبل الله عملنا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.

الإمارات العربية المتحدة – دُبَي
٢٨ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ
٥/ ١/ ٢٠١٩م

العبد الفقير إلى الله تعالى
عمر نديم قبلان

المقدمـــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه، أحيا قلوب المؤمنين بتَبصرته، وزجر الغافلين بزواجر موعظته، فكانوا هداةً مهتدين، ولِدِيْنِ الله عزَّ وجَلَّ داعين، ممتثلين قوله في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فُصّلت: ٣٣].

سبحانه أيقظ من اصطفاهم من خلقه فهداهم في هذه الدار وشغلهم بتقواه والعمل لما فيه رضاه، وملازمة المواعظ والأذكار، ووفقهم للاجتهاد في طاعته والتأهب لدار القرار، سبحانه يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب من عباده ومن لِدِينه اختار، ولهذا كان الأفذاذ من أهلها هم العُبّاد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهّاد، فكانوا منارات هدى للعباد، ودعاة إلى الله تعالى عن طريق الرشاد.

والصلاة والسلام على البشير النذير، والنبي الساطع هداه كالصبح المستنير، وعلى آله وأصحابه، المتخلّقين بأخلاقه، والمتأدبين بآدابه، الذين بذلوا نفوسهم الزكية في تبليغ دينه القويم، فتمت بهم المنّة وانتشر بهم الدين، وعلى من سار على دربهم من الأئمة المجتهدين، ومن تبعهم من الداعين إلى الله على علم ويقين، واجعلنا اللهم منهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

أما بعد، فقد أودعت في كتاب (**المعاني السَّنِيَّة من الخُطَب المنبريَّة**) مضامين خُطُبٍ ألقيتها في ميدان دعوتي إلى الله عزَّ وجَلَّ، وقد جاء تلبيةً لطلب أخي في الله الشيخ عمر نديم قبلان ، الذي عزم عليَّ كثيراً أن يكون من كمال الجهد الطيب في

ميدان دعوتي إلى الله كتاب أجمع فيه عدداً من خطبي التي تحضُّ على الخير وتدعو إلى سبيل الله بالحكمة والمواعظ الحسنة، آملين من الله جلَّ في علاه أن ينفع به من يشاء من الدعاة المخلصين، ومن يطالعه من عامة المسلمين، فإن خطبة الجمعة تراث وتاريخ ومدرسة في الدعوة إلى الله عز وجل، رافقت الدعوة الإسلامية منذ ساعاتها الأولى أيام رسول الله ﷺ وصحابته الأئمة الأعلام ومن سار على دربهم بهدى وإحسان، وهي سبيل الهدى والإرشاد للناس إلى يوم المعاد.

وقد استعنت بالله تعالى واستجبت لطلبه، والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يخص بالخير والجزاء كل من أعان على طبعه ونشره، وأن يغفر لي ولوالدي ولمن له حق عليَّ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإمارات العربية المتحدة – الشارقة
٢٤ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ
١/ ١/ ٢٠١٩م

محمد أنور أحمد المرشدي
الخطيب والإمام بإمارة الشارقة

مكانة المسجد في الإسلام

الحمد لله الذي فضّل بعض البقاع على بعض، فجعل المساجد أفضل بقاع الأرض، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الحمد، وهو الملك الحاكم يوم الجزاء والعرض. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه المصطفى من الخلق، اللهم صلِّ وسلم وباركْ عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت السماوات والأرض واجزه اللهم خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته، وارْضَ اللهمَّ عن خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن التابعين، وعنّا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين. **أمَّا بعد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله فاتقوا الله وأطيعوه وأنيبوا إليه دائماً واستغفروه، فطوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً، واعلموا رحمكم الله أن أرض الله واسعة كما قال جلّ في علاه، وأنَّ من أعز بقاع الأرض وأطهرها وأشرفها الأماكن التي يلتقي فيها المسلمون بربهم طاهري الجسد والثياب نظيفي القلوب والعقائد، يتوجهون من خلالها إلى عبادة الله الواحد الذي بيده الملك ومنه الرزق وإليه يرجع الأمر كله وهو على كل شيءٍ قدير، يقصدون هذه الأماكن المباركة ليصلوا قلوبهم بخالقهم ويرطبوا ألسنتهم بدعاء من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، وهذه الأماكن هي بيوت الله التي لها مهامها ولها دورها في إصلاح الناس والحياة. لماذا؟ لأنها مهابط الأنوار ومنازل الأخيار وكعبة الأصفياء والأبرار وملاذ العصاة للتوبة إلى الواحد القهار، فكم تتنزل في بيوت الله تعالى من الرحمات.

إنها البيوت التي أثنى الله تعالى على رُوّادها وزوّارها ووعدهم بالإكرام والفضل، وعظيم الثواب والأجر، فقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ

﴿ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨]. وقال في حديثه القدسي: «**بيوتي في الأرض المساجد، وزوّاري فيها عُمّارها وحق على المزور أن يكرم زائره**» ومن أكرمُ من الله يا عباد الله.

ولم تكن المساجد في حياة سلفنا الصالح مجرد أماكن للعبادة فحسب كما هو الحال بيننا الآن في كثير من بلاد المسلمين، بل كان للمساجد الدور المهم في الإشراف العام على شتى نواحي الحياة الروحية والاجتماعية والتعليمية بل والعسكرية، فمن مسجد رسول الله ﷺ انطلقت السرايا للجهاد في سبيل الله.

ومن هنا أيها الأحبة في الله حَظِي المسجد باهتمام كبير من جانب البشير النذير ﷺ ، ومن الشواهد على ذلك أنه ﷺ وهو في طريق هجرته من مكة إلى المدينة لما مر بقُبَاء، مكث بها أياماً، وأشار على أصحابه أن يبنوا بها مسجداً ليكون مركز إشعاع وهداية في هذه البقعة المباركة، وقام بوضع أول لبنة في أساسه بيده الشريفة ﷺ وفيه نزل قولُ الحق جلَّ وعَلَا: ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ولما كان مسجد قباء هو أولَ مسجد بني في الإسلام وجعل لعموم المسلمين من أمة محمد ﷺ فقد كان الحبيب المصطفى ﷺ يحمل له من نفسه ذكريات عظيمة، وكان يشدُّه كثيرٌ من الحنين والشوق إليه، ومن الشواهد على ذلك ما ورد من الصحيحين من أنه ﷺ كان يزور مسجد قباء كل يوم سبت تارةً راكباً وتارةً ماشياً، وما ورد من الصحيح عنه أيضاً أنه ﷺ قال: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**».

وحينما وصل المدينة كان أول ما فعله ﷺ هو التخطيط لإقامة مسجده المبارك. واستحثّ ﷺ الهمم على بنائه وإتمامه، ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التواضع والتعاون على البر والتقوى حيث كان ينقل التراب مع أصحابه بيده ويخلط التراب بعرقه الشريف الذي يسيل على وجهه، وهو يكد

ويعمل معهم في بناء المسجد النبوي المبارك، ويرى الصحابة ذلك من رائدهم وقائدهم فينشطون ويكدون ويعملون وهم يقولون:

لَإِنْ قعـدنا والنبيُّ يعمل فذاك منَّـا العملُ المضلَّل

ولقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى أصحابه وهم يعملون في بناء مسجده فينشرح صدره وترى الابتسامة على وجهه ويتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لهم قائلاً: «**اللَّهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**».

وكان لهذا المسجد المتواضع الذي بني من اللبن والطين وسُقف بجذوع النخل دوره العظيم في بناء أمة المسلمين وإقامة دولتهم، وكيف لا وقد ربى هذه المسجد أعظم فرسان البشر الذين هزموا الجبابرة وقهروا الأكاسرة والقياصرة، وخرج أئمة التفسير وجُلَّ رجال الحديث والفقه والعلوم المختلفة، وخرج عمالقة بهروا الدنيا ببطولتهم وشجاعتهم، وانتشروا في الآفاق فاتحين، فملؤوا الدنيا هدى ونوراً بهذا الدين العظيم، رضي الله عنهم أجمعين.

فمن المسجد شع نور الإسلام وانتشر ضياؤه، حيث كان المسجد بمثابة المدرسة الأولى التي أرسى قواعدها معلم الإنسانية الأول، محمد رسول الله ﷺ وكان المسجد أيضاً ميداناً رحباً لتطبيق مبدأ الأخوة الإسلامية التي تشد المسلمين بعضهم ببعض على اختلاف البيئات واللغات، وتزيل الحواجز المصطنعة التي تباعد بينهم، وذلك من خلال التلاقي والتعارف في الله، ومن خلال حلقات العلم التي كان يرغب إليها الحبيب المصطفى ﷺ فيقول: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**».

ثم تأتي صلاة الجماعة التي تُقام في المسجد لتؤدِّي دورها في تطهير القلوب وترقية النفوس وتنقية الضمائر، وتصل الإنسان روحياً بربه سبحانه وتعالى فإذا قويت الصلة الروحية بالصلاة بين الإنسان وربه قويت الصلة الروحية بين الإنسان وأخيه الإنسان فيحبه في الله ولا يظلمه ولا يسلمه ولا يخونه ولا يغشه، ومن هنا يتجلى دور المسجد العظيم في بناء شخصية المسلم على تقوى الله تعالى،

وتوجيه المجتمع إلى الخير والصلاح وقوة الإيمان التي هي أساس النصر، إذ لا قوة لهذه الأمة إلا بقوة الإيمان ونصرة الإسلام والعودة إلى الدين والتمسك به وفي هذا يقول الحق جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على تراث الإسلام في معاهده، وعظّموا الله تعالى في مساجده وعمّروها بالبناء وبالصلاة والذكر وتلاوة كتاب الله تعالى، ولا تأتوها إلّا وأنتم على أحسن حال من الطهارة والطيب وحسن الرائحة وحسن المظهر والثياب، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نُزلاً كلما غدا أو راح**».

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين أحبوا بيوت الله فأحبهم الله وتكفل لهم بالروح والريحان والعبور على الصراط إلى دار السلام بسلام وإلى رضوان الله تعالى إلى الجنة يوم تزل الأقدام وأن يرزقنا وإياكم حسن الختام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

في رحاب عام دراسي جديد
وفضل تحصيل العلم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، أحمده تبارك وتعالى وأشكره على ما أولى وأنعم، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له الملك الكريم الأكرم، وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله إلى العرب والعجم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين بلغوا في خيرهم وفضلهم الذرى والقمم، وارْضَ اللهم عن خلفائه الراشدين ذوي المعالي والهمم وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بجودك وكرمك. **أمّا بعد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة ووحدّوه، ثم اعلموا وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وإنّ ربّ العزة جل في علاه أمرنا أن نتوجه إليه بالعبادة سبحانه؛ لأنها من أسباب وجودنا في هذه الحياة ولكي تكون العبادة على نحو يرضاه، أمرنا أن نتعلم لأن العلم هو الذي يعرفنا الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ويعرفنا كيف نتعامل مع الخالق وكيف نوثّق صلتنا به وكيف نتعامل مع الخلق ونوثق صلتنا بهم وكيف نترقى في شتى ميادين الحياة، فالعلم يرفع بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم.

والإسلام هو دين العلم، حثّ عليه ودعا الناس إليه، وكرم الله تعالى العلم والعلماء وطالبي العلم وأثنى على العلماء العاملين في كتابه الكريم فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال جل شأنه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ولقد أولى الإسلام العلم وطلابه جل العناية، وحث الناس على طلب العلم

وإعمال العقل والبحث لأن العلم أساس النهضات، وعماد الحضارات، ووسيلة التقدم للأفراد والجماعات، والمتأمل في شريعة الإسلام يرى أنها قائمة على العلم وداعية إليه في كل أمر من أمور الدين والدنيا، ويرى أنه من معجزات رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أنه كان أمياً وآتاه الله الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم فصار معلماً للعالمين وهادينا للناس أجمعين وأثنى الله عليه بذلك في كتابه الكريم فقال عز من قائل: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ولذلك قال العلماء: العلم نوعان نوع يهبُهُ الله سبحانه وتعالى من لدنه إلى من يشاء الله من عباده ويصطفيهم وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وهو المراد أيضاً بقوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ونوع ثانٍ نتعلمه من شيوخنا وأساتذتنا وكتبنا وتراثنا، وهذا النوع المقروء والمسموع تلقاه الـخَلَف عن السلف، والأئمة عن التابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺ وامتد خيره ونوره إلى مدارسنا ومعاهدنا وجامعتنا إلى يومنا هذا.

ويجدر بنا أن نوضح حقيقة وهي أن طلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم، وأنَّ للعلم والعلماء أهميتهم ومكانتهم في العالمين، وأنَّ للعلماء العاملين منزلتهم عند الله رب العالمين، ومن الشواهد ما رواه الإمام الترمذي عن أبي أمامة الباهلية قال: ذكر رسول الله ﷺ رجلين أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته وأهل السماوات حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن العلم نور والجهل ظلام، ومن ثَمَّ فليس هناك شعب من الشعوب ارتفع مجدُه وقويت شوكته إلا بنور العلم، وقد أوشكت المدارس أن تفتح أبوابها مع

بداية هذا العام الدراسي لاستقبال أولادنا وفلذات أكبادنا، وبلادُنا والحمد لله تحت القيادة الرشيدة ماضية في نشر العلم والعناية به وتعميمه في شتى المراحل التعليمية على اختلاف درجاتها وأنواعها، ونسأل الله تعالى رب العالمين أن يجعل هذا العام الدراسي عام صلاح ونجاح وخير وبركة على أبنائنا وسائر أبناء المسلمين. وعلى الآباء الكرام أن يوجهوا أبناءهم إلى أصلح فروع العلم، وأن يهتموا بالرقابة الكاملة عليهم داخل المدرسة وخارجها، فالولد في هذا السن المبكرة يحتاج إلى من يوجهه ويأخذ بيده، ويتابع الإشراف عليه حفاظاً على خلقه ودينه فضلاً عن تعليمه، لأنه لا بد أن يكون العلم مقترناً بالأخلاق ومرتبطاً بالإيمان لأن الإيمان يصون العلم، ولا خير في علم يقوم على غير تقوى الله تعالى، ولله در الإمام الشافعي حيث يقول:

شكوتُ إلى وكيع سُوءَ حِفْظي فأرشدني إلى تَرْكِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العِلْمَ نورٌ ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

ولا شك أن للمعصية ظلمة وسواد في القلب والعياذ بالله، ولذا فإن العلم يحتاج إلى الاستقامة والتواضع والسكينة والحلم، ولاحترام المعلم، وهذا هو الأساس، ومن ثَمَّ علينا أن نربي أبناءنا على احترام المعلم والانقياد له واتباعه وتقديره لنرتفع بهم إلى مستوى ديننا الحنيف ونرقى بأخلاقهم إلى مستوى أخلاق سلفنا الصالح، فإلى عهد قريب كانوا يحفظ الأبناء:

قُمْ للمعلِّم وفِّهِ التَّبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

وقديماً قال لقمان لابنه: «يا بُني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك واستمع إلى العلم، فإن الله يحي القلوب الميتة بنور العلم كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء». فلنحرص على الأخذ بتوجيهات الإسلام في هذا الأمر الأساس الذي يقود إلى التقدم والازدهار، وفيه رضى الله سبحانه وتعالى، ففي الحديث: «**إن الملائكة لتبسط أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع**».

ومن هنا يجب أن ندرك أهمية العلم وندرك أن في مقدمة العلوم كلها العلم بأمور الدين والشرع الحكيم، ثم سائر أنواع العلوم والبحوث والثقافات المتعددة

والمعارف المختلفة، ونحن أحق الأمم بحثاً حيال تلك المعارف والعلوم لأن ديننا يأمرنا بذلك ويحثنا عليه وحسبنا في ذلك دلالة أن أولى آيات الوحي الإلهي التي صافحت قلب النبي الأمي ﷺ كانت دعوةً للعلم:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

فالعلم جاهٌ للقلوب وشفاءٌ للصدور، وهو أشرف ما يرغب به راغب وأفضل ما يجِدُّ في طلبه طالب، وأمّا أصل العلم فالرغبة وأمّا ثمرته فالسعادة، وفيه يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم فإن تعلمه خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة والصاحب في الخلوة».

فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

❊ ❊ ❊

إحياء سنة الوقف

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت المجازي لها بما عملت المحصي عليها ما قدّمت وأخّرت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مقاليد السماوات والأرض، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى الناس قلباً وأشدهم لله تعالى خشيةً وطاعةً وحباً، اللّهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه معالم الورى ومصابيح الدجى، وارْضَ اللهمّ تعالى عن خلفائه الراشدين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]. **أمّا بعد:**

إخوة الإسلام والإيمان:

يقول الله عز وجل في محكم القرآن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢] فهذه الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أن الله سبحانه وتعالى خلقنا في هذه الحياة الدنيا ووهبنا من نعمه المتنوعة، وجعل ذلك ابتلاءً واختباراً؛ ليظهر المحسن في عمله فيُجزى على إحسانه ويظهر المسيء في عمله فيُجزى على إساءته تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] فالدنيا ليست بدار متاع، ولا بدار قرار، وإن بدا منها لبعض أهلها أنها كذلك، وإنما هو متاع الغرور أي متاع يغتر به المغترون ويتلهى به الجاهلون، بينما الأكياس والعقلاء ليسوا كذلك، بل لسان حالهم يقول كما قال الرسول ﷺ: «**ما لي وللدنيا**» فلقد روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نام رسول الله على حصير فقام ﷺ وقد أثر في

جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً -يعني فرشاً تنام عليه- فقال ﷺ: «**ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها**» وهكذا حال الأنبياء والصالحين مع الدنيا.

انظر يا أخ الإيمان إلى نبي الله سليمان، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فقلد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين، حيث تمّ له قيادة الأنس والجن والوحش والطير وسخر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب والشياطين كل بناءٍ وغواص ثم أعظم الله سبحانه وتعالى عليه النعمة وأجزل له المنة، فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٩] فلم يَعُدَّ سليمان عليه السلام ذلك نعمةً يركن إليها، أو مرتبةً يعتمد عليها أو منزلةً يطمئن بها، بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم استدراجاً من حيث لا يعلم فقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [النمل: ٤٠] فالأمر شيء عظيم لا يحتمله إلا المتقون، لذلك وضع الله الدنيا والآخرة أمام الناس في كفتين متقابلتين، مبيناً حال الاثنين فقال سبحانه: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

عباد الله:

إنّ الميزان في الحياة الدنيا ليس بما يتملكه الإنسانُ فيها من النِّعم، إنما الميزان المعتبر لذلك هو التقوى والقيم الباقية التي تستحق الاهتمام، والباقيات الصالحات من الأقوال والأعمال والعبادات كالحج والصوم والصلاة والزكاة والمساعدات التي تقوم لذوي الحاجات كأهل فلسطين والعراق وغيرهم من المسلمين وجميع أعمال الخير التي بها ستجلب الحسنات وترفع الدرجات، لهذا أرشدنا رسولنا ﷺ إلى باقيات خالدات يستمر أجرها وثوابها في الحياة وبعد الممات، فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

وعلى ذلك يرى العلماء أن الوقف هو المقصود بالصدقة الجارية في قوله ﷺ:

«**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية**» وقد ذكر النبي ﷺ ذلك في أحاديث أخرى كثيرة منها قوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه وابن خزيمة: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علّمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته**» أي حسناتها. وفي الصحيح أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال ﷺ : «**أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان**». لذلك سارع المسلمون الأولون إلى فعل الخيرات طلباً لمرضاة ربهم وحرصاً منهم على تحصيل الأجر والثواب في حياتهم وبعد موتهم، فأوقفوا بعض أموالهم على وجوه متنوعة من البر والإحسان، وأول من أوقف في سبيل الله هو رسول الله ﷺ فقد أوقف سبعة البساتين في المدينة لينفق المسلمون بعد ذلك من ريعها في سبيل الخير وأوجه الخير، وأوقف الصديق رضي الله عنه مالاً بمكة، وأوقف الفاروق عمر بن الخطاب أرضاً له بخيبر، حبس الأصل واستثمر الريع في الإنفاق في أوجه الخير، وهذا الأمر ربما لا يفطن إليه كثير من الأغنياء الآن، وقد اشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومي من يهودي وجعله وقفاً للمسلمين، ووعده النبي ﷺ بعين في الجنة، ولما نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] كان لهذه الآية الأثر العظيم على نفوس الصحابة الكرام.

تدبَّر معي أخ الإسلام أثر هذا القرآن الذي حرّك قلوبهم وحولهم من رعاةٍ للإبل والغنم إلى سادة وقادة للدول والأمم، ها هو القرآن ما زال يتلى على مسامعنا لكن شتان بين قلوبنا حين تتلقى القرآن، وبين قلوبهم حين كانت تتلقى القرآن، كانوا يتفاعلون مع القرآن تفاعلاً عملياً على أرض الواقع، يحولون القرآن والسنة التي هي شارحة للقرآن إلى واقع يتجلى في دنيا الناس سمواً وروعةً وجمالاً وكمالاً، وحركةً وعملاً وبناءً، ولذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] ذهب أبو

طلحة رضوان الله عليه إلى النبي ﷺ وقال: «**يا رسول الله لقد نزلت هذه الآية وأحبُّ مالي إليّ بَيْرُحاء – بستان بجوار المسجد النبوي كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدخل إليه ويستظل بنخيله ويشرب من مائه الطيب العذب– أحب مالي إليّ بَيْرحاء، وقد جعلتها في سبيل الله، أرجو بِرَّها وذخرها عند الله فتصدق بها يا رسول الله ما شئت. فقال له النبي ﷺ : بخٍ بخٍ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح**». فأمره النبي ﷺ أن يحبس أصلها وأن ينفق ريعها للفقراء والمساكين من أهله وأقاربه. وهذا أصل الوقف كما قال أهل العلم.

إخوة الإســلام والإيمان:

لقد قدَّم أسـلافنا وآباؤنا أروع المآثر والمعالم ابتغاء مرضاة الله وإصلاحاً للمجتمع، وإعانةً للضعفاء من الفقراء والمساكين والمحتاجين، وضربوا في ذلك أروع الأمثال.

فيا أيها الأبناء؛ واصلوا مسيرة الخير والعطاء، وحافظوا على ما تركه الآباء وانتهجوا نهجهم في إحياء سنة الوقف والعطاء لتنتفعوا بدعاء إخوانكم وبثواب الله لكم في حياتكم وبعد مماتكم وتنجوا من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم. وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

في وداع عام هجري

الحمد لله ربِّ العالمين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا الله وإليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل في تعاقب الليل والنهار ومرور الأيام وانقضاء الشهور والأعوام عبرةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة. **أمّا بعد:**

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله حق التقوى وتذكروا دائماً أن الأعمار تُطوى والآجال تُقضى وما عند الله خير وأبقى، فبالأمس القريب انقضى عام هجري وحلَّ عام، وانطوت بذلك صفحة من صفحات عمر الإنسان، انقضى هذا العام بخيره وشره ورحل عنا حاملاً معه سجل كل منَّا، وسوف يعرض هذا السجل على الله رب العالمين، سيعرض هذا السجل على أحكم الحاكمين، سيعرض هذا السجل على من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. ستُعرض عليه طاعة الطائعين وعصيان العاصين، سيعرض عليه من أدرك أن تلك الأيام التي تمر به مرحلة من مراحل عمره فاستغلها في الطاعة وعمل الخير وقدم لنفسه زاداً طيباً وعملاً صالحاً ينفعه وهو بين يدي ربه يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم ينظر المرء ما قدَّمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً. وسيُعرض عليه من مشى وراء نفسه وشهواته وضيَّع فرصة وجوده في هذه الحياة ولم يقدّم لنفسه عملاً صالحاً ينفعه في يوم عرضه على مولاه، يوم تُبلى السرائر وتعلق النتائج أمام الخلائق في يوم عظيم يقول فيه الرب الكريم: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وحينئذٍ يتحدد

المصير بين يدي الملك الجليل سبحانه وتعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

ولهذا فإنه مما ينبغي في مثل هذه المناسبة مع رحيل عام وقدوم عام، أن يقف المسلم مع نفسه وقفة حساب، ليحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وليسأل نفسه قبل أن يُسأل، ليسأل المسلم نفسه هل قدّم في عامه الذي انطوى من عمره شيئاً يخدم به إسلامه، لأن الإسلام أمانة في عنق كل مسلم، وهل قدّم لنفسه من أعمال الخير والبر ما ينفعه يوم القيامة؟ أم كان من الغافلين.

فغداً تعرف النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا

وهل هيَّأ نفسه لاستقبال صفحة جديدة من صفحات عمره، فالأيام صحائف عمر الإنسان، وفي هذا يقول أحد السلف الكرام: «الأيام صحائف أعماركم فخلدوها أجمل أفعالكم»، ويقول آخر: «اعملوا لآخرتكم في هذه الأيام التي تسير وكأنها تطير».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن مثل هذه المناسبة تتطلب المراجعة العامة والمحاسبة، ولذلك ينبغي على المسلم أن يقف مع نفسه وقفة حساب ليستعرض ما قدمت يداه وما قام به من أعمال في عامه الذي من عمره قضاه، فإن وجد خيراً حمد الله الذي وفقه لذلك الخير، وإن وجد غير ذلك بادر بالتوبة والاستغفار، وجدد العزيمة لحسن العمل وصالح الأعمال، فالمرء لا يدري وقد انقضى عامه هذا هل سيعيش لمثله أم لا؟ فكم من أناس كانوا معنا في أعوام سالفة وارتحلوا عنا بالموت عنا وأضحوا رهن أعمالهم بين الثرى، نسأل الله لنا ولهم المغفرة، فحياة الإنسان يا إخوة الإسلام والإيمان في هذه الدنيا مراحل، والناس فيها ما بين مقيمٍ وراحل، الحياة سريعة الزوال ولا بد لساكن الدنيا من الارتحال، ولله در من قال:

نسير إلى الآجال في كل ساعة وأيامنا تطوى وهنَّ مراحل
ولم نر كالموت حقاً كأنه إذا ما تخطته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس نازل
فارحل عن الدنيا بزادٍ من التقى فعمرك أيـــام تعـــد قلائل

ورحم الله الحسن البصري إذ يقول: يا ابن آدم: «إنك لا تزال في هدم عمرك منذ ولدتك أمك إلى يوم موتك، إنما أنت أيام إذا انتهى يومك انقضى بعضك، وإذا انتهت أيامك انقضى أجلك، فأنت اليوم تحمل على أعناقك الرجال وتدخل القبور وتخرج، وغداً تُحمل على أعناق الرجال وتدخل ولا تخرج إلى يوم يبعثون وهذا حال الدنيا.

يا عباد الله:

إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم، فالحياة سريعة الزوال، ولا بد لساكن الدنيا من الارتحال، وما الأيام والشهور والأعوام إلا محطاتٌ يقف عليها المسافر فيأخذ عدته لاستئناف السفر الطويل ومن هنا قال الرسول ﷺ في وصاياه لأبي ذر رضي الله عنه : «**أحكم السفينة فإن البحر عميق واستكثر الزاد فإن السفر طويل**» ومن ثَمَّ فإنه ينبغي علينا في كل لحظة من لحظات العمر أن نكون على استعداد لهذا السفر الطويل وأن نعدَّ له زاده قبل الرحيل حتى يمكننا الوصول إلى أرض الجزاء بسلام لأن الموت ليس نهاية المطاف وإنما هو مرحلة انتقال من حياة إلى حياة ولذلك بعد أن حدَّثنا الله تعالى عن مراحل خلق الإنسان في سورة المؤمنون قال جل شأنه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦] أي أن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أن تنتهي حياة الأمم والأفراد والشعوب بانتهاء الأيام والشهور والأعوام، ثم يبعثهم الله جميعاً بعد ذلك للحساب فيجزيهم على الخير خيراً وعلى الشر شراً تحقيقاً لقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢] والمعنى أن الله تبارك وتعالى خلق الموت والحياة في هذه الدنيا ليختبركم ويمتحنكم فيرى المحسن منكم من المسيء ثم يجازي على الخير خيراً وعلى الشر شراً ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] وهذا

يحتم علينا إخوة الإسلام أن نقف مع أنفسنا وقفة حساب كلما يمر عليها يوم أو شهر أو عام، يذكرها بهذا المصير المحتوم الذي لا بد منه، وتتغلب عليها بالمحاسبة، وبهذا نستطيع أن نقدِّم لأنفسنا في هذه الحياة ما نرضي به ربنا ونتأهب به ليوم ميعادنا، ولله در من قال:

تأهب للذي لا بد منـــــه فإن الموت ميقــــات العباد
أترضى أن تكون رفيــق قوم لهم زادٌ وأنت بغــير زاد

والله جلَّ وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أيها الأحبــة في الله:

يقول الحسن رحمه الله: «ما من يوم تطلع الشمس فيه إلّا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة».

فاحرص يا أخ الإسلام دائماً وأبداً على محاسبة نفسك، وانظر فيما مضى من عمرك قبل موتك، وتذكر وقوفك للحساب بين يدي ربك، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] وهذه إشارة إلى ضرورة محاسبة النفس فيما مضى من العمل قبل حلول الأجل، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتهيؤوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]».

فاتق الله يا عبد الله، وقدِّم لنفسك وأنت في هذه الحياة ما ينفعك يوم يحشر الناس حفاةً عراة، ويقفون في عرصات القيامة بين يدي الله، وتتطاير الصحف، وتنصب الموازين، ويتجلى الله لفصل القضاء والهول شديد يجعل الولدان شيباً، والكل يقول نفسي نفسي، حتى الأنبياء: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] نسأل الله أن يثبّت أقدامنا يوم تزل الأقدام، وأن يمنَّ علينا بحسن الختام، وأن يخرجنا من دار الفناء إلى دار العز والبقاء بسلام وأمان.

أيها الأحبَّة الكرام:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد والترمذي: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» فنسأل الله جل وعلا أن يوفقنا دائماً لما يحبه ويرضاه وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

❊ ❊ ❊

قوة الأمة في توحيد صفوفها والتمسك بدينها

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعز من يشاء بطاعته والاعتصام بحبله، ويذل من يشاء بعصيانه ومخالفة أمره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل أنبيائه وخاتم رسله دعا أمته إلى تقوى الله وأقامها على روح المحبة والإخوة في الله فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس، بنوا أرقى الحضارات، ونشروا أسمى الرسالات، وأثنى الله عليهم من فوق سبع سماوات، فقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] فاللهم صلِّ وسلم على صاحب الخُلُق العظيم وآله وأصحابه الغر الميامين ومن سلك سبيلهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]. **أمّا بعد:**

إخوة الإسـلام:

إنَّ المتأمل في تعاليم الإسلام الحنيف يرى بوضوح أن أوامره ونواهيه توحي بالعمل على وحدة هذه الأمة وتماسك أبنائها، لأن الإسلام يرى دائماً أن المسلم جزءٌ لا يتجزأ من كيان أمته وعضو لا ينفك عنها، فالمسلمون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، ويستطيع المسلم أن يستشعر هذا المعنى العظيم حين يقف في الصلاة بين يدي الله رب العالمين ويقول بلسان حال جميع المسلمين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٥-٦] إنه بذلك مرتبط بأمته ارتباطاً لا انفصام له، إنه ارتباط للأمة بتوجيه من الله لها على أساس منهجه القويم الذي ارتضاه لعباده المسلمين وأحبه لهم.

انظروا إخوة الإسلام إلى قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠

رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ثم انظروا إلى قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

ولم يترك الإسلام جانباً من الجوانب التي تقوي وحدة المسلمين إلا أمرهم به ورغبهم فيه، فأمرهم أول ما أمرهم به بالعقيدة الخالصة والأخوة الصادقة، وقد فَهِم المسلمون الأوائل معنى العقيدة ومعنى الأخوة وطبقوها عملياً فآتت الأخوة ثمارها وظلت تؤتي ثمارها في الأمة حتى فك المسلمون عراها وتنازعوا على الدنيا فتمزقت الأمة ولم تزل تهوي، فيا ليت المسلمون يعوون الآن معنى الأخوة ويعودون إليها لتعود إليهم.

أيها الإخوة الكـرام:

إنَّ لأخوة الإسلام معنىً لا نظير له أبداً في الشرائع الوضعية على وجه الأرض، لأنها تبنى على روابط العقيدة وأواصر الإيمان التي لا تنفصم عراها أبداً ما تمسك بها المؤمنون، فالمؤمنون جميعاً بأخوتهم، كروح واحدة في أجسام متفرقة، أو كأغصان متشابكة، كلها من دوحةٍ واحدة، يعني من شجرة كبيرة عظيمة، إنها شجرة الإيمان.

أيها الإخوة الكـــــــرام:

إن الأخوة بين المسلمين نعمة عظيمة، امتن الله بها على الجماعة المؤمنة الأولى، فقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣] وبهذا الخطاب الإلهي عرف المسلمون الأوائل قيمة الأخوة وقدروها تقديراً.

ومن ثَمَّ كانت الأخوة هي العامل الثاني بعد العقيدة الصادقة في تحقيق أكبر وأعظم نصر عرفته الأرض وشهده التاريخ في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وفي عهد خلفائه الأعلام، الذين حملوا من بعده راية الإسلام ففتح الله تعالى على

أيديهم البلاد وهدى بهم العباد إلى طريق الخير والرشاد.

وحرصاً من جانب الإسلام على سلامة هذا البنيان العظيم وحمايته من كل ما يوهن من قوته فقد نهى المسلمين عن التفرق والاختلاف لئلّا يؤدي ذلك بالأمة إلى الفشل والضياع ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦] وفي هذا خطر عظيم على المسلمين، ولذلك أمر الله تعالى رسوله أن يتبرأ من الذين يمضون في طريق الفرقة والاختلاف ولا يتوبون ويعودون إلى الصواب فقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وهذا نذير للأمة، يدعوها دائماً إلى توحيد صفوفها، وتناسي أحقادها ودواعي اختلافها وفرقتها، وأن تعي جيداً أن الأمة التي أرادها الله تعالى لحمل رسالته، أمة لا تعرف الفرقة والاختلاف، إنما هي أمة واحدة ربُّها واحدٌ ورسولها واحد وكتابها واحد ومِلَّتُها واحدة وغايتها واحدة، وتلك هي عوامل النصر لهذه الأمة طالما تمسكت بها وتأسّت برسولها ﷺ حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فلقد ضرب النبي ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين المثل الأعلى في الأخوة ووحدة الصف والكلمة، فعاشوا وحدةً واحدةً وقوةً متماسكةً حمت الإسلام وأقامت دولته، ورفعت رايته، وكان منهم الأبطال الذين أطاحوا بأعظم دولتين في عصرهم هما دولة الفرس والروم وهزموا أعظم قادة للحرب في زمانهم، وهم آنذاك لم يدخلوا كليةً حربيةً ولا أكاديمية عسكرية ليتعلموا فنون الحرب والقتال، وما كان لهم هذا الانتصار إلا بعد أن نقّاهم الرسول ﷺ وطهّر قلوبهم من الغل والحقد والحسد وربط بين هذه القلوب المؤمنة برباط العقيدة الصادقة والأخوة المخلصة، فكانوا كلمةً واحدةً ويداً واحدةً وصفاً واحداً لا تفرقهم نزعات سياسية ولا مطامع دنيوية، قد أتت لهم الدول، وخضعت لهم الرقاب، ولم يزدهم النصر بعد النصر إلا تواضعاً لربهم، واعتزازاً بإسلامهم، حتى قال قائلهم معبراً عن اعتزازه بإسلامه ودينه:

أبي الإسلام لا أبا لي سواه　　إذا افتخروا بقيس أو تميم

ويوم نسي المسلمون ذلك وتنافسوا على الدنيا تفرقت كلمتهم وتمزقت

وحدتهم وضعفت دولتهم، وكان ذلك سبباً في ضياع الأندلس من أيديهم وكان سبباً أيضاً من تمكين اليهود من أرض فلسطين وضياع الأقصى وسقوط العراق وغير ذلك مما تراه الآن في بلاد المسلمين حتى أصبح المسلم الآن يرى أخاه يسفك دمه وينتهك عرضُه ويهدم بيتُه على رأسه ويُنتزع هو وأولاده من بيته ويُدمر البيت أمام عينيه، وينظر المسلم إلى هذا المشهد الذي يخلع القلوب نظرةً باهتةً نظرةً باردةً، حتى الحرقة في القلب ضاعت، لماذا؟ لأن العقيدة رقت والإيمانَ قد زال أو ضعف، ولأن الأخوة الحقيقية قد زالت معانيها من بين المسلمين، فأصبحت ترى أخوة باهتةً باردةً، لم تلفحها حرارة الإيمان، ولكن ما هو السبيل الآن؟

إخوة الإسلام والإيمان:

اعلموا رحمكم الله أنه لا سبيل لعودة الأمة إلى السعادة والسيادة والريادة والكرامة إلَّا بالعودة إلى الدين الذي يدعونا ونحن المسلمين إلى الوحدة النقيَّة الصافية لنربي أنفسنا وأولادنا على هداها، ونكبح شهواتنا بقوانينه وننظم سلوكنا بآياته وبيناته وأوامره ونواهيه، بذلك وَحْدَه تعود إلى أمة الإسلام قيم الحق والشجاعة والتضحية والفداء بروح الدين والإيمان، الذي جعل الصحابي الجليل حُبيب بن عدي ﷺ يقول وهو يستقبل الموت في سبيل الله: ولست أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي. وبذلك لا يقدر علينا عدو أبداً ما دمنا قد عدنا إلى الله واعتصمنا بحبله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤] ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا زلتم منتصرين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي فإن خرجتم عنها سلط الله عليكم من عدوكم من يخيفكم ولا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا**»، نسأله تعالى أن يردنا رداً جميلاً إلى الدين وأن يقر أعيننا بنصر الإسلام وعز المسلمين وتحرير الأقصى من أيدي اليهود والغاصبين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

توجيهات نبوية
في خطبة الوداع يوم عرفة

الحمد لله الذي فضل عشر ذي الحجة على سائر أيام الشهر وفضل يوم عرفة على عموم الأيام العشر وأقسم بذلك سبحانه فقال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر: ١-٣] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فضّل يوم عرفة على سائر الأيام وأتم فيه النعمة وجعله يوم العتق من النيران، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من وقف بعرفة يوم حجة الوداع وخطب الناس خطبةً جمعت أركان الإسلام وأصول الإيمان ودعا الناس إلى مكارم الأخلاق وإلى السعادة والإخاء والرخاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأصفياء الأتقياء وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. **أمّا بعد:**

عبـاد الله:

اعلموا وفَّقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أن يوم عرفة خير يوم طلعت عليه الشمس، ففي الحديث الذي رواه أبو يعلى والبزار عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما من يومٍ أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى نزولاً يليق بجلاله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا عبادي جاؤوني شُـعْثاً غُبْـراً ضاحين، جاؤوا من كل فجٍ عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُر يومٌ أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة**».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن يوم عرفة يومٌ من أفضل أيام الله المباركة التي يحبُّ الله من عباده أن يعملوا فيها الصالحات، ويكثروا فيها من العبادات، ويستزيدوا من الخيرات، ويقلعوا عن الذنوب والسيئات، ويقبلوا بقلوبهم على فاطر الأرض والسماوات، ويدعونه

بخالص الدعوات، فخير الدعاء دعاء يوم عرفة كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ. وهو يومٌ فضلهُ عظيم وخيرُه عميم، ففيه تصفو الأرواح وتتجلى القلوب وتتطهر الأبدان وتتهذب النفوس، وفي عرفات ترتفع الأصوات بالتلبية والذكر والدعاء، فيستجيب الله دعاء الداعين ويعطي الطالبين ويضاعف الأجر للعاملين المخلصين، ويهب الله فيه المسيئين للمحسنين، ويغفر ذنوب الحجّاج الواقفين والصائمين لوجهه الكريم، فَنِعْمَ اليومُ يومُ عرفة، وإنه يومٌ يكفّر الله بصيامه ذنوب سنة ماضية.

والوقوفُ بعرفة هو ركن الحج الأعظم لقول النبي ﷺ : «**الحج عرفة**» فمن فاته شرف الوقوف بعرفة فقد فاته الحج بإجماع العلماء، وعلى الواقفين بعرفة تنزل الرحمات ويباهي الله بهم ملائكة الأرض والسماوات ويعتق الله في هذا اليوم المبارك الكثير من النار. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكةً**». وهو يوم يذلُّ فيه الشيطان أشد إذلال فعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام**» والوقوف بعرفة أيها الأخوة الكرام يذكرنا كل عام بخطبة وداع رسول الله ﷺ.

هذه الخطبة الجامعة المانعة الشاملة لكثير مما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم. وهي دستور للأمة إلى يوم القيامة، لقد وقف رسول الله خطيباً في حجة الوداع وقال: يا بلال أنصت إليَّ الناس، فقال أنصتوا لرسول الله ﷺ فأنصت الناس فقال ﷺ : «**يا معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا رسول الله، هذا لنا خاصة؟ فقال هذا لكم ولمن جاء من بعدكم إلى يوم القيامة فقال عمر: كثر خير الله وطاب**».

أيها الإخوة الأحباب:

لقد بدأ ﷺ خطبة الوداع في مثل هذا اليوم العظيم بحمد الله والثناء عليه ثم

قال: «**أيها الناس اسمعوا قولي لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا**»، ثم أخذ يبيّن للناس أصول دينهم، وكان مما بيّنه كيف تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم، ونادى بالمساواة بين أبناء الأمة فقال: «**أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على أعجمي فضل إلّا بالتقوى**» وبهذا القول الكريم يلفت الرسول ﷺ النظر إلى شيء هام بالنسبة للمسلمين وهو أنه لا عبرة لنسبٍ أو لونٍ أو لغةٍ، و ليس لهذه المعاني حساب في ميزان التفاضل عند الله تبارك وتعالى، و ليست هي المقياس الحقيقي التي يُوزن بها المرء يوم القيامة، بل هناك ميزان واحد تتحد به القيم ويعرف به فضل الناس، و هو ميزان التقوى الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب أو الأنساب، فمن أراد شرفاً في الدنيا و منزلةً طيبةً في الآخرة فليتق الله.

و قد تضمنت تلك الخطبة الجامعة المحافظة على أعراض الناس وأموالهم وأن يردوا الأمانات إلى أهلها، وأن يبتعدوا عن الربا والزنا والقتل، وبيّن فيها ﷺ حقوق النساء، وحذر أمته من الشيطان، وفي نهاية خطبته ﷺ نبّه أمته إلى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة، حيث قال ﷺ: «**أيها الناس اسمعوا قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**».

فهل آن للمسلمين أن يتذكروا مع هذه الذكرى وصية رسول الله ﷺ وأن يعتصموا بكتاب الله عز وجل هذا الكتاب الذي أودع الله فيه من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ما يكفل للإنسان حياةً طيبةً في الدنيا وسعادةً أبدية في الآخرة، وقد قال تعالى بشرى لعباده الصالحين القائمين على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ نيةً وقولاً وعملاً: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

فما أجمل أن يستفيد المسلمون حكاماً ومحكومين من تلك المناسبة الطيبة

ويتركوا الخلافات التي بينهم إلى جانب ويوحّدوا صفوفهم في وجوه أعدائهم، ويعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيها نصرة هذه الأمة وعزها وسعادتها وفوزها في الدنيا والآخرة؛ لأنهم بذلك ينصرون دين الله تعالى، والله عز وجل وعد بنصر من ينصر دينه حيث قال جل شأنه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فإن خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتي**». وروى أبو داود بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أُمّر عليكم عبد حبشي فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**».

نسأل الله تبارك وتعالى أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً وأن يوفّقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

والذين هم عن اللغو معرضون

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً وهدانا صراطاً مستقيماً وأسبغ علينا نعمه ظاهرةً وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين والهادي إلى صراط الله المستقيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سلك طريقهم بخير وإحسان إلى يوم الدين، وارْضَ اللَّهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

إخوة الإيمـــان:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن أول صفة من صفات أهل الإيمان التي ورد ذكرها في أول عشر آيات من سورة المؤمنون ألا وهي صفة الخشوع في الصلاة حيث قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

وقلنا بأن الصفات التي ذكرها الله تعالى في هذه الآيات المباركات، فضلاً على أنها من صفات أهل الإيمان، هي أيضاً من أخلاق القرآن التي تخلَّق بها الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فحديثنا هذا اللقاء بمشية الله تعالى حول الصفة الثانية من صفات المؤمنين وهي الإعراض عن اللغو، حيث يقول جل شأنه في الآية التالية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] أي ومن صفات أهل الإيمان كذلك أنهم معرضون عن كل قول لا يرضي الله تعالى كقول الشرك أو الرياء أو الزور وكل ما

لا نجاة للمرء، وكيف لا يكونون كذلك وقد بيَّن القرآن الكريم في معرض حديثه عن صفات عباد الرحمن في آخر سورة الفرقان أنهم هم الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، وأنهم أيضاً لا يشهدون الزور، وإذا مروا باللغو مرُّوا كراماً، فهم على حَذَرٍ من اللسان كل الحذر.

وإليكم هذا الحديث العظيم الذي رواه الترمذي بإسناد حسن صحيح: فعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: «**قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير لمن يسَّره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ غضب الخطيئة كما تطفئ الماء النار، وصلاةُ الرجل في جوف الليل، ثم تلا:** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦] **ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه ثم قال: كُفَّ عليك هذا. قلت: يا نبي الله، وإنّا مؤاخذون بما نتكلم به. فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم** – أو قال على مناخيرهم – **إلّا حصائد ألسنتهم**».

فما المراد بحصائد الألسنة.

المراد بحصائد الألسنة يا عباد الله جزاء الكلام المحرم وعقوباته، ومن الكلام المحرم ما يهزي به اللسان، ويحصيه الملكان ويكتبانه على العبد، ثم ينادى من قبل الله تعالى، من قبل ملك الملوك في ساحة العرض يوم القيامة، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً. فالإنسان يزرع في دنياه بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد ما زرع يوم القيامة فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الخير والكرامة، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد الشر والندامة، ولله در من قال:

غداً توفّى النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤوا فبئس ما صنعوا

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٦-١٨] وقد حذرنا المولى جلَّ وعلا من خطر اللسان فقال: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ملكان عن اليمن وعن الشمال يسجلان كل ما يلفظه اللسان. ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ: «**أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج**». وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وفخذيه أضمن له الجنة**»، وحذَّرنا من اللسان كل الحذر فقال فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيه يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يحترزون من خطر اللسان كل الاحتراز، ومن الشواهد هنا ما ورد عن ابن زيد ﷺ أنه قال: «رأيت ابن عباس رضي الله عنهما آخذٌ بلسان نفسه وهو يقول: ويحك، قل خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلم». وقال أبو حامد: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الجوارح كلها تذكر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا».

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**».

وبقدر تنزّه المسلم عن اللغو وسفاسف الأمور في الدنيا تكون درجته عند الله وتكون نجاته يوم القيامة لأن الله تعالى قال: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

روى الإمام الترمذي عن أنس ﷺ أنه قال: توفي رجل فقال رجل آخر ورسول الله ﷺ يسمع: أبشر بالجنة. فقال رسول الله ﷺ: «**أو لا تدري لعله**

تكلم في ما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه». ولذلك ينبغي على المسلم أن يتجنب اللغو ويعرض عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ليكون متصفاً بصفات أهل الإيمان، وأن يعوّد نفسه ولسانه الجميلَ من القول والتعبير الحسن عما يدور في نفسه لصديقه أو لعدو، وهذا هو الأدب الحسن الذي أمر الله تعالى به عباده في قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وإليكم هذا الشاهد أيها الأحبّة في الله: روى أبو داود في سننه عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: «**بينما رسول الله جالس في أصحابه وقع رجل في أبي بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر لنفسه. فقال رسول الله ﷺ فقال أبو بكر أوجدْتَ عليّ يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن نزل ملك من السماء يكذبه فيما يقول قال: فلما انتصرت لنفسك ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان**».

فاتق الله في نفسك يا أخا الإيمان، واعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلّا بالصمت، ولهذا يقول النبي ﷺ فيما رواه الإمام الطبراني بسند جيد: «**من صمت نجا**». ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي وابن ماجه: «**كل كلام بني آدم عليه لا له إلا أمرٌ بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله تعالى**»، وحُسْن الختام في هذا المقام قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تكثر الكلام بغير ذكر الله تعالى، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوةٌ للقلب**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمات.

❊ ❊ ❊

فضل العلم والعلماء

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، أحمَدُهُ تبارك وتعالى وأشكره على ما أولى وأنعم، وأشهد أن لا إله إلَّا الله له الملك الكريم الأكرم، وأشهد أن نبيّنا محمداً عبدُ الله ورسوله المبعوث للعرب والعجم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين بلغوا في خيرهم وفعلهم الذرى والقمم، ورضي الله عن خلفائه الراشدين ذوي المعالي والهمم وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين. **أمَّـا بعد:**

فاتقوا الله عباد الله واعلموا وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أنَّ رب العزة جلَّ في علاه أمرنا أن نتوجه إليه بالعبادة؛ لأنها حق لله تعالى على عباده وأمرنا أن نتعلم لأن العلم هو الذي يعرفنا الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ويعرفنا كيف نتعامل مع الخالق سبحانه بالعبادة ونوثّق صلتنا به، وكيف نتعامل مع الخلق ونوثق صلتنا بهم، وكيف تترقى شتى ميادين الحياة، فالعلم يرفع بيوتاً لا عماد لها والجهل والإسلام هو دين العلم حث عليه، ودعا الناسَ إليه، وكرّم الله تعالى العلم، وكرم العلماء العاملين وأثنى عليهم في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال جل شأنه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ [آل عمران: ١٨].

والحقُّ تبارك وتعالى حين يوضح مكانة العلم ومكانة العلماء فإنما يدعونا أن نهتدي بهدي السماء ويرشدنا إلى اتباع طريق خاتم الرسل والأنبياء فهو القائل فيما رواه ابن ماجه: «**إنما بعثت معلماً**»، ومما ينبغي أن نعلمه أيها الأحبة الكرام أن العلم نوعان: نوع يهبه الله سبحانه وتعالى من لدنه إلى من يشاء من عباده الصالحين ومنه المراد بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥] فلقد علَّم الله عز وجل الخَضِرَ من لدنه علماً فصار بهذا العلم معلماً للرسول الكليم

موسى شريطة الصبر على ما يرى موسى من فعل الخضر، فلما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار فَقَدَ موسى صبره على فعل الخضر وبدا حائراً لأنه لا علم له بما وراء ذلك الفعل من حكم وأسرار، وكشف له الخضر الستار فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٧٩-٨٢]. ومنه المراد أيضاً بقوله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ولقد علّم الله تعالى إمامَ المتقين محمداً ﷺ ما لم يكن يعلم، وكان ﷺ أمياً فصار معلماً للعالمين وهادياً للناس أجمعين.

وأمّا النوع الثاني من العلم فهو الذي نتعلمه من مشايخنا وأساتذتنا وكتبنا وتراثنا، في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا، ولقد وفّرت دولتنا المباركة من وسائل العلم وأدوات المعرفة ما لم يدع لطلاب العلم عذراً في تحصيله، ولا مجالاً لتضييعه، وهذا العلم المقروء والمسموع ابتداءً، تلقاه الخلف عن السلف الأئمة عن الأئمة عن التابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا.

يجدر بنا هنا أن نبين حقيقة وهي أن طلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم، ولمّا كان للعلم هذه الأهمية، كان للعلماء في شتى ميادين العلم مكانتهم في العالمين، وكان للعلماء العاملين من المسلمين منزلتهم العالية عند رب العالمين. ومن الشواهد هنا ما رواه الترمذي عن أبي أُمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناسَ الخير**». وروى البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: «**بينما رسول الله ﷺ جالس**

في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله وذهب واحد، فوقفا -أي الاثنين- على رسول الله فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله عز وجل فأواه الله، وأما الآخر فاستحى فاستحى الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» فانظروا رحمكم الله كيف أعرض الله عز وجل عن هذا الذي أعرض عن العلم وولى مدبراً.

ولأهمية العلم ومنزلته في الإسلام، نرى صحابة النبي عليه الصلاة والسلام، يدعون الناس ويوجهونهم إلى التمسك بالهدي النبوي الشريف ويرشدونهم إلى أنه أشرف وأعظم ميراث في الوجود، فها هو أبو هريرة ﵁، بعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ينادي في سوق المدينة قائلاً: يا أهل السوق ما أعجزكم، قالوا: ماذا يا أبي هريرة؟ أنتم هنا وميراث محمد بن عبد الله يقسم بالمسجد. فذهب الناس وعادوا إليه فقالوا: يا أبا هريرة ما وجدنا مالاً يُوزَّع ولا ميراثاً! قال: ويحكم أما وجدتم شيئاً البتة؟ قالوا: بلى وجدنا قوماً يتعلمون العلم وقوماً يعلمون الناس. قال: ويحكم هذا هو ميراث محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

نَعَم أيها الإخوة الكرام إنه هو الميراث الحقيقي الذي من أجله بيَّن النبي ﷺ أن العلماء هم ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورّثوا درهماً أو ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر. ومن هنا ندرك أهمية العلم ومكانة العلماء، وندرك أن في مقدمة العلوم كلها العلم بأمور الدين والشرع الحكيم ويأتي أيضاً بعد ذلك أو مع ذلك سائر أنواع العلوم من الثقافات المتعددة والمعارف المختلفة والاكتشافات العلمية فما زال الناس في هذا العصر يتبعون سبل العلم والعلماء حتى وصلوا إلى الفضاء وازدهرت الحضارات وبزغت شموس المعارف وتمكنت التكنولوجيا من قلوب الناس وعقولهم وسمي عصرنا هذا بعصر العلم واكتشافات العلماء، من أجل ذلك وغيره كان للعلماء في كل ميادين العلم والمعرفة مكانتهم في العالمين،

فبالعلم يسمو المرء بالعلياء، وينال ما يرجو من النعماء.

العلم نور والجهالـة ظلمةٌ شـتَّان بين النُّـور والظلماء

وأذكر في هذا المقام قول الله ذي الجلال والإكرام: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] ومن ثَمَّ كان علينا نحن المسلمين أن نأخذ بشتى أسباب العلم والمعرفة كما أخذ أسلافنا من قبل، ولا نتخلف هذا التخلف، حسبنا في ذلك دلالةً أن أولى آيات الوحي الإلهي التي صافحت قلب النبي الأمي ﷺ كانت دعوةً للعلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥].

وكان نشر كتاب الله ونشر حديث رسول الله ﷺ من الأمور التي تأخذ الأولوية في العلم حتى أنه ﷺ قال: «**بلِّغوا عني ولو آية**» وحتى أنه ﷺ دعا لمن يبلِّغ عنه بنضارة الوجه فقال: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع**» فيقول سيدنا سفيان رضي الله عنه: ما من أهل العلم والحديث أحد إلَّا في وجهه نضرة ببركة دعوة الرسول ﷺ.

فاتقوا الله عباد الله واحرصوا رحمكم الله على تعلّم العلم وتعليمه لا سيما علم رسول الله ﷺ فإنه العلم النافع في الدنيا والآخرة، فلقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» فالعلم حياة القلوب، وشفاء الصدور، وهو أشرف ما يرغب فيه راغب وأفضل ما يجد في طلبه طالب، وأصل العلم الرغبة وثمرته السعادة.

وأول مدارك العلم هو الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وتبليغه، ولذلك حثنا الله عزّ وجلّ على النفور إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] ويقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلّموا العلم فإن تعلَّمه خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في

الوحدة والصاحب في الخلوة». وفي الحديث: «**الملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع**»، فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

إخوة الإيمان:

روى أحمد والطبراني بسند حسن عن صفوان بن غسان الراوي ﵁ قال: أتيت النبي وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم فقال: «**مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفُّه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلبه**» رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد.

فاللهم وجهنا صغاراً وكباراً لطلبه وعلمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخشوع في الصلاة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له. يقول سيدنا رسول الله ﷺ في حديث قدسي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأُعيذنَّه**». وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خير من عبد الله تعالى مخلصاً له الدين حتى أتاه من ربه اليقين، اللَّهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سلك طريقهم بخير وإحسان إلى يوم الدين. **أمَّا بعد.**

أيها الإخوة الكرام:

نقضي هذه اللحظات بمشيئة الله تعالى مع أول صفة من صفات أهل الإيمان وهي خلق من أخلاق القرآن التي تخلَّق بها رسولنا عليه الصلاة والسلام، هذا الخُلُق وهذه الصفة هي صفة الخشوع في الصلاة حيث يقول ربنا جلَّ وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]. وروى الإمام النسائي في تفسيره لهذه الآيات عن عائشة رضي الله عنها: «**كان خلق رسول الله ﷺ القرآن**» وقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ حتى انتهت إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

فالخشوع يا إخوة الإيمان هو الخوف وسكن القلب في حضرة الرب عند الصلاة هو كما بيّنا من أخلاق القرآن التي تخلق بها رسول الله ﷺ وتخلّق به كذلك أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولذلك روى ابن كثير عن محمد بن سيرين رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرفعون أبصارهم إلى السماء في

صلاتهم فلما نزلت: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢] فغضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم.

هذا ولا يتحقق ذلك الخشوع الكامل يا أخ الإيمان إلا إذا قصدت بصلاتك وجه الله وحده وأقبلت على صلاتك بعد هذه النية وأنت موعداً لدنياك مقبلاً على أخراك مستحضراً بقلبك عظمة مولاك وأنت في حضرته وبين يديه، وتلك صلاة الخاشعين التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وهذه النوعية من الصلاة هي التي تتساقط بها الذنوب عن صاحبها كما يتساقط الورق عن الشجرة في الشتاء، ولقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلاً عظيماً. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: خرج النبي ﷺ في الشتاء والورق يتهافت فأخذ بغصن شجرة فجعل الورق فيها فقال: يا أبا هريرة! فقلت: لبيك يا رسول الله. فقال: «**إن العبد ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله تعالى تتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة**».

فاعلم يا أخ الإيمان أن الذي يريد بصلاته وجه الله هو الذي يكون في صلاته مع صلاته قراءةً وتسبيحاً وتعظيماً، وهو الذي يحافظ على الصلاة في أول الوقت ليحظى رضى الله، وهذه النوعية من الصلاة هي التي تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وهي التي يغفر الله بها لصاحبها الذنوب، روى بن حيان في صحيحه عن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن لهن وضوءهن وصلَّاهنّ بوقتهن وأتم لهنَّ ركوعهنّ وسجودهن وخشوعهنّ كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فاعلموا إخوة الإيمان وفَّقني الله تعالى وإياكم إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار أن الخشوع في الصلاة نوعان: خشوع ظاهر وهو الذي يتمثل في عدم الالتفات أثناء الصلاة أو العبث في اللحية والملابس وعدم سَبْقِ الإمام، إلى غير ذلك. وخشوع باطني وهو الذي يتمثل في استحضار المصلي عظمة الله فلا يشغل

قلبه في الصلاة بشيء سواه سبحانه وتعالى. وكلا الخشوعين مرتبط بالآخر لأن الرسول ﷺ لمّا دخل المسجد ووجد شيخاً يصلي ويعبث في لحيته ماذا قال؟ قال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**» لماذا؟ لأن الصلاة التي يريدها الإسلام من المسلم، ليست مجرد أقوال يرددها اللسان أو حركات تؤديها الجوارح، وإنما الصلاة المطلوبة والصلاة المقبولة هي التي تأخذ حقها من التدبر والخشية واستحضار عظمة الله عز وجل، وهذا يوضحه النبي ﷺ «**إنما الصلاة تمسكن وتضرع**» وعلى ذلك فينبغي على المصلي أن يكون مقبلاً على صلاته بقلبه وأن يصرف الشواغل عن نفسه بالتدبر في الآيات والحكم التي ترشد إليها الصلاة ليتحقق بذلك قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وهذا توجيه عظيم من رسول الله ﷺ لأن الخشوع في الصلاة هو روحها وسبب قبولها عند الله عزو جل. روى البزار بمسنده عن النبي ﷺ عن رب العزة أنه قال: «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خَلْقي ولم يَبِتْ مُصِرّاً على معصية وقطع نهاره في ذكري ورحم المسكين وابن السبيل ورحم الأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي وأجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة علماً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة**». وروى النسائي بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «**من توضأ وصلّى كما أمر غفر له ما تقدم من عمل**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى.



الاتحاد والتضامن ضرورة عصرية مُلحّة

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين، وهداهم إلى صراطه المستقيم، وقال في كتابه الكريم: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب العزة لعباده المؤمنين ما اعتصموا بحبله واهتدوا بهداه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، دعا المسلمين جميعاً إلى الوحدة، وأبلغهم أمر الله وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه وابتغوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. **أمّـا بعد:**

أيها الأحبَّـــة الكرام:

يقول الله تعالى في محكم القرآن: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وهذه الآيات يا إخوة الإسلام والإيمان مع أن لها سبب نزول خاص إلَّا أن مدلولها عام وأوسع مدىً من الحادثة التي نزلت بشأنها، لأنها تحمل أمراً من الله تعالى لعباده المسلمين أن يعتصموا بكتابه ويتحدوا ويأتلفوا ويذكروا فضله ويشكروه على نعمه، وتنهاهم عن التفرق والاختلاف لأن الله جل وعلا لم يخلق الناس ليختلفوا، وإنما خلقهم ليتعارفوا ويأتلفوا وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. ومن ثَمَّ أرسل الله جلَّ جلالُه الرسل الكرام إلى الناس، ليوحدوا وجهتهم على الحق،

ويدعوهم إلى صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض امتثالاً لقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويوضح الرسول ﷺ هذا القول الإلهي البليغ، في حكمة لغوية بالغة، فيقول فيما رواه أحمد والترمذي والنسائي: «**ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط. فإذا أراد أحد أن يفتح شيئاً من هذه الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي داخل الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن، وزاد الترمذي في روايته:** ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]».

وهكذا أيها الإخوة الكرام بيّن لنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي أمرنا ربنا جل وعلا بتوحيد وجهتنا إليه واستقامتنا عليه وعدم مجاوزة حدوده، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ومن ثم فالاعتصام يكون بالقرآن والتوحد يكون على منهج الإسلام وفق كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعلى الحب والتناصح بين المسلمين لينالوا رضى الله رب العالمين، وفي هذا يقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**» أو كما قال ﷺ. ولا ريب أيها الإخوة الكرام أن ائتلاف القلوب واتحاد الغايات والمناهج من أوضح تعاليم الإسلام، وألزم خلال المسلمين المخلصين، لأن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة، هما الدعامة الوحيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها بين الأمم فالاتحاد قوة وليس ذلك في قوانين البشر

فحسب، بل في قوانين الكون كله، وقديماً بين رجلٌ عربي لأولاده قبل وفاته أن قوتهم في توحدهم واجتماعهم وضرب لهم مثلاً عملياً لذلك ثم قال:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّراً فإذا افترقْنَ تكسَّرت آحادا

ويوم أن نسي المسلمون أن قوتهم في توحدهم وتهاونوا بوحدة الأمة ووحدة الكلمة، وتفرقوا دولاً، تفرقت كلمتهم وتفرقت وحدتهم وضعفت شوكتهم وكان ذلك سبباً في ضياع الأندلس من أيديهم بعد أن فتحها الأجداد وعمروها بالحضارة الإسلامية ثمانية قرون من الزمان، وضاع الأقصى وغيره من بلاد المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ومن ثَمَّ: فإنَّ كتاب الله تعالى هو المنقذ من الضلالة. ومن الشواهد على ذلك أيها الأحبة في الله ما رواه الإمام الترمذي عن علي ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء...**».

إخوة الإسلام والإيمان:

روى الإمام الطبراني عن أبي شرح الخزاعي ﵁ قال: «**خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: هذا القرآن طرفه بيده الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً**».

فنسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه القائمين على حدوده وأن يبارك اتحاد هذه البلاد وأن يحفظه من كبد الأعداء وأن يجمع الأمة على كلمةٍ سواء.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

العبـرة من الهجـرة

الحمد لله الذي بيده مقاليد السماوات والأرض ومصائر الخلق، وأمرُهُ بين الكاف والنون، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين نجّا نبيه الأمين من كيد الكائدين ومكر الماكرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله هاجر من مكة إلى المدينة قياماً بالدعوة إلى الله الواحد الديان ونشر رسالة الإسلام في ربوع الأنام اللهم صلِّ وسلم على آله وصحبه الأعلام الذين هاجروا لنصرته، ونصروه في دعوته، فرضي الله عنهم وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠]. **أمَّـا بعد:**

أيها الإخوة الكرام:

إنه لا يُعرف على التحديد حادث غيّر مجرى الزمان وهز أرجاء الدنيا غيرَ حادثة الهجرة، فلقد كانت الهجرة إيذاناً بزوال عهد يفيض من البؤس والشدائد والمحن والاضطهاد والتعذيب والآلام بالنسبة لرسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فلقد وصل الأمر آنذاك إلى استنجاد الرسول ﷺ بربه وهو يلوذ بحائط من حوائط ثقيف، ويقول: «**اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي**».

ثم كانت الهجرة نفسها فاتحة خير لعهد طويل بإذن الله، امتد حتى الآن خمسة عشر قرناً من الزمان، أعلنت فيها كلمة الله، وبلغت رسالة الحق وحملت في طياتها أمانة العلم، فأرشد الضال واهتدى الحائر، ونبه الغافل.

فإذا بدين محمد يغـزو الورى ... غزو الكتائب تحت ظل لوائه

فإذا كتاب محمد متغلغـــل ... في الكون والثقلين من قرائه

فكان لسان الحال آنذاك يقول: الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلاً

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

والحق أن مصير العالم الإسلامي قد تجدد يومئذٍ في بقعتين من بقاع الأرض إحداهما مؤمنة، وهي غار ثور إذ تدخل الله بعنايته وقدرته فقدر النجاة لسيدنا رسول الله محمد ﷺ وصاحبه.

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كُلُّهُــنَّ أمانُ

والثانية دار الندوة حينما تدخَّل الشيطان مع قريش بنفسه في صورة شيخ نجدي وزودهم برأيه وأشار إلى حصار محمد وقتله، ومن هاتين الحادثتين كانت التضحية والفداء، والإيثار والبذل والوفاء، فإن علياً كرّم الله وجهه قام بدوره الماثل في هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر وقدم روحه رخيصة في سبيل نجاة رسول الله ﷺ وجاد بنفسه طائعاً مختاراً ولله در من قال:

يجود بالنفس إن ضَنَّ البخيلُ بها   والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

فعِبْرة العبر في هذا الحادث الفذِّ ما قام به علي رضي الله عنه في هذه الليلة الرهيبة وهو يرتدي بُرْد رسول الله ويتسجَّى به على سريره وهو يعلم أن قريشاً تضرب الحصار حوله، وتبعث من كل بطن من بطونها شاباً شيباً وسطاً فتياً وفي يد كل واحد منهم سيف حازم ليضربوا به محمداً ضربة رجل واحد، فإن قتل تفرق دمه على القبائل فلا يستطيع بنو هاشم حرب قريش كلها وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وأما أبو بكر فإن رسول الله ﷺ قال له حين استأذنه ليهاجر: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً**»، وشعر الصدّيق من هذا أن الرسول ﷺ يعني نفسه بهذا الرد، فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، قال ابن إسحق: حدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بليل إلى أبي بكر طرفي النهار، إما بكرة وإما عشياً حتى إذا كان

اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة يا أبا بكر. قالت عائشة: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي، ثم قال: يا نبي الله إن هاتين الراحلتين كنت أعددتهما لهذا.

قال ابن إسحق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ حين خرج إلّا علي وأبو بكر وآله، فأما علي فأمن الرسول ﷺ أن يتخلف حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، وأما أبو بكر فكان رفيق الكفاح والغار وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤٠]، ولقد ترك الرسول ﷺ وصاحبه مكة بعد هذا الأمر الإلهي وباتت قريش حول علي بن أبي طالب تعتقد أنه محمدٌ، ولكن النبي ﷺ قد خرج عليهم، وحثا التراب في وجوههم وعلى رؤوسهم وهو يقول شاهت الوجوه ويقرأ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٨-٩]، فما أبصر منهم أحد هذه السورة المباركة التي قال عنها الرسول ﷺ: «**يس وما قُرئت له**» ومضى الرسول وصاحبه إلى الغار فدخلاه تحرسهما عناية الله وقريش من ورائهما ترصد كل طريق وتفتش كل مهرب وتنقب في جبال مكة وكهوفها وجعلوا مئة ناقة لمن يأتي بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً حتى انتهوا إلى الغار، والرسول وصاحبه إلى أقدام المطاردين تخفق إلى جوارهم أمام الغار فيأخذ الدرع أبا بكر خوفاً على حياة رسول الله ﷺ ويهمس في أذن رسول الله ﷺ : لو نظر تحت قدمه لرآنا، فقال ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤٠]، ولله در من قال:

توكل على الرحمن في الأمر كله   فما خاب من غيره عليه توكلا

وكن واثقاً بالله وارضَ بحكمه   تنال الذي ترضاه منه تفضلا

وهكذا أيها الإخوة المسلمون نرى الحكمة البالغة والعبرة الواضحة من الهجرة، فهي توضح لنا أن الثبات على الحق والدعوة إليها والكفاح في سبيله، كل ذلك يستلزم النصر لا محالة، فإن النصر دائماً مع الصبر، وإن مع العسر يسراً.

فلنتعلم إخوة الإسلام من الهجرة دروس التضحية والفداء والإيثار والبذل والوفاء لنصنع ما صنع أسلافنا من توحيدهم الصفوف ورفضهم العزلة لغيرهم ودحرهم للعدوان والمعتدين وحرصهم على نصر هذا الدين العظيم واعتصامهم بالله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم، لذلك أعزهم الله ووهبهم النصر في الدنيا ووعدهم بالفوز المبين يوم يلقونه في جنات النعيم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعمى عقبى الدار.

فاتقوا الله عباد الله وتأسوا بسلفكم، وخذوا العبر والدروس من هجرة نبيكم لتكن هذه الدروس مصابيح الهدى تنير طريق السلامة والنجاة لكم في حياتكم، ونسأل الله تعالى ونحن نستقبل عاماً هجرياً جديداً أن يجعله في مشارق الأرض ومغاربها، ووفَّقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❊ ❊ ❊

العلم وفضل تحصيله بمناسبة بدء العام الدراسي

الحمد لله الذي علَّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، أحمده تبارك وتعالى وأشكره على ما أولى وأنعم وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له الملك الكريم الأكرم، وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله إلى العرب والعجم صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين بلغوا في خيرهم وفضلهم الذرى والقمم، وارْضَ اللهم عن خلفائه الراشدين ذوي المعالي والهمم وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بجودك وكرمك. **أمَّـا بعد:**

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة ووحدوه، ثم اعلموا وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أنَّ ربَّ العزة جلَّ في علاه أمرنا أن نتوجه إليه بالعبادة وأمرنا أن نتعلم لأن العلم هو الذي يعرفنا الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ويعرفنا كيف نتعامل مع الخالق، وكيف نوثق صلتنا به، وكيف نتعامل مع الخلق ونوثِّق صلتنا بهم وكيف نترقى في شتى ميادين الحياة، فالعلم يرفع بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والكرم.

والإسلام هو دين العِلْم حث عليه ودعا الناس إليه وكرم الله تعالى العلم والعلماء وطالبي العلم وأثنى على العلماء والعاملين في كتابه الكريم فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال جل شأنه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

والحقُّ تبارك وتعالى حين يوضح مكانة العلم ومكانة العلماء فإنما يدعونا أن نهتدي بهدي السماء ويرشدنا إلى اتباع طريق خاتم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

ولقد أولى الإسلام العلم وطلابه جل العناية، وحث الناس على طلب العلم وإعمال العقل والبحث لأن العلم أساس النهضات، وعماد الحضارات، ووسيلة التقدم للأفراد والجماعات، والمتأمل في شريعة الإسلام يرى أنها قائمة على العلم وداعية إليه في كل أمر من أمور الدين والدنيا، ويرى أنه من معجزات رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أنه كان أمياً وآتاه الله الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم فصار معلماً للعالمين وهادينا للناس أجمعين، وأثنى الله عليه بذلك في كتابه الكريم فقال عز من قائل: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

ولذلك قال العلماء العلم نوعان نوع يهبه الله سبحانه وتعالى من لدنه إلى من يشاء الله من عباده ويصطفيهم وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، وهو المراد أيضاً بقوله جل شأنه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ونوع ثانٍ نتعلمه من شيوخنا وأساتذتنا وكتبنا وتراثنا، وهذا النوع المقروء والمسموع تلقاه الخلق عن السلف والأئمة عن التابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺ .

ويجدر بنا أن نوضح حقيقة وهي أن طلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم، ولـمّا كان للعلم هذه الأهمية كان للعلماء أهميتهم ومكانتهم في العالمين، وكان للعلماء العاملين منزلتهم عند الله رب العالمين.

ومن الشواهد ما رواه الإمام الترمذي عن أبي أُمامة الباهلية قال: ذكر رسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلُّون على معلم الناس الخير**».

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناسُ معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله

وذهب واحد، فوقفنا أي الاثنين على رسول الله فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أمّا أحدهم فأوى إلى الله عز وجل فأواه الله، وأما الآخر فاستحى فاستحى الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**» فانظروا رحمكم الله كيف أعرض الله عز وجل عن هذا الذي أعرض عن العلم وولَّى مدبراً.

ولأهمية العلم ومنزلته في الإسلام، نرى صحابة النبي عليه الصلاة والسلام، يدعون الناس ويوجّهونهم إلى التمسك بالهدي النبوي الشريف ويرشدونهم إلى أنه أشرف وأعظم ميراث في الوجود، فها هو أبو هريرة ﵁، بعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ينادي في سوق المدينة قائلاً: يا أهل السوق ما أعجزكم، قالوا: ماذا يا أبي هريرة؟ أنتم هنا وميراث محمد بن عبد الله يقسم بالمسجد. فذهب الناس وعادوا إليه فقالوا: يا أبا هريرة ما وجدنا مالاً يوزع ولا ميراثاً! قال: ويحكم أما وجدتم شيئاً البتة؟ قالوا: بلى وجدنا قوماً يتعلمون العلم وقوماً يعلمون الناس. قال: ويحكم هذا هو ميراث محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

نعم أيها الإخوة الكرام إنه هو الميراث الحقيقي الذي من أجله بين النبي ﷺ أن العلماء هم ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا درهماً أو ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر. ومن هنا ندرك أهمية العلم ومكانة العلماء، وندرك أن في مقدمة العلوم كلها العلم بأمور الدين والشرع الحكيم ويأتي أيضاً بعد ذلك أو مع ذلك سائر أنواع العلوم من الثقافات المتعددة والمعارف المختلفة، ففي الكون آيات وآيات وأسرار وأسرار تبرهن على دقة الصنع الإلهي التي يكتشفها علماء الفلك فيرون خارج الكون من أسرار إلهية لا يدرك منتهاها إلّا الذي سواها، وفي خلق الإنسان أسرار وأسرار تبرهن على دقة الصنع الإلهي، يكتشفها علماء التشريح والأطباء المتخصصون فيسجدون لمن خلق فسوى وقدر فهدى، من هنا كان للعلماء في كل ميادين العلم والمعرفة منزلتهم عند الله، وكان علينا نحن

المسلمين أن نأخذ بأساليب العلم ولا نتخلف هذا التخلف، حسبنا في ذلك دلالة أن أولى آيات الوحي الإلهي التي صافحت قلب النبي الأمي ﷺ كانت دعوةً للعلم: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العَلَق: ١-٥].

وكان نشر كتاب الله ونشر حديث رسول الله ﷺ من الأمور التي تأخذ الأولوية في العلم حتى أنه ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية**» وحتى أنه ﷺ دعا لمن يبلغ عنه بنضارة الوجه فقال: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع**» فيقول سيدنا سفيان رضي الله عنه: ما من أهل العلم والحديث أحدٌ إلَّا في وجهه نضرة ببركة دعوة الرسول ﷺ.

فاتقوا الله عباد الله واحرصوا رحمكم الله على تعلم العلم وتعليمه لا سيما علم رسول الله ﷺ فإنه العلم النافع في الدنيا والآخرة، فلقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**». فالعلم حياة القلوب، وشفاء الصدور، وهو أشرف ما يرغب فيه راغب وأفضل ما يجد في طلبه طالب، وأصل العلم الرغبة وثمرته السعادة وأول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وتبليغه، ولذلك حثّنا على الرغبة فيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ويقول سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم فإن تعلمه خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة».

فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الاستسقاء

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله إلَّا الله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا إله إلَّا هو الولي الحميد، سبحان من لا تغيض خزائنه مع كثرة الإنفاق في جميع الأوقات، سبحان من عمَّ بستره ورزقه حتى العصاة، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلَّا الله والله ولله الحمد، الحمد لله الكريم الوهاب الرحيم التواب الهادي إلى الصواب، مزيل الشدائد وجابر المصاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه رحمةً للعالمين وحجةً على الخلائق أجمعين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **أمَّـا بعد:**

عبـــــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله واستغفروه، وتوبوا إليه وأخلصوا له العبادة ووحدوه، لتفوزوا معه بخير الدنيا والآخرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [فاطر: ١٥-١٦] وهو مع غناه عنكم يأمركم بدعائه ليستجيب لكم وسؤاله ليعطيكم واستغفاره ليغفر لكم، وأنتم مع فقركم وحاجتكم إليه تعرضون عنه وتعصونه، وأنتم تعلمون أن معصيته تسبب غضبه عليكم وعقوبته لكم. وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه مخبراً عن سبب هلاك الأمم وزوال النعم: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

يَظۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فيا عباد الله اتقوا الله وأطيعوه وتوبوا إليه واستغفروه واحذروا من المعاصي فإنه ليس هناك ما يستنزل به رحمة الله وبركته مثل طاعته، وليس هناك ما يستوجب غضبه ونقمته وزوال نعمته مثل معصيته. وتلك سنة الله نلمسها في بلاد شتى على أرضه وبين خلقه حيث يعاقب العصاة بالنكبات تجتاحهم وبالشدائد تستأصلهم وإن أمهلهم فلن يهملهم قال تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، ولقد حذر النبي ﷺ من شؤم المعصية وعاقبتها على الأمة بقول ابن عمر فيما رواه الحاكم وابن حبان وأبو نعيم بإسناد صحيح: «**أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن أعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في يوم قط حتى يعلنوا بها إلّا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، وما منعوا زكاة أموالهم إلَّا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا**».

فالمعصية تحجب الرزق وتسبب الجدب والقحط ولا يرفع ذلك إلا بالاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله، فلقد وقف كليم الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يصلي ببني إسرائيل صلاة الاستسقاء لينزل الله المطر ولكن تأخر نزول المطر وهم في مسيس الحاجة إلى الماء فقال الكليم: «يا رب لما لم تنزل علينا المطر فقال له رافع السماء بلا عمد: لأن فيكم عبداً عاصياً لي فقال موسى يا بني إسرائيل من كان منكم ذا معصية فليعتزلنا حتى يَقْبَل الله صلاتنا وينزل المطر، فلم يخرج أحد وقام موسى ليصلي فأنزل الله المطر، فقال: يا رب أنزلت المطر ولم يخرج العاصي من بيننا؟ فقال له: يا موسى لأنه تاب توبةً بيني وبينه وقبلتها منه، فقال كليم الله موسى: يا رب هل أستطيع أن أعرف من هو؟ فقال له الرحمن تبارك اسمه: يا موسى، سترت عليه وهو عاصي فكيف أفضحه وقد تاب إليّ».

فانقطاع المطر سببه معاصي بني آدم ومخالفتهم أمر ربهم، والله سبحانه يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويزدجر مزدجر. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]، وقال جل شأنه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢] فتوجَّهُوا إلى الله تائبين مستغفرين ورُدُّوا المظالم إلى أهلها فإن الله قد حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً فلا تظالموا، ومن اغتاب مسلماً أو بهته أو نم عليه أو اغتصب ماله فقد ظلمه وسوف يقتص له ربه يوم الدين فتحللوا من إخوانكم، وتسامحوا وتصافحوا وتراحموا يرحمكم الله ويغفر لكم، وقولوا ربنا ظلمنا أنفسنا فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما قال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦].

اللهم أنت الله لا إله إلّا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء إليك، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا وأغثنا، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً نافعاً غير ضار، تحيي به البلاد وتغيث به العباد، اللهم أنزل علينا من السماء ماءً طهوراً فأحي به بلدةً ميتاً واسقه مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا بلاء ولا غرق، اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك، اللهم أنبت لنا الزرع وأدرَّ لنا الضرع وأنزل

علينا من بركات السماء وأنزل علينا من بركاتك واجعل ما أنزلته علينا قوة على طاعتك وبلاغاً إلى حين، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً، اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين، على الله توكلنا، ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى جميع النبيين والمرسلين والمؤمنات والمؤمنين من أهل السماوات والأرضين.

اللَّهم إنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا يا سميع الدعاء، ويا واسع الفضل والدعاء.

❊ ❊ ❊

الشباب ودورهم في بناء المجتمع

الحمد لله الذي لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، مالك يوم الدين ويوم الأخذ بالنواصي، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الجنة لمن أطاعه واتقاه، والنار لمن خالف أمره ونهيه واتبع هواه ورأيه ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى الناس قلباً، وأشدهم لله تبارك وتعالى طاعةً وحباً، يقول ﷺ عن نفسه: «**إني لأخوفكم من الله وأشدكم له خشيةً**»، اللّهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين تأسوا بنبيهم الكريم فكانوا نماذج للمكارم ومثلاً للاقتداء، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين. **أمّـا بعد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والنجوى واعلموا رحمكم الله أن للعمر مراحل وأطواراً يتقلب فيها الإنسان في هذه الحياة ما بين قوة وضعف وقدرة وعجز ونشاط وكسل وفراغ وعمل والموفق من اغتنم وقت فراغه وقوته وشبابه قبل أن يأتيه ما يشغله أو يضعفه وقد نبه النبي ﷺ على ذلك فقال لرجل وهو يعظه في حديث رواه الحاكم عن ابن مسعود: «**اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل مرضك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك..**» وما أعظمها من موعظة جمعت فأوعت وحددت معالم الطريق ودلت على أسباب الخير.

ففي وصيته ﷺ باغتنام الشباب قبل الهرم، إشارةٌ إلى أن الإنسان لن يظل متمتعاً بشبابه وقوته إلى نهاية عمره، وإنما لا بد من الشيب بعد الشباب والضعف بعد القوة وتلك سنة الله تعالى في الخلق حيث يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم

﴿ مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] فالإنسان يبدأ حياته ضعيفاً حين نزل من بطن أمه بأمر ربه لا يملك من أمر نفسه شيئاً، وقد أشار الحق تبارك وتعالى في حديثه القدسي إلى ذلك سبحانه بقوله: «**فلما أن تمت مدتك في بطن أمك أوحينا إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك على ريضةٍ من جناحه لا لك سنٌ يقطع ولا يد تبطش بها ولا قدم تسعى بها وأنبعت لك عرقين رقيقين في صدر أمك يخرجان لك لبناً خالصاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد**» وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

وبهذا الحنين الذي أودعه الله في قلوب الأبوين ينشأ الطفل في أحضان والديه وهو يترعرع شيئاً فشيئاً حتى يُرى غلاماً ثم شاباً ثم رجلاً في سن الأربعين ثم شيخاً كبيراً معمراً، وحين يصل إلى هذا الحد لا يستطيع السير إلّا متوكئاً على عصا، وقد عبر أحد الشيوخ الكبار عن شعوره وهو في حال ضعفه بهذا الحال فقال:

وكنت أمشي على رجلين معتــدلاً فصـرت أمشي على أخرى من الحطبِ

وقال آخر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشــيبُ

وإن عاش إلى أرذل العمر وأراد أن يتحرك من مكان آخر بنفسه دون وسيلة، يحبو كما كان يحبو طفلاً، وتلك سنة الله في خلقه، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨].

ومن ثَمَّ: لا بد لكل شاب أن يقف على حقيقة هذه الحياة، حتى لا يغتر بها ويضيع شبابه سدى أو يغتر بشبابه فيبذل طاقته وقواه في غير طاعة الله وقد حذر الله من ذلك فقال في حديثه القدسي: «**يا ابن آدم لا تغتر بشبابك فكم من شابٍ سبقك إلى الموت يا ابن آدم لا تفرح بدنياك فلست بمخلد، يا ابن آدم استحِ مني**

عند المعصية أستحِ منك فلا أعذبك».

فلا بد إذاً من اغتنام زمن الشباب في الخير قبل المشيب والهرم، وعدم التفريط أو التسويف حتى لا يقع الندم ولله در من قال:

تزود من الدنيــا بزادٍ من التقى   فعمرك أيام تعـــــد قلائل

وما أقبح التفريط في زمن الصبــا   فكيف به والشيب في الرأس نازل

يقول بعض الحكماء: «ثلاث ليس لها إياب: الوقت والجمال والشباب».

وقال بعض الشعراء:

ألا ليت الشباب يعود يوماً   فأخبره بما فعــل المشــيبُ

إخوة الإســـلام والإيمان:

ولقد كانت حياة نبينا محمد ﷺ في شبابه مثلاً أعلى في مكارم الأخلاق حتى لقب بالأمين قبل أن يبعث بالرسالة، ولم يشأ أن يعيش وهو شاب عالة على أسرته بل عمل في رعي الغنم وعمل في التجارة مع عمه أبي طالب وتاجر في مال السيدة خديجة ورأت فيه المثل الرائع للشاب المخلص الأمين وارتضته زوجها، ولما نُبِّئ بالرسالة كانت أول من آمن به حينما قال لها أي خديجة ما بي؟ وأخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي، قالت له: كلّا، أَبْشِر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتَصِلُ الرَّحِم وتصدِّق الحديث وتحمل الكَلَّ وتُكسب المعدوم وتقوي الضعيف وتعين على نوائب الحق».

وسارت حياته كلها صورة من أخلاق شبابه فضائل شامخة ومكارم رفيعة ومناقب سمحة ولقد وصفه ربه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ومن أجل هذا يا إخوة الإسلام رَبى هذا الرسول الكريم الشباب على موائد الإيمان وعني بهم أيما عناية، وأسدى ذلك التوجيه الرشيد إلى كل فرد منهم في شخص ابن عمه عبد الله بن عباس حين قال له: «**يا غلام احفظ الله يحفظ احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة إن اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن**

اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلَّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» أو كما قال.

وبهذا التوجيه النبوي الكريم يدعو رسول الله الشباب إلى أن يحفظوا الله ليحفظهم وحفظ الله يكون بالاستقامة والتقوى ولهذا عد رسول الله ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الشاب الذي نشأ في عبادة ربه، ومن ثَمَّ فهو جدير بأن يكون في رعاية الله وفي كنفه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، فلو ربّينا شبابنا على الإيمان كما ربى رسول الله ﷺ من حوله في صدر الإسلام كانت هذه نتائج مرضية لشبابنا المؤمن بربه المستقيم المستحق لبشراه في حديثه القدسي يقول سبحانه: «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خَلْقي، ولم يبت مُصِرّاً على معصيتي وقطع النهار في ذكري ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب**».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن الأمة في ماضيها الغابر وضعت ثقتها الغالية في الشباب وأسندت إليهم من الأعمال أخطرها ومن القيادات أعلاها، وهي في حاضرها أحوج ما تكون إلى ذلك، ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ فالرسول ﷺ أعطى راية القيادة لعلي بن أبي طالب يوم بدر وكان في سن الشباب وفي هذه المعركة حمل الغلمان السلاح متصدرين لجبابرة الكفر ورؤوس الشرك. قال عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديث السن فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه! وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني رأيت بين رجلين مكانهم، فأشرت لهم إليه، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى خَرَّ صريعاً على الأرض بين الحياة والموت لتستريح الأرض من شره إلى الأبد، وقد استشهد البطلان الشابان في الوقعة، ووقف رسول الله ﷺ على مصرعهما يدعو لهما ويذكر صنيعهما.

كما أعطى رسول الله ﷺ راية القيادة لزيد بن ثابت في غزوة تبوك وهو في العشرين من عمره، وبهذا وغيره أعطى الرسول ﷺ للشباب دورهم في القيادة والريادة بعد أن رباهم على مائدة القرآن وحصنهم بالعلم والإيمان والقوة والقدوة والتضحية والفداء فكانوا من حوله رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً.

فالشباب الصالح في الأسرة روحها ودمها المتدفق ومظهر حيويتها ونشاطها وفي المجتمع قلبه النابض وعزمه القوي وعماد كل عمل.

فاتقوا الله يا إخوة الإسلام وتعهّدوا شبابنا بالرعاية وربّوهم على القرآن وعلى حب الدين والإيمان وكونوا قدوةً طيبةً لهم في مكارم الأخلاق وفي التضحية وإنكار الذات، وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح ما ينفعكم وإياهم عند موتكم ويوم عرضكم على ربكم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فالحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] الآية.

وروى الترمذي بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» نسأل الله أن يوفقنا في هذه الحياة شباباً وشيوخاً إلى ما يحبه ويرضاه وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

الإسلام ينهى عن الظلم

الحمد لله الذي أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن البغي والظلم والعدوان، فقال سبحانه في محكم القرآن: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأشهد أنّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، إلهٌ عظيم ورب عادل رحيم يقول مخاطباً عباده المؤمنين: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**» وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال محذراً من الظلم: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأعلام الذين أقاموا على العدل والإحسان دولة الإسلام، فكانوا عباد الله إخواناً، أشداء على الكفار رحماء بينهم، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين. **أمَّـا بعد:**

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله ثم اعلموا وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه أن الظلم كلمةٌ جمعت كل الشرور والآثام، لأن الظلم هو مجاوزة حدود الله تعالى والتعدي على حقوق الآخرين من عباده، ولذلك جاء التحذير من الظلم في آيات كثيرة منها: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] كما جاء التحذير في القرآن من جحود وحدانية الله وظلم الإنسان لنفسه باقترافه للشرك وذلك على لسان لقمان حيث قال لابنه وهو يعظه ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ولقد ورد أن أكبر الظلم وأعظمه أن يجعل الإنسان لله نداً.

والظلم مرتعه وخيم وعاقبته شؤم وسوء، وجزاء صاحبه النار وخسران الدار كما أخبر الحق سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢] وبقوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٩] وما توعد الله أحداً بمثل بما توعد به الظالمين من العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر: ٥٢].

ولا ريب إخوة الإسلام والإيمان أن من أخطر وأقبح أنواع الظلم ظلم الإنسان لنفسه حين يتعدى حدود الله تعالى بمخالفته أوامره وارتكاب نواهيه، ومن ثم قال أهل العلم: إن للظلم أشكالاً، فمن الظلم مثلاً مماطلة الإنسان بحقٍّ عليه مع القدرة على الوفاء به، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مطل الغني ظلم**» وفي رواية: «**ليُّ الواحدِ ظلمٌ**»، ومن الظلم ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، ومن الظلم أن يستعمل الإنسان عاملاً أو مستأجراً ثم لا يعطيه أجرته، ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتقوا الله تعالى، ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه فقد خصمته، رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته**» أو كما قال، فهذه تبعات لها خطرها في يوم العرض على رب الأرض والسماوات، ففي الحديث الذي رواه أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها: يقول النبي ﷺ: «**الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، الإشراك –إن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يتركه أبداً –أي يطالب الله به العباد ولا يتركه–: وهو ظلم العباد فيما بينهم، وديوان لا يعبأ الله به –أي لا يبالي– ظلم العباد فيما بينهم وبين الله، فذاك إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء تجاوز عنه**»، فالديوان الذي لا يتركه الله تعالى هو ديوان المظالم فيما بين الناس، ومما يوضح لنا ذلك من الأحاديث ما رواه الحاكم وابن حبان عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**إياكم والظلم ... ثم ينادي فيقول: أين فلان بن فلان، فيؤتى به فيتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم، ثم يقوم بين يدي الرحمن، ثم يأمر المنادى ينادي من كان له ظلامة عند فلان فهلم، فيقومون حتى يجتمعون قياماً بين يدي الرحمن، فيقول الرحمن اقضوا عن عبدي، فيقولون كيف نقضي عنه؟ فيقول خذوا له من حسناته، فلا يزالون**

يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة ... ثم يقول اقضوا عن عبدي، فيقولون لم يبق له حسنة، فيقول: خذوا من سيئاتهم واحملوا عليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣] أو كما قال ﷺ. وهذا الحديث يبين لنا أن التبعات وهي المظالم التي بين العباد أمرها قليل وشأنها خطير لأنها تورث الفتن والحسرات في يوم العرض على رب الأرض والسماوات فقد سمى الله يوم القيامة بيوم الحسرة ويوم التغابن يعني يوم الغبن والندم لمن طغى وبغى وظلم أو تجبر على غيره أو قصَّر في حق ربه، ويلفت الرسول ﷺ النظر إلى هول المقام وضرورة الخلاص من الظلامات والتبعات في الحياة وقبل الممات فيقول فيما رواه البخاري: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحللها منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له عمل صالح أخذ من سيئاتهم فحملت عليه**»، وفي الحديث الذي رواه مسلم يقول النبي: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فحملت عليه ثم طرح في النار**»، وهكذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يملي للظالمين ولا يهملهم حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، كما جاء في صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]». ويجب على كل من يستطيع أن يأخذ على يد الظالم ويحول بينه وبين عدوانه أن يفعل وإلا فهو عند الله آثم وشريك للظالم في ظلمه، والشاهد ما رُوي أن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر على نصرته ولم يفعل**»، وروى البخاري والترمذي أن النبي ﷺ قال: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان**

ظالماً كيف أنصره؟ قال: بحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره».

ولا يغيب أبداً عن الأذهان أيها الإخوة أن دعوة المظلوم تقسم الظهور وتخرب الدور والقصور إذ ليس بينها وبين الله حجاب، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «**اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**».

ولما حبس بعض حكام البرامكة هو وولده في سجن واحد، قال الولد لأبيه: يا أبت بعد السلطان والعز نصير هكذا رهن الحبس؟ فقال: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها. وفي هذا يقول القائل:

«لا تظلمن إذا كنت مقتدراً، فالظلم ترجع عقباه إلى الندم».

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الله وعد المظلوم بالنصر وإن طال مداه وجعل عاقبة الظلم دماراً ومأثماً، فكم قصم به أعماراً وشتت أنصاراً ودمر به دياراً وأهلك به أمماً. قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١] وقال عمر بن أبي ذر: يا أهل معاصي الله لا تعتدُّوا بطول حلم الله عنكم واحذروا سنته فإنه قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] وقيل: بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد. روى مسلم والترمذي أنه ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فحملت عليه ثم طرح في النار**».

فكونوا إخوة الإسلام أهل عدل مع أنفسكم بتقوى الله ولا تظلموا أنفسكم بترك ما أمر الله به وارتكاب ما نهى الله عنه وكونوا أهل عدل مع أبنائكم بأن تحسنوا تربيتهم، وكونوا أهل عدل مع الناس بأقوالكم وأفعالكم وحسن

معاملتكم يتولى الله أمركم ويصلح أحوالكم فالله يتولى الصالحين، ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من جاءته موعظة من الله في نفسه فإنه نعمة من الله سبقت إليه فمن قبلها بشكر كانت نوراً وبرهاناً يوم القيامة، ومن أعرض عنها كانت حجة عليه يزداد بها إثماً وتزداد بها من الله بعداً**».

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

ولَذكرُ الله أكبـر

الحمد لله الذي أمر عباده المؤمنين بكثرة ذكره وتسبيحه، ونهاهم عن الغفلة لأن عاقبتها ندم وحسـرة، ففي الحديث: «**ما من ساعة تمر على ابن آدم لم يذكر الله بها إلا ندم عليها يوم القيامة**» وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، يذكر من يذكره ويزيد من شكره ويتوب على من يتوب إليه ويستغفره، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل الذاكرين وأخلص الموحدين لله رب العالمين، القائل فيما رواه الترمذي: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**» صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. **أما بعد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله وكثرة ذكره وتسبيحه، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] ، وفي صحيح الترمذي عن عبد الله بن بشـر ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله إن شـرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**». ولجلال الذكر أمر الله نبيه وصفيه وخليله ﷺ أن يكون دائماً من الذاكرين، قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ [المزمّل: ٨]، واعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه أن لذكر الله آثاراً إيمانية يطول شـرحها وأحولاً زكية لا يمكن استقصاؤها، وفوائد دنيوية وأخروية لا يدرك قدرها، ولقد ذكر العلامة ابن القيم مئة فائدة من فوائد الذكر وهذا غيض من فيض ما جاء في سنة النبي ﷺ حول الذكر وفضله ومنها قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**من قال**

لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير في كل يوم وليلة مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلّا رجل عمل أكثر منه، ومن قال سبحان الله وبحمده مئة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر». وفي تلك الآية يأمر الله عباده المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ويسبحوه بكرةً وأصيلاً ليفوزوا برحمته ويغتنموا فضله ويتجنبوا غضبه، وإنه لشرف عظيم للمؤمنين ونعمة كبيرة على العباد الذاكرين أن يذكرهم الله بالخير في الملأ الأعلى ويصلي عليهم وملائكته ليخرجهم من ظلمات الشرك والضلال والجهل إلى نور الإيمان والعلم والعمل الصالح، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم**» أخرجه البخاري ومسلم. قال ابن القيم: ولو لم يكن في الذِّكْر إلَّا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

وقد بيَّن العلماء أن الذكر المأمور به أنواع كثيرة، فالصلاة مثلاً فروض ونوافل من أكبر أنواع الذكر لاشتمالها على خصائص العبودية، ولذلك يقول رب البرية: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤] وبعض الذكر أفضل من بعض وأفضله وأعظمه تلاوة القرآن الكريم لأنه كلام الله تعالى، ولذلك يقول خبّاب بن الأرت لرجل: «تَقَرَّبْ إلى الله تعالى ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه». وقال ابن مسعود: «من أحب القرآن أحب الله ورسوله، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ولا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم».

ويدخل في الذِّكر كلُّ قول فيه قربة إلى الله كالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وقراءة القرآن داخل الصلاة وخارجها والاستغفار ودراسة العلوم الشرعية والأحاديث النبوية، فما شرعت الشرائع إلا لإقامة ذكر الله عز وجل، ولهذا علق الله الفلاح بالإكثار منه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا

﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]. وأخبر بخسران من لهى عنه فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وأخبر سبحانه أن الذكر أكبر من كل شيء فقال سبحانه: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولا عجب فهو المقصود بالطاعات كلها ولذلك ختم الله بالصلاة وضم به الصيام وضم به الحج وقرنه بالجهاد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥] ولذلك ختم الله به صيام رمضان فقال: ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وختم به الصلاة فقال: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾ [النساء: ١٠٣] وختم به الحج فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرًاۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٠] وبدأ به صلاة الجمعة وختمها به فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩] وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠] وقرن به الجهاد وحث عليه عند ملاقاة الأعداء ومكافحتهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وإنَّ مجالس الذكر أيها الأحبة في الله يباهي الله بها ملائكته، ففي صحيح مسلم من حديث معاوية ﷺ: «**أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا. قال: آلله ما أجلسكم غير ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما أني لم أستحلفكم تهمةً لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**» أو كما قال ﷺ . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن لله**

ملائكة يطوفون في الطرقات يتلمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله قالوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشداً لك عبادة وأكثر تحميداً وتمجيداً وتسبيحاً، قال: فما سألوني؟ قالوا: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف ولو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد حرصاً عليها وأشد طلباً لها وأشد فيها رغبةً، قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، قال: هل رأوها؟ قالوا: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافةً. قال: أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى جليسهم»، ولذلك حث النبي ﷺ على الجلوس في مجالس الذكر وشبّهها برياض الجنة فقال ﷺ : «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَق الذكر**» وقال ﷺ فيما رواه أبو داود: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلَّا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة**».

فاتقوا الله إخوة الإيمان وأكثروا من ذكر الله وإدامة الجلوس مع الذاكرين لتنالوا محبة الله رب العالمين فالحق تبارك وتعالى يقول لنبيه الكريم: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]

وفّقني الله وإياكم لما فيه رضاه وختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وأسأل الله العلي الكريم أن يسدد أقوالنا وأفعالنا وأن يجعلنا من عباده الذاكرين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وغفر لي ولكم ولسائر المسلمين.

حُسْــنُ الخُلُق

الحمد لله الذي أمر عباده باتباع الفضائل واجتناب الرذائل، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، حثهم على التخلق بالأخلاق الحسنة الجميلة، ونهاهم عن الأخلاق السيئة الذميمة، وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله، أدبه ربه فأحسن تأديبه، وهذَّبه صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تأدب بآدابهم وتخلَّق بأخلاقهم وسار على نهجهم القويم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. وقد روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «**ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كَفّ رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحةً قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لي عن شيء فعلته لم فعلته ولا لشيءٍ تركته لم تركته**».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن حُسْن الخلق هدف الرسالة النبوية الكريمة وأساس الدعوة الإسلامية الرحيمة، وهو عدة الفلاح والنجاح في كل شأن من شؤون الحياة.

فإذا تخلَّق الإنسان بالأخلاق الفاضلة أمكنه أن يقود النفس الجامحة، ويسترق القلوب النافرة، ويهذّب الطباع القاسية، وبذلك يعم السلام ويسود الوئام، وتتقدم الأمة الإسلامية إلى الأمام، ولذلك كان أهم ما عمل به النبي عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الإسلام هو (حسن الخلق): «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

فمكارم الأخلاق هي الدعامة الأولى في سعادة الناس ونجاح أعمالهم وارتقائها وهذه أخلاق الرسول الكريم يحدث عنها سيدنا أنس خادمه وملازمه لنا وللعالم أجمع في أسلوب حكيم ومنطق هو عين الصدق واليقين.

وأيُّ أخلاق في الوجود بلغت من التسامح الكبير وكرم النفس والصفح الجميل والتغاضي عن الزلات مثل ما بلغت أخلاق الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا الذي لا يحاسب صاحبه الخادم على تقصيره وينهره ويزجره لمخالفته؟

أيها المسلمون إنه خلق رسول الله، خلق من أدبه ربه فأحسن تأديبه، خلق من كان لأمته المثل الأعلى والأسوة الحسنة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] خُلُقُ من سُئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**». وأرشدنا سيدنا الرسول إلى حسن الخلق بقوله وفعله، وضرب لنا المثل الأعلى على ذلك لما يترتب عليه من ارتباط القلوب في ائتلاف النفوس والتعاون على فعل الخيرات بين الأفراد والجماعات فقال: «**إنكم لن تسعوا النَّاسَ بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**».

إخوة الإســـلام والإيمان:

إذا سادت في أية أمة الأخلاق الذميمة والعادات القبيحة، كان ذلك إيذاناً بتفكك وحدتها، وذهاب عزتها، وزوال قوتها، بل تصبح عبدةً في الوجود، يتحكم فيها عدوها في الدين، ويسومها الخسف والعذاب المهين.

وإنما الأمم الأخــلاقُ ما بَقِيَتْ فإن هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

وليس كفساد الأخلاق داء إذا أصيبت به أمة من الأمم قضى على مقوماتها وأتى على بناء مجدها وعزها من القواعد، وأمات فيها كل معاني الخير والفضيلة وأشاع بين أرجائها الشر والرذيلة.

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويــلا

فكرامة الأمم وعزتها ورقيها وحضارتها وأمنها وسلامتها، ليس ذلك كله إلا في اتباع الأخلاق الكريمة، والآداب القويمة التي جاء بها دين الإسلام، ودعا إليها رسوله عليه الصلاة والسلام، الذي يقول فيه مولاه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إخوة الإســـلام والإيمان:

إنَّ حُسْن الخلق كلمة جامعة لكلِّ معاني الخير والفضيلة والصفات الحميدة

التي يحبها الله ورسـولـه. يقول في تفسـيرها عبد الله بن المبارك ﷺ: «حسن الخلق هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى». ويقول علي ﷺ: «يا عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، لقد كان له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاة».

فاتقوا الله إخوة الإسلام وتحلوا بمكارم الأخلاق وروضوا أنفسكم عليها ففيها عزتكم في الدنيا وسعادتكم في الآخرة وبها يرجح ميزان العبد يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطّؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون**».

❋ ❋ ❋

من حقوق الجار في الإسلام

الحمد لله الذي دعا إلى حسن المعاملة والتعاون على البر والتقوى عباده المسلمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جمع على الخير والمحبة قلوب المؤمنين وألّف بينهم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعظم الناس أخلاقاً وأحسنهم جِواراً وأكرمهم عشرةً وألطفهم صورةً، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الذين تأسوا بنبيهم الكريم فكانوا نماذج للمكارم، ومثلاً للوفاء فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين. **أمّـا بعـد:**

عبـــــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، واعلموا -رحمكم الله- أن الإسلام وهو الدين الذي جعله الله منهج حياة للعالمين ينظر إلى المسلمين على أنهم بنيان واحد، لبناتُهُ أبناء هذه الأمة، تمدهم بالحياة روح واحدة هي روح الإيمان التي لا تفرق بين لون ولون ولا بين جنس وجنس ولا بين وطن ووطن، شعارهم قوله ﷺ :«**المسلم أخو المسلم**» وقوله ﷺ: «**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**»، والتفاضلُ بين الناس هو تقوى الله، وتلك نظرة إسلامية واقعية لأنها تعالج بين أبناء هذه الأمة أسباب الضعف والتفكك وتدعوهم للأخذ بأسباب القوة للمضي بالمجتمع نحو التقدم متماسكاً متسانداً يشد بعضه بعضاً كالبنيان المرصوص.

وحرصاً من جانب الإسلام على سلامة هذا البنيان وحمايته من كل ما يوهن من قوته، فرض على أبنائه الإحسان إلى الجار قريباً كان أو بعيداً سواء في ذلك من يدين بهذا الدين ومن لا يدين به، ودرج ذلك في سلك واحد مع عبادة الله تعالى والإحسان إلى الوالدين والأقربين وذلك في قوله جل شأنه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي

ﭐلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

هذا وبيَّن النبي ﷺ في كثير من أحاديثه أن من حق الجار على جاره أن يكون له في الشدائد عوناً وفي الرخاء أخاً يأسى لما يؤذيه ويفرح لما يسره ويرضيه، يفرج كرباته، ويقضي حاجاته، إلى غير ذلك مما أرشد إليه الإسلام الحنيف وكان عليه المسلمون الأوائل، ومن الشواهد ما روي عن معاوية بن جيده رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله ما حق الجار علي؟ قال: «**إن مرض عدته وإن مات شيعته وإذا استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلّا بإذنه ولا تؤذيه بقناء ريح قدرك إلّا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فأهدي له منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده**». ولهذا الحديث شواهد تقويه ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن خليلي ﷺ أوصاني فقال: «**إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**» ومن ثَمَّ فالمسلم الذي لا يُحِسُّ بإحساس جاره ولا يتألم لألمه مسلمٌ مجافٍ لخلق الإيمان وإنْ صلى وصام، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الطبراني في الأوسط: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**» وفيما رواه البخاري: «**كم من جار يأتي يوم القيامة متعلق بجاره ويقول: رب سل هذا لم أغلق عني بابه ومنعني فضله**».

نعم إخوة الإيمان لقد كان من حقه عليه كجار أن يشبع جوعته ويستر عورته ويسد خلله، فإن جحد هذا الحق كان أهلاً للحرمان من فضل الله تعالى ورحمته، فلقد روى الطبراني بسنده أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: «**يا رسول الله أُكْسُني، فقال: أمالك جار له فضل ثوبين؟ قال: بلى غير واحد، فقال: فلا يجمع الله بينك وبينه في الجنة**».

فالإحسان إلى الجار يا أخوة الإسلام برهان قوي على كمال الإيمان ولذلك يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»، وفي رواية مسلم «**فليحسن إلى جاره**» أي من علامات كمال

الإيمان أن يحسن المسلم جوار جاره بالبشر وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى وما إلى ذلك من حسن المعاشرة وطيب المعاملة. بيد أن المسلم الذي ينتسب إلى هذا الإسلام ويؤدي واجباته من صلاة وصيام وزكاة وحج، ولا يتسم في سلوكه بالخلق الكريم والمعاملة الطيبة لجيرانه وإخوانه المسلمين لا خير فيه ولا أثر لعبادته.

روى البخاري بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر، من هذا ؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه. قيل: وما بوائقه؟ قال: شره**».

وروى أحمد في مسنده والبزار والحاكم وصححه: أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصدقها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**».

وحسبنا في هذا المقام أيها الأحبة الكرام ما رواه ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل**».

هذا ولقد ضرب النبي ﷺ والسلف الصالح المثل الأعلى في حسن الجوار ولو كانوا مع مخالفتهم في الدين ما داموا على العهد امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨] والشواهد على ذلك كثيرة منها عيادة الرسول ﷺ لجاره اليهودي، ومنها مثلاً ما رواه أبو داود في سننه والبخاري في الأدب المفرد عن مجاهد ؓ أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذبحت له شاة في أهله فلما جاء من السفر قال: أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ فقيل له: أصلحك الله كم تذكر اليهودي! قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»، ولذلك كان المسلمون الأوائل يسألون عن الجار قبل الدار ولا يؤثرون بالجار الصالح مالاً ولا عرضاً من الدنيا، ومما يروى في ذلك أن جاراً لسعيد بن العاص ساوم على مئة ألف

درهم ثمناً لداره ثم قال للمشتري: هذا ثمن الدار وبكم تشتري جوار سعيد بن العاص، فلما علم سعيد بعث إليه بالثمن واستبقاه في داره إلى جواره، حيث كان يبيعها لحاجةٍ، وبهذه الروح كان المسلمون الأوائل كالجسد الواحد وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

فما أجمل أن يتخلق المسلمون بهذا الخلق ويأخذوا أنفسهم بهذا المبدأ ويستنوا بسنة أكرم الخلق، إنهم حينئذٍ يكونون بحق أتباع محمد ﷺ كما يكوِّنون الأمة المثالية التي أرادها الله تعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

فاتقوا الله -عباد الله- وقدِّموا لأنفسكم، واعملوا صالحاً وابذلوا المعروف فيما بينكم يكن لكم، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إخوة الإيمان:

روى الترمذي بإسناد حسن صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»، فأسأل الله تعالى أن يجعلنا بسنة رسول الله مقتدين وبهديه مهتدين وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه.

❊ ❊ ❊

«اغتنم خمساً قبل خمس»

الحمد لله الذي لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، مالك يوم الدين ويوم الأخذ بالنواصي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الجنة لمن أطاعه واتقاه والنار لمن خالف أمره ونهيه واتبع هواه ورأيه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله القائل في حديثه: «**إني لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**» اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان. **أمَّـا بعد:**

أيها الأحبــة الكرام:

روى الإمام الحاكم بإسناد صحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل مرضك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك..**» وإنها لوصايا عظيمة جمعت فأوعت وحددت معالم الطريق وبينت أسباب النجاة.

وما أحوجنا إخوة الإيمان إلى معرفة هذه الأسباب والتي إن لم نهتدِ إليها ونعمل بها فإننا سنظل في متاهات الحياة حتى يأتينا الموت، ونرى هنا أنه ﷺ أول ما وصّى به هو اغتنام مرحلة الشباب، حيث قال: «**شبابك قبل هرمك**»، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الإنسان لن يظل متمتعاً بشبابه إلى أرذل العمر، وإنما لا بدّ له من المشيب بعد الشباب، ولا بد له من الضعف بعد القوة، وتلك سنة الله في خلقه، قال جل شأنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:

٥٤]. فالإنسان يبدأ حياته بين أبويه طفلاً لكي يراه غلاماً، وعندما يصل إلى هذا الحد نراه في كامل قوته ونضرته وشبابه، ثم شيخاً كبيراً معمراً، وعندما يصل إلى هذا الحد نراه وقتئذٍ لا يقوى على السير إلا وهو يتوكأ على العصا، وفي هذا يقول أحدهم:

وكنت أمشي على رجلين معتدلاً فصرت أمشي على أخرى من الشجر

وإذا طال عمره سنراه لا يقوى على السير حتى على العصا، وإذا أراد أن ينتقل من مكان إلى مكان يحبو كما كان يحبو يوم أن كان طفلاً، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨] ثم يأتيه الموت إذا حان الأجل، يكي يعود إلى بطن الأرض، وهي الأم، وهي الأصل، وإلى هذا أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥]، يعني نخرجكم منها للجزاء والحساب.

ولذلك كان لا بدّ للشاب أن يقف على حقيقة هذه الحياة حتى لا يعتدَّ بها، ويُشغل عن الهدف الأسمى، وهو الرجوع إلى الله تعالى، والاستعداد لذلك قبل فوات الأوان، فلقد روي عن الحسن أنه قال: «ما من يوم تطلع الشمس فيه إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة».

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**يا ابن آدم لا تفرح بدنياك فلست بمخلد، يا ابن آدم لا تغترَّ بشبابك فكم من شاب سبقك إلى الموت، يا ابن آدم استح مني عند المعصية أستحي منك فلا أعذبك**».

فلا بد من اغتنام فترة الشباب قبل الهرم، وعدم التفريط والتسويف حتى لا نقع الندم، فما أقبح التفريط في زمن الصبا، فكيف به والشيب في الرأس نازل، نرحل من الدنيا بزادٍ من التقى، والعمر أيامه قلائلُ.

وكما أنّ الشباب ليس بدائم؛ فإن الصحة أيضاً لا تدوم، والإنسان كالوردة لا بدّ له من الذبول يوماً ما، لأنه يمر بمراحل الحياة بما فيها من صحة وعافية، ولهذا وصى الرسول ﷺ باغتنام الصحة قبل السقم، فقال: «**وصحتك قبل سقمك**»،

وتلك فرصة من ذهب، أي فرصة الصحة والعافية، لا يعرف الإنسان قيمتها إلّا إذا وقع به المرض، وعجز عن الحركة كما كان يتحرك وهو صحيح معافى، ولله در علي بن أبي طالب حيث يقول ﷺ: «من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد بناه، أو حمد حصله، أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه».

فاحذر يا أخ الإيمان أن تعقَّ يومك وتظلم نفسك بضياع وقت الصحة فيما لا ينفعك، فأنت أحوج إلى كل لحظة من عمرك تتزود بها لآخرتك، فدارُ أنت إليها تسير أقرب إليك من دارٍ أنت عنها ترحل.

ويوصي الرسول ﷺ باغتنام الغنى قبل الفقر، وهذه إشارة على تقلب الدنيا بأهلها وأنها لا تنقضي على حال واحد، فكم من الناس كانوا يملكون وأصبحوا لا يملكون، وكم من الناس كانوا لا يملكون شيئاً وأصبحوا يملكون الكثير، وتلك طبيعة الدنيا، إن طلبتها تركتك، وإن تركتها طلبتك، ولله در من قال:

هي الدنيا تقول بملء فيهـــا ... حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

فلا يغرركم مني ابتســـــام ... فقولي مضحكٌ وفعلــي مبكي

ومما روي في ذلك أن رجلاً كان له صديق فقير وكان يعطيه من فضل الله الذي عنده، وبمرور الزمن قُلب الوضع وأصبح الغني فقيراً والفقير غنياً، لكن الآخر لم يكن وفياً وأصيلاً، ولم يَذْكُر مروءة صديقه الذي كان يعطيه يوم أن كان محتاجاً وكان إذا رآه حوّل وجهه حتى لا يراه فيضطر إلى إعطائه، وعندما ظهر هذا للصديق الأول قال له:

تراني مقيـلاً فتصـــدَّ عني ... وتزعم أنني أبغي رضـــاك

ســـــيغنيني الذي أغناك عني ... فلا فقري يدوم ولا غنـــاك

فينبغي على المسلم إذا كان في يسر وغنى أن يقدم لنفسه وأن ينفق في وجوه الخير ما ينفعه في آخرته والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠] وأن يقصد من ماله لنفسه وعياله، فالرسول ﷺ يقول: «**ما خاب من اقتصد**» واليدُ العليا خير

من اليد السفلى، ولهذا لا بد وأن يكون هناك اغتنام لكل لحظة فراغ، ربما لا يستطيع الإنسان بعدها أن يعمل بالطاقة نفسها التي كان عليها وقتها، وهو مسؤول عن ضياعها يوم القيامة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : «**لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**».

ومن ثَمَّ فعلى المسلم أن يحذر من ضياع الوقت في غير محله وأن يغتنم فرصة فراغه فيما ينفعه في أخراه ويترك له أثراً طيباً في دنياه، ولله در من قال:

دقات قلب المرء قائلةٌ له إنَّ الحيــاة دقائق وثوان

ثم يعرض الرسول ﷺ لاغتنام الحياة بصفة عامة في كل ما هو خير قبل الممات فيقول: «**وحياتك قبل موتك**»، لأن الموت ليس نهاية المطاف، وإنما هو مرحلة انتقالية من حال إلى حال، ومن دار إلى دار، ولذا نرى أن الله سبحانه بعد أن حدثنا في القرآن عن مراحل خلق الإنسان قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦] يعني للحساب والجزاء وهذا الذي يجب علينا أن نركز عليه، إذا أردنا الخروج من هذه الحياة وقد رضي الله عنا وغفر لنا، تأسياً بسلفنا الصالح الذين كانوا مع اجتهادهم في العمل على درجة عالية من الخوف والوجل، فها هو أبو بكر رضي الله عنه يقول: «لو كانت إحدى رجلاي في الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله».

وها هو عمر رضي الله عنه يقول: «ليت أمي لم تلدني ليتني شعرة في صدر أبي بكر»، وكان رضي الله عنه يرى دائماً في وجهه خطين أسفل عينيه من كثرة بكائه وتفكره في يوم لقائه وقوله ماذا تقول لربك غداً يا عمر.

وها هو عمر بن عبد العزيز كان يجمع العلماء ويذكرون الموت والحساب قد يكون بين أيديهم ضاره. وتأتيه جاريته يوماً فتخبره أنها رأت في المنام كأن الصراط حد على جهنم وهي تزفر على أهلها وتذكر أنها رأت رجالاً مروا على الصراط فأخذتهم النار، ثم قالت: ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك، فوقع مغشياً عليه، وبقي زماناً يضطرب وهي تصرخ في أذنيه: رأيتك والله قد نجوت.

وهذا قليل من كثير مما كان عليه سلف هذه الأمة في اغتنام الأوقات في الطاعات قبل الفوات، والعمل ليوم العرض على رب الأرض والسماوات.

فاتقوا الله يا إخوة الإيمان، واذكروا ما كان عليه سلفكم وتمسكوا بوصايا نبييكم، واغتنموا فرصة وجودكم في هذه الدنيا، وقدِّموا لأنفسكم من العمل الصالح ما ينفعكم عند موتكم وعرضكم على ربكم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم.

إخوة الإيمـــان:

روى الترمذي بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**». هكذا هي إخوة الإيمان، فقد أعطى الرسول ﷺ للشباب دورهم في القيادة والريادة بعد أن ربَّاهم على مائدة القرآن وحصَّنهم بالعلم والإيمان والقوة والقدوة والتضحية والفداء فكانوا من حوله رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. ولا ريب في أن إيمان الشباب الصادق هو قوة فعالة تصنع الأعاجيب وتحقق أهدافاً يعجز عن حملها المهازيل.

فاتقوا الله يا إخوة الإسلام وتعهّدوا شبابنا بالرعاية وربّوهم على القرآن وعلى حب الدين والإيمان وكونوا قدوةً طيبةً لهم في مكارم الأخلاق وفي التضحية وإنكار الذات، وقدِّموا لأنفسكم من العمل الصالح ما ينفعكم وإياهم عند موتكم ويوم عرضكم على ربكم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فالحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] الآية.

وروى الترمذي بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**».

نسأل الله أن يوفقنا في هذه الحياة شباباً وشيوخاً إلى ما يحبه ويرضاه وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه.

من مقاصد الإسلام (التيسير على الناس)

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، الذي أمر المسلمين بالتيسير والتبشير، ونهاهم عن التفسير والنفير، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أما بعد:

إخوة الإســـــلام والإيمان:

إن الله سبحانه وتعالى امتن على هذه الأمة بأن جعلها أمة وسطا بمعنى أمة العدل والإجابة، وشرفها بذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. واعلموا أنَّ الوسطية في هذه الأمة صفة لازمة لمدارستنا لهدي النبي المصطفى ﷺ وشرفه الله تعالى بالإنسان إلى هذا الدين العظيم الذي توج الله به الأديان وقال في محكم القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا مما يدل على سماحة الشريعة الإسلامية، فهي مبنية على الاعتدال والتيسير والرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق إلى أهلها، سواء كانت حقوقاً لله عز وجل أو حقوقاً لعباده، فالله عز وجل لم يكلف نفساً إلا وسعها، وما جعل على أحد في هذا الدين من حرج، وقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وبذلك تميز الإسلام على سائر الأديان، من حيث الكمال والسماحة والتيسير ورفع الحرج والمشقة عن كاهل الناس، وهذا يحسه ويلمسه كل من تفقه في هذا الدين العظيم ووقف على حقيقته بعفة ونزاهة وإنصاف، وإن قال الأعداء ما قالوا ونسبوا إليه حقداً عليه ما نسبوا من إرهاب أو تطرف ووالله مهما قدمنا لهم أو تنازلنا فلن نسلم من شرهم ولن يرضوا عنا وصدق الله القائل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ووالله ما أعظم الإسلام وما أيسره وأرحمه من منهج حياة للإنسان، فالقرآن ميسر للذكر والعقيدة ميسرة للفهم، والشريعة بتكاليفها ميسرة للتقيد والتطبيق، وليس فيها شيء على الإطلاق يتجاوز طاقة المكلفين بها، وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية، انظروا إلى قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أو إلى قوله جل شأنه: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وإلى قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] كما علم القرآن المؤمنين أن يدعوا ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦] وفي الصحيح أن الله استجاب لهم دعاءهم.

ولو تدبر الإنسان فيما شرعه الله تبارك وتعالى من خلال شريعة الإسلام للإنسان لوجد أنه مبنيٌّ على التيسير والرحمة، بل يجد أن هذه الشريعة قد وسعت برحمتها العدو والصديق، ومن الشواهد على ذلك أن المسلمين لما وقع لهم ما وقع من بطش وأذى المشركين، طلب أحد الصحابة من الرسول ﷺ أن يدعو عليهم، فأبى ﷺ وقال: «**إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة**» والحديث رواه الإمام مسلم، وهذا الرسول ﷺ المبعوث بالرحمة يربي أمته في كل شيء على الرحمة، انظروا إليه وهو يقول فيما رواه مسلم: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليُحِدَّ أحدُكم شفرته ولْيُرِح**

ذبيحته»، وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً اشتكى إليه ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «**امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**» وقد تجلت رحمة الإسلام وسماحته في شخص رسول الله ﷺ وذلك عندما دخل مكة عام الفتح والناس حوله يترقبون ما هو فاعله بأهل مكة الذين آذوه، وقاتلوه وأخرجوه، وقد أظهره الله عليهم ودخل مكة فاتحاً في عشرة آلاف مقاتل، ووقف أهل مكة بين يديه في حصار وصغار ينتظرون المصير وبما سيأمر ويقول، وإذا بالرحمة المهداة يقول: «**يا أهل مكة، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: وإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، فكان من بركة سماحته وعفوه ورحمته أن دخلوا في دين الله أفواجاً، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] فالتيسير والرحمة واللين من أبرز سمات الإسلام، وهو سبيل الأنبياء والمصلحين.

ولعلكم إن شاء الله تعرفون أو تحفظون حديث رسول الله حينما دخل أعرابي وبال في مسجد النبي ﷺ ، بالله عليكم لَكُم أن تتصوروا هذا المشهد، أعرابي يبول في المسجد النبوي والصحابة يقولون له: مه مه، أي ماذا تصنع، والرسول ﷺ يقول: دعوه، دعوه، يبول في المسجد، نعم لا تزرموه، أي لا تقطعوا عليه بولته، دعوه يكمل بولته، ووقف الرجل قائماً حتى أنهى بولته ثم نادى عليه المصطفى عليه السلام، بحكمة ورفق وتواضع وحنان، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا، إنما جعلت للصلاة ولذكر الله ولقراءة القرآن**»، وهكذا فقط، ثم أمر النبي ﷺ صحابياً فجاء بدلو من ماء فسكبه على أثر البول وطهر المكان وانتهت القضية بهذه الرحمة المحمدية.

أيها الإخوة الكـــرام:

في رواية صححها الشيخ الألباني رحمه الله أن هذا الأعرابي انفعل بأخلاق النبي الكريم فلما دخل الصلاة، قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال له النبي ﷺ : «**لم حجرت واسعاً؟**» بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد زكاك

ربك فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] يقول ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه**».

فالتيسير والرفق واللين صورة من صور الرحمة في هذا الدين العظيم يضعها الله تعالى في قلب العبد.

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن الله تبارك وتعالى يأمر بالإصلاح وينهى عن الشر والفساد، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠]. فالله تبارك وتعالى يأمر بالخير لتحقيق السعادة لبني آدم وينهى عن الشر والفساد وجميع صور الفاحشة لما لها من ضرر للإنسان في الدنيا والآخرة، وحذّر سبحانه من الإفساد في الأرض بجميع صوره وأشكاله قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ﴾ [الأعراف: ٥٦] ومن أعظم الإفساد وأشده ضرراً الحكم على بعض المسلمين بالكفر، فالتكفير فتنة عظيمة أتت على الأمة بكثير من الشر والبلاء، ولقد حذرنا الرسول ﷺ من هذه الفتنة العظيمة ففي الصحيحين عن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ردت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**».

ولقد عني العلماء ببيان هذه الفتنة والتحذير من خطرها العظيم، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار.

فالذين يجترئون على تكفير بعض العلماء أو الأفراد بشبهة لا دليل عليها مؤولين بعض النصوص الشرعية على حسب أهوائهم لتؤيد رأيهم وانتصاراً لمذاهبهم، إنما يرتكبون إثماً كبيراً لمخالفتهم لشريعة الله تعالى وما أنزل على رسوله والسنة النبوية حافلة بالأحاديث الكثيرة التي تدل على أن من رمى أخاه بالكفر يكفر حقيقة إن لم يكن من رمي بالكفر كذلك، فلو كان ثمة تسعة وتسعون دليلاً على كفر أحد ودليل واحد على إسلامه ينبغي للمفتي أن يعمل بذلك الواحد،

لأن خطأه في خلاصه خير من خطئه في ضره وقصاصه، من منطلق القاعدة الكلية التي أوصانا بها رسول الله ﷺ في قوله: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**».

وقد نهى النبي ﷺ عن قتل من نطق بالشهادتين ودليل ذلك قصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما مولى رسول الله مع الرجل الذي ضربه بسيفه فمات وكان قد نطق بالشهادتين قبل طعنه.

إخوة الإسلام والإيمان:

يقول النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد: «**أن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**»، فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : لمن هذه يا رسول الله؟ فقال: «لمن **ألان الكلام وأطعم الطعام وبات لله قائماً والناس نيام**».

فيا أيها الأخوة الكرام: هذا هو الإسلام برحمته وعدله وهذا هو رسول الله ﷺ بخُلُقه وهديه، نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لسنته وأن يتوفانا على ملته، وأن يحشرنا يوم القيامة تحت لوائه وفي صحبته وأن يسقنا من حوضه بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعضها أبداً.

أقول هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



أثر المسجد في التربية على الإيمان

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً وهدانا صراطاً مستقيماً وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله ربه جل وعلا على حين فترة من الرسل هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منير سالك فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إخوة الإيمـــــان:

لقد ذكرنا في الجمعة الماضية أن أول عمل قام به النبي ﷺ بعد هجرته المباركة بناء مسجد قباء ثم بناء مسجده المبارك بالمدينة المنورة، وحظي المسجد باهتمام عظيم من جانب النبي ﷺ فمن المسجد شعَّ نور الإسلام على العالمين، وانتشر ضياؤه في الخافقين، ولقد كان المسجد بمثابة المدرسة الأولى التي أسسها معلم الإنسانية الأول صلوات الله وسلامه عليه، وقد تخرج فيها على يديه الخلفاء الراشدون وأبطال العالم وقادة الأمم، تخرجوا من مدرسة النبوة، على أساس متين من الإيمان واليقين، والتضحية والفداء من أجل رفعة هذا الإسلام العظيم ونشر نوره بين العالمين، وضربوا في ذلك أروع الأمثال، ولقد روى التاريخ أن الذين تربوا في مدارس الأنبياء وأشربوا تعاليم السماء هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل في يديهم ميزان الحق والعدل وأفاقت البشرية لترى نمطاً جديداً من الناس يعطي من نفسه ليسعد غيره، ويرضى بالفناء لذاته لكي تحيى وتنهض

أمته، وهذا هو أثر الإيمان الصادق في إصلاح الفرد والأمة على مدى الأيام والزمان، ولقد ضرب الله عز وجل أمثلة لذلك في القرآن لتكون عبرة لأهل الإيمان من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

فهذا مؤمن آل فرعون يقف وحده في مواجهة الطغيان والظلم مدافعاً عن الحق فيقول لقومه وقد تشاوروا في قتل موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨]، ثم ينتقل من قضية الدفاع عن الفرد إلى قضية أمته كلها، فيبدي مخاوفه وينصح قومه بأسلوب لين مهذب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة فيقول: ﴿ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ ﴾ [غافر: ٢٩]. ولكنه وجدهم قد تحجرت مشاعرهم وأعمتهم مناصبهم عن اتباع الحق، وكان رجلاً حكيماً رشيداً في أسلوب دعوته، شجاعاً بوقفته، ثابتاً على مبدئه، فصارحهم بأمره وانحاز عنهم بدينه ولم يوالهم على ما هم عليه من كفر وضلال، ويسجل له القرآن الكريم ذلك الموقف العظيم وتلك المحاورة فيقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ

ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٣٠-٤٥].

إخوة الإيمـــــان:

إن موقف المؤمن الثابت الشجاع نور يسري وشعاع يهدي وتاريخ مشرق للإنسانية كلها، وإن المؤمن حين يتدبر قصة يوسف في القرآن الكرين ليهتز روعة وإجلالاً لموقفه عليه السلام، وقد هددته امرأة العزيز بالسجن إن لم يسقط ويخلع ثوب العفة والطهارة فيأبى ذلك ويقول طالباً حماية ربه وخالقه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤]، ولما دخل السجن قام بواجبه كمؤمن يعطف على إخوانه ويبرهم ويعاونهم، ثم يدعوهم إلى عبادة الله وحده فيقول: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

ولما ثبتت براءته وأخرج من سجنه كان أكثر همة في خدمة أمته والعمل بكل جهد لإنقاذها من إفلاس اقتصادي كاد يقع بها لولا أن الله عز وجل قيضه لإنقاذها، ولهذا قال للملك: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا

نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٥-٥٦].

وهذا الطفيل بن عمر الدوسي وهو رجل لبيب من شعراء العرب، تحذِّره قريش من الجلوس إلى رسول الله ﷺ والاستماع إليه قائلين: لقد سفّه آلهتنا، وفرّق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك، فإذا دخل علينا فلا تكلمنّه ولا تسمعن منه شيئاً. يقول طفيل: فقلتُ في نفسي: وا ثكلاً أماه، ما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، فذهبت إلى رسول الله ﷺ فعرض علي الإسلام وقرأ علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، ثم خرجت إلى قومي، فلما خرجت أتاني أبي، فقلت: لست منك ولست مني؟ قال: ولم يا بني؟ قلت: أسلمت واتبعت دين محمد، قال: أي بني فديني دينك، فأسلم أبي ثم أتتني زوجتي، فقلت لها: لست منك ولست مني؟ قالت: لم؟ قلت: قد فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد ﷺ، قالت: فديني دينك، فأسلمت زوجتي.

إنه لموقف إيماني رائع ينجلي فيه الولاء الصادق لله ورسوله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، يقول: ثم دعوتُ دوساً إلى الإسلام فأبطؤوا علي، ثم جئت رسول الله بمكة، فقلت: يا نبي الله، ادعوا الله لدَوْس، فقال: اللهم اهدِ دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم، فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، يعني كلهم قد أسلموا على يد هذا الصحابي العظيم وخرجوا مهاجرين إلى الله ورسوله.

وهذا هو أثر الإيمان الصادق النابع من قلوب استنارت به، واهتدت بهدى

الله وتربت على منهج رسول الله، وما ذاك إلا في المسجد، الذي يعدُّ منارةً للهدى ومنبعاً للخير ومدرسةً للإيمان، لا يعدم أصحابه الخير أبداً ما داموا عماراً للمساجد، ورواداً لها يتعبدون بها وتتعلق قلوبهم بها، فلا عجب أن يكونوا قادةً للدنيا وملوكاً للأمم، وهم في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للسير على طريقهم، واقتفاء أثرهم وأن يرزقنا صدق الإيمان كما رزقهم حتى نذوق حلاوته، فنضحي من أجله ونعمل على نصرة أهله في كل مكان على الأرض مهما كلفنا ذلك من تضحية ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.



صلاة الجمعة وأثرها

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده، وعنت الوجوه لعظمته ومجده، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له جعل الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وجعلها رأس العبادات وعماد الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل العابدين وإمام المخلصين وسيد الخاشعين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغُرّ الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **أمّا بعد:**

عبـــــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله وأطيعوه وأدوا ما أوجب الله عليكم من العبادات والطاعات، فإنكم للعبادة خلقكم وبها أمرتم، والحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويقول في حديثه القدسي: «**يا عبادي إني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من وحدة، ولا لأستعين بكم لأمر عجزت عنه، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً وتذكروني كثيراً وتسبحوني بكرة وأصيلاً**»، وقد جعل الله تعالى الصلاة على رأس سائر العبادات التي شرعها لعباده، فهي سكينة النفس وطهارة الروح وهي الصلة الحقيقية بين العبد وبين ربه، وهي معراج النفوس ومظهر الذل والخضوع لله رب العالمين.

وللصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي الحديث الذي رواه الطبراني عن معاذ بن جبل ﵁ : يقول النبي ﷺ : «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»، وهي أول ما أوجبه الله من العبادات تولى إيحاءها بمخاطبة رسول ﵁ من غير وساطة ومن فوق سبع سماوات وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، ففي الحديث الذي رواه الطبراني يقول النبي ﷺ : «**أول ما يحاسب عليه**

العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله»، وهي على المسلم ما دامت روحه في جسده، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

إخوة الإسـلام والإيمان:

لقد عني الإسلام بالصلاة عناية كبرى لما تضمنته من الأسرار النفسية والحكم الخلقية والقواعد الاجتماعية التي لا تعد ولا تحصى، والتي يكسبها المسلم من أداء الصلوات الخمس كل يوم، يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأحمد: «**إذا قام أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه**» والمناجاة هي مخاطبة الله تعالى مباشرة وهي تشعر الإنسان بوجود الله وجوداً حقيقياً، وأنه قريب منه يسمع دعاءه ويلبي نداءه، ويستجيب له، وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنّه**»

إخوة الإسلام والإيمان:

إن المحافظة على الصلوات الخمس وأدائها في جماعة في بيت من بيوت الله تعالى تجعل المسلم دائم الاتصال بربه وترفع درجاته في الملأ الأعلى وتحط عنه سيئاته وخطاياه ويكون من أهل الجنة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**» وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» إنها ركن الإسلام الأهم ومظهره الأتم ودليل سلوك المرء في دينه واستقامته في دنياه لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان الاهتمام بالصلوات الخمس والمحافظة عليها تجعل المسلم من أهل

الجنة، فتقوى عزيمته وتشتد إرادته ويمضي إلى غايته دون تردد أو ضعف مهما اعترضته المصاعب والعقبات، فالصلاة بعمومها نور، وصلاة الجمعة هي الميزان الدقيق لتذكير المسلمين بدينهم الذي جاء بهذه العبادة السامية التي اختصهم الله بها دون سائر الأمم، فيوم الجمعة هو سيد الأيام وأعظمها، اختصه الله بخصائص كثيرة لا توجد في غيره من الأيام، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**نحن الآخرون الأولون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد**».

وقد أوجب الله تعالى على المسلمين صلاة الجمعة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩]، ويقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد وابن ماجه: «**إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم النحر وفيه خمس خلال: فيه خلق الله آدم وأهبط الله آدم إلى الأرض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله فيها عبدٌ شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة فهو أفضل الأيام عدا يوم عرفة**».

ولا ريب أن تجمع المسلمين لصلاة الجمعة بهذه الصورة البديعة وهذا المشهد الرائع إنما هو بمثابة إعلان عام ومظهر فريد لوحدة المسلمين وقواتهم ولمجتمعهم تحت هدف واحد وقلب واحد أمام أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر وهذا لا شك من الفوائد العظيمة في الأهداف السامية لصلاة الجمعة.

ولقد تثبتت فرضية صلاة الجمعة بالكتاب والسنة وحذر النبي ﷺ من التهاون بها فقال: «**من ترك ثلاث جمع متهاوناً طبع الله على قلبه**» والحديث رواه الأربعة، وقال فيما رواه مسلم: «**لينتهينّ أقوام عن تركهن الجمعات أو ليختمنّ الله على قلوبهم ثم ليكوننّ من الغافلين**»، ومن آداب صلاة الجمعة تأكيد الاغتسال له لقول النبي ﷺ : «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**» ولقوله ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي بإسناد حسن: «**من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر وسعى ولم**

يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» فلا ينبغي للمسلم أن يترك الاغتسال للجمعة لأنه أمر مؤكد، ويستحب التطيب والسواك والتزين بأحسن الثياب وأفضله البياض فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ويستحبُّ الدعاء وكثرة الصلاة على النبي ليلة الجمعة ويومها، فلقد روى البخاري ومسلم عن أوس بن أوس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرِمْت –أي بَلِيْت– فقال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

إخوة الإســـلام والإيمان:

إن يومكم هذا يوم مبارك، وهو من أفضل الأيام، فقد خصه الله تعالى بخصائص ليست بغيره من الأيام كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ أنه ﷺ قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**»، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أنه في هذا اليوم المبارك ساعة الإجابة للدعاء التي لا سأل الله عبدٌ مسلم شيئاً إلا أعطاه إياه.

إخوة الإســـلام والإيمان:

ومن السُّنَّة التبكير إلى المسجد يوم الجمعة، وينبغي أن يتقدم المسلم في المكان كما تقدم في الزمان، فقد يأتي بعض المحسنين من المحبين للخير يأتون مبكرين لكنهم يجلسون في مؤخرة المسجد ويصلون في آخر الصفوف، وهذا خلاف السنة فمن السنة أن يتقدموا ويكملوا الصف الأول فالأول، فقد قال الصادق المصدوق: «**تقدموا وائتموا بي وليأتمّ بكم مَنْ وراءكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**»، والحديث رواه مسلم، وعند البخاري: «**إذا كان يوم الجمعة كان على أبواب المساجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا**

الصحف وجاءوا يستمعون الذكر».

فينبغي للمسلم أن يخرج من بيته مبكراً ناوياً زيارة مولاه في بيته ليحرز ثواب الخطا في ذهابه ورجوعه ويأخذ مكانه في الصف حافظاً أعضاءه من اللغو واللهو وحافظاً قلبه من الاشتغال بحظوظ دنياه ولا يؤذي المسلمين بتخطي رقابهم.

فاتقوا الله عباد الله وعليكم بملازمة الأعمال الصالحة واحرصوا على إقامة الجمعة والجماعة وأخلصوا لله في العبادة والطاعة وأكثروا في هذا اليوم العظيم من الصلاة والتسليم على نبيكم الكريم لتكونوا من الفائزين وفقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

التوبة وسَعَة رحمة الله تعالى

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطَّوْل، لا إله إلَّا هو إليه المصير، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له يغفر الزلات ويقيل العثرات، ويَقْبَلُ التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بالكتاب وبالمعجزات صلى وسلم وبارك عليه وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسماوات. **أمّــا بعــد:**

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي المذنبة الخاطئة بتقوى الله والتوبة إليه فاتقوا الله وأطيعوه وتوبوا إليه دائماً واستغفروه فالحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[النور: ٣١]، ويقول عز وجل في حديثه القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**». فما أحوجنا جميعاً إلى التوبة والاستغفار في كل وقت وحال، فالمرء ومهما قوي إيمانه وعلا نصيبه لا بد من هفوات تقع منه وصغائر يلمّ بها ولذا يقول الحق جل وعلا مبشراً عباده المؤمنين: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ** ﴾ [النجم: ٣٢] ويقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» فليس بنو آدم كالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولكنهم بشر يقعون في الخطيئة ويذنبون فيستغفرون الله الله تعالى فيغفر لهم وتلك سنة الله في عباده، ولهذا يقول النبي ﷺ : «**والذي نفس محمد بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»، فعلى كل واحد منا ألَّا ينسى أنه لم يخلق ملكاً كريماً ولم يخلق بشراً معصوماً، وإنما هو إنسان تتنازعه قوى الخير والشر فتارةً يغلب خيرُه شره فهو خيرٌ من الملائكة وتارةً يغلب شره خيرَه فهو شر من

البهائم ما لم يتغلب بما أودعه الله فيه من الخير على هذا الشر ويرجع إلى الله كما قال ابن القيِّم رحمه الله.

وما دام هذا هو حال البشر فلا بد من تجديد التوبة بين الحين والآخر لا سيما وقد أمرنا ربنا عز وجل بالتوبة إليه فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وجعلها سبحانه وتعالى طريق الفوز والصلاح في الدنيا والآخرة فقال جل شأنه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وهذا الأمر الإلهي فيه بيان واضح وجلي أنَّ التوبة ليست خاصة بالمذنب الجاني فحسب بل هي عامة في حق جميع المؤمنين الذين يريدون الفوز والصلاح في الدنيا والآخرة ولنا في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» والحديث رواه البخاري.

فهذا رسول الله ﷺ وهو المعصوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة ومن كرم الله تعالى ورحمته لعباده أنه يفرح لعبده التائب المنيب إليه أشد الفرح، ويضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً في ذلك فيقول فيما رواه البخاري ومسلم: «**لَـلَّهُ أفرحُ بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةٌ عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**». وفي صحيح مسلم: «**أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»، وهذا من دلائل رحمته سبحانه وتعالى.

اسمع معي إلى ما قاله النبي ﷺ كما في صحيح البخاري يوم أن أتته سبي من الغنائم، وإذا بامرأة من بين هذا السبي تبكي وتبحث عن صبي لها فقدته لا تلوي على شيء، كلما وجدت طفلاً قلّبته ونظرت فإذا به ليس طفلها، ثم تجده، تجد ابنها بعد مشقة وعناء، فتلصقه ببطنها وترضعه، ورسول الله ﷺ وصحابته يراقبون

الموقف، وإذا بها تذرف الدموع وتسيل على ثديها دموع الفرح، فيقول ﷺ: «**أترون هذه طارحةً ابنها في النار؟ قال الصحابة: لا والله يا رسول الله، فقال: لله أرحم بعباده من هذه لولدها**» ما أعظم رحمة الله. فأقْبِلْ يا عبد الله على الله وعد إلى الله وتب إليه ولا تقنط من رحمته ولا تيأس مهما بلغت ذنوبك وكثرت معاصيك، وفرطت وضيعت وخالفت، فالباب مفتوح هيا الآن، وعاهد ربك قبل فوات الأوان على التوبة النصوح واسمع كلام الله في تنزيله وهو يقول لرسوله ﷺ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] وأبشر بقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠] ولله در الإمام الشافعي حيث قال:

يا ربِّ إنْ عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظم

يا من آذيت جيرانك يا من تخاصمت مع بعض إخوانك أو أكلت لحومهم بلسانك، وتماديت في خصامك وأنت تدخل وتخرج مؤدياً الصلاة ولا تبالي بعدم القبول من الله؛ اعلمْ أن ذلك من الخطورة بمكان لأنها من الآفات والأمراض التي فشت في هذا الزمان ومثلها يحتاج إلى استغفار وتوبة وسرعة في العودة إلى الصواب وإلى رضى الله قبل فوات الأوان، وإن الله سبحانه يحب لعباده التواصل والاستقامة والتراحم ويكره لهم الانحراف والتقاطع والتدابر ولهذا يقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار**»، وكثيراً ما يقع الخصام في هذا الزمن بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه وبين الجار وجاره وتمر الأيام والسنون ولا يطل أحدهم على الآخر وهذا جرم كبير وذنب عظيم وخطير فلقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من هجر أخاه سنةً كان كسفك دم كان عليه من الإثم كما لو كان قتل نفساً بغير حق**».

وهكذا إخوة الإيمان جاءت هذه الأحاديث الصحيحة في معرض حقوق

الأخوة بين المسلمين والحفاظ عليها لأن الدنيا بأسرها لا تساوي لحظة واحدة من لحظات الحب والوئام بين المسلم وأخيه المسلم لذلك ينبغي على كل مسلم رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً أن يتقي الله عز وجل في هذه العروة الوثقى التي تقوم على لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ليكون من عباد الله وأوليائه الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من عباد الله أناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله، قيل: يا رسول الله أخبرنا من هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم تلا قول الحق تبارك وتعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]».

فاتَّقِ الله يا عبد الله وتُبْ إلى الله من جميع الذنوب والآثام واعلم بأن الله عز وجل عفوٌّ كريم تواب رحيم يقول في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] ، ويقول في حديثه القدسي المروي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ بإسناد حسن حيث قال الله تعالى: «**يابنَ آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يابن آدم إنك إن أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**». نسأل الله تعالى أن يرزقنا قبل الموت توبة وعند الموت شهادة وبعد الموت جنة ونعيماً وملكاً عظيماً بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

طاعةُ وليّ الأمر من طاعة الله

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إخوة الإيمان والعقيدة:

إن من أصول العقيدة الصحيحة السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية الله، استجابةً لأمر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فأمر الله بطاعة ولي الأمر، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم، إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعةً لله، ورغبةً فيما عنده، بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. قال الرسول ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصا الله، ومن يطع أميري فقد أطاعني، ومن يعص أميري فقد عصاني**». وقال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**». فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم.

أيها المتّقـــون الأبرار:

إن الناظر في أخبار المصطفى ﷺ وما ذكره من تتابع الفتن، ليعلم صدق نبوته، وحرصه على الخير لأمته، فما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه، ويدل على هذا أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ.

جاء الأمر بالطاعة لولاة الأمر وإن ظهر منهم معصية، ففي آخر الزمان وعند تغير الأحوال أمرنا بالتمسك بكتاب الله وسنته ﷺ، وطاعة من ولّاه الله بالمعروف، وإن حصل منهم تقصير أو ظلم، فإن النبي ﷺ يقول: «**ألا من ولي**

عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة».

وجاء عن النبي ﷺ التحذير من خطر الخروج على الحاكم، فإن مما يجدر التنبيه إلى أنه يجب أن يعتقد المسلم أن له إماماً وأن له أميراً يدين الله له بالطاعة في غير معصية الله، فإنه من مات وليس له إمام، فإنه يموت ميتة جاهلية والعياذ بالله. قال عليه الصلاة والسلام: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية**» وفي رواية: «**من فارق الجماعة واستبدل الإمارة لقي الله ولا حجة له عنده**».

وكان السلف الصالح لا يخرجون على حكّامهم ولو كانوا على مذهب مخالف لسنة النبي ﷺ، فقد اجتمع فقهاء بغداد في عهد الواثق إلى الإمام أحمد بن حنبل وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا –يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك– ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه، فمنعهم الإمام أحمد من ذلك وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر.

نعم يا عباد الله لا يجوز الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، فإن طاعتهم من طاعة الله عز وجل، فهي فريضة، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

وجاء عن النبي ﷺ الأمر بأداء الواجبات نحوهم وإن ظلموا ومنعوا الناس حقوقهم، فليست طاعة الأمير مقصورة على العادل منهم فحسب، بل حتى ولو كان فيه شيء من الجور والظلم وبخس شيء من الحقوق فتجب له السمع والطاعة ولو كان الأمر الفاجر، قال ﷺ : «**ستكون أثرةٌ وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»، والذي عليكم السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في

كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه، وما ذاك إلا لأن الخروج على الولاة يسبب فساداً كبيراً، وشراً عظيماً، فيختل به الأمن، وتضيع به الحقوق.

جاء رجل يسأل النبي ﷺ قال: يا نبي الله!! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس، فقال ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**» يعني: أن الله تعالى كلف الولاة العدل وحسن الرعاية، وكلف الله الرعية عليهم الطاعة وحسن النصيحة، فإن عصى الأمراء الله فيكم ولم يقوموا بحقوقكم، فلا تعصوا الله أنتم فيهم وقوموا بحقوقهم، فإن الله مجازٍ كل واحد من الفريقين بما عمل.

وقال النبي ﷺ: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**» قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع أطع**» وقال النبي ﷺ: «**من كره من أمير شيئاً فليصبر عليه، فإنه ليس من أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات عليه، إلا مات ميتةً جاهلية**».

فاتقوا الله عبادَ الله وأطيعوا من أمركم الله بطاعته، يؤتكم الله أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

الغش وبيان بعض صوره

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

روى الإمام الترمذي في سننه عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُنَي إنْ قَدِرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غشٌّ لأحد فافعل**»، ثم قال لي: «**يا بني: وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**» صدق رسول الله ﷺ.

أيها الإخــوة:

بُعِث الرسول ﷺ برسالة شاملة وكاملة، بعث ﷺ برسالةٍ هي أسمى وأعظم الرسالات، بعث ﷺ برسالة صالحة لكل زمان ومكان، وصالحة للأبيض والأسود والعجمي، ولأنها كذلك جاءت حاملةً كل ما يصلح أحوال البشر فرادى وجماعات. فقد تناولت كل نواحي الحياة الدنيوية والأخروية، وكل الظروف التي يعيشها الإنسان من سلم وحرب، ومن حضر وسفر، ومن صحة ومرض، وغير ذلك، وكل علاقات الإنسان التي تربطه بنفسه أو بغيره. فرسالة

الإسلام تنظم العلاقة بين الأفراد وبين خالقهم، كما تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم مع بعض. فالإسلام دين التعاون بين الأفراد وبين الجماعات.

وعندما نقول أو نسمع بأن الإسلام دين شامل، وأنه دين كامل، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وأنه جاء ليقيم علاقة منظمة بين الأفراد والجماعات، عندما نقول ذلك لا نقولها من قبيل العبارات الرنانة، ولا من قبيل الجمل المنسقة أو الموزونة، لا والله، فالإسلام بحق دين شامل، دين صالح لكل زمان ومكان، دين كامل حوى كل ما يتعلق بنواحي الحياة. وها هو رسول الله ﷺ يضع لنا علاجاً منذ قرون طويلة لمشكلة وقع فيها الكثير من المسلمين اليوم.

فالكثير من المسلمين اليوم يقع في شِبَاك الغش على اختلاف صوره التي سنبينها إن شاء الله تعالى، وذلك نتيجة لما أصاب أخلاقنا من هبوط وانحراف نتيجة لبعدنا عن تعاليم ديننا ومنهج إسلامنا.

ومن رحمته ﷺ بأمته وحرصه دائماً على سعادتهم في الدنيا والآخرة، كان دائماً كالطبيب الماهر الذي يحصر الداء، ثم يعطي الدواء الذي به يشفى المريض. فهو عندما قال لأنس بن مالك رضي الله عنه: «يا بني إنْ قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل» فإنه يحذرنا جميعاً في شخص أنس بن مالك رضي الله عنه من الغش، يحذرنا ﷺ من الوقوع في هذا الداء، داء الغش، وذلك لأن الغش أخو الخيانة، ولأن الغشاش أخو الكذاب، ومرتكبَهُ آثمٌ مطرود من رحمة الله تعالى، هذا إلى جانب بغض الناس له، وكراهيتهم له، واحتقارهم له.

أيها الإخوة:

الغِشُّ ليس قاصراً على البيع والشِّراء فقط، كما يتصور كثير منا، ولكن للغش صور متعددة.

فقد يكون مثلاً في الصداقة، وكلُّنا يعلم أن الإسلام دين تجمع وألفة، دين صداقة وأخوة، وأنه اهتم بالصلات والعلاقات التي تربط بين الأشخاص بعضهم مع بعض، والناس في الصداقة نوعان:

صداقة حسنة: وهي التي رغب فيها الإسلام، ودعا إليها، ولتلك الصداقة

علامات، من علامات تلك الصداقة أن تخلو من الأغراض الشخصية، وأن تولد وتنمو في طريق الإيمان، وأن تخلص لوجه الله سبحانه وتعالى. وهذا هو معنى الحب في الله.

وهناك نوع آخر من الصداقة، وهي الصداقة السيئة التي تقودك إلى الشرور والمفاسد والأضرار، والتي لا تقوم إلَّا على جلب المنافع والمصالح الشخصية.

وهذا النوع من الصداقة يمكن أن يُعَدَّ صورة من صور الغش التي نهانا الرسول ﷺ من الوقوع فيه.

فالمعلوم أن الصديق يؤثر في صديقه تأثيراً عميقاً، فهو يقوده إلى النجاح في الدنيا، والفلاح في الآخرة، وقد يقوده إلى الشر والفساد والهلاك.

ومن هنا فعليك أخي المسلم أن تنتقي أصدقاءك، واختر منهم الصديق الوفي المخلص الذي إن صحبته زانك، وإن أصابتك خصاصة -يعني أصابك فقر- أعانك، وإن سألته أعطاك، وإن نزلت بك مصيبة واساك، «إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك»، وما سوى ذلك فاعلم أن الصداقة التي بينكما صداقة مزيفة قائمة على الغش والخداع والكذب. فاحذر أخي المسلم من أن تقع في هذا الداء من تلك الناحية. روى الإمام أبو داود في سننه أنه ﷺ قال: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**».

وهناك نوع آخر من الغش وهو: أن تُظْهِر الصلاح والحب والإخلاص للناس، وقلبك خالٍ من ذلك.

قلبك خالٍ من الحب والصلاح والإخلاص لهم، بل يحمل الحقد والضغينة والكراهية. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق».

وقد يكون الغش كذلك أيها الإخوة في كتمان النصيحة.

روى الإمام مسلم أنه ﷺ قال: «**الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

وجاء في حديث متفق عليه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «**بايعْتُ رسول**

الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

فكن أخي المسلم حريصاً على توجيه النصيحة لوجه الله سبحانه وتعالى، وإلا كنت شريكاً للآثم الذي رأيته يرتكب ما يرتكب من آثام ومنكرات، وتركته دون أن توجه إليه النصيحة بالبعد عما يرتكبه من آثام ومنكرات؛ لأنك ستُعَدُّ في هذا الوقت راضياً عنه وعن فعله، وبسكوتك عنه وعدم توجيهك النصيحة له تشجيع له على ارتكاب هذا المنكر، وبالتالي سيسهل عليه غيره.

وقد روي في هذا المعنى قول للإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجه قال: «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل فيه إثمان: إثم العمل به، وإثم الرضى به».

فاحذر أخي المسلم أن تقع في هذا الإثم، وكن ناصحاً لوجه الله عز وجل، واضعاً أمامك قوله ﷺ فيما رواه الطبراني: «**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامة المسلمين، فليس منهم**».

ولنضع في حسابنا جميعاً أن من الممكن جداً أنَّ من تركته يرتكب الآثام والمنكرات ولم توجه إليه النصيحة، مع مقدرتك أن توجهها له، من الممكن جداً أن يتعلق في رقبتك يوم القيامة ويقول: يا ربي خذ لي حقي من هذا، لأنه رآني أفعل المنكر ولم ينهني.

فكن أخي المسلم ناصحاً لوجه الله تعالى، أميناً في توجيه نصيحتك، واضعاً في حسابك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

أيها الإخـــوة:

والغش كذلك يكون في البيع والشراء. روى الإمام مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ «**أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال له الرسول ﷺ: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا**». وقد

رواه أبو داود بلفظ آخر وهو: «**أن الرسول ﷺ مر برجل يبيع طعاماً، فسأله: كيف تبيع؟ فأخبر الرجل بطريقة بيعه، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ أن أدخل يدك في الطعام، ففعل الرسول ﷺ، وأدخل يده فيه، فإذا هو مبلول، فقال له الرسول ﷺ: ليس منا من غش**».

وقد مر أبو هريرة رضي الله عنه بإنسان يحمل لبناً يبيعه، فنظر إليه، فإذا هو قد خلطه بالماء، فقال له أبو هريرة رضي الله عنه : كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة: خلِّص الماء من اللبن. وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت البركة من بيعهما**».

فاحرصوا أيها الإخوة على اجتناب الغش، واعلموا أن في اجتنابكم هذا الداء اقتداء برسول الله ﷺ، وتخلُّقٌ بأخلاقه، حيث قال لأنس رضي الله عنه : «**وذلك من سنتي**». وحتى تكون حريصاً على التمسك بسنة رسول الله ﷺ، والاقتداء به، والتخلق بأخلاقه أتبع قوله: «**وذلك من سنتي**» **بقوله**: «**ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**».

* * *

الدنيا والتحذير من الركون إليها

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

أيها الإخـــوة:

يوصينا الرسول ﷺ جميعاً في شخص عبد الله بن عمر ﷺ راوي هذا الحديث قائلاً: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**». وقد جاء في شرح هذا الحديث أن معناه كما قال الإمام النووي: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا باعتناء بها، ولا تتعلق بها إلَّا كما يتعلق به الغريب في غير وطنه. ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله.

وهذا هو معنى قول سلمان الفارسي ﷺ: أمرني خليلي أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب. ولعل سائل يسأل لماذا يوصينا الرسول ﷺ بهذا؟ وما الذي يريده منا ﷺ ؟ هل يريد منا أن نكون متواكلين في هذه الحياة حتى نكون عالةً على غيرنا؟ وهل الزهد في الدنيا معناه الانقطاع لعبادة الله تعالى دون العمل من أجل الحياة الدنيا؟

نتناول أيها الإخوة في لقائنا اليوم تلك الوصية وما يدور حولها من تلك الأسئلة، ونسأله سبحانه وتعالى العون والتوفيق.

معنى وصيته ﷺ لنا بأن نعتبر أنفسنا في هذه الدنيا غرباء، فإنه يوصينا بذلك لأنه عرفها ووقف على قيمتها وخطورتها من خلال وصف الله سبحانه وتعالى لها، وذلك في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل كقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقوله أيضاً: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت في وصف الدنيا.

وأدرك ﷺ قيمتها أيضاً من مخاطبة الله سبحانه وتعالى لها كما ورد في صحف إبراهيم وموسى: «يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم، إني قذفت في قلوبهم بغضك والصبر عنك، ما خلقت خلقاً أهون عليَّ منك، إني قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد، ولا يدوم لك أحد». ولهذا كان ﷺ يدعو دائماً إلى عدم التعلق بها، ويدعو إلى التحقير من شأنها، وشأن محبيها، من ذلك مثلاً ما رواه ابن ماجه والترمذي من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ أنه ﷺ قال: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**».

روى الإمام أحمد عن الضَّحَّاك بن سفيان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا**

ضَحَّاك ما طعامك؟ قال: اللحم واللبن يا رسول الله، قال ﷺ: ثم يصير إلى ماذا؟ قال: إلى ما قد علمت، فقال له ﷺ: فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا». وروى مسلم أنه ﷺ قال: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**». وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا يا رسول الله: لو اتخذنا لك وِطاءً -أي فرشاً- فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلَّا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**». فالرسول ﷺ يوصينا بأن نعُدَّ أنفسنا غرباء في هذه الدنيا، ويريد من وراء هذا التحقير لشأن الدنيا وأهلها، وأن تعلو بنفسك فوق زينة الدنيا وزخرفها، وأن لا تكون عبداً لها. وأن تكون مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، راضياً بكل ما يأتي به. وأن لا يكون تعلقك بالدنيا أكثر من تعلقك بالآخرة، وأن يكون اهتمامك وشغلك الشاغل وكل تفكير لك في الدار الآخرة، دار البقاء، التي رغبنا الله سبحانه وتعالى فيها فقال: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النِّساء: ٧٧]. وقال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. وقال: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

يقول أبو الدرداء: «عجبتُ لقوم يعملون لدار يرحلون عنها في كل يوم مرحلة، ولا يعملون لدار يرحلون إليها في كل يوم مرحلة». وقال غيره: «إنما الدنيا كأحلام نائم».

أيها الإخـــوة:

إنَّ السَّعادة كل السعادة، والخير كل الخير في عدم التعلق بالدنيا. والعاقل هو من يأخذ منها ما يكفيه دون طمع، ودون تعلق بها، حتى لا يكون لها مكان في قلبه. ولقد ضرب لنا الرسول ﷺ المثل والقدوة في الزهد والقناعة والرضى وعدم التعلق بالدنيا، وذلك حينما رفض أن تكون له بطحاء مكة ذهباً.

روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعتُ إليك**

وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتكَ وحمدتكَ».

وفي هذا السلوك العملي من رسول الله ﷺ يكون قد ألقى لنا الضوء عملياً على معنى من المعاني السامية التي نغفلها أو كثيراً ما نغفلها، وذلك لبعدنا عن إسلامنا، هذا المعنى هو الذي أشار إليه بقوله: «**لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعتُ إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتكَ وحمدتكَ**».

أخي المسلم:

كن دائماً وأبداً متصلاً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ففيهما الكثير والكثير الذي يريحنا نفسياً واجتماعياً. كن دائماً وأبداً ذاكراً لله سبحانه وتعالى، متضرعاً له في كل أحوالك. كن دائماً وأبداً حامداً لله، شاكراً له، راضياً بكل ما يأتي به.

أيها الإخـــــوة:

وليس المراد من قوله ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» أن نكون متواكلين في هذه الحياة الدنيا حتى نكون عالةً على غيرنا. ولنعلم جميعاً أن هذا المفهوم مفهوم خاطئ يتنافى مع ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ بالسعي في طلب الرزق حتى لا نكون عالةً على غيرنا.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

وقال أيضاً: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة:١٠].

وقد روى البخاري عن المقداد بن معديكرب أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**». وفي هذا دليل على أنه ﷺ لا يريد بزهده في الدنيا وتزهيده فيها أن نكون متواكلين منقطعين للعبادة دون سعي على الأرزاق.

أيها الإخـــــوة:

وليس المراد بالزهد في الدنيا رفضها من الملك، بل المراد رفضها من القلب،

ولهذا قال العلماء: «ليس الزاهد من لا مال عنده، وإنما الزاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتي مثل ما أوتي قارون».

أخي المُسْـــلم:

لا تكن طالباً للدنيا فقد قيل: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله. فلا تكونوا كهذا وكونوا كنبيكم محمد ﷺ حيث قال: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**». وقال عيسى عليه السلام: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها».

وقال علي رضي الله عنه: إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته، وإذا أدركت الطالب لها قتلته. وقال أحد الحكماء: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. وتأمل قول الشاعر:

لا دار للمرء بعد الموت يسـكنها ... إلا التي كان قبـل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسـكنه ... وإن بنـاها بشر خاب بانيها

النفس ترغب في الدنيا وقد علمت ... أن الزهادة فيهـا ترك ما فيها

فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهداً ... واعلم أنك بعـد الموت لاقيها

❊ ❊ ❊

القنــــاعة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعــد:**

روى الإمام الحاكم والبيهقي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز. فقال: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يُعتذر منه**» صدق رسول الله ﷺ.

أخي المســـلم:

بعث الرسول ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

بُعث ﷺ رحمةً للعالمين، وكان ﷺ رفيقاً رحيماً بأمته، يتحسس لهم مواطن الخير حرصاً منه على سعادتهم في الدنيا والآخرة.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن هذا المنطلق كانت توجيهاته نموذجاً من حرصه ﷺ على إسعاد أمته، وحرصه ﷺ على توطيد الصلة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، لا سيما في الصلاة التي لا بد وأن يكون المسلم فيها مع ربه عز وجل بكل جوارحه ومشاعره.

وإذا ما نظرنا إلى تلك الوصية التي يوصينا جميعاً بها في صورة هذا الرجل الذي سأله أن يوصيه، نجده ﷺ يوصي بتلك الكلمات البليغة الجامعة قائلاً له: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى**» أي إذا أردت أن تكون غنياً عن الناس لا تمد عينيك إلى ما في أيديهم، لأن الناس عادةً لا يحبون من ينازعهم فيما في أيديهم، فإذا أردت أن تعيش بين الناس مرفوع الرأس، محفوظ الكرامة، محبوباً بينهم، فعليك بالزهد عما في أيدي الناس. وهذا ما أكده الرسول ﷺ فيما رواه ابن ماجه في سننه من حديث العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلَّني على عمل إذا عملته أحبَّني الله وأحبَّني الناس، فقال: «**ازهد في الدنيا يحبَّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبَّك النَّاس**».

وقال الحسن البصري رحمه الله: لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم، فإذا فعل استخفوا به، وكرهوا حديثه وأبغضوه.

وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن. قال: وبم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم.

واقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

أي لا تَـمُدنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به من عرض الحياة الدنيا من زينة ومتاع، ومال وأولاد وجاه وسلطان ﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي إن هذا المتاع كالزهرة التي تخرج من النبات لامعة جذابة، ومع ذلك فهي سريعة الذبول، فإنما نمتعهم بها ابتلاءً ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ فنكشف عن معادنهم، وذلك بسلوكهم مع هذه النعمة، وذلك المتاع، وهو متاع زائل كالزهرة سرعان ما تذبل.

روى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: يقول الله تعالى: «**يا**

ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسدُّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدَّ فقرك».

وروى الترمذي عن أنس ﷺ أنه ﷺ قال: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلّا ما قدر له**».

وليس معنى ذلك أن الإسلام يدعو إلى الزهد في طيبات الحياة، فالله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢] ولكنها دعوة إلى الارتباط بالله سبحانه وتعالى، ودوام الصلة به، والرضى بكل ما يأتي به عز وجل، وأن تعلو بنفسك أخي المسلم فوق زينة الدنيا وزخرفها، وأن لا تكون عبداً للمال، وأن يكون تعلقك بالآخرة أكثر من تعلقك بالدنيا.

أخي المسلم:

كن دائماً وأبداً معتمداً على الله وحده، فهو وحده المعز المذل، الباسط الرازق المحيي المميت، هو الضار وهو النافع، بيده كل شيء وهو كل شيء قدير.

﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

فهو سبحانه المعطي وهو المانع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فكن أخي المسلم شاكراً له، ومفوضاً أمرك له، ومتوكلاً عليه وحده.

﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ [الطلاق: ٣].

﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وجاء في الأثر أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم بعد أن استمع مواعظه وتأثر بها: يا أبا حازم أقم عندنا فنصيب منك. قال أبو حازم: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا فتمسني النار. فقال سليمان: خذ هذا المال. قال أبو حازم: مالي خير

من مالكم. قال له سليمان: وما لك؟ قال: الثقة بالله، والاعتماد على الله، والرضى بما عند الله.

«وحُكي أن ملكين تقابلا في السماء، فقال أحدهما للآخر: أين كنت؟ فقال: كنت في الشرق إذ أرسلني ربي إلى كنز في بيت فلان فخسفت به الأرض، ثم قال لصاحبه: وأنت أين كنت؟ قال: كنت في المغرب إذ أرسلني ربي أن أضع هذا الكنز الذي خسفته في بيت رجل فقير، فسمعهما رضوان خازن الجنة، فقال: قصّتي أعجب من أمركما لقد أمرني ربي أن أبني قصرين في الجنة لصاحب الكنز والفقير. ثم قالوا: يا ربنا أطلعنا على هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب الكنز والفقير، فقال سبحانه: أما صاحب الكنز فإنه لما خسف بكنزه صبر وقال: الحمد لله الذي جعلني راضياً بقدره، وأما الفقير فلم يبطره الكنز بل شكر وقال: الحمد لله الذي أغناني عن خلقه، والصابر والشاكر لهما الجنة».

فارض بما قسمه الله لك، وكن قنوعاً، واعمل بما أوصى به رسول الله ﷺ: «**وازهد فيما عند الناس يحبَّك الناس**».

وقد ورد أن إبراهيم بي أدهم كان في سفينة فجاءت ريح شديدة، فقال أهل السفينة له: أما ترى هذه الشدة؟ فقال لهم: إنما الشدة الحاجة إلى الناس.

أخـــي المسلم:

إذا ضاق رزقك فارض بما قسم الله لك، واعلم بأن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى وهو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتر على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. فرزقه سبحانه وتعالى لا يختص ببقعة دون أخرى، بل رزقه عام لجميع خلقه حيث كانوا وأين كانوا حتى الدابة التي لا تطيق جمع وتحصيل رزقها، الله سبحانه وتعالى ييسر لها رزقها. فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها، فقال تعالى: ﴿ وَمَا

﴿مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].

فيا أخي المسلم توكل على الرحمن في الأمر كله، فما خاب من عبد عليه توكلا، وكن واثقاً بالله. واعلم أخي المسلم أن الله قسم الرزق بين عباده بواسع علمه وحكمته، وأنه يبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه: «إن من عبادي من لا يصلح له إلَّا الغنى». فإياك أن تمدَّ عينيك إلى من هم أوسع منك رزقاً، وارض بما قسمه الله لك، وكن قنوعاً، واعمل بما أوصى به رسول الله ﷺ : «**وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**».

أخـــي المسلم:

تأمل معي قوله ﷺ فيما رواه أحمد وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يروق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**». وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ مر على ابن مسعود رضي الله عنه وهو حزين فقال له: «**لا تكثر همك، ما قدّر يكن، وما ترزق يأتك**». وروى ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أيها الناس: اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حَرُم**». وانظر إلى قوله ﷺ فيما رواه أحمد عن محمود بن لبيد أنه ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خيرٌ له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**» وجاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**». فكن أخي المسلم دائماً وأبداً راضياً بما قسمه الله عز وجل لك، وعوّد نفسك على القناعة حتى تعيش هادئ الضمير مستريح البال.

❊ ❊ ❊

التحذير من الطمع

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

روى الإمام الحاكم والبيهقي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله: أوصني وأوجز، فقال له الرسول ﷺ: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه» صدق رسول الله ﷺ.

أيها الإخوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن قوله ﷺ: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى**». وأشرنا إلى أنه من رحمته ﷺ بأمته، فإنه يوصي كل فرد من أمته: إذا أردت وأحببت أن تكون غنياً عن الناس فلا تمدَّنَّ عينيك إلى ما في أيديهم، لأن الناس عادةً لا يحبون مَنْ ينازعهم ما في أيديهم.

وأشرنا إلى أن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى، وأنه تكفل بأرزاق جميع

المخلوقات صغيرها وكبيرها، وأنه يبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه.

وبعد تلك الجزئية من هذا الحديث: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى**»، ويحذِّرنا سيدنا الرسول ﷺ من الطمع فيقول: «**وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر**».

ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى حول هذه الجزئية من حديث رسول الله ﷺ: «**وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر**»، ونسأله سبحانه وتعالى العون والتوفيق.

أيها الإخـــوة:

لعل سائل يسأل لماذا ركز الرسول ﷺ على الطمع؟

ركز الرسول ﷺ على الطمع -وهو الذي لا ينطق عن الهوى- لأن الإنسان إذا ابتلي بهذا الداء، فإنه لا يشبع ولا يقنع أبداً، مهما أعطاه الله من خيرات ونعم، وقد ورد في هذا حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**». وعلاج هذا الداء يتلخص فيما يأتي: الرضى بالقليل، ومحاربة الشهوات النفسية التي تتمنى المزيد دائماً من حطام الدنيا الزائل.

وقد روي أن موسى عليه السلام سأل ربه: أي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته.

وقال أبو هريرة ﷺ : قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة: إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء، وعلى الدنيا الدمار**».

وقد ورد أن أحد الصالحين كان يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.

وقال ابن مسعود ﷺ: «ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يُطغيك».

وروي أن الله عز وجل قال: «يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت».

وقال أهل اللغة: إن معنى القوت، هو ما يسد الرَّمَق.

فعليك أخي المسلم أن تتجنب هذا الداء، وضع في حسابك دائماً أن في القناعة والرضى عز لك، وفي الطمع وعدم الرضى ذلٌّ ومهانة لك.

روى الحاكم والطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**عِزُّ المؤمن استغناؤه عن النّاس**»، ففي القناعة الحرية والعز لك، ولذلك قيل: استغنِ عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسِن إلى من شئت تكن أميره.

وقال سعد بن أبي وقاص ﵁ لابنه: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه.

وقال عمر ﵁: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

وحتى يكون أمر القناعة والرضى يسيراً على نفسك تذكر دائماً أحوال الأنبياء والمرسلين، تذكر أحوال الخلفاء الراشدين، تذكر دائماً أحوال الصحابة والتابعين، تذكر دائماً أحوال السلف الصالح.

فستجد في سيرتهم ما يريح نفسك ويجعلك ترضى بالقليل، بل وأقل من القليل إن صح هذا التعبير.

وها هو رسول الله ﷺ كما يخبرنا عمر ﵁ فيما رواه مسلم أنه قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ بطنه».

أتدرون ما الدقل؟ هو أردأ أنواع التمر.

سبحان الله، رسول الله ﷺ الذي لو طلب كنوز الدنيا كلها لكانت له، لا يجد أردأ أنواع التمر يملأ بها بطنه.

وجاء في حديث متفق عليه عن عروة بن الزبير ﵁ عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول له: والله يابن أختي إنّا كنا ننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلَّا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار،

وكانت لهم منايح، وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا.

وجاء في حديث متفق عليه عن عائشة أيضاً أنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض». وفي رواية: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قُبض».

وروي عن عمر ﷺ أنه قال: دخلت يوماً على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت في خزينته فرأيت نحو صاع من شعير، فبكيت، فقال: ما يبكيك يا عمر؟ قلت: كسرى وقيصر ينامان على فراش حرير، وأنت رسول الله أرى فيك من الفقر ما أرى؟ فقال ﷺ في لهجة المؤمن الراضي، الصابر والشاكر، العازف عن الدنيا وزينتها وما فيها من نعيم ومتاع؛ قال: «**يا عمر ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**».

سبحان الله: أي قناعة هذه؟ وأي رضى هذا؟

وها هو أبو بكر الصديق ﷺ الخليفة الأول للمسلمين، الذي أنفق في سبيل الله أربعين ألف دينار في السر، وأربعين ألف دينار في العلانية، روي أنه لم يخرج من داره ثلاثة أيام، لما لم يجد ما يستر به عورته.

وقد روي أيضاً أن ابن عمر رضي الله عنهما رجع من الكُتَّاب ذات يوم وهو يبكي، فقال له عمر: ما يبكيك يا ولدي؟ فقال له: إن الصبيان في الكُتّاب عدُّوا رقاع قميصي، وقالوا: انظروا إلى ابن أمير المؤمنين كم رقعة في قميصه؟ فبعث عمر إلى الخازن وقال له: أقرضني من بيت المال أربعة دراهم إلى رأس الشهر، فإذا كان رأس الشهر أردّه من وظيفتي شهراً فشهراً من بيت المال، فكتب إليه الخازن: يا عمر أتأمن على حياتك شهراً حتى أقرضك من بيت المال، فما تفعل بدراهم بيت المال لو مت وبقيت عليك؟ فلما سمع عمر كلام الخازن بكى وقال لابنه: يا بني ارجع إلى الكُتَّاب، فإني لا آمن على روحي ساعة.

وقال أبو عثمان النهدي: رأيت على عمر قميصاً فيه اثنتا عشرة رقعة وهو على المنبر يخطب.

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه دخل السوق وعليه ثياب غليظة، فقيل:

يا أمير المؤمنين لو لبست ألين من هذا؟ قال: هذا أخشع للقلب، وأشبه بشعار الصالحين، وأحسن للمؤمن أن يقتدي به.

وحتى يكون أمر القناعة والرضى يسيراً على نفسك أيضاً انظر دائماً إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك.

وهذا ما بينه لنا رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم أنه قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فضّله الله عليه في المال والخلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّل عليه**». وفي رواية مسلم: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**».

وعن عمرو بن شعيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً: من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على فضل الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]».

وروى الإمام أحمد وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي».

وحتى يكون أمر القناعة والرضى يسيراً على نفسك تذكر مصيرك المحتوم، واعلم أنك لا بد يوماً مفارق لهذه الدنيا، تاركاً ما تملكه من مال وجاه وأولاد وسلطان، فإنك لو تذكرت ذلك لما كانت عندك الرغبة الشديدة لجمع المال، وزينة الدنيا، بل اكتفيت من ذلك كله بالقدر الضروري الذي يكفيك وأهلك.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القناعة مالٌ لا ينفد**».

وروى البخاري ومسلم أنه ﷺ قال: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنما الغنى غنى النفس**» أي ليس الغنى عن كثرة المال.

وجاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه**».

وروى ابن ماجه أنه ﷺ قال: «**أيها الناس: اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

وروى أحمد عن محمود بن لبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خيرٌ من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**».

ولو تأملت معي قول أبي الدرداء رحمه الله تعالى وهو يقول: حساب ذي الدرهمين أشد من حساب ذي الدرهم، لتمنيت أن لا تملك درهماً واحداً.

قال أبو حازم: ثلاثٌ من كُنّ فيه كَمُل عقلُه: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله عز وجل.

وقال بعضهم: لو قيل للطمع من أبوك؟ لأجاب بقوله: الشك في المقدور.

ومما يوضِّح ذلك ما ورد من أن علي بن أبي طالب ﷺ دخل المسجد ذات يوم، وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك على بغلتي، فأخذ الرجل لجامها، ومضى وسترك البغلة، فخرج علي وفي يده درهمان ليكافئ الرجل بهما على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى، ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاماً، فذهب الغلام إلى السوق، فوجد اللجام في السوق وقد باعه السارق بدرهمين، فقال علي ﷺ : إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدر له.

فكن أخي المسلم قنوعاً بما أعطاك الله لك دون تقصير منك في ميدان العمل، ودون تبذير منك في أموالك حتى تظل مستوراً في حياتك إلى أن تلقى الله تعالى.

❊ ❊ ❊

الدعوة إلى الخشوع في الصلاة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

روى الإمام الحاكم والبيهقي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله: أوصني وأوجز، فقال له الرسول ﷺ: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه**» صدق رسول الله ﷺ.

أيها الإخوة: سبق أن تحدثنا عن قوله ﷺ: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ...**».

ولقاؤنا اليوم -إن شاء الله تعالى- حول المراد من قوله ﷺ : «**وصلِّ صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه**».

فالمراد من قوله ﷺ : «**وصلِّ صلاتك وأنت مودِّع**» أن تكون أيها المصلي خاشعاً لله سبحانه وتعالى في صلاتك، بمعنى: أن تكون حاضر القلب فيها،

مستحضـراً دائماً أنك أمام الله عز وجل، وأنك واقف بين يديه، وإلا كانت صلاتك لا ثمرة فيها «**فليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها**» وهو ما أخبر به رسول الله ﷺ.

ولقد أدرك السلف الصالح معنى خشوعهم في الصلاة، إذ كانوا يتوجهون إلى الله عز وجل أثناء صلاتهم بكل جوارحهم ومشاعرهم، حتى كان الواحد منهم إذا جاء وقت الصلاة كان يتزلزل ويتغير وجهه، كما حدث ذلك لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وقيل له في ذلك: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: جاء وقت أمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أأحسن أداء ما حملت أم لا؟

وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه كان إذا أراد أن يتوضأ تغير لونه، فسئل عن ذلك فقال: إني أريد القيام بين يدي الملك الجبار.

وكان إذا أتى باب المسجد رفع رأسه قائلاً: إلهي عبدك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء، وأنا المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم.

وعن سعيد بن جبير أنه قال: كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما في المسجد بالطائف، إذ صعد المؤذن فقال: الله أكبر الله أكبر، فبكى ابن عباس حتى بلَّ رداءه، فقيل له: ما هذا البكاء يا ابن عم رسول الله؟ ما هذا الجزع؟ فإنا نسمع الأذان مثلك ولا نبكي، فبكينا لبكائك. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو يعلم الناس ما يقول المؤذن لما استراحوا ولا ناموا، فقيل له: أخبرنا ما يقول المؤذن؟ فقال ابن عباس: إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فهو يقول: يا مشاغيل تفرغوا للأذان، وأريحوا الأبدان، وتقدموا إلى خير عملكم. وإذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، فإنه يقول: أشهد جميع من في السماوات ومن في الأرض من الخلائق، ليشهد لي عند الله يوم القيامة أني قد دعوتكم. وإذا قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، فإنه يقول: يشهد لي يوم القيامة الأنبياء كلهم ومحمد ﷺ أجمعين أني قد أخبرتكم في كل يوم خمس مرات. وإذا قال المؤذن: حيَّ على الصلاة، فإنه يقول:

إن الله تعالى قد أقام لكم هذا الدين فأقيموه. وإذا قال المؤذن: حيَّ على الفلاح، فإنه يقول: خوضوا في الرحمة، وخذوا أسهمكم من الهدى. وإذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فهو يقول: حرمت الأعمال قبل الصلاة. وإذا قال المؤذن: لا إله إلا الله، فإنه يقول: أمانة سبع سماوات وسبع أرضين وضعت على أعناقكم، فإن شئتم فأقدموا، وإن شئتم فأدبروا.

سبحان الله، أين نحن من هذا الفهم؟ أين نحن من فهم صحابة الرسول ﷺ للأذان؟

وقد ذكر أن حاتم الزاهد رحمه الله تعالى فاتته مرة صلاة الجماعة، فعزاه بعض أصحابه، فبكى وقال: لو مات لي ابن واحد لعزَّاني نصف أهل بلخ، والآن قد فاتتني جماعة فما عزاني إلَّا بعض أصحابي، وإنه لو مات لي أبنائي جميعاً لكان أهون علي من فوات هذه الجماعة.

وقد قيل لأحد الصالحين: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها، فأجاب بقوله: لا أعود نفسي شيئاً يفسد علي صلاتي، فقيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ فقال: بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلانٌ صبور، ويفتخرون بذلك، فأنا قائم بين يدي ربي أَفَتَحرَّكُ لذبابة؟

فهل نحن كذلك أيها الإخوة، هل نحرص على أداء الصلاة في جماعة بهذه الصورة؟ هل ندرك معنى الخشوع في الصلاة كما أدركها هؤلاء؟

أصارحكم أيها الإخوة أننا لسنا كذلك، فالكثير منا يصلون صلاةً كما ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، والقليل منا بل وأقل القليل هم الذي يشعرون هذا الشعور، ويحسون تلك المعاني السامية.

أيها الإخـــوة:

لنعلم جميعاً أن الصلاة التي يريدها الإسلام ليست مجرد أقوال تردد على اللسان، وحركات تؤديها الجوارح، بل الصلاة المطلوبة والصلاة المقبولة هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية، واستحضار عظمة المعبود جل جلاله.

فالغرض الأول من الصلاة بل من العبادات كلها هو تذكير الإنسان بربه،

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «إنما فُرضت الصلاة، وأُمر بالحج، وأُشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله تعالى».

وقد أشار ﷺ إلى روح الصلاة فقال فيما رواه الترمذي: «**إنما الصلاة تمسكُن ودعاء وتضرع، وتضع يديك فتقول: اللهم، اللهم، فمن لم يفعل فهي خداج**» أي ناقصة.

واعلم أخي المسلم أن الخشوع في الصلاة نوعان: ظاهري وباطني.

فالخشوع الظاهري يتمثل في التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات فيها، وكعدم العبث فيها، وكعدم سبق الإمام، وغير ذلك.

والخشوع الباطني: يتمثل في استحضار عظمة الله عز وجل، وعدم التفكير فيما سواه. وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكير، خير من قيام ليلة والقلب ساه.

هذه هي الصلاة التي كانت قرة عينيه ﷺ، والتي كان يحن إليها، ويتلهف إليها، ويقول لبلال: «**أرِحْنا بها يا بلال**».

ويلمح من هذا القول أيضاً: «**صلِّ صلاتك وأنت مودع**» التركيز على أن يكون هناك استعداد للقاء الله عز وجل في كل لحظة، وذلك حتى تظل مراقباً الله سبحانه وتعالى في كل أعمالك، وخاصةً في صلاتك، حتى تؤديها كاملة في خشوع وخضوع لله عز وجل.

وبعد تلك الجزئية من هذا الحديث: «**وصلِّ صلاتك وأنت مودع**»، يقول ﷺ: «**وإياك وما يعتذر منه**» كما هو واضح من العبارة نفسها أن الرسول ﷺ يحذرنا قائلاً إياك أن تعرض نفسك لموقف تعتذر بعد ذلك منه، فكن حكيماً في كل تصرفاتك القولية والفعلية، فلا تقول قولاً، ولا تفعل فعلاً، ولا تتصرف تصرفاً مع غيرك إلَّا بعد روية ودراسة وتفكير، حتى لا ترتكب ما يوقفك موقف اعتذار، قد يقبل وقد لا يقبل، فإذا تكلمت لا تتكلم إلَّا فيما هو مباح، الذي لا ضرر عليك فيه، ولا على أحد من المسلمين.

قال أحد الحكماء: من نظر في العواقب سلم من النوائب، ومن أسرع في الجواب أخطأ في الصواب، ومن ركب العجل أدركه الزلل، ومن ضعفت آراؤه قويت أعداؤه.

فكن أخي المسلم من أهل الحكمة في تفكيرك وفي تصرفاتك وفي أقوالك وفي أفعالك وفي معاملاتك مع الآخرين، حتى مع نفسك وأهلك، يحبك الله وتكون محبوباً بين الناس ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

واعلم أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، لذلك مدح الرسول ﷺ الصمت وحث عليه وذلك فيما رواه الطبراني بسند جيد أنه ﷺ قال: «**من صمت نجا**».

وروى الترمذي عن عقبة بن عامر أنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك**».

واعلم أنه يستدل على عقل الرجل بقوله، وعلى أصله بفعله، وأن لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه، وأن المرء مخبوء تحت لسانه فإذا ما تكلم ظهر.

وقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال لعمه العباس: يعجبني جمالك، فقال له العباس: ما جمال الرجل يا رسول الله؟ فقال: لسانه.

أيها الإخـــوة:

اعلموا أن رأس مال المسلم هو أوقاته، فإذا صرف أوقاته فيما لا يعنيه ولم يدخر بها ثواباً لنفسه في الآخرة فقد ضيع رأس ماله.

ولهذا قال ﷺ فيما رواه أحمد وابن ماجه والترمذي أنه قال: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

وجاء في الإحياء أنه ﷺ قال: «**إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكِّر اللسان**، أي تقول: **اتقِ الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا**».

وجاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**».

وقيل لعيسى عليه السلام: دُلَّنا على عمل ندخل به الجنة، قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك، فقال لهم: فلا تنطقوا إلا بخير.

وتأمل قول الشاعر:

احفظ لسـانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك أنه ثعبـان

كم في المقابر من قتيل لسـانه ... كانت تهاب لقاءه الشـجعان

وقد روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى ذو القلب القاسي**».

وروى الترمذي وابن ماجه أنه ﷺ قال: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف او نهي عن منكر، أو ذكراً لله تعالى**».

أيها الإخوة:

عِزُّ المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلَّا فيما يعنيه.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: .. أمَّا بعد فإن من أَكْثَر ذكرَ الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عَدَّ كلامَهُ من عمله قَلَّ كلامه إلَّا فيما يعنيه.



إصـــــلاح النفس

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـــوة:

من أهم الواجبات على المسلم أن يتابع نفسه وروحه بما يصلحها ويزكيها، بمعنى أن الفرد المسلم يحتاج لفترة يتفرغ فيها للوقوف على عيوب نفسه، ومحاولة إصلاحها ومعالجتها بشتى الوسائل، وذلك لأن سعادة المسلم سواء في الدنيا أو في الآخرة متوقفة على مدى تأديب نفسه وتطييبها وتطهيرها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] أي قد فاز وأفلح من زكَّى نفسه بطاعة الله عز وجل، وطهرها من دنس المعاصي والآثام وقد خاب وخسر من حقّر نفسه بالكفر والمعاصي، وترك طاعة الله تعالى.

ومن ثَمَّ فلقاؤنا اليوم -إن شاء الله تعالى- حول إصلاح النفس، ونسأله سبحانه وتعالى العون والتوفيق.

أيها الإخـــوة:

هل سأل أحد منا نفسه لماذا عمل القرآن الكريم في السلف الصالح فنفعهم ولم ينفعنا؟ أليس هو القرآن كما هو؟ أم كان قرآنا غيره؟ وهل كان هؤلاء الناس بشراً مثلنا أم من نوعية متميزة عنا؟

والإجابة بلا شك أن القرآن هو القرآن، وأنهم بشر من نوعنا وليسوا من نوعية متميزة، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا أثر القرآن الكريم فيهم تأثيراً قوياً، وأثر في أنفسنا تأثيراً ضعيفاً؟

تعالوا بنا أيها الإخوة لننظر سوياً إلى أحوال الصحابة والسلف الصالح مع القرآن حتى كان له هذا التأثير الجبار على نفوسهم.

وها هو عمر بن الخطاب ﷺ ومعلوم لنا جميعاً من هو عمر بن الخطاب في شجاعته وقوته، سمع عمر قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ١-٣] فوقع على الأرض مغشياً عليه من شدة التأثير، وحُمل لبيته ولازم فراشه شهراً. وروي أيضاً أنه كان راكباً دابته ذات يوم، فسمع قارئاً يقرأ في سورة (الطور)، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ [الطور: ٧-٨] سقط عن دابته مغشياً عليه، وذهب إلى منزله، مرض شهراً والناس لا يدرون ما سبب مرضه. وسمع مرة أخرى قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ١-١٠] فلما سمع هذه الآيات خرَّ مغشياً عليه.

سبحان الله، عمر القوي، عمر الشجاع الصلب، الذي لا يقهره ولا يغلبه إنسان يقع مغشياً عليه من سماع آية من كتاب الله.

وكان دائماً في وجهه خطان أسودان من البكاء.

وروي أنه أخذ يوماً تبنةً من الأرض وقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، يا ليت أمي لم تلدني.

وليس الأمر عند هذا الحد فقط، بل كان التأثير في بعض الأحيان أشد وأقوى من ذلك.

فقد روي أن أحد الصالحين سمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ١-٩] فلما سمع هذه الآية صدم صدمةً انقطع لها نبضات قلبه، وأودت به إلى القبر.

وقال منصور بن عمار رحمه الله تعالى: دخلت الكوفة فبينما أمسى في ظلمة الليل، سمعت صوت رجل يبكي من داخل داره وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكن عصيتك بجهلي، فالآن من ينقذني من عذابك، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني، وا ذنوباه، وا غوثاه يا الله.

قال منصور بن عمار: فأبكاني كلامه فوقفت فقرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] فسمعت للرجل اضطراباً شديداً وصياحاً، فوقفت حتى انقطع صوته، ثم مضيت، فلما أصبحت أتيت إلى دار الرجل فوجدته قد مات والناس في تجهيزه، ووجدت عجوزاً تبكي فسألت عنها فقيل إنها أمه، فسألتها عن حاله فقالت: كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ويكتسب الحلال، فيقسم كسبه أثلاثاً: ثلث لنفقته، وثلث لنفقتي، وثلث يتصدق به، فلما كان البارحة مر إنسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا. سبحان الله، ونحن نمر بتلك الآيات وغيرها مر الكرام كما يقولون.

فهذه القلوب أيها الإخوة تأثرت بالقرآن الكريم تأثيراً جعلها تفزع وترتجف وتهتز عند ذكر الله تعالى استعظاماً لشأنه عز وجل. فهل نحن كذلك أيها الإخوة؟ هل نتأثر بالقرآن الكريم كما تأثر به هؤلاء؟ هل عمل فينا القرآن الكريم ما عمله فيهم؟ هل نتدبر الآيات كما تدبروها؟ هل بكى أحد منا عند سماع أو قراءة آية من كتاب الله، أو على الأقل تباكى؟

أصارحكم أيها الإخوة أننا لسنا كذلك، لم نتأثر بما تأثروا به، ولم يعمل فينا

القرآن ما عمله فيهم، هل تدرون لماذا؟ لأننا فعلنا كما يفعل صانع الكهرباء الذي يجعل بينه وبين الكهرباء حائلاً حتى لا يتأثر بها. وكلنا يعلم أن من يلمس الكهرباء بدون عازل لا بد أن يتأثر بها، ونعلم أيضاً أن هذا التأثير يختلف باختلاف قوة التيار، فإذا كان قوياً عمل صدمة قد تصل به إلى المستشفى، وقد تؤدي به إلى القبر. فكذلك القرآن مثله مثل الكهرباء، فيه شحنة من لدن حكيم عليم هو الذي صنعها وأوجدها فيه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. فهذا التيار أو تلك الشحنة قد خالطت قلوبهم، وأثرت في نفوسهم تأثيراً قوياً، وظهر هذا التأثير واضحاً على جلودهم، ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣] أي تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة القرآن، هيبة وإجلالاً لكلامه سبحانه وتعالى.

فعلينا أيها الإخوة أن نزيل وإن عظم هذا الحائل الذي وضعناه بين قلوبنا والقرآن حتى تلامس ما فيه فنذوق حلاوته، ونتأثر به كما تأثر به السلف الصالح.

أيها الإخوة: احرصوا على إصلاح نفوسكم، واعلموا أن الإنسان منا ما هو إلا نفس، أما الجسد فهو غلاف لتلك النفس، وقد جعل الله عز وجل صلاح الشخص في صلاح نفسه وفساده في فسادها، فقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

فأساس الصلاح والفساد مستقر في النفس، وإذا تغيرت النفوس تغير كل شيء، واعلموا أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده خيراً بصره بعيوب نفسه لأنه إذا عرف العيب ووقف عليه أمكنه العلاج.

واعلموا أن النفس تخلق ناقصة كما أن البدن لا يخلق كاملاً ويكمل بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة وتكمل بالتغذية بالعلم وتهذيب الأخلاق.

فاحرصوا على معرفة عيوبكم، والتنقيب عن ذنوبكم، ولا تستصغروا ذنباً أو عيباً، فالصغائر باب الكبائر، والإصرار على الصغائر يرتفع بها إلى درجة الكبائر.

وصدق الرسول ﷺ إذ يقول فيما رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن...**»، وفيه: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

اللَّهمَّ وجه قلوبنا إلى الخير واهدنا جميعاً سواء السبيل.

الوسائل المساعدة على إصلاح النفس

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـــوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن إصلاح النفس، وأشرنا إلى ضرورة متابعة المسلم نفسه، وقلنا: إن الفرد المسلم يحتاج لفترة يتفرغ فيها للوقوف على عيوب نفسه، ومحاولة إصلاحها ومعالجتها بشتى الوسائل.

وأشرنا إلى ضرورة إصلاح النفس، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل صلاح الشخص في صلاح نفسه، وفساده في فسادها فقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وأشرنا أيضاً إلى أن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيراً بصره بعيوب نفسه،

لأنه إذا عرف الداء ووقف عليه أمكنه العلاج.

ولقاؤنا اليوم -إن شاء الله تعالى- حول العوامل أو الوسائل التي تساعد من يريد الوقوف على عيبه وإصلاح نفسه من تلك الوسائل:

أولاً: أن تحرص أخي المسلم على مجالسة العلماء العالمين، والدعاة الصالحين المخلصين، تسترشدهم وتسألهم النصيحة، وتسألهم أن يصارحوك بما يرونه فيك من عيوب. وقد حثّنا الرسول ﷺ على تتبع هذا السبيل في كثير من أحاديثه منها:

ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: «**من ذكّركم بالله رؤيته، وزاد في عملكم مَنطِقُه، وذكّركم بالآخرة عمله**».

وجاء في الموطأ: أن لقمان قال لابنه: يا بني عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله ليحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.

وعنه ﷺ أنه قال: «كونوا علماء صالحين، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء، واسمعوا علماً يدلكم على الهدى، ويردّكم عن الردى» أي يردكم عن الضلال والهلاك.

وقال بعض العلماء: من أحب العلم أحاطت به فضائله.

وقال بعض الحكماء: من صاحب العلماء وُقِّر، ومن جالس السفهاء حُقِّر.

وقد قيل: إن من جلس من العالم ولا يقدر أن يحفظ العلم فله سبع كرامات:

أولها): ينال فضل المتعلمين.

ثانيها): أنه ما دام جالساً عنده كان محبوساً عن الذنوب والخطايا.

ثالثها): أنه إذا خرج من منزله تنزل عليه الرحمة.

رابعها): أنه إذا جلس عنده فتنزل عليهم الرحمة فتصيبه ببركتهم.

خامسها): أنه ما دام مستمعاً تكتب له الحسنة.

سادسها): تحف عليهم الملائكة بأجنحتها رضى وهو فيهم.

سابعها): كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب، ورفعاً للدرجات له، وزيادة له في الحسنات.

فاحرص -أخي المسلم- على مجالسة العلماء العاملين، والدعاة الصالحين المخلصين حتى يمكنك أن تقف منهم على عيبك.

ثانياً: أن تتخذ لك صديقاً مخلصاً صادقاً ناصحاً لك، تجعله رقيباً على نفسك وسلوكك وتصرفاتك، يقوّمك إذا أخطأت، ويذكرك إذا نسيت.

روى الترمذي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**» أي لا تصاحب إلَّا من اجتمعت فيه خصال المؤمنين، وذلك لأن مصاحبة المؤمن الذي تجتمع فيه صفات المؤمنين ستكون نافعةً لك في كل خير.

وقد روي أيضاً أنه ﷺ قال: «**عليكم بإخوان الصدق، فإنه زينة في الرخاء وعصمةٌ في البلاء**».

وقد كان سلفنا الصالح يطبق هذا المعنى تطبيقاً عملياً، فكانوا يحبون من ينبههم على عيوبهم. وها هو عمر بن الخطاب ﷺ -وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة- كان دائماً يقول: رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي.

وكان دائماً يسأل حذيفة ﷺ ويقول له: أنت صاحب رسول الله ﷺ في المنافقين، فهل ترى عليَّ شيئاً من آثار النفاق؟.

سبحان الله، انظروا إلى حلاوة الإسلام، وحلاوة العمل بالإسلام.

عمر: وهو من المبشرين بالجنة يسأل هل ترى عليَّ شيئاً من آثار النفاق؟

انظروا إلى متابعة نفسه ﷺ.

أما نحن فأبغض الناس لنا هو من يعرفنا عيوبنا، ولا يوجد بيننا الصديق المخلص الذي يرى أن النصح أمر واجب عليه عملاً بقوله ﷺ فيما رواه مسلم: «**الدين النصيحة**». فاحرص أخي المسلم على أن تتخذ لك صديقاً مخلصاً صادقاً ناصحاً لك، واعلم أن مخالطة الأشرار على خطر، ومن خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار.

ثالثاً: من الأمور أو الوسائل التي تساعدك أخي المسلم على معرفة عيوب نفسك أن تتعرف على عيوبك من عيوب الناس، فكل ما تراه قبيحاً مذموماً

عندهم تجتنبه وتجتهد في أن لا تقع أنت فيه.

فإذا رأيتهم مثلاً يملّون الفظَّ الغليظ وينفضُّون من حوله، فكن أنت رفيقاً رحيماً بهم، وكل ما تراه بعيداً عن الذوق السليم فاعمل جاهداً على تركه، وتحلَّ بمكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات التي تحببك للناس وتحببهم فيك.

وقد روي أنه قيل لعيسى عليه السلام: من أدّبك؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتنبته.

رابعاً: يمكنك أيضاً أن تقف على عيبك من ألسنة أعدائك، فكثيراً ما يتربص لك عدوك حتى يمسك عليك عيباً.

فإذا كنت حريصاً على أن تقف على عيبك، وعلى العلة التي في نفسك لإصلاحها، فلا تغضب من إبراز معايبك من عدوك، بل عليك أن تحمد الله عز وجل أن جعل الله لك من يعرفك عيبك. وقد قيل: إذا أردت أن تعرف عيوبك فخذها من أعدائك قبل أصدقائك، واستمع لما يقولون عنك، فإنه أدعى لمحاسبة نفسك. والمقصود بأصدقائك هنا هم الذين يخفون عنك عيوبك.

أيها الإخوة:

تلك بعض الوسائل التي تعيننا على معرفة نفوسنا، وكشف مجهولها، وإدراك أمراضها وعيوبها، ويبدأ بعد ذلك عمل جديد وهو المعالجة والإصلاح.

أيها الإخـــوة:

إذا أراد الفرد أن يكون صالحاً فليصلح نفسه وخلقه. وإذا أرادت مجموعة أن تكون صالحة فلتصلح نفسها. وإذا أرادت أمة أن تكون صالحة قوية فلتبدأ بالقلوب تصلحها، ثم تصلح أخلاقها. يقول الله تعالى في صلاح الأمة وفسادها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

ويؤكد ذلك فيقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٥٣] فصلاح النفوس هو صلاح الأمة، وتغيير النفوس هو تغيير الأمة.

اللَّهمَّ إنا نسألك أن توجه قلوبنا إلى الخير، وتهدينا جميعاً سواء السبيل.

الدلائل المشيرة إلى حياة القلوب

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخــوة:

على الفرد المسلم أن يدرك أن عنايته بقلبه يجب أن تفوق كل عناية، وذلك لأنه ذو حساسية مرهفة، فكما أنه قابل للإشراق والضياء والصفاء، فهو قابل أيضاً للإظلام والذبول والصدأ. ومن هنا كان لزاماً على المسلم أن يهتم بقلبه، ولا يهمله ساعة من ليل أو نهار حفاظاً على إشراقه ونقائه وصفائه، فالقلب كالملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده. ومن ثَمَّ فالعناية به يجب أن تكون مستمرة بالمراقبة والمحاسبة، واستطلاع أحواله دائماً لمعرفة قسوته أو لينه، ولمعرفة مدى حياته أو موته.

وهناك دلائل أيها الإخوة تشير إلى حياة القلوب، من تلك الدلائل:

أولاً: الانفعال بذكر الله سبحانه وتعالى، وانفعاله أيضاً بتلاوة القرآن الكريم،

وجميع أنواع العبادات، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله أيضاً: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]

فإذا كنت أخي المسلم تشعر عند ذكر اسم الله تعالى، وعند تلاوة آياته الكريمة بفزع وخوف وقشعريرة استعظاماً لشأنه عز وجل وهيبةً وجلالاً لكلامه سبحانه وتعالى فاطمئن على قلبك، وإن لم يكن فارجع إلى نفسك وحاسبها.

ثانياً: الصلابة في الدين، والتمسك بالحق مهما كانت عواقبه، وعدم الخوف إلَّا من الله سبحانه وتعالى، إيماناً ويقيناً منه بقوله ﷺ في جزء من حديث رواه الترمذي أنه ﷺ قال لابن عباس: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف**».

وفي رواية الإمام أحمد أنه ﷺ قال لابن عباس: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك**».

فإذا أدرك الواحد منا أنه ليست هناك قوة على وجه الأرض أياً كانت تستطيع أن تنفع أو تضر إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى التي قدرها أزلاً في لوحه المحفوظ، وإذا أدرك أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو المتصرف في الملك وحده لا شريك له. إذا أدرك ذلك كله ولم يكن في قلبه ونفسه خوفاً إلَّا من الله سبحانه وتعالى الذي بيده الضر والنفع، فليطمئن على نفسه وقلبه، وإن لم يكن فليرجع إلى نفسه ويحاسبها.

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**إن لله تعالى في أرضه آنيةً وهي القلوب، فأحبها إلى الله تعالى أرقُّها وأصفاها وأصلبها، ثم فسرها فقال: أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين، وأرقها على الإخوان**».

ثالثاً: من تلك الدلائل أو العلامات التي تشير إلى حياة القلوب: خوف

أصحابها من الله عز وجل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي إن الذين اتصفوا بتقوى الله سبحانه وتعالى الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما نهى عنه ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ أي أصابهم الشيطان بوسوسته وحام حولهم، وهموا بالذنب ﴿ تَذَكَّرُواْ ﴾ أي تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ أي يبصرون بنور البصيرة، ويتخلصون من وساوس الشيطان.

رابعاً: ومن تلك الدلائل أيضاً التي تشير إلى عافية القلوب وإصلاحها:

خلُوها من الحقد والحسد والبغض والغش، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة التي نهانا الإسلام عن التخلق بها.

روى الإمام ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله أي النّاس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قيل له: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**».

وروى الطبراني أنه ﷺ قال: «**إن النميمة والحقد في النار، لا يجتمعان في قلب مسلم**». فإذا خلا قلبك أخي المسلم من تلك الصفات القبيحة من الغل، والحقد، والحسد، والبغض، والكراهية، والغش، والرشوة، وعدم حب الخير للآخرين، وغير ذلك من أمراض القلوب التي كثيراً ما تقضي على صاحبها، إذا خلا قلبك من كل هذا فاطمئن على قلبك، وإلا فارجع إلى نفسك وحاسبها.

خامساً: وآخر هذه العلامات أو الدلائل التي تشير إلى عافية القلوب هو اطمئنان أصحابها في كل الظروف: في السراء والضراء، في العسر وفي اليسر، وسعة نفوسهم وانشراح صدورهم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢] أي هل يستوي مَنْ وَسَّع الله صدره للإسلام، واستضاء قلبه بنور الإسلام حتى ثبت

ورسخ فيه بمن هو قاسي القلب بعيد عن الحق؟

ولا يشك أحد في أنهما لا يستويان، فمن شرح الله صدره للإسلام ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي إنه على بصيرة ويقين من أمر دينه، وعلى هدى من ربه بتنوير الحق في قلبه ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي فويل للذين لا تلين ولا تخشع قلوبهم عند ذكر الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي أولئك الذين قست قلوبهم في بُعدٍ ظاهرٍ وواضحٍ عن الحق.

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢].

أيها الإخوة:

تلك بعض الدلائل أو بعض العلامات التي تشير إلى حياة القلوب، فإن كانت فينا هذه العلامات، فنحمد الله سبحانه وتعالى ونسأله استمرارها، وثبات قلوبنا عليها، وإن لم تكن فينا فلنرجع على الفور ونحاسب نفوسنا ونحاول معالجتها.

❋ ❋ ❋

كيف نعتني بقلوبنا؟

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

إن الله سبحانه وتعالى خلق النفس الإنسانية وأودع فيها قوى وطاقات، وركّب فيها نوازع واستعدادات وقابليات، فجعل فيها القوة الواعية المدركة، وهي القلب، وجعل فيها القوى القادرة على الحركة، وهي الجوارح والأعضاء، وجعل فيها أيضاً القوى الباعثة على الحركة، وهي الغرائز والنوازع، ثم من الله سبحانه وتعالى على الإنسان بمنهاج حكيم ليأخذ به هذه القوى المختلفة بما تتفق وقواعد هذا المنهج.

وكما نعلم أيها الإخوة أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاصٍ به، فإذا مرض هذا العضو تعذر عليه القيام بهذا الفعل الذي خلق له، فالعين مثلاً خلقت للإبصار، فإذا أصابها مرض تعذر عليها القيام بالفعل أو المهمة التي

خلقت من أجلها، وكذلك مرض اليد مثلاً يتعذر عليها البطش بها أو تناول الأشياء الهامة والضرورية لك، وهكذا في جميع أعضاء الجسم.

فكذلك القلب إذا مرض تعذر عليه القيام بفعله الخاص به الذي خلق من أجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وتعالى، وعبادته، والتلذذ بذكره، وغير ذلك، ومن ثَمَّ فتجب العناية به ومتابعته دائماً، حتى يظل محافظاً على إشراقه ونقائه وصفائه.

أيها الإخـــوة:

لعلكم تذكرون أننا قد افترقنا الأسبوع الماضي على سؤال وهو كيف نعتني بقلوبنا؟ ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى حول هذا السؤال: كيف نعتني بقلوبنا؟

لقد علمنا الإسلام أيها الإخوة كيف نعتني بقلوبنا، من تلك التعاليم:

أوّلاً: ذكر الله تعالى، فبذكر الله حياة القلوب وصفاؤها.

روى الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله تعالى**».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سبق المفرِّدون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**».

كما روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**».

وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل شيء صِقالة، وصِقالة القلوب ذكر الله، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله تعالى، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع**».

وجاء في سنن النسائي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: قال موسى عليه السلام: يا رب علِّمني شيئاً أذكرك به، وأدعوك به، قال: قل (لا إله إلّا الله)، قال موسى: يا رب كلُّ عبادك يقول هذا، فقال الله تعالى: قل (لا إله إلّا الله)، فقال

موسى: إنما أريد شيئاً تخصُّني به، فقال الله تعالى: يا موسى! لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كِفَّة ولا إله إلا الله في كِفَّة مالت بهم (لا إله إلّا الله).

وقد جاء في الخبر أن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف لي أن أعلم من أحببت ممن أبغضت؟ قال: يا موسى إني إذا أحببت عبداً جعلت فيه علامتين، قال: وما هما يا رب؟ قال: ألهمه ذكري لكي أذكره في ملكوت السماوات والأرض، وأعصمه عن محارمي وسخطي كي لا يحل عليه عذابي ونقمتي.

يا موسى: وإني إذا أبغضت عبداً جعلت فيه علامتين، قال: وما هما يا رب؟ قال: أنسيه ذكري، وأخلي بينه وبين نفسه لكي يقع في محارمي وسخطي فيحل عليه عذابي ونقمتي.

فاحرصوا أيها الإخوة على ذكر الله تعالى ففيه الطمأنينة والسكينة للقلب.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨] أي إن الذين آمنوا تسكن وتطيب وتستأنس قلوبهم بذكر الله وتوحيده.

وجيء بصيغة المضارع هنا أيها الإخوة في قوله: ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾ لإفادة دوام الاطمئنان واستمراره. ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ أي ألا فانتبهوا أيها القوم فإن بذكر الله تستأنس وتسكن قلوب المؤمنين، فلا يشعرون بقلق أو اضطراب، على عكس الذين إذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم. فالذين آمنوا وخالط الإيمان قلوبهم تطمئن قلوبهم لإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره سبحانه وتعالى، والأمن في جانبه وفي حماه، تطمئن قلوبهم من الوحدة، تطمئن قلوبهم بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضرر ومن كل شر إلا بما يشاء، تطمئن قلوبهم مع الرضى بالابتلاء، والصبر على البلاء.

فلا تكن أخي المسلم من الغافلين عن ذكر الله، لأنه يترتب على الغفلة عن ذكر الله فساد القلب وقسوته، ومنع إجابة الدعاء، ومحق البركة في الرزق والعمر، وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت.

ويترتب على الغفلة عن ذكر الله أيضاً: طول الهم والغم، وضنك المعيشة،

وغير ذلك. فلا تكن أخي المسلم من هؤلاء، وكن من الذاكرين لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال ﷺ لمعاذ: «**والله إني لأحبك، فلا تَنْسَ أن تقول دبر كل صلاة: اللَّهمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

وليس المراد أيها الإخوة بالذكر مجرد الذكر اللساني، بل الذكر القلبي واللساني.

أيها الإخـــوة:

والأمر الثاني الذي يساعدنا في الاعتناء بقلوبنا، والذي علَّمه لنا رسول الله ﷺ بعد ذكر الله تعالى هو مراقبة الله تعالى.

فمراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع أحوالك وأعمالك وأقوالك وأفعالك تحفظك من الزلل وتقيك من الانحرافات، وتجعلك دائماً حاضر القلب.

جاء في حديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام عندما سئل عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وقال ابن عطاء رحمه الله: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقد حكي في المراقبة أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب، وكان يكرمه، فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟

انظروا أيها الإخوة ما فعله الشيخ ليبين سبب تكريمه لهذا الشاب، دعا بعدة طيور، وناول كل واحد منهم طيراً وسكيناً، وقال لهم: ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه فيه أحد، وأعطى الشاب مثل ما أعطاهم، وقال له ما قال لهم. انظروا أيها الإخوة إلى ما حدث، رجع كل واحد منهم وطيره مذبوح، ورجع الشاب والطير في يده، فقال له الشيخ: ما لك لم تذبح، وقد ذبح أصحابك؟! انظروا إلى رد هذا الشاب، قال له هذا الشاب: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد، إذ الله مطلع علي في كل مكان.

سبحان الله، انظروا أيها الإخوة إلى مدى مراقبة السلف الصالح ربه.

فاحرص أخي المسلم على مراقبة الله سبحانه وتعالى الذي يراك قائماً وجالساً،

ويراك حين تكون وحدك، وحين تقوم من فراشك أو من مجلسك، وعلى جميع أحوالك.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

وقال أيضاً: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

وتلك الآية وحدها كفيلة حين يحسها القلب على حقيقتها أن ترفعه وتطهره وتجعله مشغولاً بها عن كل أعراض الحياة الدنيا، كما تجعله في حذر دائم وخشية دائمة مستمرة.

أخرج أبو نعيم عن عبد الله العامري أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «**يعلم أن الله معه حيث كان**».

وروي أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**».

فكن أخي المسلم مراقباً لله تعالى في أحوالك وأعمالك وتقلُّباتك جميعها.

وحتى لا أطيل عليكم أيها الإخوة أكتفي بهذا القدر في النوع الثاني من الوسائل التي تساعدنا على الاعتناء بقلوبنا وهو مراقبة الله تعالى.

❋ ❋ ❋

فترة ما قبل الإسراء والمعراج

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعد:**

أيها الإخوة:

إن الله تعالى قد فضَّل بعض الخلق على بعض، ففضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل بعض الأنبياء على بعض، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقد فضَّل بعض الأيام على بعض فاختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر، وفضل بعض الأماكن على بعض، فاختار من الأماكن المساجد، ففضلها على سائر الأرض، وفضل بعض المساجد على بعض، فجعل الصلاة في بيت المقدس بخمسمئة صلاة في غيره، وفي المسجد النبوي بألف صلاة في سواه، وجعل الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة في مسجد آخر.

وكذلك فَضَّل الله سبحانه وتعالى بعض الشهور على بعض فاختار من

الشهور الأشهر الحرم ورمضان، والأشهر الحرم هي: المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة.

ونعيش تلك الأيام أيها الإخوة في ظل شهر كريم، شهر من الأشهر الحرم وهو شهر رجب، ويحمل هذا الشهر آية من آيات الله عز وجل، ومعجزة للنبي ﷺ، تلك هي معجزة **الإسراء والمعراج**.

وقبل أن نتعرض للإسراء والمعراج بالحديث، نلقي الضوء ولو بإيجاز عن الفترة التي كانت قبل الإسراء والمعراج، وهذا هو موضوع لقائنا إن شاء الله.

ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى عن الفترة التي سبقت **الإسراء والمعراج**.

أيها الإخـــوة:

منذ قام الرسول ﷺ بجهر دعوته ورسالته، وقريش واقفةٌ له بالمرصاد تكذبه وتناصبه العداء والجفاء.

وقد مرت به ظروف قاسية على تخفى على أحد أثناء دعوته قبل الهجرة، فقد قوبل ﷺ بالتكذيب والتعذيب له ولمن آمن به.

وكان من أشد الناس عليه أبو لهب وامرأته أم جميل عليهما لعنة الله.

روى الإمام أحمد عن رجل يقال له ربيعة بن عباد -وكان مُشْركاً ثم أسلم- قال هذا الرجل: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلَّا الله تفلحوا**»، والناسُ يجتمعون عليه ووراءه رجل يقول: إنه صابئ كذاب، ويتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب. وهذا من أبسط نماذج كيد أبي لهب للدعوة الإسلامية ولرسول الله ﷺ.

وكانت امرأته -عليها لعنة الله- تضع الشوك في طريقه ﷺ.

ولقد اتخذ أبو لهب موقفه العدائي هذا من رسول الله ﷺ منذ اليوم الأول للدعوة الإسلامية، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه سورة في كتابه الكريم تسمى (سورة المسد)، وتسمى أيضاً بسورة اللَّهب، تحدثت عن هلاك أبي لهب عدو الله ورسوله الذي كان شديد العداء لرسول الله ﷺ.

وقد توعدته السورة في الآخرة بنار موقدة يصلاها ويشوى بها، واختصت

زوجته أم جميل بلون من العذاب وهو ما يكون في عنقها من حبل من ليف تجذب به في النار. قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ١-٥].

وكما هو واضح من تلك السورة أنها تنطق بغضب الله وحربه على أبي لهب وامرأته جزاء الكيد لدعوة الله ورسوله.

أيها الإخوة:

وهناك مواقف عديدة في الإيذاء الذي لقيه ﷺ غير موقف أبي لهب وزوجه، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: سألت عمرو بن العاص عن أشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ فقال: بينما النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه ﷺ فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله وهو يقول: **أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.**

أيها الإخوة:

ويشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ أكثر وأكثر خاصةً بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

فقد نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب الذي كان شديد الدفاع عن ابن أخيه رسول الله ﷺ.

روى البيهقي عن عبد الله بن جعفر أنه قال: لما مات أبو طالب تعرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش، وألقى على رأسه ﷺ تراباً، فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي، ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكي يا بُنيَّة، فإن الله مانع أباك**».

وكتب السيرة مليئة بالمواقف الكثيرة التي تعرَّض لها رسول الله ﷺ من إيذاء قومه له في سبيل دعوته، ولما اشتد على رسول الله ﷺ كيد قريش وأذاها له بعد وفاة عمه وزوجه، توجه إلى الطائف، وعنده أمل ورجاء في أن يقبلوا منه ما جاء

به من عند الله سبحانه وتعالى.

وكما تحدِّث كتب السيرة أنهم ردوه رداً غير جميل، فقد استهزؤوا به ﷺ، وأغروا به صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى جرح ﷺ وسال الدم من قدميه الطاهرتين، وكان معه زيد بن حارثة فكان يقيه بنفسه حتى شج في رأسه ﷺ، فالتجأ ﷺ إلى بستان من بساتين الطائف، وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء الخالد: «**اللَّهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلمني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدو ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

وعاد من الطائف دون أن يستجيب له أحد من ثقيف، اللهم إلا ما كان من إسلام غلام نصراني يسمى (عدّاس) كان يعمل عند عتبة وشيبة ابني ربيعة.

أيها الإخوة: لقد عانى الرسول ﷺ ألواناً كثيرة من المحن والابتلاءات لاقاها من قريش، وكان آخرها من عاناه لدى هجرته ﷺ إلى الطائف، فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج بعد ذلك تكريماً من الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، وتكريماً لعزيمته وثباته.

ولقاؤنا القادم إن شاء الله تعالى عن الإسراء والمعراج.



ذكرى الإسراء والمعراج
والدروس المستفادة منها

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعــد:**

أيها الإخــوة:

نعيش تلك الأيام المباركة في ذكرى طيبة مباركة، ذكرى غالية على قلب كل مسلم، تلك هي ذكرى **الإسراء والمعراج**. وفي الجمعة الماضية ألقينا الضوء سريعاً على الفترة التي سبقت الإسراء والمعراج، وتبين لنا فيها مدى ما لحق بالرسول ﷺ من عذاب وإيذاء من قريش في مكة ومن ثقيف في الطائف. وأشرنا إلى أن تلك الفترة التي سبقت الإسراء والمعراج كانت من أقسى وأصعب الفترات التي مرت بالدعوة الإسلامية وبرسول الله ﷺ، وكان الامتحان والابتلاء قاسياً يواجه المسلمون كل يوم بمحنةٍ لدرجة أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يدعو ربه لينزل غضبه على عدوهم، فيجيبهم الرسول ﷺ بأن طريق

الدعوة طريق صعب، وأن على المؤمن أن يتحمل البلاء في سبيل الله، فكان كثيراً ما يقول لهم رسول الله ﷺ: «**والله لقد كان يؤتى بالرجال فيمن قبلكم فيشق بالمنشار من مفرق رأسه إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه**». وفي وسط هذا الجور وتلك الظروف الصعبة التي مرت بالدعوة الإسلامية وبرسول الله ﷺ وصحابته الكرام، كانت ضيافة الإسراء والمعراج بعد ذلك تكريماً من الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، وتجديداً لعزيمته وثباته. ولن نتناول في لقائنا اليوم قصة أو معجزة الإسراء والمعراج بالشرح والتفصيل، فكلكم تقرؤون وتسمعون عنها، وإنما هي نظرات سريعة في تلك المعجزة الكبرى.

أيها الإخــوة:

إن الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى الإسراء والمعراج في كتابه الكريم فقال في الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وقال في المعراج: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ [النجم: ١-١٨].

وهي ثابتة أيضاً في أصح الكتب بعد كتاب الله في البخاري ومسلم، فقد جاء في الصحيحين في قصة مطوّلة **أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ بالبراق وهو دابة بيضاء**، وفي تلك القصة أنه ﷺ **دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين، ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، وإناء من عسل، فاختار ﷺ اللبن، فقال له جبريل: هي الفطرة أنت عليها وأمتك. وفي تلك القصة أيضاً أنه عرج به ﷺ إلى السماء الأولى فالثانية فالثالثة وهكذا حتى ذهب به إلى سدرة المنتهى، وعندئذٍ أوحى الله سبحانه وتعالى إليه ما أوحى، وفيها فرضت الصلوات الخمس.**

أيها الإخـــوة:

لقد أسـرى الله سبحانه وتعالى بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، وكان المعراج به ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى وسدرة المنتهى، وما أكثر ما دار حول هذه الرحلة الكريمة العجيبة من خلافات وشكوك، وهل كانت بالروح فقط أم بالروح والجسد؟

وأعتقد أنه ليس هناك داعٍ على الإطلاق لهذا الجدل الطويل الذي ثار قديماً وحديثاً حول هذه الواقعة المؤكَّدة في حياته ﷺ، لأن الإنسان لو تأمل وفكر قليلاً لتبين له أن هذا الإله القادر الذي خلق معجزة هذا الكون كله ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزةً أخرى.

فيجب أن نسلّم تسليماً تاماً أن هذا بل وأكثر من هذا ليس بعيداً على قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه أمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال صعبها وسهلها.

فكان الأَولى بمن يشككون أو يشكون في وقوع تلك الرحلة الكريمة، كان الأَولى بهم بدل أن يضيعوا وقتهم هباءً في هل كانت بالروح فقط أم بالروح والجسد؟ الأَولى بهم أن يتذكروا موقف الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه عندما قال أمام استغراب قريش كلها: إن كان قد قال ذلك لقد صدق، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء.

صدقت يا رسول الله فيما أخبرت به من أمر الإسـراء والمعراج.

صدقت في كل ما أخبرت به من أمر الدين والدنيا.

ويكفي بياناً وتأكيداً لنا بأن الإسـراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً، وكانا يقظةً لا مناماً هو قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] والدليل في قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ﴾ لأن التسبيح لا يكون إلَّا عند الآيات العظيمة الخارقة، فتصدير الآية بلفظ ﴿سُبْحَـٰنَ﴾ يدل على أن هذه الرحلة ليست منامية، بل كانت يقظةً بالروح والجسد معاً، وهناك دليل آخر: وهو أنها لو لم تكن بالروح والجسد لما أثارت تلك الضجة الهائلة من جانب المشـركين إلى غير ذلك من الدلائل التي تؤكد كون

الإسراء والمعراج بالروح والجسد معاً، وأنه ﷺ باشرها كإنسان كامل، وهذا ما عليه جمهور العلماء.

أيها الإخــوة:

من الخطأ الكبير الذي نقع فيه كل عام عند مرور تلك المناسبة أن نقضيها في عرض قصتها وعرض الخلافات والشكوك التي دارت حولها دون أن نأخذ ونستخلص منها العبر والعظات والدروس التي تفيدنا.

ولا شك في أن كل حادث وذكرى تحمل دروساً يمكن الاستفادة منها، ولم يخل حادث الإسراء والمعراج من دروس عظيمة لها أهميتها وفائدتها نذكر منها:

أولاً: التكريم من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: ويظهر ذلك واضحاً في استدعاء الله سبحانه وتعالى له ﷺ ونزوله في ضيافة الرحمن، وليس هناك أعظم من حفل يكون الداعي فيه ملك الملوك رب العالمين، والمدعو إليه: سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد ﷺ، والخدم فيه: الملائكة المقربون، والمستقبلون: هم الأنبياء أجمعين، والذي ينقله: هو البراق، وقصر الضيافة: عند سدرة المنتهى، وهل هناك تكريم أفضل وأعظم من ذلك؟

ثانياً: التثبيت لرسول الله ﷺ: فكما علمنا أنه مرت به ﷺ ظروف قاسية، فقد قوبل بالتكذيب والتعذيب له ولمن آمن به، وكانت آخر حلقات التعذيب والإيذاء له ما لحق به ﷺ في الطائف عندما ذهب ليدعوهم إلى الإسلام، فقابلوه بالتكذيب والاستهزاء والسخرية، ووصل بهم الأمر إلى ان أغروا به صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى جرح ﷺ وسال الدم من قدميه الطاهرتين، فتوجه إلى ربه متضرعاً من صميم قلبه قائلاً: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلمني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدو ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي..** ».

وبعد هذا التضرع الصادر من صميم قلبه ﷺ تسعفه القوة الإلهية، وتدركه الرحمة الربانية تشد من أزره، وتثبت فؤاده، وتجدد من عزمه وثباته، وإشعاراً له

أنه تحت رعاية الله وعنايته دائماً وأبداً، فكانت ضيافة الإسراء والمعراج.

وهكذا ينبغي أن يفهم كل من يقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، أنه تحت رعاية الله وعنايته دائماً وأبداً ما دام مخلصاً في دعوته لله عز وجل، ولا يهمه سوى رضى الله وحده، ويخاف من غضبه وحده، لا من غضب أي مخلوق سواه.

ثالثاً: ومن الدروس المستفادة أيضاً: أن الله سبحانه وتعالى قد أعد رسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ ليكون سيد المؤمنين، وإمام المربين والمعلمين، ومن ثَمَّ فلا بدَّ وأن يكون بمنزلة من العلم تفوق أي منزلة سواها من منازل البشر، ولا بدَّ وأن يشحن بأكبر قدر من العلم والإيمان.

وليس هناك أعظم من العلم والإيمان إذا كانا بالرؤية والمشاهدة، ولهذا طاف الله سبحانه وتعالى برسوله ﷺ في السماوات السبع، وأطلعه على أسرار ملكوت السماوات والأرض ليكون من الموقنين، وليكون إيمانه كذلك رؤيةً ومشاهدةً وليس إيماناً نظرياً.

رابعاً: في رؤيته ﷺ آيات الله الكبرى في ملكوت السماوات والأرض أثره الضخم في إضعاف شأن الكفار، وتصغير جموعهم، وفي الوقت نفسه يمتلأ قلبه ﷺ بالثقة في الله وهو سيواجه قوى الطغيان والجبروت.

خامساً: في فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج إشارة إلى علو قدرها وشأنها، وعظيم منزلتها، من أقامها فقد أقام الدين. وفيها إشارة أيضاً إلى الحكمة التي شرعت من أجلها الصلاة، فكأن الله تعالى يقول لعباده المؤمنين: إذا كان معراج رسولكم بجسده وروحه إلى السماء معجزة، فليكن لكم معراج في كل يوم خمس مرات، تعرج فيه أرواحكم وقلوبكم إلي.

أيها الإخـــوة:

وهناك درس آخر يجب أن يَعِيَه كلُّ من يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل وهو: أن الرسول ﷺ لما التزم جانب العبودية والتسليم لأمر الله، والصبر لحكمه، والرضى بقضائه، والثبات على مبدئه، والفناء في سبيله، والعمل لإعلاء كلمته باذلاً في ذلك أقصى ما في وسعه، لما التزم كل هذا هيَّأ الله سبحانه وتعالى له هذه

الرحلة الطيبة المباركة، فرفعه بها مكاناً علياً، وقربه، وكرمه.

وفي ذلك درس لكل صاحب حق يتمسك به ويعمل على إعلائه.

ولما كان الرسول ﷺ المثل الأعلى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، فمن الواجب على المسلم أن يترسم خطاه في أمانته وصدقه، في ثباته وصبره، في شجاعته وفنائه في سبيل الله. فليضع كل منا في حسابه أن يعيش عيش الشرفاء، ويموت موت الكرماء، ليحشر مع الأخيار والشهداء.

قال أحد الحكماء: من لم تكن بدايته محرقة لم تكن نهايته مشرقة.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].



واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّساء: ٣٦] صدق الله العظيم.

أيها الإخــوة:

نعيش الساعة مع هذه الآية الكريمة من كتاب الله عز وجل، هذه الآية التي اشتملت على عقيدة التوحيد، كما اشتملت على مكارم الأخلاق والصلة والبر.

وإذا نظرنا إلى تلك الآية نجد أنها تبدأ بأمر ونهي، الأمر في قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟

ٱللَّهَ ﴾ وهذا أمر منه سبحانه وتعالى بعبادته وحده. والنهي في تلك الآية في قوله: ﴿ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ، وهذا نهي منه عز وجل عن إشراك شيء معه في عبادته نهياً شاملاً قاطعاً لكل أنواع العبادات التي عرفتها البشرية من مادة أو حيوان أو إنسان أو ملك أو سلطان وغير ذلك، فكل هذه الأشياء مما يدخل في مدلول كلمة (**شيء**). إذاً يجب على المسلم أن يفرده عز وجل بالعبادة، ولا يشرك في عبادته أحداً من مخلوقاته أياً كان هو، وأياً كانت منزلته وقوته، وكيف لا؟ وهو الخالق الرازق المحيي المميت، هو الضار وهو النافع، وهو المنعم المتفضل على جميع خلقه، وهو القادر على كل شيء. بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير. فهو المستحق منا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً من مخلوقاته.

روى البخاري ومسلم أن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم قال: أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم**».

أيها الإخـــوة:

ليس بغريب أن يكون لله علينا حق عبادته، بل الغريب كل الغرابة، والعجيب كل العجب أن يكون غير ذلك، الغريب بحق هو أن يُعبد ما سوى الله عز وجل، لأننا بذلك نكون قد أدينا الحق لغير أهله.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]. هو نـداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، ربهم الذي تفرد بالخلق موجب أن يتفرد بالعبادة. ومضمون تلك الآية وغيرها من الآيات التي تبين نعم الله سبحانه وتعالى على عباده، مضمون ذلك أنه الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره.

ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ، والأنداد جمع ندّ وهو المثيل والشبيه والنظير، أي فلا تتخذوا معه شركاء من الأصنام والبشر تشركونهم مع الله في العبادة وأنتم تعلمون أنها لا تخلق شيئاً ولا ترزق ولا تنفع ولا تضر، بل إن الله هو الخالق الرازق وحده، وأنه هو الذي ينفع ويضر، وتعلمون أنه جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً، وأنه لم يكن له شريك.

جاء في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**».

أيها الإخـــوة:

واتخاذ الأنداد التي يشدد الإسلام في النهي عنه لتكون عقيدة التوحيد بالنسبة للفرد المسلم صافية نقية ليس المقصود بها آلهة تعبد مع الله، على نحو ما كان يفعل المشركون، فللأنداد صور أخرى خفيَّة، فقد تكون مثلاً في الخوف من غير الله، أو الاعتقاد بأن غير الله يضرُّ وينفع، أو تعليق الرجاء بغير الله، ونحو ذلك.

عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «**الأنداد هو الشِّرك أخفى من دبيب النمل، وهو أن يقول لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وكقول الرجل لولا الله وفلان، وكأن يقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، هذا كله شرك**».

وفي الحديث الشريف أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له الرسول ﷺ: «**أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده**».

وروي أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق كان يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال لهم النبي ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله**». فنهى الرسول ﷺ أن يقارن مع الله غيره من المخلوقات، وعلَّمنا أن نعطي كل ذي حق حقه، فالعبد عبد، والرب رب.

أيها الإخـوة:

أودُّ أن نقف هنا وقفة تأمل مع ما بينه رسول الله ﷺ للرجل الذي قال له: ما شاء الله وشئت، وبماذا أجابه الرسول ﷺ قال له : «**قل: ما شاء الله وحده**». نقف هنا لنصحح عقيدة التوحيد بالنسبة لنا.

أيها الإخــوة:

تعالوا بنا لنقارن بين لفظ (ما شاء الله وشئت) وبين ما نستخدمه من ألفاظ: فكثيراً ما يقول أحدنا للآخر: أنا متوكل على الله وعليك، وليس لي إلا الله وأنت، أو يقول: هذا من الله ومنك، أو يقول مثلاً: علي نذر لله ولفلان. وغير ذلك من الألفاظ التي نرددها كثيراً.

فلو تأملنا تلك الألفاظ وقول الرجل للرسول ﷺ: (ما شاء الله وشئت) لتبين لنا أنه لا فرق بينهما، بل نجد أن تلك الألفاظ التي نستخدمها أسوأ من هذا اللفظ الذي قاله الرجل لرسول الله ﷺ، لأننا نجعل من لا يساوي رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء نداً لله تعالى.

فهذه الألفاظ كلها وما في معناها نهى الرسول ﷺ عن استخدامها فقال ﷺ: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**».

وذلك لأنه كما يقول أهل اللغة أن هناك فرقاً بين (الواو) و (ثم) فكلاهما للعطف إلَّا أن العطف بالواو يقتضي المقارنة والتسوية، فإذا قلت: ما شاء الله وشئت: فقد قارنت وساويت مشيئة العبد بمشيئة الله سبحانه وتعالى. بمعنى: أنك جعلت في هذه الحالة مشيئة العبد ومشيئة الله عز وجل في درجة واحدة. بخلاف العطف بـ (ثم) فالعطف بثم يقتضي التبعية، فمن يقول مثلاً: ما شاء الله ثم شئت، فإنه يكون قد أقر واعترف بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى، ولا تكون إلَّا بعدها. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ولنتأمل معاً أيها الإخوة ما روي من أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ وقد أذنب ذنباً، فلما وقف بين يديه قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ: «**عرف الحق لأهله**». هكذا يعلمنا الرسول ﷺ حقيقة التوحيد الخالص الذي يعد مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد الأخرى.

أيها الإخــوة:

من جحود الإنسان لربه، وظلمه لنفسه، أن يشكر للخلق ولا يشكر للخالق،

وهذا الجحود والنكران لنعمه سبحانه وتعالى هو الذي عجب منه الله عز وجل في حديث قدسي قال فيه: «**إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم فيتعرضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ**».

أيها الإخـوة:

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلقنا لنعبده وحده فما هو معنى العبادة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها، وجعلها غاية خلقنا؟

العبادة أيها الإخوة كما عرفها الإمام ابن تيمية هي: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والعبادة ليست مقصورة على صورة واحدة كما يتخيل كثير من الناس، بل لها أنواع وصور متعددة، فمن العبادة إقامة الشعائر الدينية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والنذر وما شابه ذلك من الشعائر الدينية. فلا يجوز الصلاة ولا الصيام ولا الصدقة ولا النذر لغير الله سبحانه وتعالى، بل يجب أن توجه هذه الشعائر لله سبحانه وتعالى وحده.

ومن صور العبادة أيضاً الدعاء، أي الاتجاه إلى الله عز وجل بطلب نفع أو دفع ضر، أو رفع بلاء، أو نصر على عدو وغير ذلك.

وكذلك من صور العبادة أيضاً: الذكر، والاستغفار، وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، كل ذلك عبادة.

ومن العبادة أيضاً: الانقياد لما شرع الله عز وجل من أحكام أحل بها الحلال، وحرّم الحرام، وحدّ الحدود ونظم بها شؤون الحياة. فلا يجوز لمن آمن بالله رباً أن يأخذ عن البشر النظم والأحكام والقوانين، ويترك حكم الله عز وجل، إلى غير ذلك من الأشياء التي يحبها الله عز وجل ويرضاها فهي عبادة.

إذاً حقيقة العبادة ليست محصورة في الصلوات والأذكار فقط، بل هي أوسع من ذلك بكثير، فهي تشمل جميع ميادين الحياة.

فكل منا يستطيع أن يجعل طعامه وشرابه ومنامه وعمله طاعة وعبادة لله رب العالمين، وذلك بحسن القصد وإرادة الله عز وجل وابتغاء وجهه بهذا العمل الذي تقوم به.

والذين يقصرون العبادة على مجرد الشعائر والأوراد فقط فهم مخطئون في فهمهم لمعنى العبادة، وذلك لأننا لو نظرنا الآن لتبين لنا أن أكثر الاختراعات والاكتشافات العلمية يقوم بها أناس ليسوا مسلمين، وذلك نتيجة لعدم إجادة المسلمين هذه الفنون والصناعات التي يقوم بها هؤلاء. فإذا كانت العبادة محصورة في الصلوات والأذكار فكيف نخدم عقيدة التوحيد ونحن عاجزون في تلك الميادين؟ ومن ثَمَّ فكل جهد يبذل في أي ميدان من ميادين الحياة لخدمة الإسلام وعقيدة الإسلام فهو نوع وصورة من صور العبادة لله سبحانه وتعالى.



التوحيد المأمورين به، وبم يتحقق؟

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّساء: ٣٦].

في الجمعة الماضية أشرنا إلى أن هذه الآية الكريمة تبدأ بأمر ونهي، الأمر في قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وهو أمر منه عز وجل بأن نعبده وحده، والنهي في قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ وهو نهي عن إشراك شيء معه سبحانه وتعالى في عبادته نهياً شاملاً قاطعاً لكل أنواع العبادات التي عرفتها البشرية، وأشرنا أيضاً في الجمعة الماضية إلى معنى العبادة، وعرفنا أنها لا تنحصر في صورة واحدة، بل

لها صور متعددة، وقلنا أيضاً: إن الذين يقصرون العبادة على مجرد الشعائر فقط مخطئون في فهمهم لمعنى العبادة، لأننا بذلك سنجهل الكثير والكثير مما يدور حولنا في النواحي العلمية وغيرها، ومن ثَمَّ فكل جهد يبذل في أي ميدان من ميادين الحياة لخدمة الإسلام وعقيدة الإسلام يعد نوعاً من أنواع العبادة. وتلك الآية وغيرها من الآيات الكثيرة تبين لنا عقيدة التوحيد الخالص، والتوحيد المأمور به أيها الإخوة أن يؤمن المرء إيماناً تاماً بأن الله تعالى واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا ولد ولا والد له.

وهذا النوع من التوحيد هو ما دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل وأفصحت عنه بوضوح سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فهذه السورة الكريمة رغم صغرها تحدثت عن تفرده عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله، وأوضحت أنه لا شريك له، ولا شبيه له، ولا ولد ولا والد له.

تحدثت عن صفات الله عز وجل الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، والمتنزه عن كل نقص، والمقصود على الدوام، الغني عن كل ما سواه.

وفي سورة (الإخلاص) ردٌّ قاطع على النصارى القائلين بالتثليث، وفيها رد أيضاً على المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين.

ولو تأملنا في لفظ (أَحَد) في تلك السورة نجد أن هذا اللفظ أدق بكثير من لفظ (واحد) لأنه يضيف إلى معنى واحد معنى هام وهو: أن لا شيء غيره معه وأن ليس كمثله شيء.

ومن التوحيد المأمور به أيضاً بجانب إيمان المرء بأنه تعالى واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله أن يفرده عز وجل أيضاً بالعبودية الكاملة، والطاعة المطلقة، والذل له، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والخشية منه وحده.

وهذا النوع من التوحيد هو ما تضمنته ودعت إليه سورة الكافرون وغيرها من آيات القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا

تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان والأحجار ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ يعني لا أعبد هذه الأصنام وهذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله، وأنا بريء من آلهتكم ومعبوداتكم التي لا تضر ولا تنفع، بل أعبد الإله الحق الذي بيده الضر والنفع وهو الله رب العالمين.

أيها الإخوة:

ولأهمية التوحيد كان هو العنصر الأول في دعوات الرسل جميعاً، فالمهمة الأولى لجميع الرسل تتمثل في أمرين أساسيين لا ينفك أحدهما عن الآخر:

الدعوة إلى عبادة الله وحده، والدعوة إلى اجتناب الطاغوت.

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] أي أرسلنا الرُّسل إلى جميع الخلق بأن اعبدوا الله ووحدوه، واتركوا عبادة كل معبود دون الله عز وجل كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا إلى الضلال.

والتوحيد أيها الإخوة هو وظيفة المسلم في الحياة، يقول الله تبارك وتعالى في بيان تلك الوظيفة التي خلق لها المكلفين من الإنس والجن: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فرسالة المسلم في الحياة هي إقامة التوحيد والدعوة إلى التوحيد.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يدركون هذه الرسالة وواجبهم نحوها، فحينما سأل رستم قائد الفرس ربعي بن عامر في حرب القادسية من أنتم؟ وما مهمتكم؟ أجابه بقوله: نحن قوم بعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

أيها الإخـوة:

وهذا التوحيد الذي جاءت به الرسل جميعاً، واهتم الإسلام بتثبيته وتأكيده لا

يتحقق ولا يتم إلَّا إذا توافرت له عناصر، تتلخص تلك العناصر في نقاط ثلاث:

- إخلاص العبودية لله وحده.
- الكفر بكل الطواغيت والبراءة ممن عبدها من دون الله.
- اتقاء أو اجتناب الشرك بكل ألوانه وسد المنافذ التي تؤدي إليه.

وسنلقي الضوء بإيجاز على كل نقطة:

الأول: وهو إخلاص العبودية لله تعالى، بمعنى إعطاء الألوهية حقها الكامل من التعظيم والمحبة والخضوع المطلق، ويتحقق ذلك بأمور منها:

أن لا يتخذ الإنسان غير الله رباً يعظمه. قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ففي هذه الآية الأمر بإخلاص التوكل، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ولهذا كانت دعوة الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء مختومة بهذه الآية: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤] فهذه الدعوة من رسول الله ﷺ لا يريد بها أن يتفضل عليهم هو ومن معه من المسلمين، بل هي دعوة إلى كلمة سواء، كلمة عادلة مستقيمة فيها إنصاف، يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يتعبد بعضهم بعضاً: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾.

إنها دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لا بشراً ولا حجراً، ولا وثناً ولا صنماً، ولا طاغوتاً ولا ناراً، ولا شيئاً من مخلوقاته، بل تفرد العبادة لله وحده لا شريك له، ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي ولا يعبد بعضنا بعضاً، فكلُّنا عبيد لله رب العالمين.

هكذا كانت دعوة الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض وأمرائها.

والأمر الثاني الذي يتحقق به إخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى: ألا يتخذ الإنسان ولياً غير الله يحبه كحب الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤]، والاستفهام هنا المقصود به التوبيخ والاستنكار لمن يتخذون ولياً غير الله يستنصرون به ويعتمدون عليه.

ومن الناس من تبلغ بهم الجهالة فيتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم ويعظمونهم ويخضعون لهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمقتضى التوحيد أن يخلص المرء حبه لله، ولا يتخذ ولياً ولا نِدّاً ولا شريكاً يحبه كحب الله، فالولاية لا تكون إلَّا لله وحده.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٩]. ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ أي فالله وحده هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلَّا له وحده لا لولي سواه، فإنه القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير، فهو المستحق بأن يُتخذ ولياً دون سواه. ومن ثَمَّ إذا رأيت أحداً يحب غير الله أكثر مما يحب الله تعالى، أو كحب الله، أو يخاف العبد أكثر مما يخاف الرب، أو يتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، أو يبتغي بعمله رضى الناس أكثر مما يطلب ثواب الآخرة، إذا رأيت من إذا نزلت به نكبة أو مصيبة أو كرب، وكان تفكيره في فلان أو فلان قبل تفكيره في الله عز وجل، وإذا أصابه خير كان حمده لفلان وفلان أسبق من شكره لله، إذا رأيت مثل هذا فاعلم أن مثل هذا الشخص فقد عنصراً من عناصر التوحيد وهو: إخلاص العبودية لله، ويكون قد أشرك والعياذ بالله.

والأمر الثالث الذي يتحقق به إخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى: ألا يبتغي غير الله حكماً يطيعه كما يطيع الله عز وجل: كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

أي قل لهم يا محمد: أفغير الله أطلب قاضياً وحكماً بيني وبينكم؟ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، يعني وهو الذي أنزل إليكم القرآن موضحاً الهدى من الضلال، ومفصلاً فيه الحق والباطل.

فالذي له حق الحكم في شؤون العباد والتشريع لهم في أمور دينهم ودنياهم إنما هو الله وحده العليم بخلقه، الرحيم بهم، الخبير بما يصلحهم وما يفسدهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

وقد قرَّر القرآن الكريم أن الحكم بمعنى التشريع ليس إلا لله وحده فقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

ومن صور العبادة الانقياد لما شرع الله عز وجل من أحكام أحل بها الحلال وحرم الحرام، وحد الحدود ونظم بها شؤون الحياة. فلا يجوز لمن آمن بالله رباً أن يأخذ عن البشر النظم والحكام والقوانين، ويترك حكم الله عز وجل.

وقد أنكر الله عز وجل التحاكم إلى غير الله ورسوله، واعتبره خروجاً عن حقيقة الإيمان، ودخولاً في طاعة الشيطان وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

أيها الإخــوة:

كان الأمر الأول أو العنصر الأول في تحقيق التوحيد هو إخلاص العبودية لله عز وجل، وإعطاء الألوهية حقها من التعظيم والمحبة والطاعة التي لا ينبغي أن تكون إلا منه سبحانه وتعالى وحده.

والثاني هو: الكفر بالطواغيت والبراءة من كل من عبدها من دون الله.

فالتوحيد الحق لا يتم إلا إذا انضم إلى الإيمان بالله وعبادته الكفر بالطاغوت والبراءة من أوليائه، وبذلك كان نداء الرسل جميعاً إلى قومهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا لفظ (الطاغوت) يطلق على كلِّ رأس في الضَّلال مجاوز للحد، وقد اختلف السلف في تحديد معناه فقال عمر ﷺ: الطاغوت هو الشيطان، وقال جابر ﷺ: الطواغيت هم كُهّان كانت تتنزل عليهم الشياطين، وقال مالك ﷺ: الطاغوت كل ما عُبد من دون الله. فالإيمان الحق لا يتميز ولا يتحقق إلَّا بالكفر بالباطل والبراءة من أهله.

ولهذا نجد أن إمام الموحدين سيدنا إبراهيم عليه السلام قد أعلن براءته من آلهة قومه وأصنامهم وأعلن عداوته لهم كما أخبرنا الله عزَّ وجَلَّ في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقال أيضاً: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

أيها الإخوة:

وبعد هذين العنصرين في تحقيق التوحيد، إخلاص العبودية لله، والكفر بالطواغيت، يأتي العنصر الثالث الذي به يتحقق التوحيد وهو:

اتقاء الشِّرْك والحذر منه، والحديث عن هذا العنصر يقتضي منا معرفة الشِّرك وأنواعه، وهذا ما نلتقي عليه في لقائنا القادم إن شاء الله تعالى.

*   *   *

الشِّــرك وأنواعه

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعــد:**

أيها الإخوة:

أشرنا في الجمعة الماضية إلى معنى التوحيد المأمور به وهو: أن يؤمن المرء إيماناً تاماً بأن الله واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا ولد ولا والد له، وأن يفرده عز وجل أيضاً بالعبودية الكاملة، والطاعة المطلقة، والذل له، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والخشية منه وحده.

وأشرنا أيضاً إلى أن هذا التوحيد الذي كان مهمة الرسل جميعاً، وهو وظيفة المسلم في الحياة، لا يتم ولا يتحقق إلا إذا توافرت له عناصر تتلخص تلك العناصر في نقاط ثلاث:

- إخلاص العبودية لله وحده.
- الكفر بكل الطواغيت والبراءة ممن عبدها من دون الله.

- اتقاء أو اجتناب الشرك بكل ألوانه وسد المنافذ التي تؤدي إليه.

وقد تحدثنا من قبل عن إخلاص العبودية لله عز وجل وعرفنا أن معناه: إعطاء الألوهية حقها الكامل من التعظيم والمحبة والخضوع والطاعة.

وقلنا إن هذا العنصر يتحقق بأمور منها:

أن لا يتخذ الإنسان غير الله رباً يعظمه كما يعظم الله عز وجل

أن لا يتخذ الإنسان غير الله ولياً يحبه كما يحب الله عز وجل

أن لا يبتغي غير الله حكماً يطيعه كما يطيع الله عز وجل

ثم تحدثنا عن العنصر الثاني في تحقيق التوحيد وهو الكفر بكل الطواغيت والبراءة منهم. والطاغوت كما قال مالك ﷺ هو كل ما عُبد من دون الله سبحانه.

ونلتقي اليوم إن شاء الله تعالى حول العنصر الثالث الذي به يتحقق التوحيد وهو: اتقاء الشرك والحذر منه، وسد المنافذ التي تؤدي إليه، ونسأل الله سبحانه وتعالى العون والتوفيق

أيها الإخــوة:

كلنا يعلم أن المقصد الأول للإسلام هو حرب للكفر والشرك على اختلاف صوره، وتخليص العبادة لله وحده، واعتقاد أنه الفاعل، وأن بيده الضر والنفع وحده.

فالشعار الأول للإسلام هو: لا إله إلَّا الله محمد رسول الله.

ومن روائع الإسلام أنه سن للأب المسلم أن يستقبل مولوده بالآذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى لتكون كلمة التوحيد أول ما يسمعه من أصوات الناس.

وكذلك إذا حضر الإنسان الوفاة كان على أوليائه وأقاربه أن يلقنوه كلمة التوحيد (لا إله إلَّا الله). وبهذا يكون أول ما يستقبل به المسلم نور الحياة هو كلمة التوحيد، وآخر ما يودع به الحياة هو كلمة التوحيد، وما بين هذا وذاك ليس له مهمة سوى إقامة التوحيد والدعوة إلى التوحيد.

ومنطلق حديثنا عن الشرك ليس القصد منه توجيه التهم لأحد، ولكنها

نُصح خالص لوجه الله تعالى، ومصارحة بتعاليم الكتاب والسنة، ووقفة نعتبرها وقفة حساب مع أنفسنا لنقف على أخطائنا، حتى تكون عبادتنا وعقيدتنا وصلتنا بالله سبحانه وتعالى عبادة خالصة، وصلة قائمة على عقيدة سليمة، ومهمة المسجد التصحيح، أسأل الله سبحانه وتعالى أن نستفيد مما نسمع، وأن نتقبل ما نسمعه بسعة صدر وتطبيق عملي.

أيها الإخـوة:

كلنا يعلم أن من الشرك ما هو أكبر، ومنه ما هو أصغر، فالشرك الأكبر هو: أن يجعل المرء لله سبحانه وتعالى نداً وشريكاً فيما هو من خالص حقه عز وجل، كأن يتخذ مع الله غيره يعبده أو يطيعه أو يستعين به، أو نحو ذلك مما لا يستحقه إلا الله عز وجل.

وهذا النوع من الشِّرْك هو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء: ٤٨]، وفي قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهذا النوع لا نقف أمامه كثيراً لأننا جميعاً والحمد لله نعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه بأن الله واحد، ولا نعبد إلا هو وحده سبحانه وتعالى.

أمَّا النوع الثاني من الشِّرك وهو الشرك الأصغر، فله صور متعددة، وهذا ما أود أن أقف معه وقفة لما فيه من أشياء خطيرة شائعة بين جماهير المسلمين فيها ما فيها من الخطر والإثم. ولا بد من التعرض لها وبيانها من قبل النصيحة لا من قبل التهمة والرمي بالشرك. فكما نعلم أن الصغائر باب إلى الكبائر، والإصرار على الصغائر يرتفع بها إلى درجة الكبائر.

أيها الإخــوة:

من صور هذا النوع من الشرك: الرياء بالأعمال، والرياء بمعنى: أن تقصد بأعمالك وعبادتك طلب المنزلة في قلوب الناس لا إخلاصاً لله تعالى. وهو حرام مذموم بنص القرآن والسنة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

ﭐلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقد ذم الله المنافقين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النِّساء: ١٤٢]، أي يصلّون وهم متثاقلون متكاسلون، ويقصدون بصلاتهم الرياء والسُّمعة، ولا يقصدون وجه الله تعالى.

ومن السُّنة ما رواه الإمام أحمد أنه ﷺ قال: «**إياكم والشِّرك الأصغر، قالوا: وما الشِّرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**».

وروى الطبراني وأبو نعيم عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**يؤمر بجماعات من الناس يوم القيامة إلى الجنة، حتى إذا أتوا منها واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا: أن اصرفوهم عنها فإنهم لا نصيب لهم فيها.. فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها. فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما رأينا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا، فيقول الله تعالى: ذلك ما أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم، هِبْتم النَّاسَ ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تُجِلُّوني، وتركتم لأجل الناس ولم تتركوا لي.. فاليوم أذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي**» لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن ذلك وغيره يتبين لنا التحذير الشديد من الرياء، والدعوة إلى الإخلاص في العمل والعبادة. ولنعلم جميعاً أن العبادة المقبولة هي التي تصاحبها النية الصادقة، ويكون فيها روح الإخلاص.

﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] أي فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه فليخلص له العبادة ولا يرائي

بعمله، فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ [البيِّنة: ٥].

وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى رجلاً يطأطئ رقبته فقال له: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.

وكان من دعائه ﷺ: «**اللَّهمَّ اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً**».

نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بقلوب خاشعة أن يطهرنا من هذا الإثم، وأن يرزقنا الإخلاص في عبادتنا، وفي أقوالنا، وأعمالنا.

اللَّهمَّ ارزقنا نعمة الإخلاص في جميع أمورنا، ولا تجعل في جميع أعمالنا ذرة رياء، واجعلها خالصةً لوجهك الكريم.

أيها الإخـوة:

ومن صُوَر الشِّرك الأصغر أيضاً: الحلف بغير الله تعالى. فكثيراً ما يحلف بعضنا بالنبي أو بالكعبة الشريفة، أو بوليٍّ من الأولياء أو كبيرٍ من الكبراء، أو يحلف بالآباء والأجداد وغير ذلك من المخلوقات. وهو خطأ شائع نقع فيه من غير عمد، وقد نهى الإسلام عن ذلك وحذر منه، فقال ﷺ فيما رواه الترمذي: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، وقال ﷺ فيما رواه البخاري وابن ماجه: «**لا تحلفوا بآبائكم**» وقال فيما رواه النسائي: «**من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله**».

وقد اعتبر الإسلام القسم بغير الله من الشرك الأصغر، لأن القسم تعظيم للمقسم به ولا ينبغي التعظيم والتقديس إلا لله وحده، ومن ثم فالقسم لا يكون إلا بالله.

أيها الإخـوة:

ومن صُوَر الشِّرك الأصغر أيضاً: النذر والذبح لغير الله تعالى. كالنذر للقبور وأصحابها. وهو أمر شائع بين عامة المسلمين، فكثيراً ما يذهب بعض الناس إلى مقبرة أحد الصالحين ويقول: يا سيدي –فلان– إن شفى الله مريضي، أو قضيت لي حاجتي فلك من المال كذا، أو من الطعام كذا ونحو ذلك.

وهذا مما حرمه الإسلام ونهى عنه لأن النذر عبادة وقربة إلى الله تعالى، والعبادة لا يجوز أن توجه إلا إلى الله وحده ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ومن صور الشِّرك الأصغر أيضاً: دعاء الموتى من أصحاب الأضرحة والمزارات، والتوسل والتبرك بهم والطواف حولهم، وطلب قضاء الحوائج منهم من شفاء المرضى وتفريج الكربات وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله وحده.

فالإسلام نهى عن ذلك وحذر منه، ونهى عن الغلو في شأن الصالحين.

ولو عُدْنا بالذاكرة إلى الوراء لتبين لنا أن أول شرك وقع في الأرض، وهو شرك قوم نوح كان سببه الغلو في الصالحين.

فالإسلام يسد جميع المنافذ التي تهب منها ريح الشرك، وأمرنا أن نتوجه بالدعاء والاستغفار والطلب لله سبحانه وتعالى مباشرة، وبين لنا أن الله تعالى غني عن الوسائط والشفعاء وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد يجيب دعوة الداعين، ويقضي حوائج السائلين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أي أنا معهم أسمع دعاءهم، وأرى تضرعهم، وأعلم حالهم.

فالله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نأخذ معنا آخرين ليستغفروا لنا، أو ليتضرعوا لنا، بل يدعو عباده إلى دعائه مباشرةً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] أي ادعوني أجبكم فيما طلبتم، وأعطكم ما سألتم، فبابه سبحانه وتعالى مفتوح لكل من أراد الدخول، ليس عليه حاجب ولا بوّاب.

وقد قال ﷺ: «**إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله**». فلماذا نتوجه إلى البشر بما هو من خصائص الألوهية؟

وقد احتاط النبي ﷺ لأمنه فسدّ المنفذ الذي قد تهب منه ريح الشرك، بان نهى عن الغلو في تعظيمه حيّاً، أو تعظيم قبره ميتاً، فقال ﷺ في حديث متفق عليه:

«**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» ولما قال له رجل: ما شاء الله وشئتَ، قال له: «**أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده**». بل نجد أكثر من ذلك، نجده ﷺ يدعو ربه قائلاً: «**اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد**». وكل هذا احتياط منه ﷺ لأمته، وسد للمنافذ التي تهب منها ريح الشِّرك، فالقليل يجر إلى الكثير، والصغير يدفع إلى الكبير.

ومن ثَمَّ فعلى من يتوجهون بالدعاء والتضرع والتبرك والتوسل بأصحاب الأضرحة والمقامات ويشدون الرحال إليها أن يراجعوا أنفسهم وأن يتوجهوا بكل ذلك إلى الله وحده بدل أن يتوجهوا به إلى بشر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وفضلاً عن ذلك فهو ميت والميت لا يملك شيئاً.



وبالوالدين إحساناً

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النِّساء: ٣٦] صدق الله العظيم.

أيها الإخوة:

تناولت تلك الآية الكريمة أمرين صريحين من الله عز وجل، الأول: أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً. والثاني: أن نحسن إلى الوالدين وذوي القربى وغيرهم ممن ذكرتْهُم الآية.

ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى حول الأمر الثاني الذي تضمنته تلك الآية وهو الإحسان إلى المخلوقات التي أشارت إليها، وأولها: الإحسان إلى الوالدين:

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النِّساء: ٣٦] وهو ما يعرف لنا ببر الوالدين.

وبر الوالدين معناه الإحسان بهما، والقيام بحقوقهما وتكريمهما، والتزام طاعتهما، واجتناب إساءتهما، وفعل ما يرضيهما.

وقد بلغ من عناية الله عز وجل بحقوق الوالدين أن قرن برهما والإحسان إليهما بعبادته وتوحيده، وذلك في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، وقرن شكرهما بشكره الله تعالى حيث قال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] أي اشكر ربك على نعمة الإيمان، واشكر والديك على نعمة التربية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] فمن أطاع الله عز وجل ولم يطع الرسول ﷺ لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن صلَّى ولم يزكِّ لم يُقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

أيها الإخـوة:

طاعة الوالدين من أوجب الواجبات، وأفضل القُرُبات، وكيف لا وقد تحملا ما تحمَّلا في سبيل تربية أبنائهما. ولا يخفى على أحد منا دور كل من الأب والأم بالنسبة لأبنائهما، فالأب: كم سعى وقاسى لتحصيل الرزق، وكم كافح في سبيل تربيتهم، وكم احتمل المتاعب والمشاق لراحتهم، وكم ذاق مر المذلة في سبيل سعادة أبنائه، وربما حرم على نفسه الكثير من الضروريات له ليوفر لهم مزيداً من الكماليات، لأنه يحب أن يراهم أحسن منه حالاً. والأُمُّ كم عانت من الأهوال والمتاعب في حمله، وتعرضت للأخطار في وضعه، وأرضعته خلاصة دمها وغذائها ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وكم غسلت بيمينها عنك

الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذاء، وإن أصابك مرض بذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها لطلبت حياتك بأعلى صوتها.

فالوالدان يشقيان لشقاء ابنهما، وتسعدهما سعادته، إن أصابه خير كانا أول من يفرح لذلك، وإن أصابته مضرة كانت إصابته إصابةً لهما.

ألا يستوجب هذا شكر الوالدين، ورد الجميل لهما، وبرهما في مختلف مراحل عمرهما؟ ومن أجل ذلك أوصى الإسلام بهما خيراً، وأوجب برهما راسماً المنهج الأمثل في معاملتهما بالحسنى خاصةً عندما يتقدم بهما السن، وعندما ينتقل مركز القوة منهما إلى الأبناء، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

أمر في صورة القضاء أي: حكم الله تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره، وأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، وخاصةً إذا كبرا أو كبر أحدهما.

وخص حالة الكبر لأنهما حينئذٍ يكونا أحوج إلى البر والإحسان والقيام بحقوقهما لضعفهما، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي لا تقل للوالدين ولا تسمعهما قولاً سيئاً رديئاً، ولو بأقل كلمة ككلمة (أُفّ) التي هي أدنى مراتب القول السيّئ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي ولا تغلظ لهما بالقول فيما لا يعجبك منهما. وتلك أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب التي رسمها المنهج الإسلامي وهي: أن لا يصدر من الولد ما يدل على الضجر والضيق، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي قولاً ليناً طيباً، قولاً حسناً بأدب ووقار وتعظيم لهما، وتلك مرتبة أعلى رسمها المنهج الإسلامي: أن يكون كلامه لهما باحترام وأدب وإكرام لهما، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي تواضع لهما بتذلل وخضوع، وكأن للذل جناح يخفضه إيذاناً بالسلام والاستسلام، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ أي ادعُ لهما بالرحمة في كبرهما وعند وفاتهما وقل في دعائك: يا رب ارحم والديّ برحمتك الواسعة كما أحسنا إلي

في تربيتهما لي حالة الصغر.

وهكذا رسم الإسلام المنهج الأمثل في معاملة الوالدين بالحسنى.

أيها الإخـوة:

وتنفيذاً لتلك الوصية، واعترافاً بهذا الحق للوالدين فعلى كل مسلم أن يلتزم نحو والديه تلك الآداب:

أوّلاً: طاعتهما في كل ما يأمران به، أو ينهيان عنه، ما لم يكن فيه معصية لله تعالى، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥] أي وإن بذلا جهدهما وأقصى ما في وسعهما على أن تتابعهما على دينهما إن كانا كافرين فلا تطعهما، ولا تقبل منهما ذلك، ولكن ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ يعني وصاحبهما في الحياة الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما، بأن تحقق لهما مطالبهما الدنيوية من مأكل وملبس وغير ذلك.

ثانياً: توقيرهما وتعظيم شأنهما، وتكريمهما بالقول والفعل، فلا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يُؤْثِر عليهما زوجةً ولا ولداً، ولا يناديهما باسمهما، بل يناديهما بيا أبي ويا أمي.

قال أحد الصالحين: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها، إلَّا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله.

وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى: وقِّر والديك فغنه من يوقر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولداً يوقره، ومن عق والديه قصرت في عمره، ووهبت له ولداً يعقّه.

ثالثاً: من الأمور أو الآداب التي يجب أن يلتزمها المسلم نحو والديه: بِرّهما بكل ما تصل إليه يداه وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان كإطعامهما وكسوتهما، وعلاج مريضهما، ودفع الأذى عنهما ونحو ذلك.

روى ابن ماجه أن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال له ﷺ: «**أنتَ ومالُكَ لأبيك**».

وفي رواية أبي يعلى أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يشكو والده قائلاً: إنه يأخذ مالي. فقال له ﷺ: «**أنتَ ومالُكَ لأبيك**».

وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: «**يا رسول الله أوصني بوصية أنتفع بها في الدنيا والآخرة. فقال له ﷺ: هل لك والد ووالدة؟ فقال: نعم، قال: إذا أديت حقهما وأطعتهما لك بكل لقمة قصر في الجنة**».

رابعاً: ومن تلك الآداب أيضاً: الدعاء والاستغفار لهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما. روى أبو داود أن رجلاً من بني سلمة قال للنبي ﷺ: «**هل بقي من برّ أبويّ شيءٌ أبرّهما به بعد موتهما؟ قال: نعم: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**». وقال ﷺ: «**إن أبرَّ البرِّ صلةُ الولدِ أهل ودِّ أبيه**».

وروي أنه ﷺ قال: «**ما من عبد صلى الفريضة، ودعا لوالديه بالمغفرة إلَّا استجاب الله دعاءه، وغفر له ببركة دعائه لهما ولو كانا فاسقين**».

أيها الإخوة:

لقد بلغت عناية الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما أنْ جعل برَّهما مقدم على الجهاد في سبيل الله في بعض حالاته.

روى البخاري أن عبد الله بن مسعود قال: «**سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بِرّ الوالدين، قال: ثم أي: قال الجهاد في سبيل الله**».

وجاء في حديث متفق عليه: «**أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال له: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد**».

وبر الوالدين كفارةٌ لبعض الذنوب، روى الترمذي وابن حبان والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**أتى رجل إلى النبي ﷺ وقال له: إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال له: هل لك من أم؟** -وفي رواية: هل لك والدان؟-

قال: لا، قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرّها».

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأةً فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ فقال له: أمك حية؟ قال: لا، فقال له: تب إلى الله وتقرب إليه ما استطعت، فقال ابن عطاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما: لم سألتَ عن حياة أمه؟ فقال ابن عباس: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة.

وبِرُّ الوالدين من أسباب قبول الدعاء: ويوضح لنا ذلك قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وسُد عليهم فم الغار، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحةً فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، وكنت إذا حلبت بدأت بوالديّ أسقيهما قبل ولدي، وتأخرت يوماً حتى دخل المساء فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، ووقفت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغَوْن عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجةً نرى منها السماء، ففرج اللهم لهم فرجةً حتى يروا منها السماء. وهكذا نرى كيف استجاب الله عز وجل دعاء من بر والديه، وأخلص في برهما، ففرج عنه كربه، وجعل له من أمره يسراً.

أيها الإخـوة:

وقد نهى الإسلام بشدة عقوق الوالدين، وعده كبيرةً من الكبائر، وعقوق الوالدين بمعنى: الخروج عن طاعتهما، وفعل ما لا يرضيهما، وإهمال حقوقهما، وإيذاؤهما ولو بكلمة مرة أو نظرة تحقير لهما.

وقد شدد القرآن الكريم في أمر العقوق فنهى عن التأفف والضجر فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وجاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله،**

وعقوق الوالدين». وقال ﷺ: «**ثلاثٌ لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار يوم الزحف**». ويدل هذا على أن من عق والديه قد خسر خسارتين: ارتكب أكبر الكبائر من الآثام، وأضاع ثواب ما عمله من الحسنات.

وعنه ﷺ أنه قال: «**ما من رجل مات والداه وهما غير راضيين عنه إلَّا أخرج الله روحه على غير الشهادة، ولا يخرج من قبره إلَّا وعلى وجهه مكتوب: هذا جزاء من عق والديه**». وروي أنه ﷺ قال: «**رأيتُ ليلة أُسري بي أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا**». وذكر الديلمي أنه ﷺ قال: «**لو علم الله شيئاً أدنى من الأفِّ لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار**».

وهكذا يتبيّن لنا بوضوح كيف أن الإسلام أمر وأوصى بالإحسان إلى الوالدين، وحذر بشدة عن عقوقهما والخروج عن طاعتهما، فإن أردتم النجاح في دنياكم، ورضى الله عز وجل ورحمته في أخراكم، فبروا والديكم، وأدوا حقوقهما، وأكرموهما، واجتنبوا ما يغضبهما، واحذروا عقوقهما وسخطهما.

ولنضع في حسابنا جميعاً أنه كما يدين المرء يُدان، وبالكيل الذي يكيل به يكال له، وما أسرع ما تمر الأيام، فمن بر والديه بره أولادُه، ومن عق والديه عقه أولادُه، قال ﷺ: «**بِرُّوا آباءكم تَبَرّكم أبناؤكم**». فعلى من يغضب والديه أو يسبهما أو يضربهما، عليه أن يستيقظ من غفلته، وأن يتذكر أمر الله ووصيته بالإحسان إليهما، وأن يتذكر ما قدماه له في صغره وكبره أيضاً من سهر وتعب، وذل نفس لأجل أن يوفرا له الراحة، وأن يربوه أحسن تربية.

وعليه أن يتذكر دائماً أن من أغضب والديه فقد أغضب الله عز وجل، قال ﷺ: «**رضى الرب في رضى الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين**»، وقال: «**من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله**».

استقبال رمضان

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعد:**

أيها الإخوة:

ما هي إلا ساعات قليلة، ويخرج المسلمون إلى الفضاء، ويصعدون إلى المنارات العالية، يتطلعون إلى السماء ليرقبوا هلال رمضان، فإذا رأوه وشاهدوا النور قد انبثق وظهر، أعلنوا لجميع المسلمين أن جاء وأهلّ شهر رمضان، وإذا لم يثبت الهلال ولم يشاهدوه في أي بلد إسلامي أعلنوا أن أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً. وأياً كان هذا أو ذاك فشهر رمضان على الأبواب، فهل استعد كل منا لاستقباله؟ هل هيأ كلٌّ منا نفسه لاستقبال هذا الضيف الكريم؟ هل هيأنا أنفسنا لاستقبال موسم الطاعات والعبادة؟ وما نوع هذا الاستعداد؟

تلك بعض أسئلة ينبغي أن يسألها كل مسلم لنفسه، وأن يفكر فيها قبل أن يحل عليه هذا الضيف الكريم الذي لا يأتيه إلا كل عام مرة واحدة، وأن يعقد

مقارنة في ذهنه بين استعداده لاستقبال هذا الشهر الكريم وبين استقبال السلف الصالح له.

أيها الإخوة:

لا يخفى على أحد منا طبيعة استعدادنا لاستقبال هذا الشهر، فالكثير منا يستعد لاستقبال رمضان بتوفير أشهى المطعومات، وأطيب المشروبات، وأكثر ما يفكر فيه هو كيف يستمتع بمأكله ومشربه في هذا الشهر، كما يستمتع في غيره من الشهور بل وأكثر منها. وأجهزة الإعلام تستعد أيضاً لاستقباله ويا ليتها ما تستعد، والدولة تستعد له أيضاً بتوفير السلع في المجمعات والأسواق، وكأن هذا الشهر أصبح في نظرنا شهر غذاء وتسمين لا شهر صيام وزهد وقناعة، كأنه شهر غذاء للجسد وليس شهر غذاء للروح. ولا شك أن هذا فهم خاطئ لحقيقة هذا الشهر، على غير ما فهم السلف الصالح الذين كانوا يستعدون لرمضان قبله بستة أشهر، ويودعونه بستة أشهر، فكان عامهم كله رمضان.

عَلِموا جيداً أنه يدعو إلى الزهد والقناعة، ويرشد إلى العبادة والطاعة.

عَلِموا أنه موسم نشاط وعمل وتنافس في الصالحات وعمل الخيرات.

عَلِموا أنه شهر صيام وقيام، وليس شهر طعام ولهو ولعب.

عَلِموا انه شهر غذاء للنفس، ومتاع للقلب، وليس غذاءً للجسد ومتاعاً للشهوات.

عَلِموا أنه شهر سهر مع القرآن الكريم، وليس مع المسلسلات والأفلام والمسرحيات.

عَلِموا أنه شهر آثره الله عز وجل بنوره، وأنزل فيه هديه وفرقانه، وجعل العبادة فيه أعلى قدراً وأرفع منزلةً من غيره.

عَلِموا أنه شهر الروحانية، وصفاء النفس، والمناجاة، والإقبال على الله تعالى.

عَلِموا أنه شهر له خصوصيته كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ

بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عَلِموا ذلك كله فكانوا يستقبلونه كما ينبغي.

فما أحوجنا ونحن على أبواب رمضان أن نتذكر كل هذه المعاني، وأن نقف مع أنفسنا لنرى كيف نستقبل هذا الشهر؟ وكيف نستعد للقائه؟ وأن يفكر كل منا من الآن بما يجب أن يشتغل به في هذا الشهر الكريم.

أيها الإخوة:

احرصوا على أن لا يمر بكم وقت في رمضان بغير عمل صالح، وإذا غفلتم فاعلموا أن علاج الغفلة هو التذكر، والاتصال بالله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي إن الذين اتصفوا بتقوى الله عز وجل، الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما نهى عنه. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي إذا أصابهم الشيطان بوسوسته، وحام حولهم، وهموا بالذنب ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ أي تذكروا عقاب الله وثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله، ورجعوا إليه من قريب. ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ أي يبصرون بنور البصيرة، ويتخلصون من وساوس الشيطان، فإذا مس الشيطان قلوبنا بمسيس الغفلة، وأراد أن يفوت علينا من رمضان نصيباً من الخير، فعلينا أن نجاهده، ونبذل الجهد في التغلب عليه، ونقبل على الله عزَّ وجَلَّ متذكرين قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥] أي إنه عزَّ وجلَّ بفضله وكرمه، وعفوه ورحمته، يتقبل التوبة من عباده إذا أقلعوا عن المعاصي، وأنابوا بصدق وإخلاص نية. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي إنه عزَّ وجَلَّ يعلم جميع ما تصنعون من خير أو شر، عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع ذلك يتوب على من تاب إليه.

فليتجهز كل منا بكثرة العبادة لله رب العالمين، ودوام التوبة الصادقة، والاستغفار، والذكر، والدعاء، ومعايشة القرآن الكريم.

ليتجهز كل مِنَّا بالبعد عن المعاصي والذنوب والآثام. ليتجهز كل مِنَّا بكثرة الجود والبر والإحسان. ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، إذ كان يتوب في اليوم الواحد مئة مرة، وهو كما نعلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالكم بمن أحاطته المعاصي من كل جانب، وانغمس في لذاته وشهواته؟!

اجتهدوا أيها الإخوة من الآن بالتطهر من أدران الذنوب والمعاصي فتقابلون شهر رمضان، شهر التقوى، شهر الطاعات، شهر الخير والبركة، شهر النفحات والرحمة، شهر البر والإحسان، شهر القرآن، وفضل الله فيه واسع عن غيره من الشهور، والشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل.

روى الطبراني أنه ﷺ قال: «**أتاكم رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه في الخير، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل**». فالرسول ﷺ كان يدعو أصحابه دائماً إلى التنافس فيه من أعمال الخير، حتى لا يحرموا من الجزاء العظيم يوم العرض على ملك الملوك رب العالمين القائل: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩-٤١] أي ليس للإنسان إلا سعيه وعمله، وأن عمله سيعرض عليه يوم القيامة، ويراه في ميزانه، ثم يجزى بعمله الجزاء الأتم الأكمل.

وكان ﷺ دائماً يرغّبهم في التقرب إلى الله عز وجل، ويحذرهم من الوقوع فيما يغضبه سبحانه وتعالى، خاصةً إذا ما حل شهر رمضان.

قال ﷺ فيما رواه الطبراني في الأوسط: «**إن الجنة لتتزيَّن من السنة إلى السنة لشهر رمضان، فإذا دخل رمضان قالت الجنة: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكاناً، وتقول الحور العين: اللَّهمَّ اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجاً**»، ثم قال ﷺ: «**فمن صان نفسه في شهر رمضان فلم يشرب فيه مسكراً، ولم يرم فيه مؤمناً بالبهتان، ولم يعمل فيه خطيئة، زوَّجه الله كل ليلة مئة حوراء وبنى له قصراً في الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد، لو أن الدنيا جمعت فجعلت في ذلك القصر لم تكن فيه إلَّا كمربط عنز في الدنيا**»، وهذا دليل على

تحقير الدنيا، وأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، ومن شرب فيه مسكراً، أو رمى فيه مؤمناً ببهتان، أو عمل فيه خطيئة أحبط الله عمله سنة، فاتقوا شهر رمضان أن تفرطوا فيه، فقد جعل الله لكم أحد عشر شهراً تتنعمون فيها، وجعل لنفسه شهر رمضان فاحذروا رمضان. وجاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**».

فاغتنم أخي المسلم كل لحظة من موسم الحصاد، واحذر الوقوع فيما حذرك الرسول ﷺ منه حتى لا تُحرم من الخيرات والبركات والنفحات.

واحرص دائماً على تذكير نفسك بفضل هذا الشهر المبارك، وما فيه من أعمال وواجبات من صيام وصلاة وصدقة وذكر ودعاء واستغفار وتلاوة لكتاب الله عز وجل الذي يطهر النفس ويحيي القلب. روى أحمد أنه ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان**».

واعلموا أيها الإخوة أن هذا الشهر شهر الصدقات والزهد في المادة، فأكثروا فيه من مواساة الفقراء والمساكين، فقد كان رسولكم محمد ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان.

واحرصوا على صلاة التراويح، فهي من شعائر هذا الشهر الكريم، ومن مميزاته وخصائصه، وهي من السنن المؤكدة، وهي ليست عادة من العادات التي يمارسها المرء في رمضان من كل عام، ولكنها نوع من العبادة، الغرض أو المقصد منها: هو الاتصال بالله عز وجل، والمتعة بتلاوة القرآن الكريم، وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: كنا ننصرف من صلاة القيام نستعجل السحَّاريين بالسحور مخافة طلوع الفجر.

فالمطلوب من صلاة التراويح هو إتقانها وإحسان أدائها والاطمئنان فيها، في تلاوتها، في ركوعها، في سجودها، في كل حركاتها، كما كان يفعل السلف الصالح رضوان الله عليهم في تلك الصلاة.

أيها الإخــوة:

نختم لقاءنا اليوم ونحن في استقبال شهر القرآن بتلك الخطبة الجامعة التي خطبها الرسول ﷺ في آخر يوم من شعبان مستقبلاً بها شهر رمضان:

روى البيهقي وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «**يا أيها الناس! قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلةٍ من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضةً كان كمن أدى سبعين فريضةً فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزاد فيه رزق المؤمن، من فطّر فيها صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعتقاً لرقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء،** قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه؟ فقال ﷺ: **يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتَيْن ترضون بهما ربكم، وخصلتَيْن لا غناءَ بكم عنهما: فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار. من سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة**».

صدق رسول الله ﷺ ، وهذا أبلغ ما يقال أيها الإخوة في استقبال هذا الشهر المبارك.

❊ ❊ ❊

فضل رمضان وما ينبغي العمل فيه(1)

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

لقد مرت الأيام، ودار العام دورته، وهلّ علينا شهر رمضان، هلّ علينا أفضل الشهور وأعظمها منزلةً عند الله تعالى، هلّ علينا شهر الخير والبركة، شهر النور والرحمة. هلّ علينا ليفتح باب الأمل والرجاء أمام الإنسان الذي تغلبت عليه المعاصي وضل الطريق إلى الله عز وجل، وضعف أمام نفسه وشهواته، جاء ليفتح أمام هؤلاء جميعاً باب الأمل والرجاء والتوبة.

شهر التوبة والإنابة ومحاسبة النفس، والرجوع إلى الله عز وجل، شهر الغفران والنفحات الربانية، شهر يمحو الله فيه الخطايا، ويرفع فيه الدرجات، ويضاعف فيه الحسنات، ويتجلى الله عز وجل فيه على عباده بالخير والرحمات والبركات.

---

(١) هي الخطبة الأولى في رمضان.

شهر آثره الله عز وجل بنوره، وأنزل فيه هديه وفرقانه، وجعل العبادة فيه أعلى قدراً، وأرفع منزلةً من غيره.

يا فوز من فيــه أطاع إلهه متقرباً متجنِّباً مـــــا حرَّما

فالويل كل الويل للعاصي الذي في شهره أكل الحرام وأجرمــا

أيها الإخــوة:

إن الله عز وجل قد خص المسلمين في هذا الشهر الكريم بمزايا وفضائل عظيمة يحدثنا عنها الرسول ﷺ في حديث رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**أُعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبيٌّ قبلي:**

الأولى: فإنه إذا كان أول ليلة منه نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

الثانية: فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة.

الثالثة: فإن الله عز وجل يأمر جنته ويقول لها: تزيني لعبادي الصائمين، فقد أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي.

الرابعة: فإن رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك.

الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة من رمضان غفر الله لهم جميعاً، فإن العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفّوا أجورهم».

وروى النسائي والبيهقي أنه ﷺ قال: «**أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم**». وقال ﷺ: «**لو تعلم أمتي ما في رمضان من الخير لتمنت أن يكون السنة كلها**».

نسأل الله عز وجل في تلك الأيام المباركة أن لا يحرمنا خيرها، اللهم لا تحرمنا خيرها، اللهم لا تحرمنا رحمتك وفضلك وكرمك في هذا الشهر الكريم.

أيها الإخــوة:

كان رسول الله ﷺ يكثر في رمضان من العبادة، ويضاعف فيه من الجود

والكرم، ويكثر فيه من الصدقة والبر والإحسان.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ إذا دخل رمضان أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل**».

وكذلك كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم، فقد روي أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل.

فالرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يكثرون من الجود والكرم، ويؤثرون على أنفسهم وخاصةً في شهر رمضان: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] أي يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الحاجة إليه، فكانوا يقدمون حاجة المحتاج على حاجة أنفسهم.

هذا وقد رغّب الله عز وجل في السخاء والجود والعطاء، فقال في حديث قدسي: «**أحب ثلاثاً وحبي لثلاثٍ أشد: أحب أهل السخاء، وحبي للفقير السخي أشد. وأحب المتواضعين، وحبي للغني المتواضع أشد. وأحب التائبين، وحبي للشاب التائب أشد. وأبغض ثلاثاً وبغضي لثلاثٍ أشد: أبغض البخلاء، وبغضي للغني البخيل أشد. وأبغض المتكبرين، وبغضي للفقير المتكبر أشد. وأبغض الفساق، وبغضي للشيخ الفاسق أشد**».

وقد ورد أن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: أحب للصائم الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم.

وعندما سئل يوسف عليه السلام لم تصوم كثيراً وأنت على خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

هذا وقد أوضحت السنة أن الله تبارك وتعالى سيعطي من فطر صائماً في هذا

الشهر الكريم مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء، قال ﷺ: «**من فطَّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه، وعتقاً لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطِّر الصائم عليه؟ فقال ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة**».

وعلاوةً على ذلك فإن الملائكة تصلي على كل من أفطر صائماً، روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**الصائم إذا أكل عنده المفاطير صلت عليه الملائكة**».

ولنتأمل سوياً قوله ﷺ: «**السخيُّ قريبٌ من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار، والبخيل بعيدٌ من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار، ولجاهلٌ سخيٌّ خيرٌ من عابدٍ بخيل**».

فعلينا جميعاً أيها الإخوة أن نكثر في هذا الشهر الكريم بالصدقات والقربات لله عز وجل اقتداءً برسول الله ﷺ متذكرين دائماً قوله ﷺ عن ربه عز وجلَّ: «**كل حسنةٍ بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**».

أكثِر من الصدقات والقربات لله عز وجل في هذا الشهر ولا تستصغر صدقةً تصدقت بها مهما قلّت أو صغرت في نظرك ما دمت تبتغي بها وجه الله عز وجل، فقد ورد: «رب درهم سبق ألف درهم».

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] ولم يقل أكثر عملا، فقد يكون العمل كثيراً ولا ثواب له، وقد يكون قليلاً ويقبله الله عز وجل، ولهذا قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**».

وكذلك لا تستكثر عملاً من الأعمال التي تتقرب بها إلى الله عز وجل، وتذكر دائماً أن المحسن سيندم، وأن المسيء سيندم يوم القيامة.

قال ﷺ: «**ما من أحد يموت إلا ندم، قيل: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد إحساناً، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون رجع عن الذنوب**».

وتوضيحاً لهذا المعنى نورد ما ورد في هذا الأثر: روي أن أحد الصحابة مرض على عهد الرسول ﷺ فسأل عنه يوماً فقيل له: إنه انتقل إلى رحمة الله، فقال ﷺ: ألم يقل شيئاً؟ فقيل له: إنه حين أحسَّ بالموت قال: ليتها كانت كثيرة، ليتها كانت الجديدة، ليته كان كاملاً، فلم ندرِ ماذا يعني بذلك، فقال لهم النبي ﷺ موضحاً لهم تلك الكلمات: «**كان هذا الصحابي يسعى ذات يوم جمعة مهرولاً إلى المسجد فوجد في الطريق رجلاً ضريراً وليس معه من يقوده إلى المسجد، فأخذ بيده، وعند الموت رأى ثواب تلك الخطوات فقال: ليتها كانت كثيرة. وكان يسعى لصلاة الصبح في يوم اشتد برده فوجد رجلاً في الطريق كاد أن يقتله البرد، وكان يلبس حُلَّتين إحداهما جديدة والأخرى قديمة، فأعطى الرجل القديمة، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال: ليتها كانت الجديدة. وفي أحد الأيام رجع إلى داره فسأل امرأته عما لديها من طعام فقدمت له رغيفاً من خبز الشعير، فلما همَّ بتناوله إذا بطارق يطرق الباب ويقول: إني جائع، فأعطاه نصف الرغيف، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال: ليته كان كاملاً**». فإذا كان هذا شأن المتصدق سيندم وسيتمنى أن يكون قد أكثر من الصدقات وفعل الخيرات، فما بالك إذاً بالذي لم يقدم شيئاً ينفعه؟ لا شك أن ندمه سيكون أكبر وأكثر.

فاحرص أخي المسلم على أن تكثر من الصدقات والقربات لله عز وجل في هذا الشهر الكريم.

أيها الإخوة:

وينبغي أن نعلم جيداً أنه ليس الغرض من الصوم مجرد الإمساك عن المفطرات فقط، ولكنه لا يتم ولا يكمل إلا بترك ما حرمه الله عز وجل عليك من الكبائر والموبقات. لا يتم ولا يكمل إلَّا بالإمساك عن الغيبة والنميمة، الإمساك عن الظن والتجسس والخصام والشقاق، بالإمساك عن أذى الناس، والسخرية منهم، وظلمهم والتعدي عليهم، وغير ذلك مما نهى الله عز وجل عنه، فهذه الأشياء وإن كانت محرمةً في غير رمضان فهي أشد حرمة فيه.

فاجتنب أخي المسلم كل هذا وتذكر دائماً قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ

وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي إن الإنسان سيسأل يوم القيامة عن حواسه، عن سمعه وبصره وقلبه، وعما تكتسبه جوارحه، وتذكر أيضاً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: ١٨]. أي ما يتلفظ به ابن آدم من كلمة يتكلم بها من خير أو شر إلا ولها من يرقبها ويكتبها، تذكر دائماً هاتين الآيتين وتذكر أيضاً قوله ﷺ فيما رواه الحاكم وغيره أنه ﷺ قال: «**ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابَّك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم**». وقال أيضاً: «**رُبَّ صائمٍ ليس له من صومه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**». وروى الإمام أحمد أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش، فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ فأعرض عنهما، ثم دعاهما، فجاءتا، فقال لإحداهما: قيئي فقاءت ملءَ قدح من قيح ودم وصديد، ثم قال للأخرى: قيئي، فقاءت هي الأخرى ملء قدح من قيح ودم وصديد، فقال ﷺ موضحاً حال هاتين المرأتين: «**إن هاتين صامتا عمَّا أحلَّ الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما والأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس**». وسئل عن امرأة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتؤذي جيرانها بلسانها فقال: «**لا خير فيها، هي من أهل النار**».

فاحذر أخي المسلم من أن تصوم عن ما أحله الله لك، وتفطر على ما حرمه الله عليك، واعلم أن المؤمن حقاً هو الذي يحرص على أن يكون صومه كاملاً مقبولاً من الله تعالى، ولا يتحقق ذلك إلا إذا ضم إلى الإمساك عن المفطرات الإمساك أيضاً عن المآثم والمحرمات.

واحرص أخي المسلم أن تكون متخلقاً بخلق المؤمن كما وصفه رسول الله ﷺ بقوله: «**ليس المؤمن بالطَّعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء**».

❁ ❁ ❁

الحكمة من الصيام، أو أسرار الصيام[1]

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

نلتقي اليوم إن شاء الله تعالى حول سؤال يتردد على ألسنة بعض الناس وهو: هل الحكمة من الصيام هي ترك الطعام والشراب والشهوات فقط؟ وهل هو عقوبة فرضت على الإنسان بمعنى العبادة؟ تلك بعض أسئلة أو شبه تدور في أذهان بعض الناس، ولا شك أنها فهم خاطئ لحقيقة الصيام وأسراره، فالله عز وجل حين شرع الصيام وفرضه علينا في رمضان لم يهدف إلى مجرد ترك الطعام والشراب والشهوة، ولم يهدف إلى عقوبة الإنسان وحرمانه من تلك الأشياء، فالصيام عبادة وليس عقوبة، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نصوم؟ وما هي الحكمة المستفادة من فريضة الصيام؟

---

(١) هي الخطبة الثانية في رمضان.

أيها الإخــوة:

إن الله عز وجل فرض علينا الصيام لحكم عظيمة، وأسـرار عالية، من تلك الأسـرار أو الحكم التي نصوم من أجلها:

أوَّلاً: أننا نصوم امتثالاً لأمر الله تعالى، فقد فرضه وأوجبه علينا وذلك في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. والفروض الإلهية لا تناقش ولا تجادل ما دام الذي فرضها هو الله عز وجل، وبامتثالنا لأمره سبحانه وتعالى وتنفيذنا ما فرضه علينا من صيام في شهر رمضان نتخذ لأنفسنا الوقاية من عذابه الذي أعده للعاصين الذين يخالفونه فيما أمر، ولا ينفذون ما فرضه عليهم.

ثانيـاً: نصوم لأن في الصوم تكفير للذنوب لقوله ﷺ فيما رواه ابن حبان: «**من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ كفَّر ما قبله**». وقال أيضاً: «**إن الله عزَّ وجلَّ فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صـامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**». وجاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

ثالثـاً: نصوم لأن الصوم نصف الصبر، روى ابن ماجه أنه ﷺ قال: «**لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصوم نصف الصبر**».

وقد أخبر القرآن الكريم بأن الصابرين يوفون أجورهم بغير حساب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزُّمَر: ١٠] أي إنَّ الله عز وجل يعطي الصابرين جزاءهم بغير حصر، ودون عدد أو وزن، وإذا كان الصوم نصف الصبر، فالصبر نصف الإيمان، والإيمان يدعو إلى العمل الصالح، وهما معاً: أي الإيمان والعمل الصالح يهديان إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] أي: إن الذين آمنوا بالله، وعملوا بما يرضيه، كانت لهم أعلى درجات الجنة وأفضلها وهي الفردوس.

والصائم يستفيد من تلك الحكمة درس وهو: أنه بصبره على امتناعه عن المفطرات، ومقاومته لنفسه وشهواته يجعله يتعود الصبر على جميع المكاره والمشقات، والمحن والابتلاءات التي قد تواجهه يوماً ما. وما أحوجنا في تلك الأيام إلى الصبر وقوة التحمل، فمن لم يصبر على جوع يومٍ، لا يستطيع أن يصبر على فراق أهل وولد ووطن من أجل هدف كبير.

رابعـاً: نصوم لأن الصوم مدرسة تعلم قوة العزيمة والإرادة، وتعلم أيضاً التغلب على النفس التي تسرف في شهواتها وملذاتها.

وكما نعلم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر لأنها أمّارة بالسوء إلَّا ما رحم ربي، أي إنها ميّالة دائماً إلى الشهوات إلا من رحمه الله بالعصمة، ومن لم يجاهد نفسه فهيهات هيهات أن يجاهد عدواً، ومن لم ينتصر على نفسه وشهواته هيهات هيهات أن ينتصر على عدوه.

فالصوم يعلم قوة العزيمة والإرادة والتغلب على النفس وشهواتها، فهو يحول بين النفس والمحرمات، ويحملها على الطاعات، ولذا فقد تولى الله عز وجل الجزاء على الصيام بنفسه، لأنه أبعد العبادات عن الرياء والنفاق، فقد يخلو المرء في رمضان بنفسه في مكان بعيد عن الناس وأمامه ما لذ وطاب من الطعام والشراب وهو جائع وعطشان، ومع ذلك لا يسمح ليده أن تمتد لشيء مما أمامه، وكذلك يعف وبجانبه زوجته، لا رقيب عليه في ذلك إلا ربه، ولا سلطان إلا ضميره، ولا يسنده إلا إرادته القوية، ويتكرر ذلك خمس عشرة ساعة أو أكثر كل يوم، وتسعة وعشرين أو ثلاثين يوماً في كل عام، فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة والعزيمة الإنسانية، وتعلم الصبر الجميل كمدرسة الصيام التي يفتحها الإسلام إجبارياً لجميع المسلمين في رمضان، وتطوعاً في غير رمضان؟

ولا شك في أن يمسك شهواته طوال فترة الصيام لا بد وأن تنشأ عنده إرادة قوية، فالصيام كما نعلم سر بين العبد وربه، ولذا قال بعض السلف: «طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره». وقال ﷺ: «**إنما الصوم أمانة، فليحفظ أحدكم أمانته**».

وما أحوجنا إلى المزيد من قوة الإرادة، ومن العزيمة الصادقة التي تحول بين المرء وبين اقتراف المعاصي التي حرمها الله عز وجل، وما أحوجنا إلى الإحساس بالمراقبة ليمتنع الاختلاس الذي عم وانتشر، ولتمنع الرشوة التي أصبحت هي الأساس في جميع الأعمال، وليستيقظ الضمير الذي مات عند الكثير من الناس.

خامساً: ومن حكم أو أسرار الصيام أيضاً: أنه يعرف المرء بمقدار نِعم الله عليه. وكلنا يعلم أن الإنسان لا يدرك قيمة النعمة إلا وقت حرمانه منها، فكما يقولون: إن الحلو لا تعرف قيمته إلا إذا ذقتَ المُرّ، والنهار لا تعرف قيمته إلا إذا دخل عليك الليل، فالأشياء تميز بضدها.

فالغني مثلاً لا يدرك قيمة غناه إلَّا إذا ذاق الفقر، ولا يشعر الإنسان بنعمة الصحة إلَّا إذا أصيب بالمرض. فكذلك الصائم لا يدرك قيمة نعم الله عليه إلا وقت حرمانه وامتناعه عنها بسبب الصيام، فهو لا يعرف قيمة الطعام والشراب إلا إذا ذاق جسمه حرارة العطش، ومرارة الجوع، ولذلك رفض الرسول ﷺ أن تكون له بطحاء مكة ذهباً.

روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك**».

وكذلك من أسرار أو حكم الصيام: أنه تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البائسين، تذكير عملي بآلام الفقير وما يعانيه هو وأولاده طوال العام، تذكير لا يسمعه الصائم من شيخ أو حكيم، بل يسمعه من داخله، يسمعه من صوت معدته، ونداء أمعائه، ولذا جعل اله عز وجل الجوع في رمضان ضريبة إجبارية يدفعها الغني والفقير، الموسر والمعسر، يؤديها من يملك القناطير المقنطرة ومن لا يملك قوت يومه، حتى يشعر الغني بأن هناك معدات خاوية، وبطوناً خالية، وأحشاء لا تجد ما يسد الرمق. فإذا علم ذلك رق قلبه، وتحركت فيه دوافع الشفقة والرحمة، فيقضي لهم حاجتهم، ويفرج عنهم كربهم، ويمد إليهم يد العون والمساعدة، ولا يدفعه إلى ذلك قانون من صنع بشر، أو قرار وزاري، أو منشور

إداري، أو نتيجة ضغط من أحد، بل يقوم بكل ذلك عن طواعية وقناعة، ويدفعه إلى ذلك أيضاً: إحساسه الديني، وغريزة الرحمة التي غرستها في نفسه شريعة الصوم. يدفعه إلى ذلك اقتناعه بأن الله رحيم، وأنه يرحم من عباده الرحماء، روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

وصدق من قال: «**لو تراحم الناس ما كان بينهم بائسٌ ولا محروم**».

لقد كان الرسول ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، والمثل الكامل للكريم السخي الذي يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، لأنه ﷺ كان على يقين تام وثقة كاملة في أن خزائن الله لا تنفد، ولا عجب في ذلك فهو القائل: «**إن لله ملكَيْن يناديان كل يوم، يقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُمسكاً تَلفاً**».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**».

أيها الإخوة:

وإذا كان من أسرار الصوم تقوية الإرادة والعزيمة، وتقوية الصبر وتربية ملكة المراقبة لله عز وجل في كل شيء، والتذكير بحالة الفقير، فإنه إلى جانب تلك الفوائد الروحية والاجتماعية، فوائد أخرى بدنية وصحية، فكما نعلم أن أكثر ما يصيب الناس من أمراض، إنما هو ناشئ من بطونهم التي يملؤونها بكل ما تشتهي دون أن يفرقوا بين ما ينبغي وما لا ينبغي.

روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أُكُلاتٍ يُقِمْنَ صُلبه، فغن كان لا محالة، فثُلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه**».

وإذا كانت البطن هي مستنقع البلايا، وكانت المعدة بيت الداء، فإن الامتناع عن الأكل هو رأس الدواء، وليس كالصوم فرصة تستريح فيها المعدة، وصدق الرسول ﷺ في قوله فيما رواه الطبراني: «**صوموا تصحّوا**». والمعروف أن الصوم

جعل علاجاً لبعض الأمراض الجسمية، وقد أكد الأطباء في أبحاثهم أن هناك كثير من المرضى بأمراض القلب، وارتفاع ضغط الدم، وأمراض الجهاز الهضمي والعصبي والتنفسي كثير منهم لا يشكل عليهم الصيام أي خطورة.

ومن ثَمَّ فينبغي أن نعلم جميعاً أنه ليس كل مرض يباح به الفطر كما هو شائع بيننا، ولكن المرض الذي يبيحه هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يتأخر به شفاء المريض.

فوجود المرض في حد ذاته لا يجب أن يكون موجباً للإفطار، فكما نعلم أن المرض الواحد تختلف درجته وشدته ومضاعفاته من شخص لآخر، ويختلف من حالة إلى أخرى بالنسبة للمريض الواحد.

فليس كل من أصيب بمرض ما يتطوع بتقديم الفتوى لنفسه أو لغيره انطلاقاً من كونه مصاباً بهذا المرض، فهذا خطأ شائع نريد أن نتخلص منه، ولا نجري وراء المسهلين في ذلك.

وعلى المريض حين يأخذ بالرخصة، عليه أن يضع أمام عينيه دائماً وأبداً أن الله عز وجل سميع بصير، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فإن كان لا يطيق الصيام، ويجد أن الصيام يرهقه ويؤخر من شفائه فآيات الله تعطيه الحق في أن يفطر دون حرج، وإن كان يطيق الصوم أياً كان المرض يلزمه الصيام، وعليه أن لا يخترع أو يلتمس الأعذار والأسباب لأجل أن يفطر بحجة استخدام الرخصة، وعليه أن يتذكر دائماً قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

فالإفطار رخصة في بعض الأحيان، إلَّا أن الصيام فيه الخير في كل الأحوال، حتى في بعض الأمراض، فقد أشار بعض الأطباء في أبحاثهم إلى أن الصيام فيه نماء للصحة، وتجديد للخلايا المرهقة، وذلك لن الجهاز الهضمي يعمل بصفة دائمة طوال العام، وحين يجيء شهر رمضان تتاح الفرصة للمعدة ولباقي الأمعاء أن تهدأ في حركاتها وإفرازاتها، ويمكن أن تكون فترة الصيام هي الفرصة المناسبة لشفاء بعض القروح أو الجروح التي بالمعدة.

ونختم حديثنا عن تلك الفائدة بهذا الاعتراف من طبيب انجليزي لا يدين بالإسلام، قال هذا الطبيب: إن الصوم يباعد بين الصائم وبين العادات غير المستحبة، ويشعره بأنه أكفأ ذهنياً وجسدياً، ويداوي بعض الأمراض، ويخفف التوتر، ويدعو إلى الهدوء والطمأنينة، ويساعد الجسم على مداواة نفسه بنفسه، ويجعل الصائم أهدأ نوماً، كما يقوي إرادته، ويقوي صلته بربه، كما يجعله سباقاً لخدمة الناس وإجابة حاجاتهم.

تلك شهادة من طبيب لا يدين بالإسلام، فهل أدرك المسلمون ما أدركه؟

❊ ❊ ❊

غزوة بدر وما يستفاد منها[1]

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

إن شهر رمضان شهر عزيز على النفس المؤمنة، حبيب إلى القلب الصالح، شهر له كرامته وهيبته لدى عامة المسلمين، فهو شهر العبادة والطاعة، شهر القرآن، وهو أيضاً شهر الجهاد، فيه تحلو الذكريات، ذكريات النصر والفتح، ذكريات الاستبسال والحرية، ذكريات التضحية والفداء، ففي شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وبالتحديد في اليوم السابع عشر منه التقى سيدنا الرسول ﷺ وأصحابه مع كفار مكة الذين آذوه، وعذبوا أصحابه، وتآمروا على قتله، وأخرجوه من مكة مهاجراً، لا لسبب إلا أنه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام والأوثان.

---

(١) هي الخطبة الثالثة في رمضان.

التقى الرسول ﷺ وأصحابه مع كفار مكة في معركة بدر الكبرى التي كانت فارقاً بين الحق والباطل، ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى حول تلك الغزوة، ولن نتناولها بالشرح والتفصيل، فكلكم تقرؤون وتسمعون عنها، وإنما هي نظرات سريعة في أحداثها وعوامل النصر فيها، وما يمكن استنباطه منها.

أيها الإخـوة:

وتتلخص أحداث تلك الغزوة في أن الرسول ﷺ أراد أن يلحق بعير أبي سفيان التي تحمل أموالاً وتجارةً لقريش، تعويضاً لهم عما أخذت قريش من أموالهم حين الهجرة، وعلم أبو سفيان بذلك فأرسل رسولاً إلى قريش يستنجد بهم لحماية أموالهم، فخرجت قريش في ألف رجل، معهم مئة فرس، عليها مئة درع سوى دروع المشاة، وسبعمئة بعير.

وكان عدد المسلمين آنذاك ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، ليس معهم سوى سبعون جملاً وفرسان أو ثلاثة، ونلحظ هنا من أول نظرة عدم التكافؤ بين الفريقين لا في العدد ولا في العدة. واستطاع أبو سفيان أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل إلى قريش، وهنا أراد الله عز وجل أن يكون خروج المسلمين ملحمةً لا غنيمة، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل، ليحق الحق ويثبته، ويبطل الباطل.

قدّر الله أن تكون ملحمة ليمكّن تلك الفئة المؤمنة التي تعيش بمنهج الإسلام، أراد الله عز وجل لتلك الفئة أن تصبح أمة، وأن تصبح دولة لها كيانها، وسلطانها وقوتها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

وعلم الرسول ﷺ بخروج قريش فجمع أصحابه قبل أن يخوض المعركة، واستشارهم في خوضها ليعرف مدى استعدادهم لخوضها، فأجابوه جميعاً إجابةً كلها إيمان وثقة، وحب وولاء، كلها تضحية وفداء، فتكلم المهاجرون كلاماً حسناً، وأشاروا بخوضها، ثم تكلم سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأنصار كلاماً

كله إيمان وثقة، قال سعد: «يا رسول الله، لقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبْر في الحرب، صُدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينُك، فَسِرْ بنا على بركة الله». فَسُرَّ الرسول ﷺ بهذا القول من سيد الأنصار ثم قال: «سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين: إما العير وإما النفير، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم».

بتلك الروح العالية استعدوا لخوض المعركة، وبهذا الإيمان القوي اطمأن الرسول ﷺ إلى المواجهة.

وأخذ الرسول ﷺ يتحسس أخبار قريش وعددهم عن طريق العيون التي بثها حتى علم أنهم ما بين التسعمئة والألف، وأن فيهم عامة زعماء قريش.\فأيقن القوم أنها الحرب لا محالة، وأنه لا بد من لقاء قريش.

ثم سار الرسول ﷺ بأصحابه حتى وصل أدنى ماء من بدر فنزل به، واستشار أصحابه في المنزل، فقال له الحباب بن المنذر رضي الله عنه في أدب كامل: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال له الرسول ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فقال له الحُبَاب: يا رسول الله هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فإني أعرف غزارة مائه وكثرته، فننزله ثم ندفن عيون الماء الأخرى، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤها ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. فقال له الرسول ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»، ونهض بأصحابه، ونزلوا حيث أشار الحباب.

ونستطيع أن نأخذ من هذا الموقف بالذات، أن الرسول ﷺ قد ضرب المثل والقدوة لكل قائد، ولكل من يكون مسؤولاً عن جماعة من الناس، في عدم التمسك برأيه، وعدم التعالي والتكبر طالما وجد الصواب في غيره، ضرب المثل في النزول عن رأيه إلى رأي ذوي الخبرة.

أيها الإخــوة:

كما أشار الحُبَاب بن المنذر ببناء الحوض، أشار سعد بن معاذ ببناء عريش وراء صفوف المسلمين، يكون فيه الرسول ﷺ يُشرف منه على المعركة ويوجه المسلمين من الخلف. وفي هذا يظهر لنا بوضوح مدى حرص الجند على حياة القائد.

ولما التقى الجمعان أخذ الرسول ﷺ يسوي صفوف المسلمين، ويحرضهم على القتال، ويرغبهم في الشهادة، وأخذ يطمئنهم بنصر الله، وتأييده لهم.

وروي أنه مشى على موضع المعركة، وعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً، حتى أنه كان يقول: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان». وثبت أنه ما تزحزح واحد منهم في مقتله عن الموضع الذي أشار إليه الرسول ﷺ.

أيها الإخــوة:

وأخذ الرسول ﷺ يناشد ربه بالدعاء متضرعاً خاشعاً يطلب العون منه عزَّ وجلَّ، وكان من دعائه ﷺ: «اللَّهمَّ إن هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني»، وظل يناشد ربه بالدعاء والتضرع حتى سقط رداؤه.

وبعد هذا التضرع الصادر من صميم قلبه تسعفه القوة الإلهية، وتدركه الرحمة الربانية، تشد من أزره، وتثبت فؤاده، وتجدد من عزمه وثباته، وإشعاراً له أنه تحت رعاية الله وعنايته دائماً وأبداً كان مدد الله عز وجل بجند من عنده: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثّر: ٣١].

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر الرسول ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمئة وبضع عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يده وأخذ يناشد ربه فيقول: «**اللَّهمَّ أنجز ما وعدت، اللَّهمَّ إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض**»، فما زال يهتف حتى سقط رداؤه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٩-١٠].

وهكذا ينبغي أن يفهم كل من يقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، أنه تحت رعاية الله وعنايته دائماً وأبداً، ما دام مخلصاً في دعوته لله سبحانه وتعالى، ولا يهمُّه سوى رضاه عز وجل وحده، ويخاف من غضبه وحده لا من غضب أي مخلوق سواه، ولا يطلب العون والنصر إلَّا منه، ولا يتوجه بالدعاء والتضرع إلَّا له وحده.

أيها الإخـوة:

ويبدأ الهجوم من جانب المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد المخزومي على الحوض الذي بناه المسلمون، وتصدى له حمزة بن عبد المطلب وقتله، فاندفع عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، فأخرج لهم الرسول ﷺ ثلاثة من الصحابة هم: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث فقتلوا هؤلاء الثلاثة. وكان ذلك سبباً في انفجار المشركين، واتسع نطاق المعركة، وأخذ الرسول ﷺ يشجع المسلمين ويدفعهم للقتال، ويرغبهم في الشهادة قائلاً: «**والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**».

فهجم المسلمون على المشركين بقلوب يملؤها الإيمان بالحق، والرغبة في الشهادة، والطمع في ثواب الله عز وجل، فهانت عليهم الدنيا، واستعجلوا الموت في سبيل الشهادة، حتى أن عمر بن الحمام ﷺ ألقى تمرات كانت في يده حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ وقال: أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، لئن أنا حييت حتى آكل هذه التمرات لكانت حياةً طويلة. وقذف التمرات وأخذ سيفه واندفع إلى المعركة اندفاع السهم، وظل يقاتل حتى قتل.

هذا وقد خفق رسول الله ﷺ في العريش خفقة من نعاس، ثم أفاق بعدها مستبشراً وهو يقول لأبي بكر: «**أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده على ثنايا الغبار**».

ثم نزل إلى أصحابه يشد من عزائمهم، ويبشرهم بنصر الله قائلاً لهم: «**شُدُّو سيهزم الجمع ويولون الدبر، من قتل قتيلاً فله سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له**».

وانتهت تلك المعركة بانتصار كبير للمسلمين رغم قلة عددهم، وقتل في هذه المعركة سبعون من صناديد المشركين، منهم أشركهم أبو جهل عليه لعنة الله، وأُسر أيضاً مثلهم، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً.

وقد نزل في معركة بدر آيات كريمة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

أيها الإخوة:

وبعد هذا العرض المجمل لأحداث تلك الغزو، تعالوا بنا نتأمل سوياً عوامل هذا النصر الكبير الذي تم للمسلمين في تلك الغزوة، لعلنا نستفيد منها شيئاً:

وأوّل تلك العوامل هو: ذلك الإيمان القوي الذي كان مسيطراً على جميع الصحابة، إذ كانت قلوبهم عامرة بالإيمان بأن الموت حق، وأن الحروب لا تقصر العمر، ولا الجلوس في البيوت يطيلها، إيماناً ويقيناً منهم بقوله ﷺ: «**ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

ثانيــاً: ومن عوامل النصر أيضاً: تفويض الأمر لله عز وجل، والرضى بما اختاره وقدّره، والاعتقاد بأن الخير كله فيما قدّره الله عز وجل، فالله سبحانه وتعالى قدّر فوات القافلة وحرب قريش، مع أنهم كانوا ثلاث أضعاف المسلمين، وكان في ذلك الخير، والخير الكثير، إذ أدى انتصار المسلمين إلى علو مكانة المسلمين وهيبتهم في نفوس العرب، وإلقاء الرعب في نفوس المعاندين.

ثالثاً: ومن عوامل النصر أيضاً أنه يجب على الفئة المؤمنة أو الصف المسلم حين يعقد العزم على أمر ما، عليه ألا يلتفت إلى تشكيك المشككين، ولا يبالي بمن يثبطون الهمم، وعليهم أن يمضوا فيما اعتزموه بعد تفكير وتدبير.

رابعاً: ومن تلك العوامل أيضاً: استعداد الجندي المخلص دائماً للقيام بواجبه في أي وقت، إذ أن الحق والباطل لا يتعايشان معاً، والمعركة بينهما قائمة مستمرة لا تنقطع ما دامت في الناس حياة.

ومن ثَمَّ فمن واجب كل مخلص للدعوة الإسلامية أن يكون دائماً مستعداً للقيام بواجبه تجاه تلك الدعوة، وعليه أن يعلم جيداً أن الجهاد ضرورة للدعوة، وعليه أن يدرك قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة عليه أن يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر مع نفسه وشيطانه، فمن لم يجاهد نفسه، فهيهات أن يجاهد عدوه، ومن لم ينتصر على نفسه وشهواته فهيهات هيهات أن ينتصر على عدوه.

خامساً: ومن عوامل النصر أيضاً: قوة الروح المعنوية قبل كل شيء، ولا ينبغي أن نعتقد أن قوة السلاح وحده كفيلة بالنصر. ففي بدر تبين أنه لا قيمة لكثرة العدد، ولا لضخامة الاستعداد، بجانب الروح المعنوية التي كانت في المسلمين، والنابعة من قوة العقيدة، وقوة الإيمان بها، وصدق الجهاد في سبيلها.



وقفة حساب مع النفس[1]

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

ما هي إلَّا أيام معدودة وينتهي شهر رمضان، وينبغي أن يقف كل منا مع نفسه ويحاسب نفسه ليرى هل استقبل هذا الشهر كما ينبغي أن يستقبل به؟ وهل صامه صياماً كاملاً كما ينبغي؟ أم اكتفى بالإمساك عن المفطرات من طعام وشراب فقط؟ وهل اهتمّ في هذا الشهر الكريم بغذاء نفسه وروحه أم اهتم بغذاء جسده فقط؟ وهل خرج من صيامه بفائدة تجعله ينتصر على نفسه وشهواته بعد رمضان أم أداه كعادة من العادات التي يمارسها كل عام؟

ينبغي أن نسأل انفسنا جميعاً هل قدمنا لأنفسنا في هذا الشهر الكريم ما ينفعنا يوم القيامة؟

(١) هي الخطبة الأخيرة في رمضان.

﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

تلك بعض أسئلة ينبغي أن يسألها كل منا لنفسه ليرى هل سيخرج من رمضان كما دخله؟ وليرى مدى ما خرج به من هذا الشهر الكريم، فإن وجدنا خيراً فلنحمد الله عز وجل على ما وفقنا إليه، ونكثر من الشكر له سبحانه وتعالى، وإن وجدنا تقصيراً فلنسرع بالندم والتوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى. تلك اللحظات الباقية عسى أن يغفر لنا في آخر ليلة منه: «**فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً**».

يا فوزَ من فيـــه أطاعَ إلهه   متقرباً متجنباً مـــا حرّما
والويل كلُّ الويل للعاصي الذي   في شهره أكل الحرام وأجرمـا

وتأمَّلْ قول القائل:

فيا من أسرف فيما مضى ثم اعترف   كن محسناً فيما بقي تلقى الشرف
واســـمع كلام الله في تنزيلـــه   (إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سـلف)

أيها الإخوة:

لو تأملنا أحوال الناس في هذا الشهر لوجدنا أن منهم الصائم الذي أدى رمضان إيماناً واحتساباً، صام نهاره، وقام ليله، وعف لسانه عن اللغو والرفث، والغيبة والنميمة، وغير ذلك مما حرمه الله عز وجل، ومثل هؤلاء بلا شك يشعرون في أعماق نفوسهم بالرضى عن أعمالهم، ويطمئن كل منهم إلى ما قدم في شهر رمضان، ويشعرون بالصلة الروحية التي تصل بينه وبين ربه.

ومن المسلمين من صام رمضان بحكم العادة، امتنع عن الطعام والشراب، ولم يكف لسانه وجوارحه عن المحارم، يسب الناس ويؤذيهم وإذا ما سألته عن ذلك أرجع السبب إلى الصيام. إنَّ هؤلاء لا خير في صيامهم، وليس الله في حاجة إلى عبادتهم، فالرسول ﷺ يقول: «**من لم يدع قول الزُّور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

وقال أيضاً: «**رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع، وربَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر**».

ومن الناس من مشى وراء نفسه وشهواته، وعصى الله عزَّ وجلَّ، وجَاهَرَ بالفطر في أيام رمضان وأعرضوا عن تلك الفريضة.

ومثل هؤلاء خابوا وخسروا، ويكفي أنه لا يكفيهم صوم الدهر لو أرادوا أن يعوضوا يوماً من رمضان.

روى البخاري أنه ﷺ قال: «**من أفطر يوماً من رمضان بغير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وإن صامه**».

وليعلم هؤلاء أن فطرهم في رمضان دليل على ضعف إيمانهم، هذا فضلاً عن أنه مخالفة لله رب العالمين، وخروج عن شرائعه، وزيادة على ذلك فهو حرمان للنفس من الخير الذي أعده الله عز وجل للصائمين، وحرمان للنفس من فوائد الصيام العملية.

أيها الإخـوة:

خاب وخسر من خرج من هذا الشهر الكريم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، خاب وخسر الشقي الذي حرم فيه من رحمة الله عز وجل.

خاب وخسر من بخل فيه على إخوانه الفقراء ولم يعطهم مما أعطاه الله تعالى.

خاب وخسر من لم يتعاهد القرآن الكريم في هذا الشهر الكريم، فحرم بذلك بركات المناجاة لله عز وجل بالذكر الحكيم والنور المبين.

أيها الإخـوة:

لا شك أننا مقصرون في هذا الشهر الكريم، وليس معنى ذلك أن نيأس من رحمة الله عز وجل، فهو القائل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣]. فتلك دعوة من الله عز وجل لجميع العصاة إلى التوبة والإنابة، وعدم اليأس من مغفرة الله ورحمته، فرحمته عز وجل واسعة، فكن راجياً رحمة الله، فهو صاحب الكرم والعطاء، وقد ورد في حديث قدسي: «**وأنا أرحمُ بعبادي من الوالدة على ولدها**».

وليس معنى ذلك أن نتَّكل على رحمة الله وكرمه دون عمل فقد ورد في حديث قدسي: «**ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي**».

فمَنْ قصَّر في هذا الشهر الكريم عليه أن لا ييأس من رحمة الله عزَّ وجَلَّ، ولكن عليه أن يتدارك أمره، وأن يجاهد نفسه حتى يقف على مواطن الضعف فيها، وعليه أن يدرب نفسه من الآن على الصيام الكامل، وعلى البذل والعطاء بدل البخل والشح، وأن يدرب نفسه أيضاً على تعاهد القرآن بدل هجره، وأن يدربها أيضاً على حبس جوارحه عما حرم الله تعالى، حتى إذا ما جاء رمضان آخر –إن شاء الله– كان مستعداً له كما ينبغي، ويمكنه أن يعوض ما فاته هذا العام.

أيها الإخوة: هنيئاً لكم يا من أدركتم شهر رمضان، فأحسنتم صيام نهاره، وقيام ليله، وأخرجتم من أموالكم للمساكين ولم تبخلوا، هنيئاً لكم صيامكم، وقيامكم، وما قمتم به من قربات لله رب العالمين، وأبشروا بقوله ﷺ: «**للصائم فرحتان يفرحهما: فرحةٌ عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**».

يا فوزكم بشفاعة الصيام والقرآن، يا فوزكم بباب الريان الذي لا يدخل منه إلَّا الصائمون. جاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**». هنيئاً لكم ما قدمتم لأنفسكم من صيام، وقيام، وتلاوة للقرآن، يكون لكم عند ربكم ذخراً وشفاعة.

روى أحمد أنه ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان**».

هنيئاً لنا كل ذلك، ولكن إيّانا أن نظنّ أننا بهذا قد بلغنا درجةً لا نُسأَلُ بعدها، بل والله لنُسألَنّ عن كل دقيقة من حياتنا، ولنقِفَنَّ أمام الله تعالى في يوم عصيب.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فلا يقي المرء من عذاب الله في ذلك اليوم العصيب مال ولا ولد، ولا ينفع

يومئذٍ إلا من جاء ربه في الآخرة بقلب سليم نقيٍّ طاهر، سليم من الشرك والنفاق والرياء، سليم من الحقد والحسد والبغضاء، بقلب يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

فإياكم أن يضحك عليكم الشيطان فتنسون أنفسكم، وتخوضون في الملذات والشهوات بعد رمضان، واعلموا جيداً أن رب رمضان هو رب شوال، هو رب المحرم، هو رب شعبان، هو رب الشهور كلها، من كان يعبد رمضان فرمضان سينتهي ويفوت، ومن كان يعبد رب رمضان فهو حي دائم لا يموت.

وينبغي أن نعلم أن حياة المسلم كلها عبادة وذكر لله عز وجل، سواء في رمضان أو في غير رمضان، فليست العبادة مقصورة على شهر معين أو أيام معينة، بل المسلم الحق من تكون حياته كلها رمضان، كما كانت حياة الرسول وأصحابه والسلف الصالح.

فاحرص أخي المسلم على الاتصال بالله عز وجل في غير رمضان كما كنت في رمضان، وتذكر دائماً ان حياة الإنسان على تلك الأرض حياة محدودة لأجل محدد، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال أيضاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، فالموت لا بد منه، ولا بد من الحساب على ما قدمنا من عمل صغيراً كان أو كبيراً، فكونوا دائماً وأبداً في طاعة الله عز وجل فهذا خير لكم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فالله عز وجل اقتضت حكمته أن تنتهي حياة الأمم والأفراد، ثم يبعثهم ليحاسبهم وليجزيهم على الخير خيراً، وعلى الشَّرِّ شراً، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، أي إنه عز وجل أوجد في الدنيا الحياة والموت ليمتحنَّا ويختبرنا ثمَّ يرى ويميِّز المحسن منّا من المسيء.

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ... ويذهب هذا كله ويزول

أيها الإخـوة:

أوشك أن يرحل عنا شهر رمضان حاملاً معه سجلاً لكل منا، وسيعرض هذا السجل على رب العالمين الذي لا تخفى عليه خافية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

ستُعرض عليه صلاة المصلين والناس نيام، وقيام القائمين والمستغفرين بالأسحار. كما سَتُعرض عليه مخالفة من ضيَّع على نفسه شهر الطاعة وموسم الحصاد.

فلنتوجه إلى الله عز وجل بقلوب خاشعة، ونفوس متألمة على ما فاتها من خير في هذا الشهر أن يشملنا الله عز وجل برحمته الواسعة، وأن يخرجنا من رمضان مغفوري الذنب مقبولي التوبة.

ولنستقبل عيد الفطر المبارك داعين الله عز وجل أن يجعله فاتحة خير لبني الإسلام، فيجمع على الخير شملهم، ويوحد كلمتهم، ويعودوا إلى ما كان عليه أسلافهم، وأن يطهر قلوبهم حتى يصبحوا جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

أيها الإخوة:

أود أن يثبت في أذهاننا جميعاً أن الصوم الظاهر ينتهي بانتهاء اليوم، أما صوم المخلصين المتقين فلا نهاية له، لا ينتهي بغروب الشمس، ولا ينتهي بانتهاء رمضان، فاجعلوا حياتكم كلها عبادة لله عزّ وجلّ.



الإخلاص لله عزّ وجلّ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

للمسلم صفات ينبغي أن يتحلى بها كل منا، من تلك الصفات: الإخلاص لله عز وجل، والصدق، والأمانة، والصبر، وتوجيه النصيحة، وحسن التوكل على الله تعالى، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي جاء بها الإسلام وأمرنا أن نتحلى ونتصف بها.

ولقاؤنا اليوم إن شاء الله تعالى حول صفة من تلك الصفات وهي صفة: الإخلاص لله عز وجل، ونسأله سبحانه وتعالى العون والتوفيق.

أيها الإخـوة:

وقد ورد في تحديد معنى الإخلاص أقوال كثيرة، منها ما قاله بعض الصالحين: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة.

وفي هذا المعنى قول إبراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع الله تعالى.

والبيان الشافي في معناه هو ما ورد عنه ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجه أنه ﷺ سئل عن الإخلاص فقال: «**أن تقول ربي الله ثم تستقم كما أُمرت**» أي: لا تعبد هواك ونفسك، بل تعبد الله عز وجل وحده، وتستقيم في عبادته كما أمرت.

والإخلاص أيها الإخوة خُلق إسلامي كريم، هو أساس النجاح والقبول في جميع الأعمال، فإذا صدقت النية في أي عمل من الأعمال صلح هذا العمل، ونال صاحبه عليه الثواب والأجر، وإذا فسدت النية فسد العمل وحبط ثوابه وأجره، فالعمل بغير إخلاص كالجسم بلا روح، وكالشجر بلا ثمر.

فالصلاة مثلاً إذا فَقَدَتْ الإخلاص صارت صورة ميتة لا خير فيها ولا ثواب لها، فليست العبرة بعدد ما يصليه المسلم من ركعات، ولا بعدد التسبيحات، ولا بالقيام والركوع والسجود فقط، وإنما العبرة بإخلاصها لله عز وجل، وأن تؤدَّى كما ينبغي، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧]. ففي تلك الآيات وعيد بالهلاك للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، وهم كما أوضحتهم الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ أي إنهم أولئك الذين يؤدون حركاتها، وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها.

أولئك الذين يصلون أمام الناس رياءً لا إخلاصاً لله تعالى، وقيل: إنهم أولئك الذين يؤخرونها من أوقاتها تهاوناً بها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك: أنه هو المصلي الذي إن صلى لم يرج لها ثواباً، وإن تركها لم يخش عليها عقاباً، فبفقدانها الإخلاص فقد صاحبها الأجر والثواب.

وكذلك الزكاة إن لم تصدر عن قلب يعطي لله تعالى، فهي عمل باطل، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ﭐلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي لا تحبطوا أجر ما تنفقون بالمن والأذى كالمرائي الذي يبطل إنفاقه بالرياء، فمثل ذلك المرائي بإنفاقه كمثل الحجر الأملس الذي لا خصب فيه ولا ليونة، عليه شيء من تراب، يظنه الظان أنه أرض طيبة منبتة، فإذا أصابه مطر شديد أذهب عنه التراب فيبقى صلداً أملساً لا نبت فيه ولا ثمر. فكذلك المنافق والمرائي يظن أن له أعمالاً صالحة، فإذا كان يوم القيامة لا يجد لنفسه ثواباً ولا أجراً في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ فالقلب الخالي من الإخلاص لا ينبت ولا يثمر، كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعاً ولا ثمراً.

وكذلك الصَّدَقة لا يعتد بها الإسلام إلا إذا خلصت لله وحده على نحو ما وصف القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩].

ومن ينفق ابتغاء مرضاة الله ويصرف ماله في طاعة الله عز وجل ليزكي نفسه وماله، فهو الأتقى الذي يصون نفسه من عذاب الله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾ [الليل: ١٧-٢١]. أي سيُبعد عن النار التقي النقي الأتقى الذي ينفق ماله ليتطهر بإنفاقه، لا ليرائي به، بل ينفقه تطوعاً لا طلباً لشكران أحد، وليس له غاية إلا ابتغاء وجه الله تعالى، ومثل هؤلاء جزاؤهم يوم القيامة أن الله تعالى سيعطيهم في الآخرة ما يرضيهم.. وهذا وعد من الله عز وجل لهؤلاء.

أيها الإخــوة:

ينبغي أن نعلم أن التظاهر بالعمل، لا قيمة له ولا وزن له ولا خير فيه، فيه قشور خارجية خادعة لا ينظر إليها الإسلام، بل ينظر إلى ما كان خالصاً لله.

روى مسلم أنه ﷺ قال: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

وروى البيهقي أنه ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا، فيميز منها ما**

كان لله، وما كان لغير لله رمي به في نار جهنم».

فعلى قَـدْر نقـاء الضَّمير والإخلاص في العمـل، يكون القبـول والثواب والأجر، فطهِّر قلبك أخي المسلم من شوائب النفاق والرياء ومن المظاهر الخداعة، واختبر نفسك دائماً في جميع أعمالك، فإن تبين لك أن الباعث على هذا العمل هو مرضاة الله عز وجل فامضي فيما عزمت عليه من عمل، وستثاب عليه إن شاء الله، وإن تبين لك غير ذلك، فراجع نفسك فيه، واعلم أنه لا خير فيه ولا ثواب عليه مهما عظم هذا العمل وكبر في نظرك ونظر الآخرين، فالله عز وجل لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، مهما قل هذا العمل، فليست العبرة بكثرة العمل وإنما العبرة بإخلاصه. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] ولم يقل أكثر عملاً، فقد يكون العمل كثيراً ولا ثواب له، وقد يكون قليلاً ويقبله الله عز وجل، ولذلك قال ﷺ لمعاذ بن جبل فيما رواه الحاكم: «**أخلِص دينك يكفيك القليل من العمل القليل**».

وقال علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: لا تهتموا لكثرة العمل واهتموا للقبول.

وكتب بعض الأولياء إلى أخ له: أخلص النية في أعمالك يكفيك القليل من العمل.

وقال بعض الصالحين: إذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثلاثاً: أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها.

فالإسلام أيها الإخوة قد أعلن بصراحة ووضوح وبراءته وكراهيته العنيفة للرياء في الأعمال، واعتبره شركاً بالله رب العالمين.

روى ابن ماجه والبيهقي أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج يوماً إلى مسجد رسول الله ﷺ فوجد معاذ بن جبل ﷺ قاعداً عند قبر الرسول ﷺ يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فقال معاذ: يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: إن يسير الرياء شركٌ، ومن عادى لله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم

مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة.

وروى الإمام أحمد والبيهقي أن شداد بن أوس كان يبكي ذات يوم فسئل عن ذلك فقال: ذكرت شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعته يقول: أتخوّف على أمتي الشِّرك والشهوة الخفية، قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك بعدك؟ قال: نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكنهم يراؤون بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه.

فكن أخي المسلم مخلصاً في كل أمورك حتى تكون في زمرة المؤمنين يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦] وضع في حسبانك دائماً أنه كلما كان العمل بعيداً عن الرياء والسمعة كان مقبولاً عند الله تعالى.

روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشِّرْك**».

أيها الإخـوة:

يستطيع المؤمن بنيته وإخلاصه أن يأخذ الأجر والثواب على أعماله الدنيوية البحتة، حتى إنفاقه على زوجته وأولاده، ويمكنه أيضاً أن يأخذ الأجر والثواب على جميع حركاته وسكناته. روى البخاري أنه ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص: «**إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعله في فم امرأتك**».

وروى الإمام أحمد أنه ﷺ قال: «**ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة**».

فالإنسان ما دام قد أسلم وجهه له تعالى، وأخلص نيَّتـه له عزَّ وجل فإن

حركاته وسكناته تحتسب خطوات إلى مرضاة الله تعالى.

فاحرص أخي المسلم دائماً وأبداً على الإخلاص لله عز وجل في جميع أمورك، وتذكر دائماً قوله ﷺ فيما رواه الحاكم والبيهقي أنه ﷺ قال: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها والله عنه راضٍ**».

* * *

الصِّـــدق

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

نلتقي اليوم إن شاء الله تعالى حول صفة جديدة من الصفات التي جاء بها الإسلام، وأمر كل مسلم أن يتصف بها، تلك هي صفة الصدق.

ويمكن تحديد معناه في عبارة موجزة بأنه: الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

والصدق من أعظم الفضائل الأخلاقية التي اهتم بها الإسلام، وحث على التخلق بها في كل شؤون الحياة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. ففي هذه الآية الكريمة أمر من الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين بتقواه ومراقبته دائماً في أقوالهم، وأفعالهم، وشؤون حياتهم،

وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا قولاً سديداً، قولاً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، قولاً صادقاً مرضياً لله رب العالمين. ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم الله عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، بأن يوفقهم إلى صالح الأعمال، ويتقبلها منهم، ويمحو عنهم الذنوب والأوزار والآثام الماضية.

وجاء في حديث متفق عليه عن ابن مسعود ﷺ أنه ﷺ قال: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**».

فالصدق أيها الأخوة كما يبين لنا رسول الله ﷺ يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والجنة أسمى غايات المسلم وأقصى أمانيه، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، والنار شَرُّ ما يخافه المسلم ويتقيه، ويبذل أقصى ما في جهده للبعد عنه.

أيها الإخـوة:

إن المسلم الحق لا ينظر إلى الصدق على أنه من متممات إيمانه، ومكملات إسلامه، إذ أمر الله تعالى به وأثنى على المتصفين به، كما أمر به رسول الله ﷺ، وحثَّ عليه، ودعا إليه. قال تعالى آمراً به: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] أي راقبوا الله عزَّ وجل في جميع أقوالكم وأفعالكم، وكونوا مع أهل الصدق واليقين، الذين صدقوا في الدين نيةً وقولاً وعملاً.

فالله عزَّ وجل خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلَّا حقاً، ولا يعملوا إلَّا حقاً.

وفي الحقيقة لو تأملنا الحياة لتبيَّن لنا أن شقاء البشر وحيرتهم ترجع إلى بعدهم عن هذا الأصل العظيم، وتركهم له، وميلهم إلى الكذب والأوهام، مما أبعدهم عن الصراط المستقيم، فما من عمل يتم الآن داخل المكاتب والمصالح إلَّا والصدق لا يمثَّل فيه إلّا قليلاً، مما ترتب عليه فقد الثقة بين الجميع، وأصبح

أحدنا لا يطمئن لانتهاء عمله بسهولة، إلَّا إذا لعبت الرشوة دورها، ففي تلك الحالة يمكن أن يكون لديه الأمل في أن عمله سينتهي، وهذا شيء لا يقال مجرد كلام بل هو واقع ملموس.

قلما تجد من ينهي عمله بعيداً عن الكذب والغش والخداع والرشوة.

أيها الإخـوة:

إن المجتمع الإســلامي الأول عاش في ظل الأمن والأمــان، والهدوء والاستقرار والسعادة، لأن أفراده كانوا يتحرون الحق والصدق في جميع شؤونهم، ويتصفون بالصدق في علاقاتهم ومعاملاتهم وكل حياتهم العامة والخاصة، حتى داخل بيوتهم، ومعاملة أطفالهم على نحو ما علمهم الرسول ﷺ. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**من قال لصبي: تعال هاك تمراً، ثم لم يعطه شيئاً فقد كذبه**». وروى أبو داود عن عبد الله بن عامر أنه قال: «دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها الرسول ﷺ: **ما أردتِ أن تعطيه؟** قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها الرسول ﷺ: **أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتبت عليك كذبة**».

ونحن كثيراً ما نغفل عن ذلك، ونعدها من التوافه الهينة البسيطة، ولا نضع في أذهاننا أن ذلك من الأشياء الخطيرة التي قد تضر الأطفال، فمن الممكن جداً أن ينطبع في ذهن الطفل مع تكرار الكذب عليه بتلك الصورة، من الممكن أن ينطبع في ذهنه أن الكذب أمر هين لا شيء فيه، ومن ثَمَّ فقد يتعود عليه لما رآه من أقرب الناس له.

أيها الإخوة:

إن سيدنا الرسول ﷺ يريد بهذا التوجيه تعليم الأمهات والآباء والمربين إلى تنشئة الأطفال، وتعويدهم منذ الصغر على فضيلة الصدق، وأن نغرس في نفوسهم تلك الفضيلة حتى يشبوا عليها، فكما نعلم أنه من شبَّ على شيء شاب عليه، فإذا رأى الطفل من صغره أقرب الناس له لا يحدثونه إلا صدقاً، ولا يتعاملون معه إلَّا بكل صدق، انغرست تلك الصفة فيه طالما تعود عليها منهم،

فيتكوَّن بذلك جيل مسلم، تسعد به الحياة، وتنهض به الأمة الإسلامية.

وما أحوجنا إلى جيل بتلك الصفة.. ما أحوجنا إلى جيل يتخلق بأخلاق الإسلام، لا بأخلاق الغرب أو الشرق، ما أحوجنا إلى جيل قوي في صدقه، قوي في أخلاقه، قوي في إيمانه.

ما أحوجنا إلى جيل يفهم إسلامه كما كان يفهمه السلف الصالح، حتى تعود للأمة الإسلامية هيبتها ومكانتها التي كانت عليها من قبل، وحتى يمكن للإسلام أن يعود إلى مكانه الطبيعي في قيادة مسيرة الحياة وإدارة شؤونها.

أيها الإخوة:

ولا يقف الأمر في تحري الصدق عند هذا الحد فقط، بل نجده في أبعد من ذلك، نجد أن الإسلام طلب الصدق وحث عليه حتى في أبسط الأمور. روى مسلم عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: «يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذباً؟ فقال ﷺ: **إن الكذب يكتب كذباً حتى تُكتب الكُذَيْبة كُذَيبة**». وكذلك نجد أيضاً أن الإسلام طلب الصدق أثناء المزاح والمرح.

قال ﷺ فيما رواه البيهقي: «**أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً**».

ونحن كثيراً ما نتجاوز عن تلك الأمور، ونعدها من التوافه الهينة البسيطة، وكثيراً ما يتهاون الواحد منا في الكذب عند المزاح، ظناً منه أنه مجال لهو ولعب ومرح، لا خطر فيه على الصدق أو الكذب.، وهذا من الأخطاء الشائعة التي كثيراً ما نقع فيها عن قصد وعن غير قصد، ويجب أن نعلم أن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب أباح ذلك في حدود الصدق المحض.

روى الترمذي أنه ﷺ قال: «**ويلٌ للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم، ويلٌ له، ويلٌ له، ويلٌ له**». وروى أحمد أنه ﷺ قال: «**لا يؤمن العبد الإيمان كله، حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً**».

فكن أخي المسلم صادقاً في أقوالك وأفعالك، صادقاً مع أطفالك، صادقاً في مزاحك، حتى تكون من أهل البر الذي هو أهم نتائج الصدق.

وضع في حسابك دائماً أن الكذب جريمة فاحشة، لا يقدم عليها مؤمن، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقد نفى النبي ﷺ صدور تلك الجريمة من مؤمن وإن كان يصدر منه غيرها من الذنوب، فقد يكون جباناً، وقد يكون بخيلاً، إلا أنه لا يكون كذاباً.

روى الإمام مالك أنه ﷺ سئل: «أيكون المؤمن جباناً؟ قال: **نَعَم**، قيل: أفيكون بخيلاً؟ قال: **نَعَم**، قيل: أفيكون كذاباً؟ قال: **لا**».

هذا وقد جعل الله عز وجل صفة الصدق خلقاً لحمَلَةِ وحيه، ومبلّغي رسالته، فقال عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١]. وقال عن أبي العرب إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤] وقال عن أوَّل مرسل بعد آدم عليه السلام، وأول من خط بالقلم، وأوّل من لبس المخيط وهو إدريس عليه السلام، قال عنه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦]. وكان ﷺ مثلاً أعلى للصدق في القول والعمل منذ نشأته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، حتى لقب قبل بعثته ﷺ بالصادق الأمين.

فاحرص أخي المسلم على التحلي والتخلق والاتصاف بالصدق في جميع شؤونك، وعوّد نفسك وأطفالك عليه. قال الشاعر:

عوّد لسانك قولَ الصِّدق تَحْظَ به   إنَّ اللِّســان لما عوَّدتَ مُعْتــاد

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا من الصادقين، وأن يحشرنا معهم يوم القيامة، اللَّهمَّ ارزقنا الصدق في القول والعمل.

* * *

خطورة الكذب على الفرد والمجتمع

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**».

أيها الإخـوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن الصدق، وأشرنا إلى أن الله عز وجل قد أمر به، وأثنى على المتصفين به، وجعله خُلقاً لحملة وحيه ومبلغي رسالته، وأشرنا أيضاً إلى أن الإسلام قد طلب الصدق وحث عليه في جميع شؤون الحياة، حتى في الأمور التي تعد في نظرنا هينة بسيطة كمعاملة الأطفال، وأثناء المرح والمزاح.

واليوم نقف وقفة مع نهيه ﷺ عن الكذب لنرى موقف الإسلام من تلك الصفة الذميمة، والمتصفين بها، ولنرى أيضاً مدى خطورته على الفرد والمجتمع المسلم.

والكذب أيها الإخوة هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وهو من الكبائر التي نهى عنها الإسلام وحذر منها، وهو من أبرز صفات إبليس -عليه لعنة الله- وكان أول وسيلة استخدمها مع آدم عليه السلام، ويستخدمها أيضاً مع بني آدم في كل زمان ومكان ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١٢٠]، وحتى أتباعه لا ينجحون إلا ذلك، ولو أنهم كشفوا للناس عن حقيقة نواياهم الخبيثة لولّى الناس عنهم.

أيها الإخــوة:

وإذا ما نظرنا إلى موقف الإسلام من تلك الصفة الذميمة لوجدنا أنه قد عدها خيانة، فكما تكون الخيانة في سرقة الأموال، تكون في سرقة العقول بالأخبار الكاذبة، والتهم الباطلة.

وفي ذلك يقول ﷺ فيما رواه البخاري: «**وكبرت خيانة أن تحدث أخاك بحديث هو لك مصدق، وأنت له به كاذب**».

وقال بعض الحكماء: الكذاب لص لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك.

وقد عده الإسلام أيضاً من أمارات وعلامات النفاق، لأنه خلاف ما يبطن الإنسان، فالمستمع يظنه صادقاً، وهو يتكلم بغير ما هو الواقع.

جاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»، وفي رواية «**وإن صام وزعم أنه مسلم**».

وإذا ما نظرنا إلى مدى خطورته على الفرد وعلى المجتمع نجد أنه أساس الرذائل وأصل الشرور، لسوء عواقبه ونتائجه، فالكذب ينتج عنه النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤدي إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: «**من قل صدقه قلّ صديقه**».

وكثيراً ما ضاعت به حقوق، وانتهكت به حرمات، وارتكبت جرائم، وجرحت به كرامات، فكم من خبر كاذب كان سبباً في قطع الصلات وإثارة العداوة والبغضاء والحقد بين الناس.

وكم من شائعة كاذبة اختلقها شخص كان لها أثرها السيئ على الأفراد والجماعات، ولذلك سماه الله عز وجل فاسقاً، وأمر بالحذر والتحفظ عند سماع أخباره، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

ففي تلك الآية نداء من الله عز وجل وتعليم منه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين كيف يتلقون الأنباء، ويقرر في تلك الآية ضرورة التثبت والتأكد من مصدر تلك الأنباء.

والآية وإن كان لها سبب نزول، إلا أن مضمونها أو مدلولها عام، ولذا جاء الله عز وجل بلفظ ﴿فَاسِقُۢ﴾ و: ﴿بِنَبَإٖ﴾ نكرة ولم يأت بها معرفة، لتكون شاملة لجميع الفساق وجميع الأنباء، فكأنه قال: أيّ فاسق جاءكم بنبأ. فالكذّابون في الحقيقة يعدون معاول هدم تقضي على بناء الأمة، فالصانع الكاذب، والتاجر الكاذب، والمربي الكاذب، والموظف الكاذب، كل أولئك وبال على المجتمع الذي يعيشون فيه.

والكذاب بمثابة جرثومة تفتك بالمجتمع، ولذا ذم الله عز وجل المتصفين بالكذب، وصب عليهم اللعنة فقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

أيها الإخـــوة:

قد يدفع الإنسان إلى الكذب اعتقاده أن الكذب يجر إليه نفعاً، أو يدفع عنه ضراً، فكثيراً ما يحدث أن يندفع الإنسان إلى الكذب حين يعتذر عن خطأ وقع منه، ويحاول التملص من عواقبه، وهذا للأسف غباء وقلة فهم من مثل هذا الشخص، لأنه لا يدري أنه فرار من الشر إلى مثله أو أشر، والواجب أن يعترف الإنسان بخطئه، فلعل صدقه يمسح هفوته، ويكون سبباً في العفو عن زلته،

وينبغي أن يضع المسلم في حسابه أن يقول الحق مهما كانت عواقبه، فالشر لا يكون خيراً، والقبيح لا يكون حسناً، وكما نعلم أنه لا يجنى من الشوك العنب.

ولذلك قال ﷺ فيما رواه ابن أبي الدنيا: «**تحرّوا الصدق وإن رأيتم الهلكة فيه، فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم أن النجاة فيه، فإن الهلكة فيه**».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق -وقلما يضع- أحبّ إليّ من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل.

وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأمان، فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهما سبب كل فرقة وأصل كل فساد.

وينبغي أن نعلم أن الصدق في الأقوال يؤدي إلى الصدق في الأعمال، والصلاح في الأحوال، فإن حرص الإنسان على التزام الحق والصدق مما يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره، وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

هذا وقد يدفع الإنسان إلى الكذب:

الطمع في الربح الكثير، كما يفعل بعض التجار الذي يعرضون سلعتهم بأوصاف ليست فيها، أو يطلبون ثمناً فيه استغلال وجشع مدعياً أن ربحه فيها قليل، أو أنه لم يربح فيها شيئاً، وربما يحلف بالله كذباً على أن ما يقول حق وصدق، ولا يدري أن الإسلام قد بين أن الكذب لا يزيد في الرزق، وأن الصدق لا ينقصه، فالرزق كالأجل محدد ومقدر، وينبغي طلبه عن طريق مشروع لا من طريق حرام. وينسى مثل هذا الرجل أن الكسب الناتج عن طريق الكذب والتضليل كسبٌ لا خير فيه ولا بركة.

جاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**البيّعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما، وإذا كتما وكذبا نُزعت بركة بيعهما**».

هذا وقد بين الرسول ﷺ جزاء التجار الصادقين في بيعهم وتعاملهم فقال فيما رواه الترمذي: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصدّيقين والشهداء**».

أيها الإخــوة:

وقد يحمل المرء على الكذب حقد دفين متغلغل في نفسه، أو عداء بينه وبين غيره يجعله يخترع الأكاذيب والتهم ويصف بها الأبرياء الشرفاء لا لشيء إلا للحقد الذي في قلبه له.

ويرى من تفكيره الضيق أنه باستخدامه تلك الصفة الذميمة قد شفى غليله، ولا يدري أن هذا أشد أنواع الكذب قبحاً وأعظمها إثماً، وأسوأها حالاً، لأنه جمع بين الكذب المُعِر والشر المُضر.

ومثل هؤلاء نذكرهم بقوله ﷺ فيما رواه الطبراني وابن أبي الدنيا: «**أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار**».

والله تعالى يقول مسجلاً عليهم وصفه بعدم الإيمان فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥]. ولو وقفنا مع مثل هؤلاء وسألناهم ما الذي يعود عليكم من وراء افترائكم الكذب على غيركم؟ وما هي الفائدة التي ستعود عليكم؟ لا تجد لديه جواباً إلا الحقد الدفين الذي في قلبه لمن يختلق عليه الأكاذيب، ولماذا هذا الحقد أيضاً؟ الله أعلم به.

نسأل الله عز وجل أن ينجينا من كيد هؤلاء، اللهم نجنا من كيدهم وافترائهم الكذب علينا، اللهم نجنا وسلّمنا منهم، واجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم.

أيها الإخــوة:

روى الإمام مالك عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يقول: لا يزال العبد يكذب فينكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسودّ قلبه كله، فيكتب عند الله من الكاذبين

وروي أيضاً أنه قيل للقمان عليه السلام: ما بلغ بك ما ترى؟ فقال لقمان: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني.

نسأل الله عز وجل أن يجنبنا الخطأ والمعاصي، وأن يهدينا إلى الصواب والخير، ونسأله عز وجل أن يطهر قلوبنا من كل غل وحقد وحسد.

سلامة الصدر من الأحقاد

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

إن الله تبارك وتعالى ينظر إلى العباد من خلال قلوبهم، فإذا كان المرء نقياً من الغشِّ والخداع والكذب، والغل والحقد والضغينة والكراهية، بريئاً من ذلك كله صح عمله ونال رحمة الله عز وجل، أما إذا كان على العكس من ذلك، فهيهات أن يصح له عمل، إذ القلب الأسود يبطل الأعمال الصالحة ويفسدها، والقلب الأبيض العامر بالإيمان بالله تعالى، ويحب الخير لغيره من الناس فإن الله تعالى يقبل عمله ويبارك في قليله.

روى ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: **هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي**

ولا غِلَّ ولا حسد»، ولنتدبر معاً ما قاله ﷺ عن القلب لنعلم مبلغ وجوب العناية به، والحرص على صلاحه وإصلاحه، قال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «.. **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

إذا كان الأمر كذلك فلا بد من سلامة هذا القلب من الغِلّ والحقد والحسد والكراهية، وأن يكون مكان ذلك كله حب الخير لجميع الناس.

فليس هناك أروح للنفس، ولا أطرد لهمومها، ولا أقر للعينين من أن يعيش المرء في دنياه سليم الصدر من الأحقاد، طاهر القلب بعيداً عن وساوس الضغينة والكراهية، وبعيداً أيضاً عن ثوران الحقد والحسد. والمسلم الحق هو من إذا رأى نعمةً تنساق لغيره من الناس رضي بها وأحس بفضل الله فيها، وذكر قول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود: «**اللَّهمَّ ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك فلك الحمد ولك الشكر**».

وإذا رأى أحداً يلحقه أذى أو ضرر دعا الله عز وجل أن يفرج عنه ما فيه، وذلك لسلامة صدره من الحقد الأعمى، وهذا هو شأن المسلم الحق، تمتد مشاعر حبه فتغمر ما حوله، وتفيض على الآخرين سلاماً وأمناً.

والجماعة المسلمة حقاً هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك، والتعاون المتبادل، لا مكان فيها للحقد والحسد والغل والضغينة، بل هي كما وصف القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فتلك الآية تبرز أهم ملامح التابعين، كما تبرز أيضاً أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان، تبين تلك الآية أن سمة الأمة المسلمة أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة لا لذاتها فحسب، بل تطلبها أيضاً لمن سبقها بالإيمان، كما تطلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق، فهذه الأمة في تضامن وتكافل، وتواد وتعاطف، صدورهم بريئة من الغل، وقلوبهم طاهرة من الحقد والحسد والكراهية.

أيها الإخـوة:

إن سلامة الصدر من الأحقاد خلق كريم، دعا إليه الإسلام ورغب فيه، وحذر من الحقد أو الحسد لغيرك من المسلمين، وحذّر من رذائل عديدة، وهي رغم اختلاف مظاهرها إلا أنها تعود إلى علة واحدة هي الحقد، كالافتراء على الأبرياء مثلاً، فهو جريمة يدفع إليها الكره الشديد، والحقد، ولما كان أثرها شديداً في تشويه الحقائق، وجرح الأبرياء والشرفاء عدها الإسلام من أقبح الزور.

روى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أتدرون أربى الربا عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم، ثم قرأ ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] إن الذين يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه، وينسبون إليهم ما هم برآء منه، فقد حملوا أنفسهم البهتان والكذب والزور والذنب الواضح البين. فالمسلم الحق لا يسعى لشر، ولا يفتري على غيره الأكاذيب والتهم الباطلة، لأن قلبه سليم من الحقد الذي يدفعه إلى ذلك، أما الذي لا يجد بالناس شراً، ويلصق بهم ما ليس فيهم فهو أفاك أثيم، وعليه أن يتذكر قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]».

هذا وقد عده الإسلام من شر الناس منزلة يوم القيامة. جاء في حديث متفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ شر الناس منزلةً عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه**». ومن فضل الله عز وجل على عباده أنه استحب ستر عيوب الخلق، ولو كانوا متصفين بها فعلاً، ومن ثَمَّ حرم الإسلام الغيبة.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذِكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**».

وحرم أيضاً النميمة وهي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم.

قال ﷺ في حديث متفق عليه: «**لا يدخل الجنة نمّام**»، وقال أيضاً فيما رواه البخاري ومسلم: «**تجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة**». وروى الطبراني أنه ﷺ قال: «**إنَّ النميمة والحقد في النار، لا يجتمعان في قلب مسلم**».

وكذلك حرم الإسلام سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وما شابه ذلك من لوازم الحقد والكراهية، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ** ﴾ [الحجرات: ١١-١٢] أي يا من اتّصفتم بصفة الإيمان لا يهزأ ولا يسخر ولا يحتقر قوم من قوم، ولا يسخر أحد من أحد فقد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر، وابتعدوا عن التهمة والتخون وإساءة الظن بالناس، ولا تتركوا نفوسكم تبعاً لما يدور فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك.

فكن أخي المسلم متخلقاً بهذا الخلق الكريم، وتلك الصفة الحميدة، وكن دائماً وأبداً سليم الصدر من الحقد والحسد والكراهية، وكن محباً للخير لغيرك من المسلمين، ولا تكن كهؤلاء الذين يرسب الحقد والغل في أعماق نفوسهم، أولئك الذين لا يستريحون إلا إذا أفسدوا وآذوا من يحقدون عليه.

* * *

الأمانة وأنواعها

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

أيها الإخـوة:

تشير تلك الآية إلى أن وظيفة المسلم في الأرض هي إقرار مبادئ العدل على أساس منهج الله القويم، والخطاب في تلك الآية عام لجميع المكلفين، يأمرهم الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، وهو أمر يعمُّ جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده، ومن حقوق الناس بعضهم على بعض.

أيها الإخـوة:

لقد جاء الإسلام بشريعة سمحة بينت الحسن والقبيح، وقررت مبادئ سامية تنشر بين الناس المودة، وتبث فيهم روح المحبة، وحرصت كل الحرص

على أن تكون العلاقة الاجتماعية بين أفرادها قائمة على الثقة المتبادلة والأخوة الخالصة، يحافظ كل منهم على حقوق غيره من المسلمين.

جاء الإسلام أيها الإخوة وعلَّم معتنقيه أن يكونوا ذوي ضمائر يقظة، ضمائر حيَّة، تصان به حقوق الله عزَّ وجَلَّ، وحقوق الناس، ومن ثَمَّ أوجب على المسلم أن يكون أميناً. وهناك صلة وثيقة بين الإيمان والأمانة، فالمؤمن لا يصدق إيمانه حتى يكون أميناً على عقيدته، وعلى تعاليم شريعته، أميناً على كل عمل يوكل إليه، وعلى كل شيء يؤتمن عليه.

روى أحمد عن أنس ﷺ أنه قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلَّا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**».

ولذا حثَّ الإسلام جميع المسلمين على التخلق والاتصاف بصفة الأمانة، ولا فرق في ذلك بين كبير وصغير، غني أو فقير، رئيس أو مرؤوس، حاكم أو محكوم، رجل أو امرأة.

أيها الإخـوة:

ينبغي أن يعلم كل منا أن الأمانة ليست مقصورة على حفظ الودائع من أموال ونحوها فحسب، بل حقيقتها أوسع وأشمل من ذلك بكثير، وحفظ الودائع من أموال وغيرها أحد مظاهر الأمانة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النِّساء: ٥٨].

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**».

والتكاليف الشرعية أمانة: وهي أمانة ضخمة أشفقت المخلوقات كلها من حملها، وحملها الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾[الأحزاب : ٧٢].

كما أن حرص الإنسان على أداء واجبه كاملاً، وإخلاصه في العمل الذي يوكل إليه، وحرصه على إجادته وإتقانه مظهر من مظاهر الأمانة.

وقد مدح الله عز وجل الذين يراعون الأمانة في أعمالهم، وجعل مصيرهم ومآلهم الجنة، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٢-٣٥] ويجب أن يضع كل منا في ذهنه أن استهانته بما يكلف به من أعمال شيء لا يرضاه الإسلام، وعده غدر وخيانة، روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة** -أي دبره- **يُرفع له لقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة**»، وفي رواية: «**لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة**».

ومن الأمانة أيضاً ألَّا يستغل الرجل منصبه الذي عُين فيه لجر منفعة شخصية له أو لمحبيه، وألا يستخدم نفوذه لنفع أقاربه وأصدقائه، وألا يستغل منصبه للكسب غير المشروع عن طريق الرشوة وغيرها من الطرق الملتوية، فإن ذلك يعد خيانةً واكتساباً للسُّحت، ومثل هؤلاء يستحقون الأخذ على أيديهم بشدة، ولهم الوعيد الشديد من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١]. وروى أبو داود أنه ﷺ قال: «**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**».

أمَّا الذي يلتزم حدود الله في وظيفته، ويعف عن الرشوة وما شابهها، ولا يخون الواجب الذي في عنقه، فهو عند الله من المجاهدين.

روى الطبراني أنه ﷺ قال: «**العامل إذا استعمل فأخذ الحق، وأعطى الحق، لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته**».

هذا ويجب أن نعلم جيداً أن الإسلام قد شدد في ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ، كما شدد في رفض المكاسب المشبوهة، ورفض الهدايا التي تعطى رشوة في سبيل قضاء مصلحة.

جاء في حديث متفق عليه أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على الصدقة يقال له: ابن اللتبية، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدي إليّ، فقام رسول الله ﷺ على

المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد: ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول: هذا لكم وهذا أُهدي إلي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال: اللهم هل بلغت**».

أيها الإخوة:

ومن معاني الأمانة أيضاً: وضع كل شيء في المكان اللائق به، فلا يُسند منصب إلَّا لصاحبه الجدير به، ولا تُملأ وظيفةٌ إلَّا بالرجل المناسب لها، وذلك لأن الإسلام يرى أن تولي أمور الناس من أكبر الأمانات، لأن بها صلاح الأفراد والجماعات.

وقد كان ﷺ لا يولي على المسلمين إلَّا من يراه كُفْئاً وأهلاً لحمل هذه الأمانة.

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلَّا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه منها**». فمن الأمانة أن نتخير للأعمال أحسن الناس قياماً بها، بأن نتخير من كانت صلته بالله عز وجل، وصلته بتعاليم الإسلام قوية ومتصلة، فإذا عدلنا عنه إلى غيره لهوىً أو غرض أو قرابة أو نحو ذلك فقد وقعنا بذلك في الخيانة.

روى البخاري أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى تقوم الساعة؟ فقال له: «**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة**».

فاحرص أخي المسلم دائماً وأبداً على أن تتخلق بصفة الأمانة، وعوّد نفسك وأطفالك على تلك الفضيلة، حتى يشبوا عليها وهم رجال.

فما أحوجنا إلى جيل يكون أميناً في أقواله وأعماله وكل تصرفاته، ما أحوجنا إلى تلك الصفة الطيبة لتحيي الضمائر الميتة، ما أحوجنا إلى الأمانة حتى يؤدي كل منا ما عليه من واجبات بعزيمة صادقة وهمة عالية.

ما أحوجنا إلى الأمانة في جميع أمورنا حتى تمتنع الرشوة التي أصبحت الآن هي الأساس في جميع أعمالنا.

ما أحوجنا إلى الأمانة حتى نعود بالأمة الإسلامية إلى ما كانت عليه في سلفنا الصالح.

ما أحوجنا إلى القلب اليقظ، والضمير الحي، الذي يراقب الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة، ما أحوجنا إلى الضمير الذي يدرك قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

أيها الإخوة:

ونختم لقاءنا اليوم مع تلك الصفة الحميدة بما رواه أحمد والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها، فيقال له: أدِّ أمانتك، فيقول: أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم، ثم يقال لها: انزل إليها فأخرجها، قال: فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا، حتى إذا ظن أنه ناجٍ هوَتْ وهوى في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأعظم من ذلك الودائع.

* * *

الحجّ وفضـــله

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة: منذ أيام قليلة توجه المسلمون المستطيعون من مشارق الأرض ومغاربها إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج تلبيةً لقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

هذا البيت الذي شيده خليل الله إبراهيم عليه السلام، وعلى مقربة منه ولد حبيب الله وخاتم رسله سيدنا محمد ﷺ، هذا البيت الذي كرمه الله تعالى، واختاره للمسلمين قبلةً لهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠].

هذا البيت الذي ضاعف الله عز وجل أجر الطائعين فيه أضعافاً كثيرة، روي أنه ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد**

الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي بمئة صلاة».

والحج أيها الإخوة ركن عظيم من أركان الإسلام، وفريضة من أعظم فرائضه، ودعامة قوية من دعائم الإسلام، روى الطبراني أنه ﷺ قال: «**إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام، فمن حجَّ البيت أو اعتمر، فهو ضامن على الله، فإن مات أدخله الجنة، وإن ردّه إلى أهله ردّه بأجر وغنيمة**».

وقد فرضه الله عَزَّ وجَلّ على كل مسلم، بالغ، عاقل، حر، مستطيع، وهو فرض على المسلم والمسلمة مرة واحدة في العمر، وما زاد على ذلك فهو تطوع.

جاء في حديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس: إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: لو قلت نعم لَوَجَبَتْ ولما استطعتم**».

وروى الإمام أحمد أنّ الأقرع بن حابس رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: أفي كُلِّ عام يا رسول الله؟ فقال: «**لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا، الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع**».

وهو آخر ما افترض الله على المسلمين من فرائض، وبه اكتمل الدين، وتمت من الله النعمة على المؤمنين. ففي يوم عرفة من حجة الوداع، أنزل الله على رسوله ﷺ تلك الآية العظيمة التي أعلنت كمال الرسالة، وتمام النعمة، تلك الآية التي اختتم بها القرآن الكريم، وانقطع بها وحي السماء إلى الأرض حتى تقوم الساعة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقد شرع الحج تهذيباً للنفس، وتطهيراً للقلب من آثار الذنوب والمعاصي، واجتماعاً للنفوس المؤمنة على مودة ورحمة في ظل الأماكن المطهرة.

أيها الإخوة: الحج من أفضل الأعمال وأعظمها، وهو طريق إلى الخير في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

جاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ سئل: «**أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله**

ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور».

وجاء أيضاً في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**العُمْرة إلى العُمْرة كفَّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلَّا الجنة**» والحج المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية لله عز وجلّ.

وروى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**إنَّ داود عليه السلام قال: إلهي، ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك؟ قال: إن لكل زائر حقاً على المزور، يا داود: لهم عليَّ حق أن أعافيهم في الدنيا، وأغفر لهم إذا لقيتهم**».

هذا وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الفوز بحج مبرور فقال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧] والرَّفَث: هو الجماع ودواعيه، والفسوق: هو إتيان المعاصي كبرت أم صغرت. والجدال: هو المناقشة الحادة، والمشادة في الحديث حتى يغضب الرجل صاحبه.

ولذا قال ﷺ في حديث متفق عليه: «**من حَجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» أي رجع نقياً طاهراً من الذنوب والآثام والأدناس التي كانت تُبْعِدُه عن ربه عز وجل.

يا سعد من أدَّى الفريضة راجياً ... أن يقبل الرحمن مـــا أدَّاه
لا يقبـــل الرحمن إلا طيبـــا ... من قاصد لِلَّه دون ســـواه
والحجُّ يغسل كل ذنب قـد جنى ... من قلبه ويزيد من تقـــواه
ويعود كالمولود يـحمـل طائراً ... صفحاته البيضاء في يمنـــاه

هذا وقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن يتخلص كل من يريد الحج من كل أهواء الدنيا، وأن يكون أداؤه فريضة الحج خالصاً لوجه الله عز وجل، امتثالاً لأمره، وتطلعاً إلى ما أعده الله لمن قصد بيته، وسعى إلى حرمه.

أُثر عنه ﷺ أنه كان يقول في إحرامه: «**اللهم اجعلها حجةً لا رياء فيها ولا سُمْعة**». وفي ذلك توجيه منه ﷺ لكل مسلم يريد الحج بأن يخلص النية لله وحده، وأن يحذر كل الحذر من أن يقصد بحجه رياءً أو سمعة، أو مفاخرة، فإن ذلك سبب لحبوط العمل، وعدم قبوله، كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[هود: ١٥-١٦] أي مَنْ كان يقصد بأعماله الصالحة نعيم الدنيا وحسب نوفِّ إليهم أجور أعمالهم بما يحبون فيها، وليس لهم في الآخرة نصيب من تلك الأعمال، لأنهم قد استوفوا جزاءها في الدنيا. فإخلاص العمل لوجه الله عز وجل سواء في الحج أو في غيره هو الأساس في قبول هذا العمل الذي يقوم به الإنسان. قال ﷺ: «**من جاء حاجّاً يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويشفع فيمن دعا له**».

أيها الإخــوة:

إن أيام الحج من أعز الأيام على المسلمين، فهي من أيام الله التي تذكر المسلمين كل عام بأنهم أمة واحدة كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] أي إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة، تدين بعقيدة واحدة، وتنهج نهجاً واحداً، هو الاتجاه إلى الله وحده دون سواه.

وقال أيضاً: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] أي إنَّ جميع المؤمنين إخوة في الدين تربطهم رابطة الإيمان. ومن مظاهر وحدة المسلمين هذا المؤتمر الأكبر الذي يجتمع فيه الآلاف من أجناس شتى، ولغات مختلفة وبلاد متعددة، يجتمعون في زمان واحد، ومكان واحد.

يجتمعون بعرفة من كل جنس ولون، يتعارفون ويتشاورون ويتعاونون، يقفون جميعاً لباسهم واحد، لا فرق بين غني وفقير، ورئيس ومرؤوس، يقفون جميعاً خاشعين، خاضعين، ضارعين، يتجهون بقلوبهم نحو الخالق العظيم، داعين ملبِّين قائلين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة

لك والملك، لا شريك لك». ويتوجهون إلى ربهم بخالص الدعوات طائفين عاكفين، ركّعاً وسجّداً.

أيها الإخوة:

إن الحجَّ يُتيح للمسلم أن يشهد أعظم مؤتمر إسلامي، فيه يجد المسلم إخواناً له من قارات الدنيا الخمس. وقد كان سَـلَفُنا الصالح، رضوان الله عليهم، ينتهزون فرصة هذا المؤتمر السنوي لتبادل الآراء، وتعارف الأفكار، وعرض المسائل التي تتعلق بشؤون المسلمين لمناقشتها. ومن ثَمَّ أدرك أعداء الإسلام خطورة هذا المؤتمر، وأهمية تلك الفريضة، ففكروا في تشويه فريضة الحج والطعن فيه، ولكن يأبى الله إلَّا أنْ يتمّ نورُه ولو كره الكافرون.

ولنتأمل ما جاء في تقرير أحد المبشرين النصارى عن الإسلام قال: سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي.

وإن شاء ستبقى هذه الأربعة ما بقي الإنسان على وجه الأرض.

أيها الإخــوة:

روى النسائي أنه ﷺ قال: «**الحُجَّاج والعُمّار وَفْدُ الله، إنْ دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**». وروى الطبراني أنه ﷺ قال: «**يُغفر للحاجّ، ولمن استغفر له الحاجّ**».

يا عِزَّ مَنْ بالحَجِّ أكمـل فَرْضَهُ ... وعن الهداية لـم تنم عينـــاه

يا رَبِّ يَسِّـرْ لي الـسبيل لحَجَّةٍ ... مبرورة تؤتي الفؤاد تقـــــاه

اللَّهمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



يوم عرفـــــة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

اليوم يوم عرفة، فيه يقف حجاج بيت الله الحرام من مختلف أقطار الأرض على عرفات، يلبي منهم من يلبي، ويكبر منهم من يكبر، ويهلل من يهلل، الكل في خشوع وخضوع من الله عز وجل، الكل في ذكر لله سبحانه وتعالى. تجردوا جميعاً من كل ثياب وزينة، وارتدوا لباس الإحرام، يطلبون الهداية من الله تعالى، ويطهرون نفوسهم من شهوات الدنيا ومتاعها، يمضي الواحد منهم أشعث أغبر ملبياً نداء الرحمن مُرَدّداً: «لبَّيك اللهم لبيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

والوقوف بعرفة أيها الإخوة هو ركن الحج الأعظم، ولهذا قال ﷺ فيما رواه أحمد وأصحاب السنة: «**الحج عرفة**».

روى ابن المبارك عن أنس ﷺ أنه قال: «**وقف رسول الله ﷺ بعرفات وقال: يا بلال أنصت لي الناس، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ فأنصت الناس، فقال ﷺ: يا معشر الناس: أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر الحرام، وضمن عنهم التبعات، فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ فقال ﷺ: هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة..**».

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء**».

فهنيئاً للواقفين على عرفات، هنيئاً لهم أداءهم تلك الفريضة، ونسأل الله عزَّ وجَلّ أن يقبل حجهم، وأن يجعله حجاً مبروراً، ونسأله عز وجل أن يكتب لنا جميعاً أداء تلك الفريضة، وأن لا يحرمنا من تلك الرحلة الطيبة المباركة.

أيها الإخـوة:

إن رحلة الحج ليست كغيرها من الرحلات، أنها رحلة قلوب، ورحلة أرواح تسعى إلى الله عز وجل، إنها رحلة كلها طلب لمرضاة الله تعالى، ورجاء في مغفرته ورحمته ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

إنها رحلة في رحاب البيت العتيق، في ظل رحمة الله تعالى ورضوانه في البقعة المباركة التي هبط فيها الوحي ووطأتها أقدام النبوة، وحفتها ملائكة السماء.

روى ابن حبان والبيهقي أنه ﷺ قال: «**ينزل على هذا البيت في كل يوم مئة وعشرون رحمة، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين**».

وروي أنه ﷺ قال: «**إنَّ الله عَزَّ وجَلّ قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ست مئة ألف، فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة**».

أيها الإخوة:

إنَّ يوم عرفة يوم عظيم فيه أتمَّ الله عز وجل نعمته، وأكمل دينه، وأنزل على

رسوله ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] تلك الآية التي أعلنت كمال الرسالة، وتمام النعمة.

وهذا اليوم يذكرنا بيوم عرفة من السنة العاشرة للهجرة، يوم أن وقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع وخطب في المسلمين تلك الخطبة المشهورة المسماة بخطبة الوداع.

تلك الخطبة التي تعد دستوراً للمسلمين يجب أن يسيروا عليه، قال ﷺ بادئاً خطبته بعد حمد الله والثناء عليه قال: «**أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا**». ثم أخذ يبين للناس أحكام دينهم، وكان مما بينه رسول الله ﷺ أن بين لهم كيف تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم، ونادى بالمساواة بين أبناء الأمة فقال ﷺ: «**أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى**».

وفي هذا القول الكريم يلفت الرسول ﷺ الأنظار إلى شيء هام وهو: أنه لا عبرة بالنسب، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، فليس لهذه المعاني حساب في ميزان الله، وليست هي المقاييس الحقيقية التي يوزن بها المرء يوم القيامة، بل هناك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس، وهو كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣] أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب والأنساب، فمن أراد شرفاً في الدنيا ومنزلةً في الآخرة فليتق الله كما قال ﷺ: «**من سَرَّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله**».

أيها الإخوة:

وقَدْ تَضَمَّنَتْ تلكَ الخُطبةُ الجامِعَةُ الدعوةُ إلى المحافظةِ على أموالِ النّاسِ، وعلى أعراضِهِمْ، وعلى أنفسِهِمْ، وأن يردّوا الأماناتِ إلى أصحابِها، وأنْ يبتعدوا عن الرِّبا والقتل، وبيَّن فيها للمسلمينَ أيضاً حقوق النِّساء، وحذَّر فيها الرَّسول ﷺ من الشيطان.

وفي نهاية خطبته ﷺ نبه المسلمين إلى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة فقال ﷺ: «**أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً.. كتاب الله وسنة نبيه**» فهل آن للمسلمين أن يتمسكوا بكتاب الله عز وجل؟

هذا الكتاب الذي جعله الله عز وجل حياة للقلوب، ونور للبصائر، وعزاً وحصناً للعاملين به، والمتمسكين بتعاليمه عقيدةً وقولاً وعملاً.

هذا الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على رسوله سيدنا محمد ﷺ للناس كافة، وتعهد عَزَّ وجَلّ بحفظه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

هذا الدستور الذي يحقق بتعاليمه السامية، ومبادئه الحكيمة، وتوجيهاته الرشيدة، يحقق بذلك الوفاق والتآلف بين الآباء والأبناء، وبين الأزواج والزوجات، وبين الحاكمين والمحكومين، وبين الجار وجاره، وبين المسلم وأخيه المسلم مهما اختلفت الديار وتباعدت الأوطان.

هذا الدستور المحكم على مدى العصور والدهور، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

هذا الكتاب الذي أودع الله عَزَّ وجَلَّ فيه من العقائد والعبادات والمعاملات، والأخلاق، ما يكفل للإنسان المؤمن حياة طيبة في دنياه، وعيشة راضية مرضية في أخراه. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

أيها الإخوة:

ما أحوجنا وخاصة ونحن نذكر هذا اليوم المبارك (**يوم عرفة**) أن نذكر توجيهات الرسول ﷺ وإرشاداته ونصائحه.

ما أحوجنا إلى الاعتصام والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ.

ما أحوجنا إلى التمسك بها قولاً وعملاً في هذا العصر الذي أصبح يموج

بالفتن والاضطرابات، واشتد فيه الصراع بين الحق والباطل، وأوشكت البدعة أن تكون لها الصدارة في معتقدات الناس وأخلاقهم.

روى أبو داود أنه ﷺ قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وأن أُمّر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

فما أجمل أن ينتهز المسلمون حكاماً ومحكومين تلك المناسبة الطيبة، ويتركوا الخلافات التي بينهم إلى جانب ، ويوحدوا صفوفهم وكلمتهم، ويعودوا إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ فيهما النجاة والخير والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. وسيظل الأمل في ذلك قائماً إن شاء الله ما دام الإسلام حياً في قلوبنا ونفوسنا ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠]، يقول ﷺ: «**ما زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي فإن خرجتم عنها سلّط الله عليكم من يخيفكم ولا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا**» أو كما قال.

❊ ❊ ❊

صدق الإيمان يظهر وقت الاختبار[1]

الحمد لله الذي جعل أعياد المسلمين مسرة للقلوب، وانشراحاً للصدور، وإنهاءً للخصومات والأحقاد.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر ما أشرقت شمس هذا اليوم السعيد.

الله أكبر ما شدت الرحال إلى بيت الله الحرام.

الله أكبر ما سعت الأقدام لزيارة سيد الأنام.

الله أكبر ما سعى الحجاج بين الصفا والمروة.

الله أكبر ما وقفوا على عرفات يلبون ويهللون ويكبرون.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله العظيم بكرةً وأصيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللَّهمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك على سيدنا محمد، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين.

أيها الإخوة:

اليوم يوم من أيام الله المباركة، يوم المحبة والألفة، يوم التعاطف والتآلف، يوم يجتمع فيه الحجاج بمنى لذبح الهدايا، ويشاركهم المسلمون بذبح الضحايا.

يوم يقف فيه الحجاج بالأماكن المقدسة، يهللون ويكبرون عند رمي الجمرات فرحين مستبشرين، ويشاركهم المسلمون بالتكبير عقب الصلوات.

---

(١) خطبة عيد الأضحى.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أيها الإخوة:

بالأمس كان الحجاج يقفون في أعظم مشهد على جبل عرفات، حيث كان موقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وقفوا متجردين من كل ما يربطهم بالدنيا وملذاتها، يلبي منهم من يلبي، ويكبر من يكبر، ويهلل من يهلل، وقفوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم، ولا بين غنيهم وفقيرهم، ولا بين رئيسهم ومرؤوسهم، الكل مشغول بذكر الله عزَّ وجَلَّ، وينشدون نشيداً واحداً قائلين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

أيها الإخوة:

هذا اليوم الذي نحن فيه يذكِّرنا بأبِ الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، هذا النبي الذي استنكر ما عليه قومه من عبادة الأصنام والأوثان، وقطع معهم شوطاً طويلاً في الدعوة إلى توحيد الله عَزَّ وجَلّ، وتَرْكِ عبادة الأصنام والأوثان، ولكنهم أعرضوا عنه وعن دعوته، ولم يقف الأمر عند حد الانصراف عنه فقط، بل أرادوا المكر به، والكيد له: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٩٧-٩٨].

أرادوا به ذلك، ولكن أين يذهب كيد العباد إذا كانت رعاية الله عز وجل وعنايته تحوط الدعاة المخلصين، وهكذا يجب أن يفهم كل من يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل، أنه تحت رعاية الله عز وجل وعنايته دائماً وأبداً، مهما خطط المخططون، ودبر المدبرون، ما دام مخلصاً في دعوته لله عز وجل.

فهؤلاء مثلاً دبَّروا لخليل الله إبراهيم عليه السلام، وأرادوا الكيد به، ولكن ما النتيجة؟ نجَّاه الله تعالى من كيدهم ومكرهم. وبعد أن نجَّاه الله تعالى من كيد قومه، هاجر من بلادهم، واعتزلهم تاركاً أباه وقومه وأهله وبيته وكُلَّ ما يربطه بهؤلاء الناس، وأصبح في هذا الوقت وحيداً، وفي وحدته هذه اتجه إلى ربه عز وجل وسأله أن يهب له ولداً صالحاً، فبشره الله تعالى بغلام حليم، وهو إسماعيل

عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٩٩-١٠١] ولنتصور هنا مدى فرحته عليه السلام بهذا الغلام الذي يصفه ربه بأنه حليم، لا شك أنها فرحة غامرة، فرحة ما بعدها فرحة. ولما كبر هذا الغلام وترعرع، وبلغ السن الذي يجعله يسعى في مصالحه مع أبيه، ويرافقه في الحياة، كان الابتلاء والاختبار من الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام، حيث أراه في المنام أن يذبح ولده البكر إسماعيل عليه السلام الذي جاءه على كبر، وبعدما أمر بأن يسكنه وأمه في واد لا أنيس فيه ولا ونيس، وادٍ لا زرع فيه ولا ثمر، وقد فعل ذلك طاعةً لله، ثم بعد ذلك كله يؤمر بذبح ولده، وحيده الذي ليس له غيره، ويتولى هذا الأمر بيده.

ولا شك أن هذا الأمر صعب على النفس، ولكن هنا تظهر قوة الإيمان، وقوة العقيدة الراسخة، وتظهر قمة الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى، والرضى به.

هنا يضرب لنا خليل الله إبراهيم عليه السلام المثل والقدوة في الطاعة الكاملة، والرضى التام بما أمر الله به، وإن كان المأمور به هو ذبح ولده الوحيد، وفلذة كبده.

نجد أنه بانقياد واستسلام تام أجاب ربه، وامتثل أمره، وسارع إلى طاعته.

وعرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه، وأهون عليه من أن يأخذه على غرة أو يذبحه قهراً ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ [الصافات: ١٠٢] وهنا يعطي لنا هذا الغلام الحليم الدرس أيضاً: فقد تلقى هذا الأمر في طاعة واستسلام، ورضى بما أمر الله عز وجل به، نجده لم يجزع، ولم يتردد، ولم يفر من أبيه، ولم يسخر من رؤيا أبيه، بل قال: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي امضِ لما أمرك الله به من ذبحي، فستجدني صابراً إن شاء الله، وهذا القول في غاية الطاعة للوالد ولرب العالمين، وأسلم رقبته لأبيه، وأمسك الوالد بالسكين، ولم يكن باقياً إلا أن يذبح إسماعيل، ويسيل دمه، وتزهق روحه، عندئذٍ بعد أن تم الابتلاء، ووقع الامتحان، وعرف الله عز وجل صدق إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فاضت رحمة الله

تعالى على أبي الأنبياء وولده إسماعيل، وكان الفداء من عنده عز وجل لتلك النفس التي أسلمت بذبح عظيم ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٧].

أيها الإخـوة:

خذوا من تلك القصة العبرة والعظة في حياتكم، ففيها الكثير والكثير. فيها الطاعة والامتثال لأمر الله عز وجل. فيها الرضى التام بما أمر الله تعالى وقدّره. فيها الأدب الكامل من الولد لوالده. فيها التضحية في سبيل الله بكل ما يملكه المسلم، حتى ولو كانت التضحية بالحياة نفسها. إلى غير ذلك من العبر والعظات التي يمكن استخلاصها من تلك القصة.

أيها الإخوة:

روى البيهقي أنه ﷺ قال: «**قدمت المدينة ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، وإن الله تعالى قد أبدلكم بهما خيراً منهما، يوم الفطر، ويوم النحر**».

❊ ❊ ❊

الإسلام يدعو إلى الوحدة والاتحاد

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أيها الإخـوة:

تلك آية من كتاب الله عز وجل، وإن كان لها سبب نزول خاص إلا أن مدلولها عام وأوسع مدى من الحادثة التي نزلت من أجلها، وهي تحمل أمراً من الله تعالى بأن نعتصم بحبله، ونتمسك بكتابه، وأن نتحد ونأتلف، كما تنهى عن التفرقة والاختلاف.

فالله عَزَّ وجَلَّ أراد للمسلمين وأمرهم بأن يكونوا متحدين، مترابطين،

متعاونين، وحرم عليهم من الأزل أن يتفرقوا أو ينقسموا أحزاباً، فالله عز وجل لم يخلق الناس لينقسموا ويختلفوا، بل شرع لهم ديناً واحداً، وأرسل أنبياءه ليقودوا الناس جميعاً في طريق واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] فهذه الآية صريحة بأن الله تعالى قضى وأوجب أن تكون الأمة الإسلامية كلها أمة واحدة، دينها واحد هو الإسلام، وربها واحد هو الله عز وجل، أمة تدين بعقيدة واحدة، وتنهج نهجاً واحداً، هو الاتجاه إلى الله عز وجل دون سواه. وقد وردت أحاديث متعددة بالنهي عن التفرق والاختلاف، والأمر بالاجتماع والائتلاف والاتحاد، من ذلك مثلاً ما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

ولم يترك الإسلام طريقاً من طرق الاتحاد والقوة إلَّا دعا إليه، وأمر المسلمين أن يتمسكوا به، فدعا إلى الأخوة فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ في جزء من حديث متفق عليه: «.. **وكونوا عباد الله إخواناً**».

ودعا أيضاً إلى الحب، فقال ﷺ في حديث متفق عليه: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». وقال أيضاً فيما رواه مسلم: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا..**».

كما دعا إلى العدل والإحسان وصلة الرحم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النحل:٩٠]، وروى مسلم أنه ﷺ قال: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا**».

كما أمرنا الإسلام أن نتخلى عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف، فنهانا عن الظلم فقال ﷺ فيما رواه مسلم: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**».

وقال عزَّ وجَلَّ في حديث قدسي فيما رواه مسلم: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**».

ونهانا أيضاً عن قطع الصلات بيننا، وإثارة العداوة والبغضاء بين أفراد الأمة، وحذرنا من الاختلاف على أنفسنا والتفرق والخصام، وذلك لأن الاختلاف سبب للفشل والضياع، والفاشل الضائع لا وزن له في الدنيا ولا مكانة له في الآخرة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال أيضاً: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦] بل وجّه نبيّه ﷺ بإعلان براءته وتخلّيه عن هؤلاء الذين يمضون في طريق الفرقة والخصام، والشقاق. قال تعالى مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وهذا نذير بين يدي الأمة، يدعوها دائماً إلى ان توحد صفوفها، وأن تتناسى أحقادها، ودواعي اختلافها وفرقتها، وأن تكون يداً واحدة، وأن تعي جيداً أن الأمة التي دعا إليها الإسلام، وأرادها لحمل دعوته أمةٌ لا تعرف الفرقة والاختلاف، وإنما هي أمة واحدة، ربها واحد، وكتابها واحد، وصفها واحد.

والمتأمل بتعاليم الإسلام، يجد أنها قامت على اعتبار الفرد جزءاً لا يتجزأ من كيان الأمة، وعضواً موصولاً بجسمها، لا ينفكّ عنه، فلم يتجه الإسلام للفرد وحده بالأمر والنهي، بل تناول الجماعة كلها بالتوجيه والإرشاد، ومن خلال التوجه للجماعة يستمع الفرد، من ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

وكذلك إذا وقف المسلم بين يدي ربه ليناجيه، ويتضرع إليه، نجده لا يقول إياك أعبد وإياك أستعين، بل يقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

ومن عظمة هذا الدين أن دائرته لا تنحصر ولا تختص بجنس دون جنس، أو فئة دون فئة، أو لون دون لون، بل وسعت شتى الألسنة والألوان، فكان من

الرعيل الأول أبو بكر القرشي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ورغم اختلاف أجناسهم وحّد الإسلام بينهم جميعاً تحت راية الإيمان، التي تظل كل من ينطق بكلمة التوحيد (**لا إله إلَّا الله محمد رسول الله**).

أيها الإخــوة:

الاتحاد قوة، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، واليد الواحدة لا تصفق وحدها، والخيط الواحد الرفيع إذا انضم إليه أمثاله صار حبلاً متيناً، وهذا العالم ما هو إلا جملة ذرات متحدة. وقديماً أراد أب عاقل حكيم حنَّكته الحياة أن يلقن أبناءه درساً لا ينسوه، وأن يشرح لهم قيمة اتحادهم، فضرب لهم مثلاً عملياً من واقع حياتهم حتى يكون أوقع في نفوسهم، فأتى لهم بحزمة من العصي مجتمعة عيدانها، وطلب منهم كسرها، فعجزوا عن ذلك، فلما انفك رباط الحزمة وتفرقت الأعواد، كسرت جميعاً واحداً بعد واحد.

وهذا هو شأن الأمة، إن اجتمعت وترابطت كانت قوية، تستطيع أن تصمد باتحادها أمام جميع الصعاب والعقبات التي قد تواجهها، ولا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يمسها بسوء، أما إذا اختلفت وتفرقت، فلا يكون إلا الفشل والهزيمة والضياع.

أيها الإخـوة:

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ والسلف الصالح المثل والقدوة في الاتحاد والأخوة، فقد عاشوا وحدةً متماسكة، وكانوا قوة قوية، حمت الإسلام، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وكان منهم الأبطال الذين أطاحوا أعظم قوتين (فارس والروم) وزلزلوا عروشهما، وهزموا أعظم قادة الحرب فيهما، وهم آنذاك لم يدخلوا كلية حربية يتعلمون فيها فنون الحرب والقتال. وما كان لهم هذا الانتصار إلا بعد أن نقّاهم الرسول ﷺ، وطهر قلوبهم من الغل والحقد والحسد، وربط بين هذه القلوب الطاهرة برباط الأخوة الخالصة، فكانوا يداً واحدة، وكلمة واحدة، وصفاً واحداً، لا تفرقهم نزعات سياسية، ولا مذاهب دينية، لذلك دانت لهم الأمم، وخضعت لهم الرقاب، وكانوا دولة قوية يهابها العدو، ويأوي إليها

المظلوم، كان الواحد منهم يفتخر بإسلامه، ويفتخر بنسبته إلى الإسلام.

وقد جاء في الأثر أن جماعة كانوا يفتخرون بأنسابهم وفيهم سلمان الفارسي ﷺ، فلما فرغوا قال قائل منهم لسلمان: ابن من أنت يا سلمان؟ فقال ﷺ بعزة المسلم: أنا ابن الإسلام، أنا ابن الإسلام. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فبكى وقال: أنا ابن الإسلام، وأخذ يكررها والدمع ينهمر من عينيه. ويوم نسي المسلمون ذلك، وتفرَّقت كلمتهم، وتمزقت وحدتهم، وصل حالهم إلى ما وصل إليه، ولا يخفى على أحد منا ما أصاب المسلمين في عهودهم الأخيرة نتيجة هذا التمزق والاختلاف الذي كان سبباً في طرد المسلمين من الأندلس بعد أن عاشوا فيها ثمانية قرون، وأقاموا فيها حضارة شامخة، والتي كانت سبباً أيضاً في نجاح الأعداء من الاستيلاء على أرض فلسطين وغيرها، وما يدور الآن في أفغانستان وفي لبنان وما يحدث للفلسطينيين ما هو إلَّا نتيجة تمزق المسلمين، وتفرقهم شيعاً وأحزاباً. وتلك حقائق تاريخية لا تقبل الجدل أو النقاش.

ولو أن الأمة الإسلامية كانت صفاً واحداً، وقلباً واحداً، ما حدث ذلك، فهل آن الأوان كي يتحد المسلمون كما أراد الله عزَّ وجَلّ؟ هل آن الأوان أن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ورأياً واحداً؟ هل آن الأوان أن يقتنعوا بأن الاتحاد قوة، وأن التفرق ضعف وضياع؟

فاحرصوا أيها الإخوة واعملوا جاهدين على توحيد صفوفكم، وجمع شملكم تفوزوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة، وضعوا في حسابكم أن الشقاق والخلاف والتفرق يضعف الأمم القوية ويميت الأمم الضعيفة. وتذكروا قوله ﷺ فيما رواه الترمذي: «**يد الله على الجماعة**» وقوله أيضاً فيما رواه البزار ومالك: «**الشيطان يهم بالواحد والاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهمَّ بهم**».



خذوا العبرة من مرور الأيام

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

بالأمس انقضى عام هجري، وانطوى باب من عمر الإنسان، انقضى هذا العام بخيره وشره، ورحل عنا حاملاً معه سجلاً لكل منا، وسيعرض هذا السجل على رب العالمين الذي لا تخفى عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

سيعرض عليه طاعة الطائعين، وعصيان العاصين، سيعرض عليه من أدرك أن تلك الأيام من عمره فانتهزها وقدم لنفسه ما ينفعه في الآخرة، كما سيعرض عليه من مشى وراء نفسه وشهواته، وضيع على نفسه فرصة وجوده في الحياة، ولم يقدم لنفسه خيراً ينفعه يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤٠].

ومع بداية هذا العام الجديد ينبغي أن يقف كل منا مع نفسه، ويسأل نفسه هل قدم في عامه الماضي ما يخدم إسلامه؟ هل قدم فيه ما ينفعه يوم القيامة؟ أم كان من الغافلين؟ وها هيأ نفسه لاستقبال العام الجديد؟ هل هيأ نفسه لاستقبال صفحة جديدة من عمره؟

تلك بعض أسئلة ينبغي أن يسألها كل منا نفسه، ويقف مع نفسه وقفة حساب ليستعرض ما قدمه وما قام به من أعمال في عامه الذي قضاه، فإن وجد خيراً حمد الله تعالى، وإنْ وجد غير ذلك أسرع بالندم والتوبة والاستغفار، وجدد العزيمة لعمل الخير وصالح العمل فإنه لا يدري إذا انتهى عامه أيعيش لمثله أم لا؟

نسـير إلى الآجال في كل ساعة وأيامنـا تطوى وهن مراحـل

ولم نر مثـل الموت حقاً كأنه إذا ما تـخطتـه الأمني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس نازل

ترحل عن الدنيا بزادٍ من التقى فعمرك أيام تعـد قلائل

وقال بعض السلف: اعملوا لآخرتكم في هذه الأيام التي تسير كأنها تطير.

وقال آخر: الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أجمل أفعالكم.

أيها الإخوة:

إن حياة الإنسان في هذه الدنيا مراحل، والناس فيها ما بين مقيم وراحل، الحياة سريعة الزوال، ولا بد لساكني الدنيا من الارتحال، وما الشهور والسنين إلا كمحطات يقف عليها المسافر، فيأخذ عدته لاستئناف السفر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٥].

وليس الموت هو نهاية المطاف، بل هو مرحلة انتقال بالنسبة للإنسان من حياة إلى حياة، وفي ذلك يقول تعالى بعد أن حدثنا عن مراحل خلق الإنسان قال: ﴿ ثُمَّ

﴿ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

ويجب أن يضع كل منا في ذهنه أن حياة الإنسان على هذه الأرض حياة محدودة لأجل محدد لا يتبدل ولا يتغير، قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨] وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فالموت لا بد منه، ولا بد من الحساب على ما قدمنا من عمل صغيراً أو كبيراً: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

فالله عز وجل اقتضت حكمته أن تنتهي حياة الأمم والأفراد، ثم يبعثهم ليحاسبهم وليجزيهم على الخير خيراً، وعلى الشَّرِّ شَرَّاً: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢] أي إنه عزَّ وجَلّ أوجد في الدنيا الحياة والموت ليمتحنكم ويختبركم فيرى المحسن منكم من المسيء.

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ... ويذهب هذا كله ويزولُ

وهذا يجعلنا نقف مع أنفسنا دائماً كلما مر عليها عام أو شهر أو يوم نذكرها بهذا المصير المحتوم الذي لا بد منه ولا مفر، حتى يمكننا أن نتغلب على أنفسنا، ونقدم من الأعمال الصالحة التي ترضي الله عز وجل، والتي تنفعنا يوم القيامة.

تأهب للذي لا بد منـــه ... فإن الموت ميقـــــات العباد

أترضى أن تكون رفيـــق قومٍ ... لهم زادٌ وأنت بغـــير زاد

فاحرص أخي المسلم على محاسبة نفسك دائماً وأبداً فقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] أي أطيعوا الله تعالى واحذروا عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولتنظر كل نفس ما قدمت، وما ادخرت لنفسها من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم.

وهذه إشارة إلى المحاسبة بعد مضي العمل، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزن عليكم».

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمَّها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى، فكان له قائداً.

وقال أيضاً: سمعت الحجَّاج وهو يقول: رحم الله امرأً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره.

ومعنى المحاسبة أن ينظر المرء في رأس المال، وفي الربح، وفي الخسران، ليتبين له الزيادة من النقصان، فرأس المال في دينه الفرائض، وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي. أو هي كما قال الإمام البنا: «استعراض أعمال اليوم ساعة النوم، فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليستغفر، وليسأل ربه، ثم يجدد التوبة، وينام على أفضل العزائم».

فاهتم أخي المسلم واحرص كل الحرص على محاسبة نفسك كما كان يفعل السلف الصالح، وتصفح في ليلك ما صدر من أفعال في نهارك، فإن كان محموداً داومت عليه، وإن كان مذموماً انتهيت عنه وعن مثله في المستقبل. وتذكر دائماً قوله ﷺ فيما رواه الديلمي: «**إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه**».

وقوله أيضاً: «**من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ**».

وضع في حسبانك دائماً أنك لا بد يوماً مفارق لهذه الدنيا، فلا تغتر بها، ولا تجعل قلبك يتعلق بها، واجتهد في أن تقدم لنفسك عملاً صالحاً قبل فوات الأوان، فالموت باب وكل الناس داخله، فليت شعري بعد الباب ما الدار؟

وقد ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «**ما من يوم تطلع الشمس فيه إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة**».

وفي الحديث القدسي أنه عز وجل قال: «**يابن آدم لا تغتر بشبابك فكم من شاب سبقك إلى الموت يابن آدم استح مني عند المعصية أستحي منك فلا أعذبك**».

وضع في حسبانك دائماً أن الدنيا مزرعة الآخرة، والعاقل هو من يعتبر الدنيا

ميدان تنافس على طاعة الله ورضاه، فلا يركن إليها، ولا يتعلق بها، ولا تلهيه أو تشغله عن تحقيق الغاية التي من أجلها خلق.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦]، فالعاقل حقاً هو من يدرك أن الدنيا لا دوام لها، وما هي إلا غرور وينقضي سريعاً ويزول كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت: ٦٤].

فهذه الآية تبين لنا حقارة الدنيا وزوالها وانقضاءها، وتبين لنا أيضاً أن الآخرة لهي الحياة الدائمة، الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ولا تنغيص، بل هي مستمرة أبد الآباد.

تأمل في الوجود بعين فكر ... ترى الدنيا الدنية كالخيال

ومن فيها جميعاً سوف يفنى ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال

فالدنيا أخي المسلم كالظل لا بد من زواله.

وقال بعض البلغاء: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب، ولا تخلو من فتنة، ولا تُخلو من محنة، فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، فإنَّ نعيمها يتنقل، وأحوالها تتبدل، ولذَّاتها تفنى، وتبعاتها تبقى.

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذارِ من بطشي وفتكي

فلا يغرركمو مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

فما أحوجنا أيها الإخوة إلى كل لحظة من لحظات حياتنا لنقدم فيها ما ينفعنا يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ: ٤٠] ويوم يقول المفرِّط: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ [الفجر: ٢٤]. فانتهز أخي المسلم فرصة حياتك وقدم لنفسك عملاً صالحاً حتى تفوز بالنعيم المقيم في الآخرة.

روى الحاكم أنه ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله، قيل: وكيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفِّقُه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**».

وتأمل معي قول القائل:

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذ جن ليلٌ هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من صحيحٍ مات من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهرِ
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبرِ
وكم من فتى يمسي ويصبح ساهيا وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ

أيها الإخــوة:

روى أحمد والترمذي أنه ﷺ قال: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**».

اللَّهمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

❊ ❊ ❊

ذكرى الهجرة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

كلما هَلَّ علينا شهر المحرم من كل عام تحركت مشاعر المسلمين نحو ذكرى هي من أعز الذكريات وأعظمها على نفس كل مسلم، تلك الذكرى هي هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة.

تلك الهجرة التي تعد منارة على الطريق لكل من يريد العزة والنصر من المسلمين.

تلك الهجرة التي كانت فاصلاً بين الذلة والعزة، وبين الضعف والقوة.

تلك الهجرة التي غيرت وجه التاريخ.

وللهجرة الغرَّاء في القلب رنــة ففي كل عام ذكرهــا يتجدد

فتوحي لنا معنى الحيــاة كريمة ومعنى جهـــاد فيه عز وسؤدد

والهجرة أيها الإخوة حدثت في شهر ربيع الأول كما تذكر كتب السيرة والتاريخ، إلَّا أنها تُذكر ويحتفل بها مع بداية المحرم الذي اتفق المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ على جعله ابتداءً للتاريخ الإسلامي.

وما أوسع القول في جوانب تلك الهجرة التي لولاها لما كان هناك إسلام، ومع أحداثها وما يستفاد منها نعيش تلك اللحظات.

أيها الإخـوة:

كُلُّنا يعلم أن رسول الله ﷺ ظل بمكة ثلاثة عشر عاماً متواصلة يدعو قومه لدين الله، وترك عبادة الأصنام والأوثان، ومنذ جهر بدعوته ورسالته وقريش واقفة له بالمرصاد تكذبه وتعاديه، وبلغ بهم العناد منتهاه، ونال منهم الشيطان كل ما تمناه، وقالوا في عناد ومكابرة: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، وقالوا أيضاً: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ولا يخفى على أحد منا تلك الظروف القاسية التي مرت برسول الله ﷺ أثناء دعوته قبل الهجرة من تكذيب وتعذيب وإيذاء، ولم يسلم أيضاً من آمن به من الإيذاء والتعذيب، فقد تجرع كل منهم ألواناً من العذاب حتى مات منهم من مات، وعمي من عمي، ولم يبعدهم ذلك عن دين الله شيئاً. ويطول بنا الحديث لو استعرضنا ما لحق بهم من إيذاء وتعذيب قبل الهجرة، ولكن نأخذ نماذج للعبرة.

روى البخاري عن خبّاب أنه قال: «**أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله: ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق اثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، ولَيُتِمَنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلَّا الله**».

ويأخذ الاضطهاد والتنكيل برسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين لوناً جديداً من القسوة والعنف، وخاصةً بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة

بنت خويلد رضي الله عنها، فقد نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تطمع أو تحلم به في حياة أبي طالب الذي كان شديد الدفاع عن ابن أخيه سيدنا محمد ﷺ. فخُنق ﷺ وهو في الصلاة حتى برزت عيناه، وكاد يموت خنقاً، كما رمي في سجوده برحم الشاة المذبوحة، والأدهى والأمر من ذلك تلك المقاطعة التي فرضتها قريش على رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب.

تلك المقاطعة التي اتفقوا فيها على ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم محمداً ليقتلوه، واستمرت هذه القطيعة طيلة ثلاثة أعوام، اضطر فيها الرسول ﷺ ومن معه إلى أكل ورق الشجر.

ورغم ذلك يتوجه ﷺ إلى الطائف لعله يجد فيها ما لم يجده عند أهل مكة، وهناك صادف ألواناً أخرى من الاضطهاد والإساءة، ولقي منهم ما لم يخطر بباله، إذ سلطوا عليهم صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة، حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، ولقي منهم أقسى ما عندهم، وردوه رداً غير جميل، وعاد يائساً من نصرة ثقيف.

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يا محمد إن شئتَ أطبق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**».

صلَّى الله عليك وسلَّم يا رسول الله، صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم.

ورغم اختناق الدعوة في مكة والطائف إلا أن الرسول ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل التي تتوافد إلى البيت الحرام، وأثمر عن ذلك بيعتا العقبة الأولى والثانية.

ولما عَلِمت قريش إسلام فريق من أهل يثرب، طارت عقولهم، وفقدوا صوابهم، واشتعلت نار الحقد في نفوسهم، فضاعفوا الأذى للمسلمين حتى ارتفعت أصواتهم ودعواتهم إلى الله عز وجل لكشف الضر عنهم، وأن يجعل لهم من هذا الضيق فرجاً ومخرجاً، فتوجهوا قائلين: ﴿ **رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا** ﴾ [النساء: ٧٥].

فلما رأى رسول الله ﷺ ما حَلَّ به وبأصحابه أذن لهم بالهجرة إلى المدينة، حيث المنطلق الجديد لدعوة التوحيد، وقال لهم: «**إنَّ الله عَزَّ وجَلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**» فخرجوا إليها مستخفين إلّا عمر بن الخطاب ﷺ، فإنه أعلم مشركي قريش بهجرته دون خوف، وقال لهم: من أراد أن تثكله أمله فليلحق بي غداً ببطن هذا الوادي. فلم يخرج له أحد.

وأقام الرسول ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة مهاجراً إلى المدينة، وكان أبو بكر الصديق ﷺ كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة إلّا أن الرسول ﷺ كان يقول له: «**على رِسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي**».

ولما شعرت قريش بهجرة المسلمين، وأيقنت أن المسلمين قد أصبحوا في المدينة في عزة ومنعة، وأن زمام الأمر أوشك أن يفلت من أيديهم، عقدت مؤتمراً في دار الندوة للتفكير في القضاء على شخص رسول الله ﷺ، ودبروا تلك المؤامرة الدنيئة لاغتياله ﷺ بأيدي شُبَّان من قبائل قريش، يضربونه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل، وبالفعل اجتمع الفتيان الموكلون بقتله ﷺ على باب داره، وفيهم أبو جهل –عليه لعنة الله- ولكن عين الله ساهرة، ترعى نبيه، وتحمي دعوته من تلك المكائد الآثمة، فخيب الله أملهم، وأفسد كيدهم، وبدد مكرهم، فأخبر نبيه بخبر هذه المؤامرة، وأمره أن لا يبيت هذه الليلة في مضجعه، وأذن له بالهجرة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ

﴿ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وغادر ﷺ بيته دون أن يشاهده الموكَّلون بقتله، وكان من تتمة السخرية بتآمرهم على حياته ﷺ ما امتلأت به رؤوسهم من التراب الذي ألقاه على رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩].

وفي هذا الموقف درس هام وهو لا يظن أحد أن ما يلاقيه الرسول ﷺ وأصحابه أو من ينهجون نهجهم من ألوان العذاب والاضطهاد في سبيل دعوتهم، أن الله تعالى قد تخلى عنهم، أو أن النصر قد ابتعد عنهم، بل ينبغي أن نعلم أن نصر الله قريب، وأن وسائل هذا النصر يمكن أن تتحقق بين لحظة وأخرى، وأن الله تعالى لا يتخلى عن عباده المخلصين.

وذهب ﷺ إلى بيت صاحبه أبي بكر الصديق، وانطلقا إلى غار ثور، وأقاما فيه ثلاث ليال، وهنا هاجت قريش، وقامت قيامتها، بعد إفلات الزمام من أيديهم، فجعلت مئة ناقة لمن يأتيهم بمحمد ﷺ حياً أو ميتاً، وانتشرت العيون في كل مكان بحثاً عن محمد ﷺ وصاحبه، حتى وصلوا إلى الغار الذي فيه رسول الله ﷺ وهموا باقتحامه، ولكن قبل أن يصلوا إليه كانت العناية الإلهية قد سبقتهم إليه، فكان ما كان من نسج العنكبوت خيوطها على فم الغار، والحمامتين اللتين عششتا وباضتا على فم الغار، فغمَّى عليه العنكبوت بنسجه، وظل على الباب الحمام يبيض.

وبهذا التدبير الرباني المحكم حمى الله عز وجل نبيه محمد ﷺ وصاحبه، وصد عنهما المشركين. وفي هذا درس عظيم لكل من يقوم بالدعوة إلى الله عز وجل عليهم أن يدركوا أن الله تعالى يحمي دعاته المخلصين، ويلطف بهم في ساعات الشدة، وينقذهم من المآزق الحرجة، ويعمي عنهم في كثير من الأحيان أبصار المتربصين لهم بالشر والغدر، ما داموا مخلصين في دعوتهم لله عزَّ وجَلّ.

من داخل الغار يسمع الصديق رضي الله عنه وقع أقدامهم، فيضطرب قلبه، ويرتعد خوفاً على حياة رسول الله ﷺ وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول ﷺ في

قبضة المشركين، فيهمس للرسول قائلاً: إن قُتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتلتَ أنتَ هلكت الأمة.

سبحان الله، أيّ فَهْمٍ للإسلام هذا؟ وأي حُبّ لرسول الله ﷺ هذا؟

وينظر أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ويقول له: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فيطمئنه الرسول ﷺ بقوله: «**يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا**» وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

ووصل سيدنا الرسول ﷺ وصاحبه إلى المدينة في حفظ الله ورعايته، وما إن أشرقت الأنوار المحمدية على المدينة، حتى أخذت جموع المحتشدين من أهلها تزحف لاستقباله ﷺ في موكب رائع وعظيم، يهللون فرحاً بقدومه ﷺ وهم يرددون:

طلع البـــــدر علينا　　من ثنيـــات الوداع

وجب الشــــكر علينا　　ما دعــــا لله داع

أيها المبعـــوث فينا　　جئتَ بالأمر المطـــاع

جئتَ شـرفتَ المدينة　　مرحبـــاً يا خيرَ داع

وفي المدينة تفتَّحت القلوب للدعوة الإسلامية، فآزرتها وأيدتها، وأحب أهل المدينة إخوانهم المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

وفي المدينة تكوَّنت الدولة الإسلامية، الدولة المؤمنة المجاهدة، واستطاعت

بعد ثماني سنوات أن تعود إلى مكة فاتحين غانمين بعد أن خرجوا منها مضطهدين متسللين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ونزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣].

❋ ❋ ❋

من معاني الهجرة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة فراراً بدينه بعد أن أجمعت قريش على قتله، ودبروا لذلك، ولكن الله عز وجل رعى نبيه وحمى دعوته، فخيب أملهم، وأفسد كيدهم، وبدد مكرهم، وغادر ﷺ بيته دون أن يشاهده الموكلون بقتله، إلى أن وصل إلى المدينة في رعاية الله وحمايته.

واليوم نقف معاً مع قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتم فانفروا**». نقف مع هذا الحديث لنعلم هل انقطعت الهجرة بعد فتح مكة؟ أم هناك معانٍ أخرى للهجرة؟

أيها الإخوة:

لو نظرنا إلى ظاهر الحديث يتبين لنا أن الهجرة قد انقطعت بفتح مكة، إلَّا أن

الأمر يحتاج إلى وقفة، وإلى شيء من التدقيق والتأمل، لنعلم هل الهجرة انقطعت عامة؟ أم أن المراد بالانقطاع هو هجرة مخصوصة؟ وإذا أمعنا النظر قليلاً وتأمّلنا لتبين لنا أن الهجرة لم تنقطع عامة، وأن هذا الحديث لم ينف الهجرة بعد فتح مكة كما يفهم من ذلك بعض الناس، بل نسخ حكم الوجوب، إذ كانت الهجرة قبل الفتح واجبة على المسلمين، وبعد الفتح نسخ هذا الحكم بقوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»، ومن ثَمّ فالهجرة التي أخبر الرسول ﷺ بانقطاعها هي هجرة مخصوصة، وهي التي فاز بها المهاجرون من أصحاب الرسول ﷺ قبل فتح مكة، ومن هنا نعلم أن الهجرة باقية لم تنقطع غير أن لها معاني وصوراً أخرى خلاف مفارقة الأوطان. ومن معاني الهجرة الباقية، والتي أشار إليها الحديث الذي معنا:

الجهاد في سبيل الله، فالهجرة دائمة طالما كان الجهاد، والجهاد أيها الإخوة كلمة جامعة شاملة، يدخل فيها جميع أنواع السعي وبذل الجهود والكفاح لتحقيق جوهر الرسالات السماوية وهو: دعوة البشر في كل زمان إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك كل معبود دون الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد شاءت كلمة الله عز وجلَّ أن يكون لتحقيق هذا الهدف أعداء يصدون عن سبيله، ويبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون تحقيق هذا الغرض، وبالنظر إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يتبين لنا أن معظم التعطيل لتحقيق هذا الهدف يرجع إلى خمسة أعداء:

العدو الأول: شهوات النفس وأهواؤها.

العدو الثاني: الشيطان.

العدو الثالث: الكفار.

العدو الرابع: المنافقون.

العدو الخامس: أهل المنكر.

ومن هنا فإنه يجب على كل مؤمن أن يجاهد في تلك الميادين التي يعمل بها هؤلاء الأعداء.

جهاد النفس يكون بحملها على أن تتعلم أمور الدين، وتعمل بها وتعلمها.

وجهاد الشيطان يكون بدفع ما يأتي به من الشبهات، والبعد عما يزينه من ملذات وشهوات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦].

وجهاد الفُسَّاق وأهل المنكر يكون باليد واللسان والقلب، لقوله ﷺ فيما رواه مسلم: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

وجهاد المنافقين يكون بردهم عن غفلتهم وغيهم رجاء هدايتهم إلى الحق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

وجهاد الكفّار يكون باليد، والمال، واللسان، والقلب، لقوله ﷺ فيما رواه أبو داود وغيره: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**».

أيها الإخـوة:

قبل كل شيء علينا أن نجاهد أنفسنا، وعليك أخي المسلم أن تجاهد شيطانك وأهواءك وغرائزك، فالنفس والشيطان من ألد أعداء الإنسان، وهما من أسباب شقائه في الحياة الدنيا، وفي هذا يقول القائل معبراً عن هذا الشقاء:

إني ابتليت بأربع ما سُـلِّطوا ... إلَّا لشـدة شقوتي وعنائي

إبليس، والدنيا، ونفسي، والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وقد قال تعالى مبيناً أن النفس البشرية ميالة دائماً إلى الشهوات، قال: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾ [يوسف: ٥٣].

فإذا أراد الإنسان أن يتغلب على عدوه، وينتصر عليه، لا بد أولاً أن يتغلب على نفسه وهواه، حتى إذا ما دعا داعي الجهاد لملاقاة العدو المعتدي على دينه، وعلى كرامته ووطنه استرخص الحياة، وقدمها فداءً لإسلامه ولعقيدته، ودعوته، كما كان السلف الصالح الذين صانوا عقيدتهم، ونشروا مبادئهم، وحفظوا مقدساتهم بقوة إيمانهم، وبجهادهم أعداءهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

أيها الإخـوة:

روى البخاري عن أنس ﷺ قال: «غاب عَمِّي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللّهمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورَبِّ النَّضْر، إني أجد ريحها من دون أُحُد، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلَّا أختُه ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ومن هذا الفهم الواعي لمعنى الجهاد انطلق المسلمون في جميع بقاع الأرض شرقها وغربها ينشرون كلمة التوحيد، ويرفعون راية الإسلام، فدانت لهم الدنيا، وخضعت لهم الرقاب، وكان لهم النصر والعزة والمنعة. ويوم أن ضاع هذا المعنى، ونسيه المسلمون في عهودهم الأخيرة، يوم أن ترك المسلمون الجهاد، وألغوه من قاموس حياتهم، سقطت هيبتهم ومكانتهم، واستطاع العدو أن يسيطر على بلادهم وأراضيهم، وأصبحوا يعيشون الآن أكثر من أي وقت مرحلة القصعة، وذلك كله راجع إلى ترك هذه الأمة الجهاد في سبيل الله.

روى أحمد وأبوا داود أنه ﷺ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذٍ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ويُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**».

ولذلك نجد ﷺ قد ذَمَّ الذين يتعلقون بزينة الدنيا، فقال فيما رواه البخاري

وابن ماجه: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع**».

فإن أراد المسلمون أن تعود لهم هيبتهم ومكانتهم، وأن يتغلبوا على أعدائهم، فلا سبيل إلى ذلك إلا بعقد العزم على الكفاح، وإعداد العدة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ويجب أن نضع في أذهاننا جيداً أن الأعداء لا يخشون إلا الأقوياء، فعلى المسلمين أن يأخذوا بأسباب القوة، وبإيمانهم وعقيدتهم يزداد السلاح في أيديهم قوة، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٧٦].

أيها الإخــوة:

روى النسائي وأحمد عن عبد الله بن واقد السعدي أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إني تركت مَنْ خلفي وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت، فقال ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار**»، وفي رواية: «**ما قوتل العدو**».

* * *

من معاني الهجرة (التوبة)

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

أشرنا في الجمعة الماضية إلى أن الهجرة لم تنقطع بفتح مكة، بل لها معان وصور أخرى خلاف مفارقة الأوطان، وقد تحدثنا عن معنى من تلك المعاني وهو: الجهاد في سبيل الله، والنية الصادقة والخالصة لله عز وجل كما قال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**».

ونقف اليوم إن شاء الله تعالى مع معنى آخر من معاني الهجرة الباقية، هذا المعنى هو التوبة.

روى أحمد وأبو داود أنه ﷺ قال: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

أيها الإخـوة:

إنَّ الله تبارك وتعالى قد دعا المسلمين إلى الاستمساك بالحق والاعتصام به، كما دعاهم إلى فعل الخير وعمل الصالحات، ومن فضل الله عزَّ وجلَّ على المسلمين أن بيَّن لهم طريق الخير، وطريق الشر، وبيَّن لهم العمل الصالح من غيره. ومن كرمه عز وجل أن رغبهم وحببهم ودعاهم إلى ما يحبه ويرضاه من الأعمال، وحذرهم ونهاهم عما يغضبه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والله عز وجلَّ خالق الإنسان، ويعلم طبيعة تكوينه وتركيبه، ويعلم أنه كثيراً ما يضل الطريق وينحرف عنه، ولا بد له من الخطأ، يعلم أن الإنسان مسكين سرعان ما يقع في شباك الشيطان، يعلم عز وجل ذلك عن المخلوق، فيمد له يد العون، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويعود إلى رشده، فجعل له باب التوبة مفتوحاً، ودعا الإنسان أن لا يجعل الذنوب التي يرتكبها تحول بينه وبين الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

والتوبة أيها الإخوة هي الندم على المعصية بشرط الإقلاع عنها، وعدم الإصرار على فعلها، والعزم على عدم العودة إلى الذنب. ويقال إن التوبة أن يعلم العبد جراءته على الله تعالى، ويرى رحمة الله تعالى عليه، حيث لم يأذن للأرض أن تخسف به، أو للنار أن تحرقه بما عمل من المعاصي، ثم يتوب من الذنوب، ويعزم على أن لا يرجع إليها، كما لا يرجع اللبن إلى الضرع. ويمكن القول بأنها عبارة عن يقظة من القلب تزرع فيه الحسرة والندامة، وتجعله لا يهنأ ولا يسعد، بل دائماً في قلق واضطراب وتفكير خوفاً من الله عز وجل.

والتوبة واجبة من جميع الذنوب، ما ظهر منها وما بطن، وهي واجبة على الفور عقب ارتكاب الذنب، ولذلك تتحتم المبادرة بها، ولا يباح تأخيرها، وكل تأخير لها يعد استمراراً في الذنب والرضى به.

وقد وصف الله تعالى المتقين من عباده بأنهم يسارعون إلى رضوانه ومغفرته

عند اقترافهم ذنباً، أو وقوعهم في إثم أو فاحشة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

وليست التوبة أيها الإخوة مجرد كلمة تقال، أو عبارة تردد باللسان، ولكنها تتحقق بعدة أمور:

أوّلاً: ترك الذنب، والثقة بأن فعله لا يليق بمسلم.

ثانياً: الندم على ارتكاب المعصية، وعلى ما فرط في واجبه نحو ربه، وعلى ما قصر في حق نفسه، روى البخاري وغيره أنه ﷺ قال: «**الندم توبة**»، وفي رواية الطبراني وأبو نعيم أنه ﷺ قال: «**الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**».

ثالثاً: ومن شروط التوبة أيضاً: العزيمة الصادقة على أن لا يعود في المستقبل إلى تلك الذنوب، ولا إلى أمثالها، ويعزم على ذلك عزماً مؤكداً.

رابعاً: رد المظالم إلى أهلها.

خامساً: العمل الصالح بعد التوبة، بأن يأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات. قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢] أي إن الله تعالى عظيم المغفرة لكل من تاب إليه، ورجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية، وآمن بقلبه، وحسن إيمانه وعمله، ثم استقام على الهدى والإيمان. وقال أيضاً: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [هود: ١١٤]. وروى الترمذي وأحمد أنه ﷺ قال: «**اتّقِ الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِق الناس بخُلق حسن**».

فالعمل الصالح أيها الإخوة هو الدليل الوحيد على صدق التوبة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧١]. ومن ثَمَّ فينبغي أن نضع في أذهاننا جيداً أن التوبة ليست كلمة تقال، أو عبارة تردد على اللسان، وأنها لا تعني الضراعة باللسان، أو التذلل والتخشع الظاهر، بل هي عزيمة في القلب يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح، فإذا صح الإيمان

وصدّقه العمل كانت توبته صادقة ومقبولة، وإلا كانت كاذبة وغير مقبولة.

أيها الإخــوة:

حُكي أن لِصّاً دخل بيت رابعة العدوية ليلاً لكي يسرقه، فلم يجد فيه غير إبريق فيه ماء، فلما أراد الخروج قالت له عندما رأته يتسلل إلى الباب: يا هذا، إن كنت من الأذكياء، فلا تخرج بغير شيء، فقال اللص: إني لم آخذ شيئاً، فقالت له: يا مسكين توضأ بهذا الإبريق وادخل في هذه الحجرة وصلِّ ركعتين، فإنك ما تخرج إلَّا بشيء، ففعل اللصُّ ما أمرته به، فلما قام يصلي رفعت رابعة بصرها إلى السماء وقالت: سيدي ومولاي: هذا أتى ببابي فلم يجد شيئاً عندي، وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك، فلما فرغ اللصُّ من صلاة الركعتين استلذ طعم العبادة، وظل يصلي إلى آخر الليل، فلما كان وقت السحر، دخلت عليه رابعة فوجدته ساجداً وهو يقول في سجوده معاتباً نفسه: «إذا ما قال لي ربي، أما استحييت تعصيني، وتخفي الذنب من خلقي، وبالعصيان تأتيني، فما قولي له لما، يعاتبني ويقصيني». فلما انتهى الرجل من ليلته قالت له: كيف ليلتك؟ فقال: بخير، وقفتُ بين يدي مولاي بذلّي وافتقاري فقبل عذري، وجبر كسري، وغفر ذنبي، وبلغني المطلوب، ثم انطلق هائماً على وجهه.

أيها الإخــوة:

من رحمة الله عز وجل على عباده أن فتح باب الأمل والرجاء أمام المخطئين ليتوبوا، ويعودوا إلى رشدهم، ومن رحمته عز وجل أن ترك للعاصين باب التوبة ليدخلوا منه قبل أن يأتيهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، ومن رحمته عز وجل أن دعا جميع العصاة والمذنبين إلى التوبة والإنابة والرجوع إليه، وأن يكفوا عما تورطوا فيه، ولا ييأسوا من رحمته، فإنه يقبل توبتهم، ويغفر لمن أساء منهم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال في حديث قدسي رواه الترمذي: «**يابنَ آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم**

استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة». يا لها من نعمة عظيمة، ويا له من فضل وكرم يعجز الإنسان عن شكره، أي رحمةٍ هذه؟ وأي كرم هذا؟. وقد روى مسلم وأحمد عن أبيموسى الأشعري أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**». وقال عزَّ وجلَّ في حديث قدسي رواه مسلم: «.. **يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**».

أخي المسلم:

إن كنت أذنبت فَقُمْ واعتــذر — إلى كريم يقبـــــــل الاعتذار

وانهض إلى مولى عظيم الرجا — يغفر بالليـــــل ذنوب النهار

أيها الإخوة:

أليس من الغريب والعجيب من الإنسان بعد هذه النعم، وبعد هذا الفضل وهذا الكرم الرباني وتلك الرحمة الواسعة، أليس من الغريب أن يعصي الله عز وجل، وأن يستخدم نعمه فيما يغضبه ولا يرضاه؟ فحاسب نفسك أخي المسلم، واحترس من المعاصي، وضع في حسابك دائماً وأبداً أن ضرر الذنوب والمعاصي على القلب كضرر السموم في الأبدان، وليس هناك شر أو داء سواء في الدنيا أو في الآخرة إلا سببه الذنوب والمعاصي، فإن وقع منك ما يعتبر معصية –ولا بد أن يقع– فبادر بالاستغفار من الذنب وأسرع بالندم والتوبة إلى الله تعالى ملبياً نداء الله عزَّ وجَلَّ: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقد روى الترمذي وابن ماجه قوله ﷺ: «**كل بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون**».

فمن الخير للإنسان حين يخطئ أن يسرع بالندم والتوبة، وقد وعد الله تعالى بقبول التوبة ممن يبادر ويسرع بها فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ

يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النِّساء: ١٧-١٨].

أيها الإخوة:

لا تقنطوا من رحمة الله، وتذكروا دائماً قوله ﷺ فيما رواه أحمد: «**والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم، والذي نفسي بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم**». فهل لنا بعد هذا الفضل وهذا الكرم من عذر؟

من المؤكد ليس لنا من عذر، وما علينا إلا أن نقبل على الله عز وجل بنفوس طاهرة وقلوب خالصة وأعمال صالحة. فهيا قبل فوات الأوان، فالوقت غير مضمون، وقد يفصل في الأمر وتغلق الأبواب في أية لحظة من لحظات الليل والنهار، هيا قبل أن نتحسر على فوات الفرصة، وعلى التفريط في حق الله، واعلموا أنها فرصة واحدة إذا انقضت لا تعود، فانتهزوها ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥]. وقد روى ابن ماجه والترمذي أنه ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**». وروى مسلم قوله ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**».

أيها الإخـوة:

يجب أن ندرك جيداً أنه ليس معنى ذلك أن نتَّكِل على رحمة الله وكرمه دون عمل، فقد ورد في حديث قدسي قوله عز وجل: «**ما أقلّ حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي**».

وقال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل، فكن أخي المسلم ممن أحسن الظن بالله وأحسن العمل.

أيها الإخوة:

روى ابن عساكر أنه ﷺ قال: «**إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله، وليس عليه شاهد من الله بذنب**».

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. اللَّهمَّ اغفر لنا ذنوبنا يا رب العالمين

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

❊ ❊ ❊

ثمرات التوبة الصادقة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن التوبة، وعرفنا أنها لا تعني مجرد الضراعة باللسان، أو التذلل والتخشع الظاهر، بل هي عزيمة في القلب يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح، وأشرنا أيضاً إلى أنه لا بد وأن يتحقق في التوبة الصادقة شروطاً وهي:

أوّلاً: ترك المعصية.

ثانياً: الندم على ارتكاب المعصية.

ثالثاً: العزيمة الصادقة على أن لا يعود إلى المعصية.

رابعاً: رد المظالم إلى أهلها.

خامساً: العمل الصالح بعد التوبة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ

ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤]، فالعمل الصالح هو الدليل على صدق التوبة، وهو سفينة النجاة التي أشار إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في قوله:

إنَّ لله عبــــاداً فُطُنـا طلَّقوا الدنيـا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علمــوا أنها ليست لِحَيٍّ وطنا

جعلوها لُجَّـة واتّخـذوا صـالح الأعمال فيها سُفنا

فالعمل الصالح أيضاً هو سبيل النجاة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر: ١-٣]. وللتوبة الصادقة أيها الإخوة ثمرات، وهذا ما نشير إليه اليوم إن شاء الله تعالى.

أيها الإخوة:

للتوبة الصادقة إذا تحققت على وجهها الأكمل ثمرات يجنيها التائبون الصادقون في توبتهم ورجوعهم إلى الله تعالى نستنبطها من كتاب الله عَزّ وجَلّ، من تلك الثمرات:

أوّلاً: حب الله عز وجل: بمعنى أن التائب الصادق في توبته ينال حب الله تعالى له، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والمعنى أنَّ الله تعالى يحب الذين يتوبون حين يخطئون ويعودون إليه مستغفرين نادمين.

هذا وقد بيَّن لنا الرسول ﷺ أنَّ الله عَزَّ وجَلّ يترقب حدوث التوبة من المؤمن، وينتظرها منه انتظار المشتاق، فقال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة** -أي بأرض خالية ليس فيها ما يؤكل ولا ما يشرب- **فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةٌ عنده فأخذ بخطامها** -أي بزمامها أو لجامها- **ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**».

وفرحه عَزَّ وجَلّ ليس كفرح البشر، بل هو الرضى عن التائبين من عباده، والإحسان إليهم بغفران الذنوب، وستر النقائص والعيوب.

وقد ورد أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقاً إلي، وتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود: هذه إرادتي في المدبرين عني، فكيف إرادتي في المقبلين عليّ؟

أيها الإخــوة:

من منَّا لا يرضى أن يستر الله عيوبه؟ من منَّا لا يتمنى أن ينال حب الله تعالى له؟ وقد قال ﷺ فيما رواه أبو نعيم: «**إذا أحب الله عبداً قذف حبَّهُ في قلوب الملائكة، وإذا أبغض الله عبداً قذف بغضه في قلوب الملائكة، ثم يقذفه في قلوب الآدميين**».

وقد روى البخاري ومسلم قوله ﷺ: «**إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريلَ، إنَّ الله يحب فلاناً فأحبّه، فيحبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهلُ السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**».

وفي رواية الترمذي أنه ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل أني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء، ثم توضع له المحبة في الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾** [مريم: ٩٦]، **وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل أني أبغض فلاناً فأبغضه، فينادي في السماء ، ثم تنزل له البغضاء في الأرض**».

فاجتهد أخي المسلم واحرص كل الحرص على أن تحصل على هذا الفضل، وهذا الكرم العظيم عن طريق التوبة الخالصة لله عز وجل، والتمس مرضاة الله في جميع أحوالك.

فقد روى أحمد أنه ﷺ قال: «**إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل، فلا يزال كذلك، فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من**

حولهم، حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم يهبط إلى الأرض».

ثانياً: من ثمرات التوبة التي يجنيها التائبون: الفوز والفلاح في الآخرة، كما أخبر بذلك القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٧]، وقال أيضاً: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

فهاتان الآيتان تتحدثان عمَّن تاب من الشرك والمعاصي، وآمن وعمل صالحاً، وما ينتظره من الرجاء في الفلاح والفوز برضى الله عَزَّ وجَلّ، وهذا وعد كريم من رب رحيم، ومن شأنه عز وجل أنه لا يخلف وعده.

هذا وقد أخبرنا القرآن الكريم عن حال السعداء برضى الله تعالى، بأنه سيقال لهم يوم القيامة ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠-٧٣]. والمعنى أن أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم. فاحرص أخي المسلم على الأعمال الصالحة، والتوبة الصادقة حتى تفوز وتسعد بهذا النعيم في الآخرة.

ثالثاً: من تلك الثمار التي يجنيها التائبون الصادقون في توبتهم: تبديل السيئات إلى حسنات. قال الله تبارك وتعالى مبيناً لنا سمات عباد الرحمن بأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ ﴾ [الفرقان: ٦٨] ثم قال عزَّ وجَلّ بعد بيان تلك الصفات: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩] أي من يرتكب تلك الموبقات من الشرك والقتل والزنى يعاقب عليها في الآخرة، ويضاعف عقابه بسبب الشرك والمعاصي، ويخلد في هذا العذاب حقيراً ذليلاً أبد الآبدين، وبعد بيان هذا المصير يقول الله عز وجل: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠] أي إلَّا من تاب في الدنيا التوبة النصوح، وأحسن عمله،

فإن الله تعالى يتوب عليه، ويعد التائبين المؤمنين العاملين أن يبدل ما عملوه من سيئات قبل التوبة بحسنات تضاف إلى حسناتهم الجديدة. روى ابن أبي حاتم أن شيخاً هرماً جاء إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله رجل غدر وفجر، ولم يدع حاجةً ولا داجة إلا اقتطفها بيمينه، لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم، فهل له من توبة؟ فقال له النبي ﷺ: «**أأسلمت؟ قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فقال له النبي ﷺ: فإن الله غافر لك ما كنت كذلك، ومبدل سيئاتك حسنات**». وروى الطبراني أنه قيل للنبي ﷺ: أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها، ولم يترك حاجةً ولا داجةً، فهل له من توبة؟ فقال النبي ﷺ للسائل: «**أأسلمت؟ فقال: نعم، فقال ﷺ: فافعل الخيرات واترك السيئات، فيجعلها الله لك خيرات كلها**».

رابعاً: من الثمرات الطيبة للتوبة الصادقة المقرونة بالعمل الصالح هي الفوز بدخول الجنة. قال تعالى بعد أن بين أحوال الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم، أنه جاء من بعدهم قوم أشقياء تركوا الصلاة، وسلكوا طريق الشهوات، فاستغرقوا فيها، هؤلاء سوف يلقون شراً وخسراناً يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠] أي إلّا من تاب ورجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات، وتاب وأصلح عمله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٦٠]. وقد روى ابن ماجه أنه ﷺ قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**».

خامساً: ومن تلك الثمرات التي يجنيها التائبون: سعة الرزق ورغد العيش، والحصول على بركات السماء وبركات الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود: ٢-٣] أي واستغفروه من الذنوب، وأخلصوا له التوبة، فإنكم إن فعلتم ذلك يمتعكم في هذه الدنيا بسعة الرزق، ورغد العيش.

وقال أيضاً على لسان نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ربطت بين تيسير الأرزاق وبين صلاح القلوب، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. فما من أمة اتقت الله عز وجل وعبدته، وأقامت شريعته، واتجهت اتجاهاً صادقاً، اتجاهاً حقيقياً لله عز وجل بالعمل الصالح والاستغفار إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض.

فاحرصوا أيها الإخوة على التوبة الصادقة، والرجوع الصادق إلى الله عز وجل حتى تفوزوا وتسعدوا بتلك الثمار الطيبة، ولا تستصغروا ذنباً، وذلك لأن تعود النفس على التساهل مع الصغائر من شأنه أن يستدرجها للوقوع في الكبائر، والصغير إذا كثر واستمر أدى إلى خطر كبير، وصدق الرسول ﷺ حيث يقول فيما رواه أحمد والطبراني: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**».

واحرص أخي المسلم على التوبة الصادقة حتى تفوز وتسعد بتلك الامتيازات التي خصها الله عز وجل للتائبين من عباده، وكن دائماً مستعداً للقاء الله عز وجل، وتزود لهذا اللقاء، حتى إذا ما فارقت الحياة كنت فرحاً بلقاء الله، كبلال رضي الله عنه، فقد روي أنه عندما كان يحتضر كانت ابنته تبكي وتقول: وا أبتاه، واكرباه، واحزناه. فلما انتبه وهي تقول هذا زجرها وقال لها: لا تقولي ذلك، لا كرب على أبيك بعد اليوم، اليوم نلقى الأحبة، محمداً وصحبه.

وقد روى أحمد والطبراني أنه ﷺ قال: «**إنّ الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا. فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول تعالى: قد أوجبت لكم مغفرتي**».

أيها الإخــوة:

روى البيهقي أنه ﷺ قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من**

الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه، ومن آذى مسلماً كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل».

اللَّهمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللَّهمَّ اغفر لنا ذنوبنا يا رب العالمين.

اللَّهمَّ اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللَّهمَّ إنا نعترف بذنوبنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللَّهمَّ إنا نسألك توبة خالصةً لك.

اللَّهمَّ افتح لنا أبواب رحمتك.

اللَّهمَّ لا تخيب رجاءنا ونحن نرجوك، ولا تحرمنا مغفرتك ونحن ندعوك.



«أحْكم السفينةَ فإنّ البحر عميق»

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

روى الإمام المقدسي عن أبي ذر ﵁ أنه قال: «**أوصاني خليلي بأربع كلمات هن أحب إلي من الدنيا وما فيها، قال لي: أَحْكِمِ السَّفينةَ فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير**». صدق رسول الله ﷺ.

أيها الإخـوة:

لنتأمل سوياً تلك الكلمات التي ركزت على أهم أسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة: «**أَحْكِمِ السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير**» كلمات لو تمعن فيها كل منا لوجد أنها تأخذ بيده وترشده إلى طريق الفوز والسعادة، ومن

رحمته ﷺ بأمته يوصيهم جميعاً في شخص أبي ذر رضي الله عنه بقوله: «**أحكم السفينة فإن البحر عميق**».

ولعل السفينة التي يوصينا الرسول ﷺ بإحكامها هي الإيمان والتقوى والعمل الصالح، والبحر الذي يشير الرسول ﷺ إلى عمقه هي الدنيا، والإحكام بمعنى الإتقان، فكأنه ﷺ يوصينا بأن نتقن الأعمال الصالحة في هذه الدنيا الشبيهة بالبحر العميق حتى لا نغرق فيها وفي ملذاتها وشهواتها.

إنَّ لله عبـــــاداً فُطُنا طلَّقوا الدنيـا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علمـــوا أنها ليست لِحَيٍّ وطنا

جعلوها لُجَّـة واتّخـذوا صــالح الأعمال فيها سُفنا

وإذا كان الرسول ﷺ قد شبه الدنيا هنا بالبحر العميق فهذا معناه: أنها دار لا أمان فيها ولا استقرار، مثلها في ذلك كمثل البحر الذي لا أمان له، تارةً تراه هادئاً، وتارةً تراه هائجاً.

ولهذا كان ﷺ يعمل على التحقير من شأنها، فقال مثلاً فيما رواه الترمذي: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**».

وروى مسلم أنه ﷺ قال: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع**».

ويريد الرسول ﷺ من وراء ذلك أن يكون هناك حب للدار الآخرة، دار البقاء التي رغبنا الله عز وجل فيها بقوله: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} [النساء: ٧٧].

وإذا كان الرسول ﷺ قد شبه الدنيا أيها الإخوة بالبحر العميق، فقد شبهها الله عز وجل بالماء فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال أيضاً: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

هذا وقد شبهت الدنيا أيضاً بامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم. وروي أن جبريل قال لنوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وقال علي ﷺ يصف الدنيا: «أولها عناء، وآخرها فناء، وحلالها حساب، وحرامها عقاب..».

وكانت رابعة العدوية تقول: لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنياً، قيل لها: وكيف؟ قالت: لأنها تفنى.

وقال بعض الحكماء: الدنيا إما نقمة نازلة، وإما نعمة زائلة.

فإذا كان هذا هو شأن الدنيا فمن العقل والحكمة أن لا يتعلق بها الإنسان حتى لا يقع في شباكها، ولا يغتر بها حتى لا تلهيه عن طاعة الله عز وجل.

وأن يدرك جيداً أن الدنيا وسيلة، والآخرة مقصد، وأن الدنيا مزرعة للآخرة، ومن ثم فيأخذ منها ما يكفيه دون تعلق بها وحرص عليها، حتى لا يكون لها مكان في قلبه، وأن تكون علاقته بالدنيا قائمة على أنها دار عمل وتكليف فيتزود منها لآخرته التي هي دار فضل وجزاء: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة ٧-٨].

روي أنه ﷺ قال: «**الدنيا يومان: يوم فرح، ويوم هم، وكلاهما زائل عنك، فدعوا ما يزول، وأتعبوا نفوسكم في العمل لما لا يزول**».

وقال عيسى عليه السلام: أوحى الله إلى الدنيا: من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه.

وسُئلت رابعة العدوية مرة: من أين أتيت؟ فقالت: من العالم الآخر، قيل لها: وإلى أين أنت ذاهبة؟ فقالت: إلى العالم الآخر، قيل لها: وماذا تفعلين في هذه

الدنيا؟ قالت: آكل خبزها، وأعمل للآخرة.

فاعمل أخي المسلم على إحكام سفينتك حتى تتمكن من مواجهة العواصف التي تواجهك في هذه الحياة.

روي أن لقمان قال لابنه يوصيه: يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل.

أيها الإخوة:

وبعد أن بيَّن لنا الرسول ﷺ حقيقة الدنيا وصورها لنا بأنها كالبحر العميق، أوصى بأن نستكثر لأنفسنا من الزاد الذي ينفعنا يوم القيامة، فقال ﷺ: «**واستكثر الزاد فإن السفر طويل**».

وليس المقصود بالزاد المشار إليه هو الذي نعرفه من طعام وشراب، بل المقصود هو العمل الصالح.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

فهذا وعد من الله عز وجل لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى، وقلبه مؤمن بالله ورسوله بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

فالعمل الصالح إذن هو الزاد الحقيقي الذي ينبغي على كل عاقل أن يتزود به قبل انتقاله من دار العمل إلى دار الحساب ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا**ۗ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ومن فضل الله عز وجل وكرمه على المسلمين أن الأعمال الصالحة لا حصر لها، ولا تقف عند لون معين من العبادة، بل كل ما رغب فيه الإسلام من الأعمال صغرت أم كبرت يُعد من الأعمال الصالحة.

روى مسلم: «**أن أناساً قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة**

صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدكم شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

وجاء في حديث متفق عليه أنه ﷺ قال: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتُعِينُ الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**».

فهذه كلها وجوه للخير يستطيع المسلم من خلالها أن يتزود بها لنفسه ليوم الحساب. هذا وقد روى البخاري ومسلم قوله ﷺ: «**كل معروف صدقة**».

فسارع أخي المسلم إلى الله عز وجل بهذه الخيرات، وأكثر منها قبل فوات الأوان: «**ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، أي بوجه ضاحك مستبشر. كما أن البعد عن كل شيء نهى الله عز وجل عنه، يعد كذلك من الأعمال الصالحة. ثم بعد ذلك يوصينا الرسول ﷺ بقوله: «**وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود**». ويلمح من هذا القول أن يحرص الإنسان على أداء الحقوق والواجبات التي عليه قبل أن يرحل من هذه الحياة من حقوق لله عز وجل، ومن حقوق للعباد حتى يخفّف من على ظهره الذنوب والآثام يوم يسأل عن تلك الحقوق والواجبات.

روى مسلم أنه ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار**».

وروى البخاري قوله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح**

أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه». لهذا أوصانا الرسول ﷺ بأن نعطي كل ذي حق حقه، ولا نؤذي غيرنا بالقول أو بالفعل، كي نخفف من على عاتقنا يوم القيامة ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ثم بعد ذلك: يلفت الرسول ﷺ أنظارنا إلى مراقبة الله عز وجل في جميع أمورنا فيقول: «**وأخلص العمل فإن الناقد بصير**» دعوة إلى الإخلاص والمراقبة لله عز وجل القائل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

فالمطلوب منك أخي المسلم إذا كنت مدرساً أو موظفاً، أو طبيباً، أو تاجراً، أو صانعاً، المطلوب منك إذا كنت مصلياً أو صائماً أو متصدقاً، المطلوب: أن تراقب الله عز وجل في كل هذه العبادات، وأن تستحضر دائماً أن الله تعالى مطلع عليك، ويعلم جميع حركاتك وسكناتك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

قال ابن عطاء الله: أفضل الطاعات مراقبة الحق في جميع الأوقات.

وقال بعض العارفين: من راقب الله في خواطره عصمه في جوارحه.

وروى أبو نعيم أنه ﷺ قال: «**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**». وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين فيقول:

إذا ما خلوْتَ الدهر يوماً فلا تقلْ　　خلوتُ ولكن قـــل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفـــــلُ ساعةً　　ولا أنَّ ما تُخفي عليـــــه يغيب

أيها الإخـوة:

روى أحمد والترمذي أنه ﷺ قال: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**».

اللَّهمَّ أحسن عاقبة أمرنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

* * *

من طرق النجاة (معرفة الله)

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

حياة المسلم حياة معاناة، معاناة مع النفس، ومعاناة مع الناس، معاناة مع أبناء الإسلام، ومع أعداء الإسلام، والمسلم في صراعه مع الباطل أشبع بسفينة وسط أمواج عاتية، ومن فضل الله عز وجل وكرمه أن جعل للمسلمين وسط هذه المهالك، وتلك المعاناة طرق وقوارب للنجاة إن هم اتخذوا بها وركبوها، وصلوا بها إلى شاطئ الأمان، وكانت لهم نجاة من التيه والضياع.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالله عز وجل ناصِرُ المؤمنين وحافظهم ومتولي أمورهم، لذلك أرشدهم إلى

ما ينجيهم ويبعدهم عن المهالك والأضرار، ومن تلك الطرق أو القوارب التي أعدها الله عز وجل لعباده المتقين: معرفة الله عز وجل. وهو طريق النجاة من كل ضلالة وانحراف، فالذي يعرف ربه، يعرف الطريق إلى كل خير، ويبتعد عن الوقوع في الشر. ومن ثَمَّ فمعرفة الله عز وجل هي الحصانة والأمان من كل سوء.

قال عزَّ وجَلَّ في حديث قدسي: «**يابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّك فاتك كل شيء، وأنا أَحَبُّ إليك من كل شيء**».

وليس المقصود أيها الإخوة بمعرفة الله عز وجل هو معرفة ذاته، فذاته عز وجل أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية، أو تدركها الأفكار الإنسانية، وذلك لأنها مهما بلغت من العلو الإدراك فهي محدودة الفهم والقدرة.

روي عن ابن عباس ﷺ أن قوماً فكروا في الله عز وجل فقال لهم النبي ﷺ: «**تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره**».

وفي رواية: «**تفكَّروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله، فإن الله بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك**».

فمعرفة الله تعالى تتحقق بالاطلاع على خلقه، والإدراك لصنعه وقدرته وآياته الواضحة في هذا الكون، هذا الكتاب المفتوح الذي حمل دلائل وآيات على قدرة الله عزَّ وجلّ.

والقرآن الكريم يوجه القلوب والأنظار إلى التفكر والتدبر في هذا الكتاب المفتوح فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]. والمعنى أن الله تبارك وتعالى يوجه الأنظار إلى السماوات والأرض وما فيهما من الإحكام والإبداع، ويوجه الأنظار إلى تعاقب الليل والنهار، ففي ذلك علامات واضحة على الصانع وعظيم حكمته، ولا يظهر ذلك إلا لذوي العقول الذي ينظرون إلى الكون بطريق التعرف والاستدلال، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون. ثم وصف الله عز وجل أولي الألباب

فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ أي يذكرونه عز وجل بألسنتهم وقلوبهم في حال القيام والقعود والاضطجاع، لا يغفلون عنه، ولا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم سراً وعلانية. ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي إنهم يتدبرون في ملكوت السماوات والأرض، ويفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَـٰذَا بَـٰطِلٗا سُبۡحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

هذا وقد ذم الله عز وجل من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته، فأخبر عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آياته الكائنة في السماوات والأرض كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار، وغير ذلك من العجائب المعروضة للأبصار والبصائر، يمرون عليها صباح مساء، آناء الليل وأطراف النهار، ولا يفكرون فيها ولا يعتبرون.

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٤-١٠٦]، فبالتأمل والتدبر أيها الإخوة نصل إلى معرفة الله عز وجل، صانع هذا الوجود بدون شريك ولا معين، وكلما ازداد اطلاع الإنسان على عجائب الكون، ومعرفته بما فيه من جمال وإحكام، ولم يقف عند القشور، ازداد إيمانه بوجود الخالق وعظمته وحكمته.

وكما يقول أحد علماء الكون: إن العالِـمَ الذي ينظر إلى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والأيدروجين بنسبة معينة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء، مثلُ هذا يعتقد عظمة الخالق، وقدرته، وحكمته، وعلمه الواسع، وهو أشد وأقوى من غيره الذي لا يعلم عنها إلا أنها مجرد ماء.

وما أروع ما قاله الأعرابي عندما سُئل عن الدليل على وجود الله فقال بفطرته: البعرة تدل على البعير، وخط السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلي الكبير؟

أيها الإخـوة:

إن لحظة تأمل في مطلع الشمس ومغيبها، وفي الزهرة المتفتحة، وفي الطائر السابح في الفضاء، وفي السمك السابح في الماء، وسائر الحشور من الحيوان والحشوات، إن لحظة واحدة بتأمل وتفكر في تلك الأشياء لكافية لارتعاش قلب الإنسان بقشعريرة الإدراك والتأثر.

فتأمل أخي المسلم في السماء وما فيها من كواكب، وانظر إلى شمسها وقمرها، وتدبر عدد كواكبها، وكيفية أشكالها واختلاف أكوانها، وما من كوكب فيها إلا ولله عز وجل حكم كثيرة في خلقه ومقداره، وفي شكله ولونه، وفي وضعه في السماء. والنظر في السماء بعظمها وكثرة كواكبها، يجعلك تنظر إلى بارئها كيف خلقها؟ ثم أمسكها من غير عمد ترونها ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].

وتأمل أيضاً هذا الكوكب الذي نعيش عليه، فهو معرض هائل لآيات الله، هذا الكوكب المعد للحياة، الحافل بالنجوم والكواكب التي يبع عدد المعروف فقط مئات الملايين من المجرات التي تحوي الواحدة منها مئات الملايين من النجوم.

فتأمل أخي المسلم في الأرض وسل نفسك لو تغير حجمها صغراً أو كبراً، ما الحال لو تغير ميل الأرض على محورها هنا أو هنا؟ ما الحال لو تغيرت حركتها حول الشمس أو حول نفسها؟ ما الحال لو تغير حجم القمر؟ ما الحال لو تغيرت نسبة الماء واليابس فيها؟ ..لو .. لو؟. وانظر إلى الأرض وهي ميتة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت، واخضرت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]. وانظر إلى الخلائق التي تعمر هذه الأرض من النبات والحيوان، والطير والزواحف والحشرات، هذه الخلائق التي لم يعرف عدد أنواعها وأجناسها، وكل خليقة منها، وكل فرد منها عجيبة، كل حيوان، كل

طائر، كل حشرة، كل نبتة، بل كل جناح في يرقة، وكل ورقة في زهرة، من العجائب التي لا يدركها إلا القلب العامر باليقين: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٠].

وتأمَّل أيضاً في البحار وما فيها من عجائب، فما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله، وفيها من العجائب أضعاف ما نشاهده على وجه الأرض، وكلها آيات تدعو أرباب العقول إلى التفكر والتدبر ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: ١٤].

وتأمل أيضاً في نفسك ففيك من العجائب ما يدل على عظمة الله عَزَّ وجَلّ، انظر إلى جارحة من جوارحك التي أبدع الله عز وجل صنعها وتصويرها، وسل نفسك مثلاً كيف ترى العين؟ وكيف تسمع الأذن؟ وكيف تَشَمُّ الأنف؟ وكيف يتكلم اللسان، وكيف يحكم على مذاق الطعام؟ وكيف يصل الطعام إلى المعدة؟ وكيف تقوم المعدة بهضم هذا الطعام؟ وكيف تخرج ما تبقى من فضلات؟ وكيف يحدث هذا؟ وما الذي كان يحدث لو لم يحدث هذا؟ ثم سل نفسك: لماذا ينبت الشعر في مكان ولا ينبت في آخر؟ ولماذا لا يطول شعر الرمش والحاجب كما يطول شعر اللحية والشارب؟ ولماذا لا ينبت الشعر في داخل العينين؟ أو في داخل الفم مع أنه قريب منهما؟ وما الذي كان يحدث لو حدث هذا؟

إن الإنسان أيها الإخوة هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض، فهو عجيب في تكوينه الجسماني، عجيب في تكوين أعضائه وتوزيعها، عجيب في وظائف تلك الأعضاء، وفي كل عضو، بل في كل جزء من العضو عجائب تحير العقول.

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ففي نظرك لنفسك أخي المسلم، وما اشتملت عليه من عجائب كفاية من العظة والاعتبار، ودلالة على أن الله عز وجل قادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

قل للطبيب تخطف يـــد الردى — يا شـــافي الأمراض من أرداكا؟
قل للمريض نجا وعوفي بعدما — عجزت فنـــون الطب من عافاكا؟
قل للصحيح يموت لا من علةٍ — من بالمنـــايا يا صحيح دهاكا؟
قل للبصير وكان يحذر حفرةً — فهوى بهـــا من ذا الذي أهواكا؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام — بلا اصطدام من يقــود خطاكا؟
قل للجنين يعيش معزولاً بلا — راعي ومرعى ما الذي رعاكا؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء — لدى الولادة ما الــذي أبكاكا؟
وإذا ترى الثعبـــان ينفث سمه — فاسأله من ذا بالســموم حشاكا؟
واســأله كيف تعيش يا ثعبان أو — تحيى وهذا السُّـــم يملأ فاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت — شهداً وقل للشـــهد من أحلاكا؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين — دم وفرث ما الذي صفَّاكا؟

إنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.
اللَّهمَّ اجعلنا ممن ينظرون فيعتبرون، ويوعظون فينتهون.

❋ ❋ ❋

من طرق النجاة (عبادة الله)

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن طريق من طرق النجاة التي أعدها الله عز وجل لعباده المتقين، وهذا الطريق هو معرفة الله تعالى، وعرفنا أن معرفة الله عز وجل تتحقق بالتأمل والاطلاع والتدبر في مخلوقاته سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

فهذه الآية جعلت معرفة الله هي الغاية من خلق السماوات والأرض.

وقد روي أنه ﷺ قال: «**تفكّروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره**»، وفي رواية: «**تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك**». وبقدر معرفة الله

تعالى يكون الإيمان به، والتقوى له، والخشية منه.

واليوم إن شاء الله تعالى نشير إلى طريق آخر رسمه الله عز وجل للبشر جميعاً، هذا الطريق هو: عبادة الله عز وجل وهو طريق النجاة من الغرق في بحر الضلالات، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والمتأمل في هذا الكون الذي نعيش فيه يرى بوضوح أن كل شيء فيه يحيى ويعمل لغيره، فنرى مثلاً أن الماء للأرض، وأن الأرض للنبات، وأن النبات للحيوان، والحيوان للإنسان، وهنا يأتي السؤال: الإنسان لمن؟

ولا شك في أن الجواب الذي تنطق به الفطرة أن الإنسان لله، لمعرفته، لعبادته، للقيام بحقه وحده. هذا ما تنطق به الفطرة، وذلك لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان لشيء آخر، فكل ما في السماء والأرض مسخر له، ويعمل في خدمته، وهو سيد هذه المخلوقات، فكيف هو لها، أو يعمل في خدمتها؟ فالإنسان بحكم الفطرة، ومنطق الكون، إنما هو لله وحده لا لغيره، لعبادته وحده: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢]. وهذه العبادة هي العهد القديم الذي أخذه الله عز وجل على بني الإنسان على ألسنة الرسل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠-٦١]. وبالعبودية لله تعالى بُعث جميع الرسل، فكل نبي بعثه الله عز وجل، دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويبين لهم أنه لا رب ولا معبود بحق سوى الله عَزّ وجَلّ. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. فالتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس، لا تبديل فيها ولا تحويل، وكان النداء الأول لكل رسول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فهذا دعاء نوح عليه السلام لقومه، وهود وصالح عليهما السلام، وإبراهيم، ولوط، وشعيب عليهم السلام، وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. والمعنى أنه عز وجل أرسل الرسل إلى جميع الخلق بأن اعبدوا الله ووحدوه، واتركوا كل معبود سواه.

والعبادة أيها الإخوة هي حق الخالق على خلقه، روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل أنه قال: «**كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على لله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**».

فمن عَبَدَ الله تعالى، وأحسن تلك العبادة، كان موصولاً بالله عز وجل، والموصول بالله عز وجل يكون على مدد منه، وعوناً وعناية منه.

ومَثَلُ الموصول بالله كمثل السفينة الموصولة بنقطة المراقبة في الميناء، إذا انقطعت صلتها به تاهت في البحار، وكان مصيرها الهلاك والغرق. أو كالطائرة عندما تنقطع صلتها ببرج المراقبة تتوه في الفضاء، وتنحرف عن خط سيرها، وتعرضت للأخطار والمهالك، كذلك الإنسان إذا انقطعت صلته بالله عز وجل تاه وغرق في شهوات الدنيا، وكان فريسة سهلة للشيطان ووساوسه.

ولهذا كان من فضل الله وكرمه، ومن عطائه لخلقه أن نظم لهم، وفرض عليهم خمس مواعيد في اليوم والليلة لتأكيد الصلة به عزَّ وجَلّ، أمرهم بإقامتها حين يمسون وحين يصبحون، وعشياً وحين يظهرون ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[الإسراء: ٧٨]. فرضها على الغني والفقير، وأوجبها على القوي والضعيف، وطلبها في جميع الأحوال، في حال الصحة وفي حال المرض، في السفر وفي الحضر، في السلم وفي الحرب. كرَّرها خمس مرات في اليوم والليلة لتكون حمّاماً روحياً للمسلم، يتطهر بها من أدران خطاياه، ومن غفلات قلبه، وقد مثل لنا النبي ﷺ هذا المعنى في حديث رواه البخاري ومسلم قال فيه: «**أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

فالصلاة أيها الإخوة تعميق لمعاني العبودية والتوحيد لله عز وجل، وفي إقامتها اعتراف لله بالربوبية والتدبير، فمن أقامها وأقبل عليها قويت صلته بالله عز وجل. ولذلك كان ﷺ ينتظر فريضة الصلاة انتظار الظمآن إلى شربة ماء، وكيف لا؟ وهو القائل: «..**وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

وكان يقول لبلال إذا حان وقتها: «**أرِحنا بها يا بلال**».

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

وكان السلف الصالح يقبلون عليها بكل جوارحهم ومشاعرهم، حتى كان الواحد منهم إذا جاء وقت الصلاة كان يتزلزل ويتغير وجهه، كما حدث ذلك لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل له في ذلك: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: جاء وقت أمانة عرضها السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أأحسن أداء ما حُملت أم لا؟

وكان الحسن بن علي رضي الله عنه إذا أتى باب المسجد رفع رأسه قائلاً: إلهي عبدك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء، وأنا المسيء فتجاوز عن قبح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم.

وقد قيل لأحد الصالحين: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها؟ فأجاب بقوله: لا أعود نفسي شيئاً يفسد علي صلاتي، فقيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ فقال: بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلان صبور ويفتخرون بذلك، فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة؟

كما روي أن رجلاً من الصالحين قرر الأطباء قطع ساقه لمرض خبيث كان بها، فقال لهم: إن كان ولا بد فاقطعوها وأنا في الصلاة، وفعلاً قطعوها وهو ساجد فلم يشعر بالألم، ذلك لأنه كان مع الله عز وجل بكل جوارحه ومشاعره وأحاسيسه. سبحان الله، أما نحن فلو مرت نملة على قدم واحد منا انشغل بها عن صلاته. هذا بالإضافة إلى الوساوس والأفكار الدنيوية التي يحرص الشيطان على تجميعها ونحن في الصلاة، ولذا نجد البعض يخرج من صلاته وكأنه لم يكن فيها.

وعلاج ذلك باختصار: أن يجتهد كل منا في أن يدع هموم الدنيا، وكل ما يشغله عن صلاته، وأن يجعل قلبه بعيداً عن التفكير في مشاكله الدنيوية، وأن يقبل على الله عز وجل بقلب حاضر صادق مع الله عز وجل: «**فليس للعبد من صلاته إلّا ما عقل منها**».

فاجتهد أخي المسلم في الصدق مع الله عَزَّ وجَلَّ في كل حركاتك وسكناتك، وخاصةً في صلاتك حتى تكون قريباً منه، وسعيداً به، وحتى تكون من الرجال الذين، قال الله في وصفهم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧-٣٨].

أيها الإخــوة:

احرصوا على مراقبة الله عز وجل، وخاصة في الصلاة، لأنها مركز الإشعاع، ولأنها تجمع جميع أركان الإسلام بمعنى أنك عندما تقول في التشهد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، تكون قد حققت الركن الأول من الإسلام. والركن الثاني من الإسلام وهو الصلاة يتحقق في وقوفك بين يدي الله لأداء فريضة من الفرائض. وتحقق الركن الثالث وهو الزكاة وأنت تؤدي زكاة وقتك، وزكاة جسدك بركوعك وسجودك وحركاتك أثناء الصلاة. وبامتناعك عن الطعام والشراب أثناء الصلاة يكون قد تحقق الركن الرابع وهو الصيام. ويتحقق الركن الخامس وهو الحج وأنت تتجه إلى الكعبة في صلاتك.

فالصلاة تجمع جميع أركان الإسلام، لذلك دعا إليها الإسلام وحذر من تركها، وأكد المحافظة عليها في جميع الأوقات.

أيها الإخــوة:

قال ﷺ في إجابته جبريل عليه السلام عن الإحسان بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

من طرق النجاة (مراقبة الله)

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخـوة:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن طريق من طرق النجاة التي أعدها الله تعالى لعباده المتقين، هذا الطريق هو: عبادة الله عز وجل.

ونشير اليوم إن شاء الله تعالى إلى طريق آخر من طرق النجاة، وهذا الطريق هو مراقبة الله سبحانه وتعالى، وهو طريق النجاة من الغرق في بحر الانحرافات، فالذي يراقب الله عز وجل يسد على الشيطان مداخله إلى نفسه، ومداخل الشيطان كثيرة ومتعددة، وهو يستخدم كل مدخل على حسب نوعية الإنسان وعلى حسب مستواه الإيماني.

فالذي يراقب الله عز وجل يدرك كل تلك المداخل ويمكنه التغلب عليها، والذي يغفل عن مراقبة الله فإن الله يطمس على قلبه، فلا يشعر بمداخل الشيطان،

وكان من السهل أن يقع في شباكه.

رُوي أن بعض السلف قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال له: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال له: فإن عاد؟ قال: أجاهده، فقال له: هذا يطول، ثم قال له: أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده، وأرده قدر جهدي، فقال له: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفّ عنك.

فمراقبة الله عز وجل تحفظ الإنسان وتحميه من الوقوع في الانحرافات، وتجعله دائماً حاضر القلب.

وتتأكد المراقبة في نفس المسلم مع تزايد الشعور بقرب الله منه، واستشعاره دائماً بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، وأنه تعالى يعلم ما يجول في قلبه وخاطره: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[الزخرف: ٨٠].

هذا وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الله تعالى يعلم ما توسوس به نفس الإنسان من الخير والشر، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

فالله عز وجل لا يخفى عليه شيء من خفايا الإنسان ونواياه، ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به**». فنفس الإنسان مكشوفة لله عز وجل، لا يسترها حاجب عنه، وكل ما فيها من وساوس خافية فهو معلوم لله عز وجل، إذ يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ أي نحن أقرب إليه من حبل وريده، وهو عرق كبير في العنق متصل بالقلب.

ولو تصوَّر الإنسان هذه الحقيقة، واستحضر القلب مدلول تلك العبارة ما جرؤ على أن يقدم على شيء لا يرضاه الله عزَّ وجَلّ، وقيل إن المراد بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ أن الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده. وسواء كان هذا المعنى هو المراد أم غيره فهذه الآية تجعل الإنسان وتدعوه دائماً إلى التفكير بالخطوة قبل أن يخطوها، وفي الكلمة قبل أن يتلفظ بها.

وهذه العبارة وحدها كافية لأن يعيش الإنسان بها في حذر دائم، ومراقبة دائمة لله عز وجل.

ولنتأمل أيها الإخوة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فهذه الآية تقرر علم الله الواسع الشامل لما في السماوات وما في الأرض، وأنه مطلع على كل ذرة في الكون، لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه سِرٌّ ولا علانية، وتقرِّرُ أيضاً أن ما يقع من حديث وسر بين ثلاثة أشخاص إلَّا كان الله رابعهم، ولا خمسةٍ إلَّا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلَّا هو معهم أينما كانوا.

والمقصود أن الله تعالى حاضر مع عباده، مطلع على أحوالهم وأعمالهم الظاهرة والخفية، المعلومة والمجهولة.

والمتأمل في تلك الآية يلاحظ أنها بدأت بالعلم وختمت بالعلم، وهذا يعطينا إشارة إلى إحاطته عز وجل بالكليات والجزئيات، وأنه لا يغيب عنه شيء في الكائنات لأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

وهذا يتطلب منك أخي المسلم: إذا كنت موظفاً أو مدرساً أو طبيباً أو تاجراً أو عاملاً، يتطلب منك أن تراقب الله عز وجل في عملك الموكل إليك، وأن تؤديه على الوجه الأكمل الذي يرضاه الله ورسوله.

أيها الإخوة:

جاء في حديث متفق عليه «**أن ثلاثة من بني إسرائيل أحدهم أبرص، والثاني أقرع، والثالث أعمى، أراد الله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص وقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس** -أي الذي كان سبباً في أن يكرهني الناس- **فمسحه الملك فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً، ثم قال له: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأعطي ناقة عَشراء، فقال: بارك الله لك فيها.**

ثم أتى الأقرع فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً، ثم قال له: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، وقال له: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يردَّ الله بصري فأبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، ثم قال له: أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والداً.

وأنتجت الناقة حتى أصبح لصاحبها وادٍ من الإبل، وأنتجت البقرة حتى أصبح لصاحبها وادٍ من البقر، وأنتجت الشاة حتى أصبح لها وادٍ من الغنم، وهنا يأتي الابتلاء والاختبار لهؤلاء الثلاثة.

ثم جاء الملك بعد ذلك إلى الأبرص في صورته وهيئته وطلب منه أن يعطيه مما أعطاه الله قائلاً له: أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، وأعطاك المال أن تعطيني بعيراً، فقال له: الحقوق كثيرة، فقال له الملك: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال الرجل: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

ثم أتى الأقرع في صورته وهيئته، وقال له مثلما قال للأبرص، ورد عليه أيضاً بمثل الرد، فقال الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته، وقال له: رجل مسكين وابن سبيل أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال له هذا الرجل: قد كنتُ أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئتَ ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل-أي: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي- **فقال له الملك: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»**.

هذا وقد حكي في المراقبة أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب، وكان يكرمه، فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فأراد هذا الشيخ أن يبيّن لهم سبب تكريمه هذا الشاب، فدعا بعدة طيور، وأعطى كل واحد

منهم طيراً وسكيناً وقال لهم: ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه أحد، وأعطى الشاب مثلهم، وذهبوا جميعاً ليذبحوا، فعاد كل واحد منهم بطيره مذبوحاً، وعاد الشاب والطير حي في يده، فقال له: ما لك لم تذبح وقد ذبح أصحابك؟ فقال هذا الشاب التقي المراقب لربه: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد، إذ الله مطلع علي في كل مكان.

ويحكى أن امرأة العزيز لما حلت بيوسف عليه السلام، قامت فغطت وجه صنم كان لها، فقال لها يوسف: ما لك؟ أتستحين من مراقبة جماد، ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار؟

ويقال إن طاوس اليماني رحمه الله تعالى كان بمكة فراودته امرأة عن نفسه فلمك يزل بها حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون، فقال لها: اقضي ما تريدين، فقالت له في تعجب: في هذا الموضع والناس ينظرون؟ فقال لها: فالحيء من نظر الله أحق. فتابت المرأة وحسنت توبتها.

فاحرص أخي المسلم على مراقبة الله عز وجل في عبادتك، وفي معاملتك، وفي حركاتك وسكناتك، حتى يتحقق الإحسان الذي أشار إليه الرسول ﷺ في قوله: «**الإحسان: ان تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وضع في حسابك دائماً أن كل نفس من أنفاس العمر يعد جوهرة غالية إذا ضاعت فلا عوض لها، ويمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا ينتهي نعيمه.



حالة العرب قبل مولده ﷺ وبعض الإرهاصات التي سبقت مولده ﷺ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

منذ أيام قليلة هَلَّ علينا شهر ربيع الأول، وكلما هل هذا الشهر من كل عام فرحت النفوس المؤمنة، واستبشرت بقدومه، فهو شهر الهجرة من مكة إلى المدينة، وهو أيضاً شهر ميلاد الحبيب محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين، وصفوة الله من خلقه.

اختاره ليكمل رسالته إلى الناس كافة، عربيِّهم وعجميِّهم، أبيضهم وأسودهم، أرسله ربُّه رحمةً للعالمين، وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبي إلى اسمه   إذا قال في الخمس المؤذّنُ: أشهد

وشُـــقَّ له من اســمه ليجلّه   فذو العـرش محمودٌ وهذا محمدُ

لقد كان ميلاده ﷺ فيصلاً بين عهدين من عهود البشرية: عهد كان مليئاً بالظلم والطغيان، والشرك والضلال، وعهدٌ جديد يفيض على البشرية كلها بالرحمة والنور، والهدى والخير والبركات.

﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

أيها الإخـوة:

ما أحلى الحديث عن رسول الله ﷺ، وما أوسع القول في جوانب شخصيته ﷺ، فحياته ﷺ فياضةٌ بالأحداث، غنيةٌ بالعبر، ولذا أشعر بهيبة ورهبة وأنا أتحدث عنه ﷺ.

وقبل أن نتحدث عن حياته ﷺ من المولد إلى الوفاة، نلقي الضوء بإيجاز عن حالة العالم عامةً والعرب خاصةً قبل مولده وبعثته ﷺ، وعن بعض الإرهاصات التي كانت بمثابة تهيئ الجو لمقدم النبي المنتظر.

وهذا ما نشير إليه اليوم إن شاء الله تعالى، خلال هذا اللقاء.

ولو نظرنا أيها الإخوة إلى حالة العرب قبل مولده ﷺ نجد بوضوح أنهم كانوا يعيشون في شرك وضلال، وفي جهالةٍ وفي بعد عن الحق، يتخبطون في شهواتهم وأهوائهم، وانتشرت فيهم الأمراض القلبية على اختلاف أنواعها، وأعظم هذه الأمراض على الإطلاق: تعلقُ القلوب بغير الله سبحانه وتعالى، إذ كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وهي حجارة لا تضر ولا تنفع، يصنعونها

بأيدهم ثم يخرون لها ساجدين، وكان لكل قبيلة صنم كبير يقصدونه في الشدائد، ويستعينون به في قضاء الحاجات.

ومن الأمراض التي كانت منتشرة أيضاً: وأد البنات: إذ كان العرب يئدون بناتهم خشية العار، وكان للوأد صورتان:

الأولى: أن يحفر للمرأة عند الوضع حفرة تلد على حافتها، فإن ولدت ولداً استبقوه، وإن ولدت أنثى ألقوها في الحفرة وأهالوا عليها التراب.

الصورة الثانية: أنه عندما تبلغ البنت سن السابعة من حياتها يقول أبوها لأمها: زينيها، فتزينها وتُلبسها أحسن الثياب، ثم يأخذها أبوها إلى الصحراء حيث قد حفر لها حفرةً وغطاها، فيمررها فوق الحفرة فتسقط فيها، ثم يهيل عليها التراب. ولجمود قلبه وقسوته كان لا يبالي بصراخها وبكائها.

ويرسم لنا القرآن الكريم تلك العادة السيئة فيقول تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

فهذه الآية تصوِّر لنا ما كانوا يفعلونه إذا أُخبر أحدهم بولادة أنثى، تغير وجهه وصار كئيباً مسوداً من الهم والغم والضيق ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يكظم غيظه وغمه، يختفي من قومه ويكره أن يراه الناس، وكأنها بلية وليست هبة من الله كالذكر، ثم يفكر فيما يصنع معها ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾ أي: أيمسكها على ذل وهوان، أم يدفنها ويئدها في التراب حية؟ ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.

هذا وكانوا يشربون الخمور، ويلعبون الميسر، ولا تنتهي الحروب بينهم لأتفه الأسباب، إلى غير ذلك من الأمراض التي كانت منتشرةً آنذاك.

ولم تكن هذه الصورة المظلمة وقفاً على بلاد العرب وحدها، بل كان العالم أجمع قبل مولده ﷺ يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، فلا حرية ولا مساواة، ولا تعاون ولا مؤاخاة. فدولة الفرس مثلاً تجبرت واستعبدت، ودولة الروم ظلمت وأفسدت، وكانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية، وكان التدهور

الأخلاقي والاجتماعي منتشراً في الهند واليونان وغيرهما.

وعلى الرغم من ذلك كله كان هناك بقية من الناس، كانت تؤمن بالله واليوم الآخر، ورفضوا الأصنام كفكرة صحيحة للألوهية، وظلت متمسكة بعقيدة التوحيد تسير على نهج الحنيفية، تصدق بالبعث والنشور، وتوقن بأن الله عز وجل يثيب المطيع ويعاقب العاصي، وكانوا يكرهون ما استحدثه العرب من عبادة الأوثان، ومن أشهر هؤلاء: ورقة بن نوفل، وقسُّ بن ساعدة الإيادي، وبحيرا الراهب، وغيرهم.

أيها الإخوة:

تلك صورة سريعة لحالة العرب والعالم قبل مولده ﷺ.

أما ما يتعلق بالإرهاصات فهي كثيرة، وقد شاء الله عز وجل أن تشمل جميع المراحل، فكانت قبل المولد، وأثناء الحمل، وعند الوضع، وفي فترة الرضاع، وفي زمن الصبا، وفي فترة الشباب.

ومن تلك الإرهاصات أو الأحداث التي سبقت ميلاده ﷺ: ما روي أن جده عبد المطلب عندما ذهب بابنه عبد الله إلى بيت آمنة بنت وهب ليزوّجها له، مر على امرأة من بني أسد تسمى أم قتال رقيّة بنت نوفل أخت ورقة بنت نوفل، وكانت قد سمعت من أخيها أن في التوراة والإنجيل علامات النبي الخاتم، وبالفراسة شاهدت أم قتال أنوار النبوة في جبين عبد الله بن عبد المطلب، فتمنت في هذه اللحظة أن تكون هي أماً للنبي المنتظر، فقالت له: أين تذهب يا عبد الله؟ فقال لها: مع أبي، فقالت له: لك مثل الإبل التي غَرَّتْ عنك وقع على الآن، وكان عدد الإبل التي كانت فداء لعبد الله بن عبد المطلب من الذبح مئـة.

فقال لها: أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه، ومضى مع والده إلى منزل وهب بن عبد مناف، وتزوج ابنته آمنة بنت وهب، وهي يومئذٍ سعيدة نساء قومها، وأفضلهم نسباً وموضعاً.

ثم يلتقي عبد الله مرة أخرى بأم قتال فيسألها: ما بالك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضتيه بالأمس؟ فقالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس،

فليس لي بك اليوم حاجة.

ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب رد عليها عندما عرضت نفسها عليه قائلاً:

أما الحــــرام فالممات دونه والحل لا حل فأســـــتبينه

فكيف بالأمــــــر الذي تبغينه يحمـي الكريمُ عرضه ودينهُ

وفي هذا دلالة على أنه ﷺ ولد في أشرف بيت من بيوت العرب، فهو من أشرف فروع قريش –وهم بنو هاشم– وقريش أشرف قبيلة في العرب، وأزكاها نسباً، وأعلاها مكانةً.

روى الحاكم أنه ﷺ قال: «**إن الله تعالى خلق خلقه فجعلهم فرقتين، فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم قبيلةً وخيركم بيتاً**».

ومن الظواهر والإرهاصات التي حدثت أثناء الحمل: أن السيدة آمنة بنت وهب لما حملت به نوديت: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

ويروي ابن الجوزي عنها أنها قالت عندما حملت به: ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء، إلا أني أنكرت رفع حيضتي فأتاني آتٍ وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل تشعرين أنك حملتِ؟ فكأني أقول: ما أدري. فقال: إنك حملتِ بسيد هذه الأمة ونبيها.

ويروي أيضاً أنها قالت: ولدته جاثياً على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضةً من الأرض وأهوى ساجداً، وقد قطعت سرته. وروى الطبراني أنه ﷺ قال: «**من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحدٌ سوءتي**».

ويروى أن رجلاً من اليهود كان بمكة ليلة مولده ﷺ فقال: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم، فقال: ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات، فلما ذهبوا إلى منازلهم سأل كل منهم أهله،

فقالوا: ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً، فأخبروا اليهودي بهذا، فطلب منهم أن يراه، فلما رآه وكشف عن ظهره، ورأى تلك الشامة وقع مغشياً عليه، فلما أفاق، قالوا له: ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل.

اللَّهمَّ لا تحرمنا شفاعته يوم القيامة.

اللَّهمَّ لا تُنْسِنا ذكرك، ولا تجعلنا من الغافلين.

❊ ❊ ❊

حياته ﷺ قبل البعثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعـد:**

أيها الإخوة:

يعيش المسلمون هذه الأيام في ذكرى طيبة ، ذكرى غالية على قلب كل مسلم، تلك الذكرى هي مولد النبي ﷺ إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وخير الخلق أجمعين.

الذي كانت ولادته إيذاناً لفجر جديد، وبشير خير، ومشرق نور، ومطلع هداية، ونذيراً بزوال دولة الظلم والاستعباد.

كان مولده بشيراً بميلاد الحق والخير الذي طال انتظاره، وبشيراً باسترداد القيم العالية، والمثل السامية.

كان مولده ﷺ ربيعاً للقلوب، وربيعاً للإنسانية الحائرة.

كان مولده ﷺ مولدَ أمّةٍ، ومولدَ تاريخ جديد في حياة الإنسانية.

كان مولده ﷺ مولدَ النور الذي وجد الناس به الهدى والخير، والحق والكرامة.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

في مهبط الوحي في أزكى البقاع ثرى ... ولد الرسول وفاض بنـــوره الوادي

فاضت بنور رســول الله وازدهرت ... بطحاء مكة في بشر وإســـعادِ

كان مولده ﷺ نعمةً وبعثتهُ رحمةً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فالرسول ﷺ رحمة للبشرية كلها، ولذا لم يقل الله عز وجل رحمة للمؤمنين، وإنما قال: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. حتى الكفار رُحموا به ﷺ حيث أخر الله عقوبتهم ولم يستأصلهم بالعذاب كالأمم السابقة.

روى الحاكم وابن عساكر أنه ﷺ قال: «**إنما أنا رحمةٌ مهداة**».

وروى الطبراني قوله ﷺ: «**إني رحمةٌ بعثني الله، ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه، لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**».

فمرحباً بذكرى مولدك يا رسول الله.

أهلاً به لَمَّا أطلَّ ومرحبـــاً ... أهلاً بأكـــرم من أعز الله

يا خير من عرف الوجود تحية ... من كل قلب للحبيب منـــاهُ

إني أحن إلى مقامك راجيـــاً ... صفحاً وأســـعد لحظةً برؤاهُ

مرحبا بذكرى مولدك يا من ملأت الدنيا كلها خيراً وبركة.

مرحباً بذكرى مولدك يا من أشرقت على القلوب فأحييتها، وعلى الأخلاق فقومتها، وعلى الأعمال فهذبتها، مرحباً بيوم مولدك يا رسول الله.

صلوا على روح النبي وســلِّموا ... في يوم مولد يعتز فيـــه المسلمُ

ميلاده ميـــلاد أمة يعرب وبهديه العرب الأبـــاة تقدموا

أيها الإخــوة:

ما أحلى الحديث عن رسول الله ﷺ الذي جمع الله له صفات الجمال والكمال، وفي هذا يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وأحسن منك لم تَـرَ قطُّ عيني وأجمل منــك لم تلد النِّسَـاءُ

وُلــدت مبرأً من كلِّ عيب كأنكَ قد خُلقتَ كما تشــاءُ

روى البخاري عن أبي هريرة قال: «**كان رسول الله ﷺ ضخم القدمين، حسن الوجه، لم أر بعده مثله**».

وروى البيهقي عن جابر بن سمرة قال: «**رأيت النبي ﷺ في ليلة مقمرة، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو كان أحسن في عيني من القمر**».

وعن محرش الكعبي أنه قال: اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وروى الترمذي وغيره عن ابن عباس أنه ﷺ كان أفلج الثنِيَّيْن، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه.

وعن أنس أنه قال: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

أيها الإخــوة:

كان مولده ﷺ عهد جديد، الحياة فيه بعيدة عن عوامل الشر والفساد، والظلم والطغيان، عهد يتحرر فيه العباد من كل عبودية لغير الله سبحانه وتعالى، تحرروا فيه من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ولو تأملنا حياته ﷺ قبل البعثة لتبين لنا أن الله عز وجل قد رعاه وحفظه، وعصمه عن جميع مظاهر الانحراف، وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيأه الله لها، فلم يشارك شباب مكة في لهوهم وعبثهم، ولم يشارك قومه في عبادة الأوثان، ولم يسجد لصنم قط، ولم يفعل شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله، بل

كان ﷺ المثل الرفيع للشباب، والقدوة الصادقة للخير والحياة.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦-٨].

قال ﷺ فيما يرويه عن نفسه: «**ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، وفي كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد، ثم ما هممت به حتى أكرمني الله بالرسالة، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الشباب، فقال: افعل، فخرجتُ أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير، فجلست أنظر إليهم، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلَّا حرُّ الشمس، فعدت إلى صاحبي، فسألني: ما فعلت؟ قلت: ما صنعت شيئاً، ثم أخبرته الخبر، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته**».

هذا وقد عرف عنه ﷺ منذ إدراكه: رجحان العقل، والرأي الصواب، والتدبير الحكيم.

ويتضح ذلك في مشكلة وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، ففي سن الخامسة والثلاثين، وقبل بعثته ﷺ بخمس سنوات أصاب الكعبة سيل أدى إلى تصدع جدرانها، وضعف بنيانها، فقرر أهل مكة هدمَها وتجديدَ بنائها، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختصموا فيه، واختلفوا اختلافاً شديداً فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ليكون لها الشرف، واشتد النزاع حتى تواعدوا للقتال، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً دون أن يصلوا إلى حلٍّ ينهي النِّزاع، وفي النهاية ارتضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب المسجد، فكان أول داخل عليهم هو رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا بحكمه، وأخبروه عن سبب النزاع، وبحكمته ﷺ أنهى هذا النزاع بطريقة رضي عنها الجميع.

فقد بسط رداءه ﷺ ثم أخذ الحجر بيده فوضعه فيه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة

بناحية من الرداء ثم ارفعوه جميعاً، فلما رفعوه، وبلغ الحجر موضعه، أخذه الرسول ﷺ ووضعه بيده في موضعه.

وبتلك الطريقة خمدت نار الفتنة، وصان الله عز وجل دماء العرب بحكمته ﷺ في تدبير الأمور.

هذا وقد عرف أيضاً ﷺ بين قومه -قبل البعثة- بالصادق الأمين، واشتهر بينهم بحسن المعاملة، وبالوفاء بالعهد، وكان حسن السمعة، مما رغب السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في أن تعرض عليه أن يتاجر لها في مالها، وقَبِل الرسول ﷺ هذا العرض، ورحل إلى الشام ومعه غلامها ميسرة، وفي الشام نزل الرسول ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطَّلع الراهب إلى ميسرة وقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلَّا نبي. وفي طريق العودة إلى مكة كان ميسرة إذا اشتد الحر يرى ملكين يظللانه ﷺ من الشمس وهو يسير على بعيره، وعادوا إلى مكة من تجارتهم بأرباح مضاعفة، ورأت خديجة الربح الكثير، وحدثها غلامها ميسرة عن قول الراهب، وعمَّا كان يرى من إظلال الملكين إياه، وبما كان فيه من أمانة وإخلاص، فبعثت إليه ﷺ تعرض عليه نفسها زوجةً له، فوافق رسول الله ﷺ وكلَّم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها عمرو بن أسد.

هذا وقد حبَّب الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ قبيل البعثة بسنوات أن يخرج إلى غار حراء يخلو فيه، ليفكر في آلاء الله، وعظيم قدرته، واستمر على ذلك حتى جاءه الوحي، ونزل عليه القرآن الكريم.

وتخبرنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ فتقول فيما رواه البخاري: «**أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه** -وهو التعبُّد- **الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه**

الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني -أي ضمني- حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زمِّلوني زمِّلوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة -وأخبرها الخبر- لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلَّا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عمّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً -أي شاباً قوياً- ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: أومُخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي».

أيها الإخوة:

هذا ما يتعلق بحياته ﷺ قبل البعثة، ولنا لقاءات أخرى إن شاء الله تعالى نتناول فيها حياته ﷺ بعد البعثة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا التمسك بشريعته، واتباع أحكام كتابه، والانتفاع بهدي حبيبه ونبيه سيدنا محمد ﷺ.

اللَّهمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

مواقف من حياته ﷺ بعد البعثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسلك طريقهم إلى يوم الدين. **أمّا بعد:**

أيها الإخوة:

انتهى الحديث بنا في الجمعة الماضية عن حياته ﷺ بعد البعثة إلى أن أشار الرسول ﷺ على أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة بعد أن رأى تعنت قريش، واستمرارها في تعذيبهم، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحداً عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه**».

وخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، وكانت أول هجرة في الإسلام.

ولم تكن هجرة المسلمين إلى الحبشة هرباً من الأذى أو بحثاً عن الراحة، بل هي في الواقع تبديل للمحنة، إذ أن الهجرة نفسها نوع من أنواع العذاب والألم في سبيل الدين والدعوة.

ولما عَلِمَت قريش بخروج المسلمين إلى أرض الحبشة أرسلت إلى النجاشي ملك الحبشة برجلين هما عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص -ولم يكن قد أسلم بعد- وأرسلوا معهما هدايا وتحف ثمينة للملك وحاشيته رجاء أن يسلمهم من هاجر إلى أرضه من المسلمين، وأن يرفض قبولهم في أرضه، وقالا للنجاشي: أيها الملك إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وهم في أرضك، وقد بعث إليك أشراف قومهم لتردهم إليهم. فرفض النجاشي أن يسلم إليهما أحداً من المسلمين حتى يكلمهم في شأن دينهم، ثم أرسل إلى أصحاب الرسول ﷺ وسألهم عن هذا الدين الذي اتبعوه، فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، ونهانا عن أكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك.

فطلب منه النجاشي أن يتلو عليه شيئاً مما جاءهم به رسول الله ﷺ من عند الله، فقرأ عليه جعفر رضي الله عنه آيات من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته من الدموع، وبكت أساقفته، ثم قال للرسولين: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما.

فعادا مرة ثانية للملك وقالا له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم وسلهم عما يقولون، فأرسل إليهم وسألهم: ماذا

تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب ﷺ : نقول فيه الذي جاء به نبينا محمد ﷺ يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه، ثم قال للمسلمين: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم فأنتم آمنون بها، ما أحب أن لي جبلاً من ذهب وإني آذيت رجلاً منكم، ورد على الرسولين هداياهما، وعادا إلى قريش خائبين دون نتيجة.

وفي هذا الموقف من النجاشي رد قاطع على من يقولون بأن عيسى ابن الله، لأنه لو صح ذلك لتمسك به النجاشي الذي كان أخلص الناس لنصرانيته، ولرد على المسلمين كلامهم، وانتصر لرسل قريش فيما جاؤوا من أجله، ولكننا نجد عكس ذلك ، نجده يعلق على ما سمعه من القرآن بقوله: إن هذا والذي جاء به عيسى بن مريم ليخرج من مشكاة واحدة.

أيها الإخـوة:

وفي تلك الآونة أسلم عمر بن الخطاب ﷺ، وكان إسلامه عزاً للمسلمين، وظهر الإسلام بإسلام عمر.

روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «**ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر**».

وقال أيضاً: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتُنا ما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

وقبل هجرته ﷺ بثلاث سنوات توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي كان يشكو إليها، وكانت تخفف عنه همومه وأحزانه، وتوفي أيضاً عمه أبو طالب الذي كان شديد الدفاع عن رسول الله ﷺ، وكان له منعة وناصراً له على قومه، ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه.

وبعد وفاتهما اشتد البلاء على رسول الله ﷺ وتجرأ عليه سفهاء قومه حتى

نثروا التراب على رأسه ووضعوا عليه أوساخ الشاة وهو يصلي.

فلما رأى الرسول ﷺ استهانة قومه به خرج إلى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه على قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فلما توجه إليهم قابل رؤساءهم وعرض عليهم ما جاءهم من أجله، فقال له أحدهم: أنزعُ ثياب الكعبة وأرميها إن كان الله أرسلك.

وقال له الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟

وقال له الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فطلب منهم الرسول ﷺ أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش حتى لا يشتد أذاهم فلم يفعلوا ما رجاه منهم الرسول ﷺ، بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم وعبيدهم، وقعدوا له صفين على طريقه ﷺ يسبونه ويرمونه بالحجارة، فكان ﷺ لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلَّا رَضَخوهما بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، وكان معه زيد بن حارثة رضي الله عنه يَقِيه ويَحْمِيه بنفسه حتى شُجَّت رأسه رضي الله عنه. فعمد الرسول ﷺ إلى ظل نخلة ورفع رأسه وتوجه إلى الله عز وجل بهذا الدعاء المشهور:

«**اللَّهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلمني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدو ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**». فكان الاتصال الإلهي من الله عز وجل لرسوله ﷺ إذ ناداه جبريل وقال له: إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك.

انظروا إلى قوله ﷺ وهو في تلك الظروف القاسية، قال ﷺ: «**اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**» فقال له جبريل عليه السلام: صدق من سمَّاك الرؤوف الرحيم.

حقاً! صدق من سماه الرؤوف الرحيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعاد الرسول ﷺ من الطائف دون أن يستجيب له أحد من ثقيف اللهم إلا ما كان من إسلام عداس ذلك الغلام النصراني الذي كان يعمل عند عتبة وشيبة ابني ربيعة، وفي طريق عودته إلى مكة نزل بمكان وقام يصلي، فمر عليه نفر من الجن فاستمعوا قراءته، فلما سمعوه أنصتوا له، وآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١]. ونزل أيضاً: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

وعاد الرسول ﷺ ومعه زيد بن حارثة من الطائف، وأرادا دخول مكة، فقال له زيد: كيف تدخل عليهم يا رسول الله وقد أخرجوك، فقال ﷺ: «**يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه**».

وأخذ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل، وكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية، وكانت البيعة الثانية هي المقدمة الأولى لهجرته ﷺ إلى المدينة المنورة.

وفي المدينة المنورة قامت الدولة الإسلامية، تلك الدولة التي استطاعت بعد ذلك أن تعود بعد ثمان سنوات إلى مكة فاتحين بعدما خرجوا منها مستخفين مضطهدين، وعاد الرسول ﷺ ومن معه إلى الوطن والأهل والولد.

وبدأ الجهد الطويل الذي بذله سيدنا الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين يؤتي ثماره، وأخذت رسالته ﷺ طريقها إلى المشرق والمغرب فتساقطت أمامها كل قوى الظلم والطغيان، وانتشر أتباعه ﷺ في الأرض يعملون على رفع راية التوحيد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شريك له، فاطر الأرض والسَّماوات، وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُه النبي المجتبى والرسول المصطفى الذي اصطفاه مولاه وعلى موائد كرمه رباه، فبلغ ﷺ من العظمة والكمال قدراً يصعب وصفه ويتعذر بيانه، وكيف لا وهو الذي زكى الله تعالى عقلَهُ فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢]، وزكّى لسانه فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣]، وزكّى جليسه فقال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥]، وزكَّى فؤاده فقال: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١]، وزكّى بصره فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧]، وزكَّى صدره فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١]، وزكّاه كله فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الذين تأسوا بنبيهم الكريم فكانوا نماذج للمكارم ومثلاً للوفاء فرضي الله عنهم أجمعين. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أمَّا بعد:

فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

يا أتباع الحبيب المصطفى محمد ﷺ، يا من تحبونه وتقتفون أثره وتتبعون سنته وترجون يوم الزحام شفاعته، اعلموا رحمكم الله أن حياة رسول الله ﷺ كانت جامعة لكل القيم العظيمة، وكانت شخصيته ﷺ مثلاً أخلاقياً ونموذجاً حياً لكل الشمائل الكريمة والصفات النبيلة، كانت حياته ﷺ عامرةً بالخير والهدى مليئةً بأعظم الخِلال وأجمل الصفات وأوسع الرحمات.

اشتهر ﷺ منذ صغره بالصدق والأمانة وكان ﷺ مثلاً أعلى للحلم والرحمة، وكيف لا وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ

وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ولقد روي أن النبي ﷺ «عندما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له: حتى أسأل العالم، ثم ذهب وأتاه وقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك». ليت شعري أي أدب هذا الأدب الرفيع، وأي نفس تلك النفس التي تطيق أن تصل من قطعها، وتعطي من حرمها، وتعفو عمن ظلمها، إنها نفس خير البرية، إنها نفس صاحب الخلق العظيم محمد ﷺ الذي كسرت رَبَاعيته يوم أُحد وشج وجهه الشريف حيث شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين مشقّة شديدة، وقالوا لو دعوت عليهم يا رسوله الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إني لم أبعث لعَّاناً، ولكني بعثت رحمة، اللَّهمَّ اهد قومي فهم لا يعلمون**».

أيها الإخوة المسلمون:

إننا لو استقصينا حلم الحلماء على مدى التاريخ، وصبرهم على أذى السفهاء لوجدنا أنه ما من حليم إلَّا وقد عرفت عنه ذلة، أو حفظت عنه هفوة، أو سجلت له أثرة، أمّا رسول الله ﷺ فكان لا يزيد مع كثرة الأذى إلَّا صبراً وحلماً ورحمةً ووفاءً وعفواً.

ولقد وعى عمر بن الخطاب ﷺ هذه الحقيقة العظيمة في شخص رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا، فلقد وُطئ ظهرك، وأُدمي وجهك، وكُسِرت رَبَاعيتك، فأبيت أن تقول إلَّا خيراً، فقلتَ: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وقال القاضي عياض رحمه الله معلِّقاً على قول عمر ﷺ هذا: انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم بل عفا عنهم واستغفر لهم ودعا لهم بقوله: «**اللهم اغفر لقومي**» ثم اعتذر لجهلهم فقال: «**فهم لا يعلمون**».

ثم انظروا إخوة الإسلام إلى هذا الموقف الكريم الذي يتحلى فيه الحبيب محمد

ﷺ بالرحمة والعفو عند المقدرة بأوضح صورة، روى البيهقي وغيره من أصحاب السنن أنه لما عاد رسول الله ﷺ وأصحابه من غزوة ذات الرقاع في السنة الخامسة من الهجرة اتخذ رسول الله ﷺ مكاناً يقيل فيه تحت شجرة وإذ بغوث بن الحارث يتسلل ليفتك برسول الله ﷺ فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وغوث قائم والسيف في يده فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال لغوث: من يمنعك مني؟ قال غوث: كن خير آخذ، فتركه النبي ﷺ وعفا عنه، فجاء إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ولله در من قال:

وإذا عفوت فقـــادراً ومقدّراً   لا يســـتهين بعفوك الجهلاء

ولقد ملأت الرحمة قلب رسول الله ﷺ وفاضت تلك الرحمة فشملت القريب والبعيد والعدو والحبيب والإنسان والحيوان والطير.

كانت رحمته ﷺ تسع الناس جميعاً حتى شملت أعداءه الذين آذوه وأخرجوه ويوم أن مكنه الله منهم وأظهره عليهم ودخل مكة دخول الفاتحين ووقف على أهلها وقوف القادرين وصاروا في قبضة يده قال لهم: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

هكذا كان ﷺ رحيماً وكان أعظم وأفضل الناس تسامحاً وأوسع احتمالاً مهما وقع له ومهما وُجّه إليه.

وكان ﷺ أكثر الناس تواضعاً، روى أحمد والطبراني أنه ﷺ خُيِّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، فقال إسرافيل عليه السلام: فإن الله قد أعطاك بها تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع.

فانظروا إخوة الإسلام كيف اختار الرسول عليه الصلاة والسلام العبودية لله على الملك والسلطان، لأن شأن الملوك غالباً التكبر والتحيز للدنيا والتكثر من البطانة والخدم، وإنما اختار العبودية لله عز وجل لأن من صفات العبد التقلل من الدنيا والتكثر من خدمة المولى، ولما كان ﷺ مع ربه كذلك منحه الله سيادة بني آدم كلهم، ولهذا يقول ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»، وسيقت له الدنيا بحذافيرها وترادفت عليه فتوحاتها، حتى أنه ﷺ قال: «لو شئت لأجرى الله معي

جبال الذهب والفضة»، لكنه مع ذلك كان عن الدنيا عزوفاً ولمكرها وخداعها عروفاً، فكان من دعائه: «**اللّهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**». أي اللهم ارزق آل محمد ما يسد به رمقهم. يقول ابن عباس رضي الله عنهما وكان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله طاوياً لا يجدون شيئاً. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه حَشْوُة ليف. ولما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت قام في الناس خطيباً فقال: «**من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدّ منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأني، ألا وإن أحبكم إلي من أخذ مني حقاً إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس**» أو كما قال ﷺ طبت حياً وميتاً يا رسول الله.

وهكذا أيها الأحبة في الله كانت حياته ﷺ على الرحمة وعلى مكارم الأخلاق وأجل الصفات، وصدق الله تعالى إذ يقول مثنياً عليه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فلنتق الله إخوة الإيمان ولنتخلق بأخلاق نبينا عليه الصلاة والسلام ولنتمسك بسنة، ونهتدي بهداه، وحسبنا قول ربنا جل في علاه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

روى الطبراني والبيهقي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الخلق الحسن يُذهب الخطايا كما يذهب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**».

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لمراضيه ويجنبنا وإياكم مناهيه، وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

حول عظمة سيدنا الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، نحمدُك اللهمَّ حَمْدَ الشَّاكرين أن جعلتنا من أمة سيِّد المرسلين ﷺ ، ونشهد أن لا إله إلَّا أنت، وَحْدَكَ لا شريك لك، ونشهد أن محمداً عبدك ورسولك وصفيك وخليلك، أرسلته بالهدى ودين الحق وجمَّلته بأعظم الأخلاق وأكرم الصفات، وعلَّمته ما لم يكن يعلم، وكان فضلك عليه عظيماً، فكان ﷺ كريماً في حداثته وتاجراً أميناً قنوعاً في شبيبته وزوجاً وفياً مخلصاً في كهولته ووالداً عطوفاً على ذريته ورسولاً رحيماً بأمته، فاللَّهمَّ صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الإخوة الكرام:

حديثي إليكم هذا اللقاء بمشيئة الله تعالى حول عظمة رسول الإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام هذا الرسول العظيم والنبي الكريم الذي رباه مولاه الكريم، فبلغ ﷺ من عظيم الأخلاق وجميل الصفات مبلغاً لم يبلغه أحد من الخلق سواه، وكيف لا وهو الذي خاطبه الله جل في علاه بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال فيه سعد بن هشام رضي الله عنه وأرضاه: دخلت على عائشة رضي الله عنها لأسألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: **كان خلقه القرآن**. ومن ثَمَّ كان يأخذ بالعفو ويأمر بالعرف، ويعرض عن الجاهلين، ولهذا كثيراً ما كان يُستفزُّ ﷺ فيقابل ذلك بالكلمة الطيبة والمعاملة الرقيقة، فإذا بالعدو يتحول إلى حبيب، والبعيد يتحول إلى قريب، ومن الشواهد على ذلك قول أنس: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى عنق رسول الله ﷺ وقد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليَّ

فضحك ﷺ ثم أمر له بعطاء، وفي رواية أخرى قال: احمل على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي ﷺ ثم قال: المال مال الله وأنا عبده، ثم أمر أن يحمل له بعير شعير والآخر تمر، فكان مِثْلُ هذا الرفق وحسن الخلق من النبي ﷺ سبباً في إسلام الكثير، وصدق الله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولقد أشار كاتب (قصة الحضارة) في كتابه إلى عظيم أثر النبي ﷺ في المجتمع العربي والكرة الأرضية كلها فقال: وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر على الناس قلنا: إن محمداً من أعظم الناس، لقد أخذ على نفسه ﷺ أن يرفع المستوى الآدمي والأخلاقي للأمم والشعوب، ونجح في ذلك نجاحاً لم يدانه أيّ مصلح آخر في التاريخ كله.

إخوة الإيمان:

إن سيرة رسول الله ﷺ هي أروع ما عرف الناس من سير، وأجمل ما وعى التاريخ من خلق، وأعلى ما دونت الأيام من عظمة لم يستفدها من أبويه لأنه شب يتيماً، ولم يتلقاها من معلم لأنه عاش أمياً، ولم تمنحها له بيئة لأن بيئته كانت في ضلال وفساد، فكانت عشيرته وثنية، وكل خلطائه أولياء أصنام، فكانت البيئة المحيطة به ﷺ حتى بعثته بيئة لا يستمد منها عظمة، وإنما كانت عظمته ﷺ مستمدة من صميم قلبه ومشتقةً من نفسه الطاهرة التي صاغها الله تعالى بيده واصطفاها لنفسه وامتن بها على نبيه ﷺ وفي هذا يقول الحق جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦-٨]، وبهذا زكت نفس رسول الله ﷺ وعظمت فكان لا يزيدها الرخاء كما لا تنقصها الشدة، ولا يظهرها الغنى كما لا يخفيها الفقر، لا يكبرها سلطان ولا يصغرها عدوان، ولا يقويها نصر ولا تضعفها هزيمة، لأنها نفس ثابتة عظيمة، صاغها الله بقدرته لتكون رحمة للعالمين وهداية للخلق أجمعين، ولهذا كانت عظمته ﷺ سارية في أخلاقه الكريمة كما كانت ثابتة فيها، أوتي من جمال الطلعة ووفرة الهيبة وإشراقة الوجه وسماحة النفس ما لا يراه المرء إلا في شخص

رسول الله ﷺ ، ولقد وعى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ذلك في شخص رسول الله ﷺ فقال رضي الله عنه وأرضاه:

وأجمل منك لم تر قــطّ عيني وأفضل منــك لم تلد النساءُ

خُلقــــت مُبَرّأً من كلِّ عيب كأنك قــد خُلِقت كما تشاءُ

ولقد كانت عظمته ﷺ في أخلاقه بالغة الذروة، وكيف لا وهو الذي استمد قوته من الله، وروحه من الإيمان، وأخلاقه من آيات الهدى والفرقان، وبذلك يحدثنا رسول الله ﷺ عن نفسه فيقول: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**». ويؤكد المولى جل وعلا هذا المعنى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

انظروا إليه ﷺ وقد فتح الله عليه ملك الحجاز واليمن والجزيرة كلها وما داناها من بلاد العراق والشام، وتفجرت ينابيع الثروة من كل جانب وآتاه من الملك من كل صوب وحدب، فلم تبطره النعمة، ولم يطغه الجاه والسلطان، ولم يتقلب في الديباج، ولم يسكن أبراج العاج، ولم يتخذ الحراس والحجاب، ولم يطلق نفسه وأهله في العز والبذخ، بل كان كعهده الأول زاهداً في الدنيا، يوزع كل ما يأتيه في وجوه الخير ويغني به فاقة الغير، وينفقه في مصالح المسلمين، وكان بيته ﷺ متجرداً من كل مظاهر الترف، ويمكث عدة شهور لا يوقد فيه نار، ولا يُهيأ فيه طعام شهي، اللهم إلا الشعير والتمر والماء.

لقد كان ﷺ معروفاً منذ نشأته بالجود والسخاء والبذل، فكان يحمل الكَلَّ ويكسب المعدوم ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر ولا يدخر شيئاً من يومه لغده، وما سئل عن شيء قط فقال لا.

ومن كريم أخلاقه ﷺ أنه إذا قدم على أصحابه فقاموا إجلالاً له يشير عليهم أن اجلسوا ولا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً، إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد. وكان يحمل متاعه بيده، فإذا أراد أحد من الصحابة أن يحمله عنه قال له: «**صاحب الشيء أحق بحمله إلّا أن يكون ضعيفاً فيعينه عليه أخوه المسلم**».

إخوة الإيمـــان:

هذه بعض أخلاق نبيكم التي كرمت شخصيته وأبرزت عظمته للعالمين، وبوأه الله تعالى مقام السيادة على ولد آدم في الأولين والآخرين. روى أحمد وابن ماجه والترمذي بإسناد حسن صحيح أنه ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع**» ﷺ.

فما أحوجنا إلى أن نكمل أخلاقنا بخلقه، ونجمل سيرتنا بسيرته، وأن نقتفي أثره ونتبع خطاه، حتى نفوز بذلك فوزاً عظيماً، وحسبنا قول ربنا جلَّ وعلا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلّا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين**».

نسأل الله تعالى أن يحشرنا تحت لوائه ومع أصحابه وأن يجعلنا يوم القيامة ممن يردون حوضه ويشربون من كؤوسه شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً حتى ندخل الجنة آمنين وبالنظر إلى وجه الله فرحين مسرورين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، اللهم آمين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



وإذا سألك عبادي عني فإني قريب

الحمد لله الذي أمر عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة حيث قال جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له الحليم الرحيم الذي سبق حلمه غضبه، ووسعت رحمته خلقه، ينادي سبحانه على المخلوقين كل ليلة هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وسعت رحمته كل شيء، وهو الغفور الرحيم. وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله أرشد العباد أن يرفعوا حوائجهم إلى اله تعالى وحده، وأن يكون الله وحده ملاذهم ومعاذهم حيث قال في حديثه الشريف: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أمَّا بعد:

فيا عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاه أن الدعاء من أجلّ العبادات وأعلاها، ومن أعظم الطاعات وأزكاها، وذلك لما فيه من تحقيق للعبودية وتلبية لحاجة النفس البشرية.

إن الدعاء أيها الأحبة الكرام هو رفع الحاجة إلى الكريم المنان، وتوجيه الشكوى إلى عالم السر والنجوى، وهو رأس الطاعة ومخ العبادة وباب الوصول إلى عالم الغيوب، وسلاح المؤمن الذي يُدفع به البلاء، ووقاية من المحن والنكبات، ونور يهتدى به في ظلمات البر والبحر، والأمر المرجى في العسر واليسر، والشدة والفرج، يقول الله جل في علاه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل: ٦٢] ومن ثَمَّ فالاستعانة بالله أيها المسلمون والتضرع إليه والاستمداد منه والتوكل في كل شيء عليه هو

المسلك الإيماني الراشد المتوائم دائماً مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، ففي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي بإسناد حسن صحيح يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كنت خلف رسول الله ﷺ فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإذا اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

ومن هنا أيها الأحبة في الله فإن حاجة الخلق دائماً إلى الدعاء وافتقارهم إليه هي حاجة ماسة كحاجة الغريق إلى سفينة النجاة التي ينجو بها، وحاجة الظمآن إلى الماء، والطفل إلى ثدي أمه، لذلك كان الدعاء دائماً من منهج الأنبياء والمرسلين ومن هديهم الذي جاؤوا به وأوصوا أتباعهم جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فما من نبي ولا رسول حزبه أمر وألمّ به همّ أو أبطأ عنه نصر أو أراد جلب خير أو دفع شر أو كشف ضر إلا فزع بالدعاء إلى الله تعالى ضارعاً إليه متوكلاً عليه في أموره كلها، وهذا دأب الصالحين المتوكلين على الله رب العالمين، ولله در من قال:

توكَّل على الرحمن في الأمر كله ... فما خاب من عبد عليه توكّلا

وكن واثقاً بالله وارضَ بحكمه ... تنال الذي ترجوه من تفضّلا

وانظر أخ الإسلام إلى آدم عليه السلام عندما تلقى من ربه كلمات فتاب عليه حيث تضرع هو وزوجته إلى الله تعالى متوسلين إليه سبحانه بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال زكريا عليه السلام في دعائه وكان قد ناهز التسعين: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] فقال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وتوجه النبي يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت إلى الله بالدعاء فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧- ٨٨].

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذه الدعوة بأنها دعوة مباركة عظيمة الشأن حيث قال ﷺ فيما أخرجه أحمد والترمذي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون إذ هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدعو بها مسلم قط إلا استجاب الله له**» وفي رواية للحاكم: قالوا: يا رسول الله أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال النبي ﷺ: «ألم تسمعوا إلى قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾» فهي عامة لمن يقولها، وسيتولى الله جلَّ وعلا تفريج الكرب عنه ونجاته، إنه دعاء مبارك وعجيب، ولذلك كان يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**كان دعاء أخي يونس عجيباً أوله توحيد وأوسطه تسبيح وآخره إقرار بالذنب**». ودعا الحبيب المصطفى ﷺ وهو متوجه إلى المدينة المنورة، بقول الله تعالى له: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٠] ففتح الله له المدينة وصارت مسكن الإيمان ومثوى الحلال والحرام ومهجر النبي ﷺ ومدفنه ومبعثه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦].

ولما وقع القحط ولم ينزل المطر من السماء وكاد المسلمون أن يهلكوا في عهد الفاروق عمر بن الخطاب استسقى الفاروق فدعا العبَّاسُ عَمُّ رسول الله ﷺ للمسلمين وقال: «اللهم لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، اللهم إنك حفظت الغلامين بصلاح أبيهما وقلت وقولك الحق: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ [الكهف: ٨٢] ثم قال: اللهم احفظ أمَّة محمد بصلاح محمد ﷺ. فاستجاب الله لهم ونزل الغيث من السماء فشربوا ونبت الزرع ونما الضرع وانقشعت المحنة وجاء الفرج من الله تعالى وأقبل المسلمون يمسحون وجه العباس ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين. والحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب.

عبـــاد الله:

هذا هو الدعاء وإذا سأل الله ربه خالصاً فلا بد وأن يجاب، دائماً قل يا رب، فالله جلَّ وعَلَا حييٌّ كريم.

أخرج الإمام أبو داود في سننه والترمذي بسننه والحديث صحيح عن سلمان الفارسي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله حييٌ كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خاليتين**»، ومن ثَمَّ إذا خلص الدعاء لله فلا بد من الإجابة والعطاء. فإما أن يعطيك الله نفس ما سألت وإما أن يعطيك من الخير بمقدار ما سألت، وإما أن يصرف عنك من السوء والشر بمقدار ما سألت، وإما أن يدخر لك الإجابة ليوم تشيب منه الولدان وتضع كل ذات حمل حملها، وفي ذاك اليوم العصيب والموقف الرهيب يقول الله لك: عبدي سألتني في الدنيا ولم أجبك وادخرت لك الإجابة لذلك اليوم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فيا عباد الله فإن الإنسان إذا أدّى شروط الدعاء وآدابه وحققها كما فرضها الله جل وعلا يجيبه الله سبحانه وتعالى ويتولاه ويفرج كربه ويخلصه من شدائده، فهذا أحد علماء التابعين كان في غزوة وفي سفر فمات فرسه بالطريق فقال: يا رب لا تجعل لمخلوق عليَّ منة فإني أستحيي من سؤال غيرك. وعلم الله جل وعلا صدقه في ذلك في سرائه وضرائه فأحيا الله جل وعلا فرسه فركبه حتى إذا وصل إلى أهله فقال لغلامه فكُّوا السرج فإن الفرس عارية، فنزعوا السرج عن الفرس فهبط الفرس ميتاً.

فلا بد في الدعاء من إخلاص النية وصدق الالتجاء إلى الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله الداعي إلى دار السلام والهادي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أثنى على من دعا إليه وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خير من دعا إلى الله وبلغ عن ربه البلاغ المبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن دعا بدعوتهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين. أمَّا بعد:

اتقوا الله عباد الله، واعلموا وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه أن الله جل في علاه لما خلق آدم عليه السلام وأسكنه الجنة، شاءت حكمته أن يهبطه إلى الأرض بعد أن ثارت العداوة بينه وبين إبليس اللعين، وقد قطع إبليس على نفسه أن يدعو آدم وذريته إلى الضلالة، حيث قال تعالى حاكياً عنه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] فكان من تمام الأمر وكماله وفريد النعمة وعظيم المنة أن أمر الله عز وجل بالدعوة، وأرسل الرسل والأنبياء يردوا دعوة الشيطان، ويكونوا سبباً في إنقاذ بني آدم من إغوائه وإضلاله، حيث قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] ثم إن الله عز وجل لعظم أمر الدعوة وصف ذاته الكريمة بالدعوة إلى دار الجنة دار السلام حيث قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] فأعظم بأمر الله فاعله والمتصف به وأعظم بدار دعا الله عز وجل إليها أصفياءه وأولياءه، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهلها.

ثم إن الله عز وجل حض بالدعوة من اصطفاه من خلقه من الملائكة والناس لشرف الأمر وعظم شأنه، حيث قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا

وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥] والاصطفاء معناه الاختيار للأفضل والأشرف والأكرم من جنسه، وفضلاً عن ذلك فالمؤمنون جميعاً متكافلون في هذه الدعوة وكل واحد عليه أن يدعو ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكما يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة امتثالاً لأمر الله فإنهم مأمورون بالنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم أولياء بعض، إنهم كالأسرة الواحدة إذا فسد فيها فرد أساء إليها كلها، وتقويم هذا الفاسد إصلاح للأسرة جميعها، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]، ومن هنا أيها الأحبة في الله فإن الانحلال الفردي أو الاجتماعي يجب أن يتصدى له المخلصون وأن يقفوا في وجهه، فلو ترك لهم وانتشر وقضى على عناصر الحياة، وعرض الأمة للدمار والفناء والعياذ بالله، لذلك كان أثر المنكرات على الأمم غير خاص بمرتكبيها، وكان الساكتون عليها كالعاملين على إذاعتها، وهم بهذا القدر من الموقف السلبي يكونون أهلاً لحلول العقاب الإلهي بهم، ولعل أول ما يدل على هذا من تقرير السنن الاجتماعية قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥] لهذا تجد رسولنا الكريم يحذرنا من الوقوع في هذه المعصية فيقول فيما رواه الترمذي وابن ماجه عن حذيفة بن النعمان أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**». وهناك بعض الناس يتركون تحذير الناس من عاقبة ما يصنعون من رذائل خشيةً منهم، ولا يعلمون أن الله أحق أن يُخشى وأجدر بأن يُخاف، وقد ندَّد الرسول بهذا الصنف الضعيف من الناس فقال: «**لا يحقرن أحدكم نفسه. قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن لله عليه مقالاً ثم لا يقول فيه، فيقول الله له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا كذا وكذا؟ فيقول: خشيت الناس، فيقول الله تعالى: فإياي أحق أن تخشى**».

وعلى ذلك فإنه لا بد إذاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طاعةً لله وإنقاذاً للأمة من الهلاك يا عباد الله، فنحن جميعاً رُكَّاب سفينة واحدة، إن نجت نجونا وإن غرقت غرقنا، ولقد جسَّم النبي ﷺ هذه الحقيقة في الحديث الذي رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا ونَجَوا جميعاً**».

وهذا الواجب الضخم (واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الفساد وإصلاح المعوج) قد جعله رسول الله ﷺ فرض عين على كل مسلم على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». وفي صحيح مسلم من حديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلَّا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إن تخلَّف من بعدهم خلف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**». وكأنه ﷺ بذلك البيان يقول إن عجز أحد من الناس أن ينكر بيده أو بلسانه فإن إنكار القلب مرتبة من مراتب الإنكار وفرض عين على كل مسلم ومسلمة ولا يعذر أحد يتركه على الإطلاق، وليس معنى هذا أن يقف أمام المنكرات موقفاً سلبياً يغمض عينه ويسد سمعه بل معناه أن يقطع صلاته بهذا الذي يرتكب المنكر حتى يحس بعزلته ويرى أن المجتمع قد لفظه، ولا يقف كالثعلب في ثياب الواعظين ويردد قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥] وقديماً خاف صدّيق الأمة الأكبر أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه خاف هذه السلبية القاتلة

من منطق فهم مغلوط ومقلوب لهذه الآية الكريمة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا إلَّا يوشك أن يعمهم الله بعقاب**».

ومن ثَمَّ فإن وجود المعلمين الصادقين في الأمة من أسباب النجاة من الإهلاك العام، فإن فقدت الأمة هذا الصنف الكريم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحل عليها عذاب الله حتى وإن كثر فيها الصالحون الطيبون لأنهم سكتوا حتى كثر الخبث وأصبح أمراً عادياً مستساغاً تألفه النفوس وحينئذٍ يستحق الجميع عقاب الله جلَّ وعَلَا، كما في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً -وفي رواية استيقظ يوماً من نومه فزعاً- وهو يقول: «**لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، لقد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه السبابة والإبهام. فقالت زينب: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث**». ومن ثَمَّ فواجب على أهل الحق المصلحين أن يأخذوا على أيدي الواقعين في حدود الله وأن يذكروهم حتى لا تغرق السفينة بالجميع، والقرآن الكريم يعرض أمامنا صوراً من صور الأمر بالمعروف ونبه إلى أن الكلمة الطيبة تصعد إلى الله فيقبلها بقبول حسن ويجزل لصاحبها أحسن الجزاء وذلك في قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ [فاطر: ١٠].

ومن نماذج الكلمة الطيبة ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٤].

وما أجمل هدي القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

فاتقوا الله عباد الله وتخلقوا بأخلاق الإسلام ومروا بالمعروف وانهوا عن

المنكر حتى يظل مجتمعنا الإسلامي مجتمعاً طاهراً نظيفاً ويحيى قوياً عزيزاً فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. ونسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه .



التقوى وأثرها في تهذيب النفس

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له من اتقاه وقاه وجعل الجنة مثواه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ونبيه ومصطفاه أتقى الناس قلباً وأشدهم لله تعالى طاعةً وحباً، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه معالم الهدى ومصابيح الدجى وارض اللهم عن خلفائه الراشدين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها جماع الخيرات وحصون البركات وأكثر خصال المدح ذكراً في كتاب رب الأرض والسماوات، فهي دعوة الأنبياء وحلية الأولياء، فالحق جل وعلا يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أوليائه وأتقيائه، وأن يتغمدنا في الحياة وبعد الممات بواسع رحمته وعفوه وكرمه وعطائه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إخوة الإســلام والإيمان:

لقد جاء الإسلام إلى هذا العالم في وقت كان لا بد أن يأتي فيه، فقد وفد على الدنيا كما تفد العافية على الجسم الذي أنهكه المرض ومزقته العلة، وطرق باب الإنسانية كما يطرق السخي الكريم باب قوم طحنهم الجوع وأذلهم الحرمان، وكان نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في علاجه لأمراض المجتمع كالطبيب الحاذق الذي يسوق البرء والشفاء إلى مريضه في قطرات من الدواء أو لمسات من العلاج، فقد بعثه الله للعالمين رحمة وجمّله بالحلم واللين والرأفة، وأعطاه جوامع الكلم.

وهل تجد يا أخ الإيمان أجمع لمناهج الإسلام وأحفظ للحقوق وأشمل لأنواع المعاملات من قول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».

فهذا الحديث الجامع الذي رواه الترمذي تضمن ثلاث وصايا جامعة انتظمت خلالها جميع المعاملات التي يستقيم بها أمر الدين والدنيا معاً، حيث يبين حقوق الله تعالى وحقوق العباد، أما حق الله على عباده في هذا الحديث الجامع فهو أن يتقى حق تقاته، بمعنى أن يُعبد فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُحمد على السراء والضراء كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ومن يتق الله هكذا يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأما حق العباد فمنها حق الإنسان على نفسه وحق غيره عليه.

فحق الإنسان على نفسه أن يربيها على التقوى فينشئها دائماً على الطاعة ويباعد بينها وبين المعصية، فإن حارت عن الصراط المستقيم جاهدها وردها إليه من قريب، وأتبع السيئة الحسنة فإنها تمحوها وتذهبها، وتلك وصية النبي ﷺ، والحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالجزاء من جنس العمل.

وأما أول حق الناس على الإنسان فإنه يتحقق بلين المعاملة وطيب المعاشرة وأن يخالقهم بخلق حسن وأساس ذلك كله التقوى، فهي الجامعة لكل خير وسعادة، والشاهد أن معاذ ﷺ كما جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وغيره بإسناد حسن لمّا قال: يا رسول الله أوصني، قال له النبي ﷺ: «**عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله**» ولذلك قال أحد الصالحين:

ولست أرى السَّعادة جمع مال ... ولكنَّ التَّقـيَّ هـو السَّـعيد

ولقد وجه القرآن للتقوى كبير عناية، ووردت في آياته الشريفة على أساليب مختلفة وعديدة بين ترغيب وترهيب ووعد ووعيد.

انظروا رحمكم الله إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] وإلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦] هذا في جانب الترغيب، ثم انظروا رحمكم الله إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١] وإلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ [لقمان: ٣٣] وإلى غير ذلك من الآيات.

ومهما تنوعت أساليب الدعوة إلى التقوى فالمقصود الأول منها أن يتخذ العبد لنفسه وقاية تقيه سخط الله وغضبه، ولتحقيق ذلك لا بد للعبد أن يعلم أن ربه يراه حيث كان وأنه مطلع على ظاهره وباطنه محيط بقوله وعمله لا يخفى عليه شي من الأمر، واضعاً نصب عينيه قول ربه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

لقد استشعر أحد السلف الصالح تلك المعاني بقلبه فأنشد يقول لنفسه:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قُـــلْ عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله بغافـــلٍ ساعة ولا أن مـــا يخفى عليه يغيب

وكان ذلك في عهد الإمام أحمد رحمه الله فلما سمع هذه الأبيات انتفض من مجلسه وهو يرددها ويبكي حتى دخل داره وأغلق عليه بابه، وهذا حال أهل التقوى يا عباد الله وبهذا اليقين والشعور الإيماني بين العبد وربه في كل الأمكنة، وفي جميع الأزمنة، وفي عموم الأحوال، فلا يراه حيث ينهاه، ولا يفتقده حيث أمره، وهذا مقام عظيم، ولذلك يقول عمر بن عبد العزيز: ليس التقوى بصيام النهار ولا بقيام الليل ولا التخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترضه الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خيره. وكتب ﷺ إلى رجل من عماله فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا

الله وإياك من المتقين. وسئل أبو هريرة ﷺ عن التقوى فقال للسائل: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: كيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: ذلك التقوى. وأخذ هذا المعنى ابن المعمر فقال مفسراً له ومعبراً عنه:

خلِّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
ولا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

❊ ❊ ❊

الكســـبُ الحلال

الحمد لله الذي أحلَّ لنا الحلال، وحرَّم علينا الحرام، ونستغفره من جميع الذنوب والآثام، ونشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه التقاة الكرام والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان وسلم تسليماً كثيراً، أمَّا بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى، وأحذركم ونفسي من الكسب الحرام، أو الأكل الحرام لأن عاقبته عذاب ونار.

فللحرام آثار كثيرة كلها شديدة وخطيرة، ولذلك قال ﷺ في خطابه لكعب بن عجره: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم أو دم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب الناسُ غاديان: فغادٍ في فكاك نفسه فمعتقها، وغادٍ فموبقها**» رواه ابن ماجه والترمذي، ولفظ الترمذي: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلَّا كانت النار أولى به**».

وكذا في النهي عن الكسب الحرام يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه البيهقي: «**الدنيا خضرة حلوة، من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورثه جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان**».

ولنتأمل إخوة الإيمان في هذا النداء الإلهي الذي يخاطب الله عز وجل به عباده المؤمنين فيقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] فتلك الآية الكريمة يأمر الله فيها عباده المؤمنين أن يأكلوا من الحلال الطيب وأن يشكروه على نعمه عليهم، إن كانوا صادقين في عبوديتهم له.

والله عز وجل إذ يأمر عباده المؤمنين بالأكل من الحلال فإنه يأمرهم بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، لأن أكل الحلال سبب في قبول الدعاء وصالح الأعمال، بينما أكل الحرام يرد الدعاء ويحبط العمل مهما عظم ومهما كثر، وهذا ما بيَّنه النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله حيث يقول ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام فأنى يُستجاب لذلك**».

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قرأت عند رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ [البقرة: ١٦٨] فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال: «**يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليعذب باللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به**». وأيّ مال أو عقار في هذا الزمان يجمع أو يقام ويخلو من الحرام إلا من رحم الله، ولقد ورد أن درهم واحد من الربا أشد من ستة وثلاثين زنية، نسأل الله السلامة.

إخوة الإيمان:

إن هذا الحديث الذي رواه أحمد رحمه الله معناه أن الله تعالى منزه عن كل نقيصة، متصف بصفات الكمال ولا يُتقرب إليه إلا بصالح الأعمال ولا يقبل النفقة إلا إذا كانت من مال طيب حلال، لأن الجنة طيبة خلقت للطيبين الذين يأكلون الحلال ويأتون الحلال، أما الحرام فخبيث، إذا نبت منه لحم صار خبيثاً لا يطهره إلا النار، ولهذا كان سلفنا الصالح يحترزون كل الاحتراز من الحرام، ومما فيه شبهة بين الحلال والحرام، فكانت المرأة المسلمة في صدر الإسلام تقول لزوجها عند خروجه من الصباح يسعى على طلب الرزق لها ولأولادها: اتقِ الله

فينا ولا تطعمنا حراماً، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

فقضية الحلال والحرام أيها الإخوة الكرام ليست قضية سهلة، وإنما هي من الخطورة بمكان، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الطبراني: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**».

ولذلك حذرنا النبي ﷺ من فتنة الدنيا والخوض فيها وأخذها من غير حل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحق** -يعني بطريق حلال- **بُورك له فيها ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له في الآخرة إلَّا النار**» والحديث رواه الطبراني في الكبير، والمعنى أنه رب إنسان اشتهت نفسه شيئاً حراماً فخاض فيه أو أخذه بغير حِلّ ودون حق فكان مصيره إلى النار، وهذا ليس من شيم المؤمنين المتقين لأن المؤمن الحق هو الذي يتحرى الحلال في كل شيء بل ويصرف نفسه عما فيه شبهة اتقاءً لربه واستبراءً لدينه وعرضه، فالمرء لا يبلغ درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس فيه خشية ما فيه بأس لقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه**».

ولقد تفاعل أصحاب رسول الله ﷺ مع هذا التوجيه العظيم فلم يتركوا للقمةٍ من الحرام سبيلاً إلى جوفهم، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان لأبي بكر رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أُحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه». رواه البخاري.

ولله در عمر بن الخطاب حيث يقول: «كُنّا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة من

الوقوع في الحرام».

فتنبهوا رحمكم الله في كسبكم واحذروا الحرام على عاقبة أمركم، والتزموا بشرع الله في كل أموركم، والحذر من الأهواء والطمع فإنكم قادمون على ربكم ومسؤولون عن أموالكم أجمعتموها من الحلال أم من الحرام، نسأل الله أن يجعل رزقنا حلالاً طيباً وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.



العدل والإيمان أساس رعاية الإنسان وحماية الأوطان

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه، وبيده مقاليد السماوات والأرض ومصائر كافة الخلق، إليه يرجع الأمر كله وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى إمام المتقين وقدوة المؤمنين ورحمة الله تعالى للعالمين، اللهمَّ صَلِّ وسلِّم بارك وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين وارض اللهم تبارك وتعالى عن خلفائه الراشدين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين. أمَّا بعد:

عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى وأن الآجال تفنى وما عند الله خير وأبقى، وكونوا على يقين أنه لا سعادة للإنسان ولا أمن ولا أمان للبلاد والأوطان في كل مكان وزمان إلا بحسن الإيمان وتطبيق منهج الإسلام، لأن الإيمان بالله نور، وشرح للصدور، والمؤمن إذا ارتبط بربه وعرف فضله عليه وعرف أنه في حاجة إلى رحمة ربه ورعايته في كل لحظة من لحظات حياته وفي كل ذرة من ذرات جسمه، وأنه تعالى بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأن المصير يوم القيامة إليه، والحساب بين يديه، والعفو والمغفرة والسعادة كلها مردها إليه، لا بد أن يحب الذي أنعم عليه ورعاه ويخاف الذي إليه مرجعه ومنتهاه، ويأمل فيما عنده من سعادة وخير وبر ومن ثم يندفع إلى عمل الخير وبسط العدل ومناصرة الحق لصدق إيمانه وحسن يقينه وكامل شعوره وثقته بربه وخالقه لا يخاف سواه واضعاً نصب عينيه وعد خالقه ومولاه

حيث قال جل في علاه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

دعا الإسلام المسلمين أن يقيموا حياتهم على أساس الإيمان والأمن والحياة المستقرة حتى يأمن الناس في ظل الإسلام على أرواحهم وأموالهم ولا شك أن من دواعي الأمن والاستقرار ما أمر به الإسلام من إقامة العدل بين الرعية على يد راعيها ليدفع بذلك من شأن العدل في نفوس الناس، ويعلي من مكانة الإمام المقسط العادل وفي ذلك يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه: «**إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا**». ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قريب ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**».

ولا ريب إخوة الإيمان أن القاعدة الأساسية في سلوك المؤمن حاكماً أو محكوماً هي إحساسه بالله تبارك وتعالى مع كل خطوة يخطوها وكل همسة يهمسها ومن هنا لا تزن الدنيا في نفسه مثقال ذرة، إلا إذا كانت لله فهو حين يملأ نفسه بمحبة الله تعالى ومراقبته والخوف منه فإنه يتذكر دائماً أن الله العدل سوف يحاسبه عاجلاً كان أم آجلاً وأن أعماله لا تخفى على الله منها خافية، فكيف يغفل عن هذا كله والحق تبارك وتعالى أخبر عنه في القرآن بقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ذلكم هو شعور المؤمن، لا يتجه إلى الناس، وإنما يستحضر رهبة الله في قلبه حين يقدم على عمل أو يضطلع بمسؤولية أو يحكم في قضية.

هذا أبو بكر ﷺ يقول للناس يوم تولى الخلافة: «أيها الناس الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه».

فإقامة العدل هنا هي مسؤولية الخليفة أو السلطان فلا يلقي بالاً لقوي من حيث هو قوي لأنه يرى أن الحق أقوى منه بل هو الحق الذي يشد أزر الضعيف حتى ينتصر، وكيف لا يكون هذا منهج خليفة رسول الله ﷺ مع الرعية، وقد أناط النبي ﷺ مسؤولية الرعاية للرعية على الرعاة فقال: «**كلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته**» والحديث رواه البخاري ومسلم.

وبهذا التوجيه النبوي الشريف الذي أحاط بجوامع الكلم يضع النبي ﷺ أسس الحياة الهانئة للإنسان في أمنه الاجتماعي والروحي والصحي والاقتصادي على عاتق الرعاة من خلال تطبيقهم لمنهج الله بين الرعية وتطبيق ذلك تجسد في أقوال وأفعال صاحب السمو رئيس الدولة الشيخ زايد تلك المسؤولية العظيمة بكل جوانبها فدائماً تراه يدعو إلى تأمين الحياة الاجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع ويتابع ذلك بنفسه وذلك من منطلق إحساسه بالمسؤولية ومراقبته لربه وحبه لشعبه وحب شعبه له وهذا خير عظيم وشرف عميم له ولشعبه ولأمته فمن أجل نعم الله على شعب من الشعوب أن يقيض لهم إماماً وقائداً همه إعلاء صرح وطنه مجداً ونهضة وعزةً وكرامةً فإذا الأمة بأسرها تبادله وفاء بوفاء، وإذا شعبه يكافئه حباً بحب ويطلقون عليه الأب والقائد وبذلك تم التلاحم بين الراعي والرعية وتحقق الانتماء والود الدائم بينهما وهذا والله خير عظيم للعباد والبلاد على حد سواء، فالنبي ﷺ يقول فيما رواه مسلم: «**خيار أمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم**؛ أي وتدعون لهم ويدعون لكم»، والنبي ﷺ يقول فيما رواه البخاري ومسلم: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...**»: وأول السبعة الإمام العادل. وتلك هي السعادة الحقيقية.

فالمنصب يكون سبباً من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة إذا اتقى صاحب المنصب ربه جل وعلا، وعلم يقيناً أن المنصب إلى زوال ولو دام لغيره ما وصل إليه فنظر إليه على أنه أمانة كما قال النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ وقد طلب منه أن يستعمله يعني أن يوليه ولاية، فضرب على منكبه وقال: يا أبا ذر إنها أمانة وإنها يوم القيامة حزن وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها. ولله در عمر

بن الخطاب ﷺ حين رآه عثمان ﷺ يوماً يجري تحت حرارة الشمس المحرقة التي تكاد تذيب الصخور فنادى عليه عثمان: ما الذي أخرجك في هذا الوقت الشديد الحر يا أمير المؤمنين؟ فيقول عمر: بعير من إبل الصدقة قد ندّ وأخشى عليه من الضياع فأُسأل عنه بين يدي الله جل وعلا، فقال عثمان: لقد أتعبت كل من جاء بعدك يا عمر.

فهؤلاء ومن سار على دربهم هم الذين يسعدون بالمنصب في الدنيا والآخرة، فيا صاحب المنصب: اللهَ اللهَ في هذه الأمانة، واعلم بأن دنياك مهما طالت فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة، وأن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، وأن العمر مهما طال فلا بد من دخول القبر، والحق جل وعلا يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

فاتقوا الله يا عباد الله واشكروه على نعمه يزدكم وادعوا الله تعالى لقائد المسيرة بالعفو والعافية والتوفيق والسداد وطول العمر، وللأمة بالعزة والكرامة، واسألوا الله من فضله إنه نعم المجيب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه.

* * *

الوفاء بالعقـــود

الحمد لله أمر بالوفاء بالعقود، ونهى عن نقض المواثيق والعهود، أحمده سبحانه على نعمة الإسلام، وأشكره على ما من به من بيان الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمةً للعالمين، وبعثه بمكارم الأخلاق للناس أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أزكى البرية، وأوفاهم موعداً، وعلى آله وأصحابه أهل البر والوفاء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعلموا عباد الله أن الله سبحانه وتعالى أمركم بالمحافظة على الوفاء بالعقود، والصدق في الوعود، فقال سبحانه: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٤] وقال جَلَّ شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة: ١] ومدح أقواماً صدقوا في عهدهم فقال سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وأثنى على أنبيائه بصدق الوعد، ووصفه به كما وصفهم بالنبوة والرسالة، فقال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٤]. ومن ثَمَّ فإن المؤمن إذا أبرم عقداً يجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهداً يجب أن يلتزمه، من حقيقة الإيمان أن يكون المؤمن عند كلمته التي قالها، لا ترجعه عنها رغبة ولا رهبة، وأن يكون مقتدياً بمبدأ شريف لا يميل عنه ولا يساوم عليه، فالإسلام يوصي باحترام العقود التي تسجل فيها الالتزامات المالية وغيرها ويأمرنا بإنفاذ الشروط التي تضمنها وفي هذا يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «**المسلمون عند شروطهم**» ويجب أن تكون الشروط المكتوبة متفقةً مع حدود الشريعة، وإلا فلا حرمة لها، ولا يكلف المسلم بوفائها، وإن من العقود التي منحها الإسلام

مزيداً من الرعاية عقد الزواج، هذا الميثاق الغليظ ففي الحديث: «**إنَّ أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج**»، ومن ثَمَّ فلا يجوز لرجل يبني بامرأة أن يغتال درهماً من حقها، أو يستخف بالرباط الذي جمعه بها، والرسول ﷺ يقول فيما رواه الطبراني: «**أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها لقي الله يوم القيامة زانٍ، وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذه ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقي الله وهو سارق**» فقد تتابعت آيات القرآن الكريم تحض على الوفاء وتخوف من الغدر، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ ﴾[النحل: ٩١].

وقد بين الله سبحانه أن الغدر ينزع الثقة ويثير الفوضى ويمزق الأواصر ويرد الأقوياء ضعافاً واهنين، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[النحل: ٩٢].

ولذا فإن من الشؤون التي اهتم الإسلام بها ونوَّه بقيمة الوفاء فيها هي الديون، فإن سدادها من أكبر الحقوق عند الله، ومن ثم فقد قطع الدين قطعاً عنيفاً وساوس الطمع التي تنتاب المدين وتغريه بالمماطلة أو إرجاء القضاء مع القدرة، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «**مَطْلُ الغني ظلم**».

وأول ما شرعه الإسلام في هذا أن حرم الاستدانة إلا للحاجة القاهرة، فمن الورطات المخوفة أن يقترض المرء في أمور يمكن الاستغناء عنها، وقد روي أن ذلك من الآثام التي يلحقها القصاص في ساحة العرض يوم القيامة، ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد يقول رسول الله ﷺ: «**يدعو الله بصاحب الدَّين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقال: يا ابن آدم فيما أخذت هذا الدين؟ وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيع ولكن أتى علي إما حرقه وإما سرقه وإما وضعه، فيقول الله:**

صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك، فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته».

ويظهر من هذا أيها الأحبة في الله أن الله يعذر من يضطر إلى الدين لأزمات شداد، ومن يعجز عن القضاء لمصائب جائحة، أمَّا الذي يسارع إلى الاقتراض من غيره غير ناظر إلى عقابه ولا يهتم بطريقة الخلاص من دينه فهو كما وصفته الآثار: سارق جريء وحسابه على الله.

وقد قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**» والإسلامُ يريد أن يوفر للديون ضمانات شتى حتى لا يحاول أحد الفرار من أداء الحق المكتوب ولو بأداء عبادات أخرى رفيعة الأجر. ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة ﷺ قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله، أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم إن قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**»، ثم قال: كيف قتلت؟ فأعاد قال: «**نعم إلَّا الدَّين فإن جبريل أخبرني عن ذلك**». وفي رواية أيضاً لمسلم: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلَّا الدين**».

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ وصحبه الأخيار أروع المثل في البيوع واحترام العهود والوفاء بها، روى أبو داود عن عبد الله بن الحسماء ﷺ أنه قال: «**بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكان فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هنا منذ ثلاثة أنتظرك**».

وكان هذا خُلُقه ﷺ مع الناس جميعاً، فلقد عاهد المشركين في صلح الحديبية عهداً كان من بين شروطه ما شق على بعض المسلمين قبوله وتطبيقه، لكنه ﷺ قد قبل العهد وأبى إلا الوفاء بما التزم به حتى يضرب المثل للدنيا كلها في الوفاء والتضحية في سبيله بكل عزيز لديه، ولقد تربى أصحابه رضوان الله عليهم جميعاً على هذا الخلق النبيل فكان كل منهم فيه أسمى قدوة.

روى البخاري عن جابر ﷺ أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: لو جاء مال من

البحرين لأعطينك هكذا، فما جاء مال من البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ ، فلما جاء مال أمر أبو بكر رضي الله عنه منادياً من كان له عند رسول الله عدة أو دين فليأتينا، فأتيته وقلت: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمئة، فقال لي: خذ مثلها.

أيها الإخوة بهذا الوفاء الجميل تحقق للمسلمين الاستقرار والأمن وعاشوا في عزة وسعادة، وكانوا القدوة الحسنة للناس أجمعين، فإذا أراد العالم أن يعيش اليوم في أمن وسلام فليتخلق كل إنسان بهذه الأخلاق العالية، ويتمسك بهذه الآداب السامية، وليؤدِّ ما التزم به وله من الله على ذلك الجزاء الأوفى، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم**».

فاتقوا الله عباد الله وأدوا ما التزمتم به من عهد ووعد وعقد تكونوا من المفلحين الناجحين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

* * *

من أخلاق المجتمع المسلم (التواضع)

الحمد لله الذي يحب من عباده المتواضعين، ويكره المتكبرين، سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، المنفرد بالعظمة والجلال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مظهر التواضع، ومنبع الكمال، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هداهم الله فكانوا هداة مهتدين وقادة متواضعين ، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين. ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢]. **أمَّا بعد:**

فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وفي هذه الآية الكريمة يصف الله تعالى عباده الذين شرفهم بنسبهم إليه أنهم قوم متواضعون، يمشون على الأرض هوناً أي بسكينة ووقار وبغير تبختر ولا استكبار، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم؛ لأن الإسلام عبادَ الله دينُ خلق رفيع، يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويبعث في النفس مشاعر الفضيلة والبر والإحسان، وقد بين النبي ﷺ الغاية من بعثته فقال: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، فغاية الإسلام أن يقيم مجتمعاً فاضلاً مترابطاً متماسكاً، متراحماً متواصلاً، ولتحقيق ذلك دعا الإسلام أبناءه إلى التواضع ولين الجانب، مبيناً أن التواضع عنوان الإسلام ودليل الإيمان، ورائد الخير والهدى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وفي هذه الآية بيان بأن الله تعالى أعد لعباده المتواضعين بين الناس منزلةً عظيمة ودرجة عالية رفيعة في الآخرة في دار الخلد والكرامة والنعيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، بينما يحشر المتكبرين يوم القيامة كالذر

يطؤهم الناس بأقدامهم إذلالاً واحتقاراً لهم، فمن مشى في الأرض وسعى فيها فساداً أو علواً أو استكباراً فهو في أسفل سافلين وله في الآخرة عذاب أليم، روى الخمسة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين، ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يضعه في أسفل سافلين**». وروى مسلم عن عياض بن عمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إليّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن التواضع ولين الجانب خلق إسلامي عظيم، يرفع صاحبه في أعلى عليين، ويجعله من عباد الله المكرمين وأوليائه المقربين ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[يونس: ٦٣-٦٤].

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتواضع واللين وبسط جناح الرحمة للمؤمنين، لأن ذلك من شأنه أن يثبّت دعائم الأخوة فيما بينهم ويوطد قواعد الأمن والاستقرار في مجتمعهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. فكان ﷺ على عظمة نفسه وسمو قدره سيد المتواضعين، يجالس الفقير ويأكل مع الصغير ويجيب دعوة البعيد على خبز الشعير، ويسلم على الصبيان ويداعبهم، ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويحمل متاعه ويعين أهله ويساعد الأرملة والمسكين ويحمل الكل والضعيف، ويعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه، متواضعٌ مع أهله وأصحابه ومن قدم عليه، روي عن قيس بن حازم أن رجلاً أتي به إلى النبي ﷺ فأصابته رعدة من هيبته، فقال له النبي ﷺ: «**هَوِّن عليك يا أخي فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**» فعَلَّم المسلمين بهذا الخلق الكريم كيف يحسمون هذا الداء، وبهذا التواضع العظيم ألّف النبي ﷺ حول دعوته القلوب، فأحبها والتف حوله وحولها القريب والبعيد، ولقد أخبر الحق جل وعلا عن ذلك فقال: ﴿ فَبِمَا

رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وكان ﷺ يحث أصحابه على التواضع ومن ذلك قوله فيما رواه الترمذي عن جابر: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون**، قالوا: قد علمنا الثرثارون فما المتفيهقون؟ **قال: المتكبِّرون**».

إخوة الإسـلام والإيمان:

إن العظمة والكبرياء لله الواحد القهار خالق كل شيء والقادر على كل شيء، فلا يليق بالمخلوق الضعيف أن يتكبر ويتبختر وهو مخلوق من ماء مهين، والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق: ٥-٧].

وقد حرم الله تعالى الكبر بكل أنواعه أشد تحريم، ولعن من اتصف به ورضيه لنفسه، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وروى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي**». وقد قص علينا القرآن الكريم قصة قارون عندما بغى على قومه وتكبر وقد أعطي من المال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة. وقال الله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٧٩-٨١]، فالكِبْر من الإنسان هو ضلال مبين، وشَرٌّ مستطير، يحبط كل صالحة، ويهدد كل فضيلة، ويوجب غضب الرب، ويحرم صاحبه النعيم في جنة الخلد.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن سيدنا الرسول ﷺ قال: «**بينما**

رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

ويقول ﷺ فيما رواه أحمد: «**ما من رجل يموت حين يموت وفي قلبه مثقال حبة من كبر تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها**».

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن من تواضع ازداد عزاً ورفعه وكسب مهابة وجلالاً، ومن تكبر ازداد ذلاً وهواناً وضلالاً وخسراناً.

يقول النبي ﷺ: «**بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدأ والمنتهى**». رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه غفور رحيم.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتواضعين وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

❊ ❊ ❊

من حق المسلم على المسلم

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا بالاعتصام بحبله، وألف بين قلوبنا بفضله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل أنبيائه، وخاتم رسله، دعا الناس جميعاً إلى توحيد الله، وأقام على أمته روح الأخوة والمحبة في الله. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. أمَّا بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] والمتأمل في هذه الآية أيها الأحبة الكرام يرى فيها من البيان ما يدل على أن الله تعالى فطر الإنسان على أن يكون اجتماعياً بطبعه، والمجتمع المسلم بصفة خاصة مجتمع مفتوح بين أبنائه، لأن الإسلام ربط بين المسلمين برابطة العقيدة والأخوة في الله، وهي أقوى رابطة لا يمكن أن تنفصل إذا ما تمسك المسلمون بمبادئ تلك العقيدة التي يجب أن تقوم عليها أخوتهم وعلاقاتهم. فالإسلام جعل المسلمين إخوة في العقيدة والدين، وشرع لهم حقوقاً وآداباً تقوي تلك الأخوة وتنميها، ومن بين تلك الحقوق ما أرشد إليه الرسول ﷺ بقوله فيما رواه مسلم: «**حق المسلم على المسلم ست**، قيل: ما هُنَّ يا رسول الله؟ **قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإن عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْهُ، وإذا مات فاتْبَعْه**»، وما أسماها من حقوق تبعث على المودة والمحبة بين المسلمين إذا التزموا بها وحقوقها فيما بينهم.

وأما عن الآداب التي شرعها الإسلام لتقوية أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين فمنها: آداب التناصر بين المسلم وأخيه المسلم على أساس من الحق والعدل، وبعيداً عن التعصب والتحزب، وهذا ما أرشدنا إليه ﷺ بقوله فيما رواه البخاري: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ **قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره**».

ومن تلك الآداب أيضاً آداب الموالاة، ولا تكون تلك الموالاة إلا في الله، على نحو ما وضحه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] وعلى نحو ما بينه الرسول ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي بقوله: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان**».

ومن الآداب كذلك أيها الأحبة الكرام: آداب التواصل بين المسلم وأخيه المسلم، وهذا التواصل له حالة من الأهمية العظمى في حياة الأمة، لأنه يقوي روابط الأخوة والمودة والمحبة بين المسلمين، وبه يتم التعاون بينهم على البر والتقوى وبه يرتقوا إلى المستوى الإيماني الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» وهذا الحديث رواه البخاري عن النعمان بن بشير.

فحرصاً من جانب الرسول ﷺ على دوام هذا التواصل وحمايته مما يوهن من قوته، فنهى الرسول ﷺ المسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام، وهذا فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه، إن دوام الصلة يديم المحبة، ودوام المحبة في الله يديم الخُلة والصحبة بين المسلم وأخيه المسلم في الدنيا والآخرة، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: «**يا رسول الله متى الساعة؟ فقال له: وماذا أعددت لها؟ قال: يا رسول الله ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله،**

قال: أنت مع من أحببت، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحتنا بقول النبي ﷺ **أنت مع من أحببت، قال أنس: وأنا أحب النبي وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي لهم وإن لم أعمل بعملهم**». والحديث رواه البخاري. وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»، وهذا التوجيه النبوي يعني أنه إذا أحب المسلم أخاً أو اختار صاحباً ينبغي أن يكون ذلك في الله وأن ينتقيه من خيرة الناس ليكون عوناً له على الخير وعلى طاعة الله ورضاه، لأن هذا النوع من الحب والمؤاخاة هو الذي يحبه الله تعالى لعباده المؤمنين ويرضاه لهم.

ومن الشواهد ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على طريقه ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تردها عليه؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

وحسب المتحابين في الله أمناً وشرفاً ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»، ويا لهذا النداء الإلهي من فرج وفرح يوم الزحام.

هل فكرت يا أخ الإسلام في هذا الحديث الشريف الذي سمعته الآن، وتصورت هذا اليوم؟ يوم تدنو الشمس من الرؤوس والزحام شديد حتى تكاد تختنق الأنفاس، فالبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة في أرض المحشر وجهنم تزفر وتزمجر، وقد جيء بها لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وفي ظل هذه المشاهد التي تخلع القلوب وتجعل الولدان شيباً ينادي ملك الملوك: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. يا لها ورب الكعبة من كرامة.

فما أعظم الحب في الله، وما أعظم الأخوة في الله بين المسلمين إذا ما عرفوا حقوق هذه الأخوة فيما بينهم، ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة،

فلقد كان الرجل يؤثر أخاه على نفسه وماله وأهله، وأثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وما أحوج المسلمين الآن إلى أن يتأسوا بسلفهم الكرام، ويحافظوا على هذه القيم ليرتقوا بأنفسهم إلى هذا المقام، إلى مقام الأخوة، وإلى مقام المحبة الخالصة لله وفي الله. فيا له من مقام عظيم عند رب العالمين، فضلاً عما يحدثه في الأمة من عزة وقوة، وحسبنا في هذا المقام ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من عباد الله ناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله، قيل: يا رسول الله أخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا قول الله تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]».

نسأل الله جَلَّ وعلا أن يجعلنا من عباده وأوليائه المتحابين بجلاله المستظلين بظله يوم لا ظل إلا ظله وان يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التواضع للكبير والشفقة على الصغير

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إخـوة الإيمان:

لقد مضت سنة الله تبارك وتعالى في الإنسان أن جعله يمر بمراحل متعددة من مرحلته الدنيوية فيبدأ وليداً ضعيفاً ثم شاباً قوياً، وأخيراً شيخاً ضعيفاً، وقد يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً، وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةًۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ﴾ [النحل: ٧٠] أي العمر الذي لا يحب أن يعيش إليه لأنه يهرم ويخرف ويعد كلاً على من حوله، ولذا كان النبي ﷺ يتعوذ من أن يرد إلى أرذل العمر.

ومن رحمة الإسلام ورعايته بالإنسان أنه عُني به من نعومته حتى مماته، وحفَّه بالمزيد من العناية والرعاية والتكريم في الكبر، وفي الشيخوخة التي هي آخر

مرحلة من مراحل حياته، وجعل هذه المرحلة مرحلة تكريم وعناية بالغة، وأوصى بأهلها مزيد عناية وراعية وتوقير واحترام، والشواهد على ذلك كثيرة منها ما رواه الترمذي عن أنس ﵁ أنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا**».

وبهذا أعلن الرسول ﷺ براءته من قساة القلوب وغلاظ الأكباد والذي لا يعطفون على الصغير ولا يوقرون الكبير، وبراءة الرسول تتمثل في قوله: ليس منا، أي ليس من أهل سنتنا وهدينا وطريقنا، وليس من أخلاقنا، وهذا التهديد جاء على سبيل التشديد والوعيد، ولا يراد به حقيقة الخروج من الإسلام.

فالصغير بحاجة إلى العناية والرحمة حتى ينشأ مواطناً صالحاً.

ولو تتبعنا إخوة الإسلام سيرة المجرمين وأسباب انحرافاتهم لوجدنا أن أهم أسباب انحرافاتهم يعود إلى ما قاسوه في طفولتهم من قسوة وإهمال وحرمان من العطف والحنان الذي كانوا في أمس الحاجة إليه، فإهمال الطفل وتركه للعب بين قرناء السوء بدون تربية وتعليم وتوجيه سليم يعتبر ضرباً من التخلي عنه، وتركاً لمعاملته بالرحمة التي أمرنا بها النبي ﷺ، كما أن تكليف الصغير من الأعمال ما لا يطيق أو تأديبه بالضرب المؤلم الشديد هو القسوة بعينها، وبقدر ما تقدم للصغير من رعاية ورحمة وعطف وتوجيه تساهم في تنشئته مواطناً صالحاً حنوناً عطوفاً على من حوله يعمر ولا يدمر:

وينشأ ناشئ الفتيان منَّا ... على ما كان عوَّده أبوه

وفي هذا الباب أيضاً تدخل رعاية اليتيم، وقد أعارها الإسلام جانباً كبيراً من الاهتمام، قال تعالى: {وأما اليتيم فلا تقهر} وبين الرسول ﷺ ثواب من يقوم بأمر اليتيم والإنفاق عليه، فقال ﷺ فيما رواه البخاري: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**، وأشار بأصبعه السَّبابة والوسطى» فلا بد أن يعطى اليتيم حقه من الحنان وحسن التربية، وقد استنكر الرسول ﷺ تصرف من يعامل أولاده بقسوة وجفوة، فلقد روى البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرعُ بن حابس التميمي جالساً عنده، فقال الأقرع: إن لي عشرة

من الولد ما قبلت أحداً منهم، فنظر إليه النبي ﷺ ثم قال: «**من لا يرحم لا يُرحم**» أي من لا يتصف بالرحمة ويرحم خلق الله فليس أهلاً لأن تناله رحمة الله، وبالأخص من لم يخص أولاده بالرحمة والشفقة.

وأمَّا قوله ﷺ في تتمة الحديث أنه ليس منا كذلك من لم يوقر كبيرنا، فهو دعوة لحفظ حق الكبير من الاحترام والتعظيم والتواضع له، لأن تضييع هذا الحق يدل على قلة الوفاء وانعدام الأدب، كما يؤدي إلى ضياع حقوق الناس، فالكبار لهم فضل على الأجيال الصاعدة، وعدم إكرامهم هو عقوق لهم.

ولا ريب أيها الإخوة الكرام أن العناية بالشيخ المسن من جملة آداب الإسلام التي حبب إليها الشارع الحنيف، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»، وما أجمل قول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي: «**ما أكرم شاب شيخاً لسنِّه إلَّا قيض الله له من يكرمه عند سنه**»، ومن الجميل أن نلاحظ أن مناط العمل في هذا الحديث هو الشيخوخة وكبر السن، فالمرء عادةً يكرم لما له من فضل علم أو فضل سبق أو دين أو أبوة أو رحم وما شبه ذلك ولكن الإكرام هنا للشيخوخة فقط، وهذا من سماحة الإسلام ورحمته بالإنسان ورعايته بالمسنين فما أعظم هذا الدين.

لقد أكرم أمير المؤمنين عمر يهودياً شيخاً لسنه ولم يثنه عن إكرامه له أنه غير مسلم، بل جعل له راتباً يكفيه من بيت مال المسلمين وكفاه المسألة، فالبركة مع الكِبَر والشيخوخة مع الوقار، والكرم مع الهَرَم. قال رسول الله ﷺ: «**البركة مع أكابركم**»، ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلَّا كانت له نوراً يوم القيامة**».

فالشيب هو الوقار الذي رآه إبراهيم عليه السلام أول من رآه، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال: وقار يا إبراهيم، فقال: ربي زدني وقاراً، والشيب هو نذير الموت، وما يلبث الإنسان أن يأخذ في الكبر حتى يحتاج إلى مسيس الخدمة ويشعر بالغربة ويتأثر بأدنى كلمة، لأنه يقضي مرحلة حرجة ولا يدري كيف القدوم على الله مهما كان مقامه في هذه الحياة. لما حضرت الوفاة أبا هريرة ﷺ بكى، فقيل له: يا أبا

هريرة ما يبكيك وأنت من أهل الصفة ومن أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: أخاف أن أكون قد أتيت ذنباً أحسبه هيناً وهو عند الله عظيم. الله أكبر.

ولما حضرت الوفاة معاوية رضي الله عنه وأرضاه اشتد فكره من القدوم على الله فبكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط، ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان، وبكى حتى علا بكاؤه، وقال: اللهم ارحم الشيخ العاصي ذي القلب القاسي، اللهم أقِل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك. وإذا كان هذا حال صحابي جليل من كُتَّاب وحي رسول الله ﷺ فكيف حالنا نحن العوام يا عباد الله؟ إنها لمرحلة حرجة وحساسة، ولذلك يقول تعالى في مقام الإحسان إلى الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] الآية.

يقول الضحَّاك: قال رجل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «**من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعدّ نفسه من أصحاب القبور**»، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الشيخ الكبير من حيث التفكر في الحاضر والمصير ولقاء العلي الكبير.

فاتقوا الله أيها المسلمون وتمسكوا بدينكم واعملوا بهدي نبيكم واقتدوا بإسلامكم وسلوا الله تعالى دوام صحبته ومزيد رحمته والتوفيق لما يحبه ويرضاه، إنه تعالى ولي ذلك ومولاه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه، وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الثواب والعقاب بين طاعة الوالدين وعقوقهما

الحمد لله البَرِّ الرحيم، الذي أودع الرحمة قلوب عباده المؤمنين، وجعل قلب الأبويين مستودع الرحمة ومستقرها المكين، وأشهد أن لا إله إلا الله أمر عباده أولاً بالعبادة والتوحيد حرزاً لهم وحصناً، وثنى بطلب الإحسان إلى الوالدين وقايةً من النار وأمناً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث للعالمين رحمة وسلماً، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اتبع طريقه الأسمى.

أمَّا بعد: فاتقوا الله عباد الله، ووفَّقني الله وإياكم لما فيه رضاه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

اعلموا وفّقني الله وإياكم لما فيه رضاه أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وأن القلوب تتعلق بمن كان له فضل عليها، وليس أحد أعظم إحساناً ولا أكثر فضلاً على الإنسان بعد الله سبحانه وتعالى من والديه، ولذلك قرن الله حقهما بحقه، وشكرها بشكره، وأوصى بهما إحساناً بعد الأمر بعبادته، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النِّساء: ٣٦]، وهذا من عدل الله وفضله، فالله عز وجل هو الخالق الموجد للولد، والوالدان هما مصدر هذا الخلق وسببه المباشر بإذنه سبحانه، كما بين لنا ذلك ربنا جل وعلا في قوله جل شأنه: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦] ومن ثَمَّ وَجَبَ الشكر لله على نعمة الخلق والإيجاد، ووجب الشكر للوالدين على نعمة الحمل والإيلاد، يقول ابن عباس: ثلاث آيات مقرونات بثلاث، لا تقبل واحدة بغير قرينها: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول: فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم تقبل منه.

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة: فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم تقبل منه.

أن اشكر لي ولوالديك: فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

وهذا الحق الذي أوجبه الله تعالى للوالدين على أولادهما حق عظيم لمن عرف قدره، وشرح الله به صدره، فالأب كم سعى وكافح وتحمل المتاعب والمشاق لراحة أبنائه، وربما حرم نفسه الكثير ليوفر لهم ويوسع عليهم، لأنه يحب أن يرى أبناءه أحسن حالاً منه، ولذلك بين الشارع الحكيم أنه مهما بذل الولد لوالده من الإحسان فإنه لا يستطيع أن يوفيه حقه إلَّا في حالة واحدها بيَّنها الرسول ﷺ بقوله فيما رواه مسلم عن أبي هريرة حيث قال ﷺ: «.. **لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**». وفي صحيح مسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «**لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما**». وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ لي أُمَّاً بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حوائجها إلا وظهري لها مطية فهل أديت حقها؟ قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه بها وتتمنى فراقها، ولكنك محسن والله يثيبك الكثير على القليل.

وروى البزَّار أن رجلاً في الطواف حمل أمه وجعل يطوف بها، فسأل النبي ﷺ: هل أديت حقها؟ قال: «لا ولا بذفرة واحدة» يعني ولا بطلقة واحدة من طلقات الولادة.

وصدق رسول الله ﷺ فالأم كم عانت من المتاعب والأهوال في الحمل، وكم تعرضت للمخاطر في الوضع، وكم سهرت في الليالي إلى جوار ولدها، وأرضعته خلاصة دمها وغذائها، وإذا مرض تتألم لمرضه، وتسهر الليالي باكية لأجله، من أجل ذلك أوصى الإسلام ببر الوالدين، ورسم القرآن الكريم المنهج الأسمى في معاملتهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فهذا أمر من الله جل شأنه في صورة حكم قضائي رباني، ألا تعبدوا إلا الله، وأن تحسن إلى الوالدين إحساناً، خصوصاً إذا كبرا، أو كبر أحدهما، وخص الله حالة الكبر بالذات لأنهما يكونان أحوج إلى

البر والإحسان والقيام بحوائجهما لضعفهما، فإن قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ كلمة (عندك) تدل على التجائهما واحتمائهما وحاجتهما، فلقد أنهيا مهمتهما وانقضى دورهما وابتدأ دورك أيها الابن، وها هي مهمتك فأحسن إليهما، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي قولاً ليناً في أدب وخشوع وتذلل وتواضع ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وادع لهما في حياتهما وبعد مماتهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، فلقد أمر الإسلام الولد ببرِّ الوالدين بكل ما تصل إليه يد الابن كإطعامهما وكسوتهما وعلاج مريضهما، ودفع الأذى عنهما، وألا يؤثر الولد على أبويه أهلاً ولا ومالاً ولا ولداً، ومن الشواهد ما أورده الإمام الزمخشري في تفسيره: أن ولداً اشتكى إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به النبي ﷺ فإذا به شيخ كبير يتوكأ على عصاه، فسأله النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، وأنا اليوم ضعيف وهو قوي، فقير وهو غني، وهو يبخل علي بماله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**ما من حجر ولا مدر سمع هذا إلَّا بكى**»، ثم قال للابن: «**أنت ومالكم لأبيك، أنت ومالك لأبيك، أنت ومالك لأبيك**».

ولم يجعل الإسلام بر الوالدين مقصوراً على حياتهما، وإنما جعله ممتداً بعد مماتهما ومن الشواهد على ذلك ما رواه الإمام أبو داود في سننه أن رجلاً من بني سلمة قال: يا رسول الله هل بقي علي من بر والدي شيء أبرهما به من بعد وفاتهما؟ قال: «**نعم الصَّلاةُ عليهما والاستغفار لهما وإيفاء عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**».

وكما أمر الإسلام ببر الوالدين في الحياة وبعد الممات، نهى بشدة عن عقوقهما، وجعل ذلك من أكبر الكبائر، فقد روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قالها ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور**»، فما زال يقولها حتى قلنا ليته سكت.

وعقوق الوالدين يعني إيذاءهما بالقول أو بالفعل أو الهجر أو البخل أو ما شابه ذلك، وهذا من الخطورة بمكان، فلقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**رضى الرب من رضى الوالد، وسخط الرب من سخط الوالد**».

فاتقوا الله يا شباب الإسلام في آبائكم وأمهاتكم، وليعلم الأبناء الذين لا يراعون حقوق الآباء والأمهات أو يهملونهم أو يدفعون بهم في دور رعاية المسنين وهم قادرين على رعايتهم، أنه كما يدين الفتى يدان، وما أسرع ما تمر الأيام، ويمضي الشباب ويأتي المشيب، والكيل الذي يكيلون به اليوم لآبائهم غداً سيكال لهم به من أبنائهم، لأن الله سبحانه يعجل بعقوبة العاق لوالديه في الدنيا قبل الآخرة. ومن الشواهد ما روى الحاكم بإسناد صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات**»، ولهذا يقول النبي ﷺ فيما رواه الطبراني بسند حسن: «**بِرُّوا آباءكم تبركم أبناؤكم**»، فالجزاء من جنس العمل، ومن سرَّه أن يحظى برحمة الله تعالى وينال نعيمه ورضاه فليبر والديه وليتفانى في الإحسان إليهما وإدخال السرور عليهما، وليحذر عقوقهما، ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، ولا يجد ريحها عاق**».

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

فيا أخ الإسلام البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه.



المخدّرات وأضرارها

الحمد لله الذي أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث والمنكرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل سبحانه في محكم الآيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله القائل فيما رواه أبو داود: «**ما أسكر كثيره فقليلُهُ حرام**»، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]. ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاه أن الله جل في علاه خلق الإنسان ورفع شأنه وأسبغ عليه نعمه وسما به إلى درات من التعظيم والتكريم، وقال في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وتوّج الله عز وجل الإنسان بالعقل وجعله مناط التكليف، وعلى أساسه يثاب أو يعاقب، وأحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث والمنكرات التي تضر بجسمه، أو تفسد عليه عقله، أو تفقده توازنه وتحطم شخصيته، وذلك كله حمايةً للإنسان الكريم على الله، ووقايةً لدينه ونفسه وعقله ونسله وماله، ليعيش سعيداً ويحيى كريماً حميداً كما أراده ربه وخالقه سبحانه وتعالى. ولذلك حرَّم الإسلام الخمر تحريماً قطعياً، وسماها أم الخبائث، لأنها تخامر العقل وتغطيه، فتفقد الإنسان وعيه وشرفه، ويُصَدّ بها عن صلاته وعن ذكر ربه، ويندفع إلى الموبقات، ويرتكب الفواحش والمنكرات.

ولقد وضَّح لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ معنى الخمر فقال: الخمر ما خامر العقل. وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن النبي ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خمر وكل خمر حرام**»، ومن ثم فكل ما ظهر حديثاً في هذا العصر مما يؤثر في العقر ويخامره مشروباً كان أو مأكولاً أو مشموماً أو محقوناً فهو خمر حرمه الله تعالى، حيث قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

ولقد قال المفسرون إن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات، ومن ثم حرمت الخمر على أربع مراحل، وجاء التحريم قطعياً في هذه الآية التي ذكرناها آنفاً.

ومما ورد في سبب نزولها أن قوماً من الصحابة اجتمعوا في وليمة عند عتبان بن مالك فأكلوا وشربوا الخمر... فقال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، وفي رواية قال: يا رسول الله ادع الله أن يبين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١] فقال عمر: انتهينا يا رب. ولم يقلها وَحْدَه بل قالها الصحابة جميعاً حين سمعوا الآية، قالوها عملياً حيث أراقوا الخمر في الشوارع وكسروا الأواني واستجابوا لله ولرسوله ﷺ، وبذلك صارت الخمر حراماً قليلها وكثيرها، وصارت رجس أي نجس من جملة النجاسات لما فيها من المفاسد العظيمة، والتي على رأسها إفساد العقل وهو أشرف ما أودعه الله في الإنسان، وبه تميز عن الحيوان وعن سائر المخلوقات، وحظي بالتكريم من الله رب العالمين.

وللمخدِّرات يا إخوة الإسلام من المفاسد والأضرار ما لا يحصى، فمن مفاسدها أنها تتلف العقل والمال، تسبب الأمراض المزمنة والأسقام الخفية، وتسبب موت الفجاءة، كما أثبت ذلك العلم الحديث.

ولقد سبق الإسلام العالم كله إلى ذلك الفهم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، حيث حرمها وعاقب عليها، وسماها أم الخبائث، وتوعد عليها بالعقاب

واللعن، ومن الشواهد ما رواه ابن ماجه والترمذي عن أنس ﷺ قال: «**لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة عليها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له**».

فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبداً وليوشكن أحدهما أن يخرج صاحبه. ولقد سقط كثير من أبناء الأمة تحت تأثير هذه السموم البيضاء، وبخاصة الشباب بصورة مخيفة تنذر بالخطر، وتهدد كيان الأمة، وتقضي على عناصر جيدة منه.

فعلينا إخوة الإسلام أن نراقب سلوك أبنائنا، وأن نوليهم جانباً كبيراً من الرعاية والاهتمام، وأن نغرس فيهم حب الله وحب رسوله وعدم مخالفتهما ليكون لديهم الوازع الديني وأن يسأل الوالد ولده دائماً عن الصديق والصاحب، لأن الصاحب ساحب، والمرء على دين خليله كما قال ﷺ، فالحذر الحذر يا عباد الله، فلقد روى الطبراني عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر، فإذا شربها أخرق الله عنه ستره، وكان الشيطان وليه وسمعه وبصره يسوقه إلى كل شر ويصرفه عن كل خير**».

نسأل الله تعالى أن يحفظنا وأبناءنا وبلادنا من هذا الشر والفساد، وأن يهدينا وإياكم إلى طريق الخير والرشاد، وأن يوفقنا لمراقبته وطاعته ويجنبنا مناهيه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التحذير من المخدرات

الحمد لله الذي شرع لعباده الحلال والحرام على ألسنة الرسل الكرام الذين ختمهم بسيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله أحل الطيبات، وحرم الخبائث والمنكرات، ومن أقبحها المسكرات والمخدرات والمفترات. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق هادياً ومبشراً ونذيراً، فشرح به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلفاً، وهدى به من الضلالة، وأخرج به من الحيرة، فاللهم صل عليه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. أمَّا بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأعلى شأنه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وسما به إلى درجات من التعظيم والتكريم، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠] وتوجه بالعقل وجعله مناطاً للتكليف، وعلى أساسه يثاب أو يعاقب، وأحل له الطيبات، وحرم عليه الخبائث التي تضر بجسمه أو تفسد عليه عقله، أو تفقده توازنه أو تحطم شخصيته، وذلك كله حمايةً للإنسان الكريم على الله ووقايةً لبدنه وعقله وماله حتى يعيش سيداً ويحيى كريماً حميداً كما أراد له ربه وخالقه. ولذلك حرم الإسلام الخمر تحريماً قطعياً، وسماها أم الخبائث، لأنها تخامر العقل وتغطيه، فتفقد الإنسان وعيه وشرفه، ويُصَدّ بها عن صلاته وعن ذكر ربه، ويندفع إلى الموبقات، ويرتكب الفواحش والمنكرات. ولقد وضح لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ معنى الخمر فقال: الخمر ما خامر العقل. وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن النبي

ﷺ: «**كل مسكر خمر وكل خمر حرام**»، ومن ثم فكل ما ظهر حديثاً في هذا العصر مما يؤثر في العقر ويخامره مشروباً كان أو مأكولاً أو مشموماً أو محقوناً فهو خمر حرمه الله تعالى، حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ولقد قال المفسرون إن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات، فأنزل بمكة: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧] فكانت حلالاً في أول الإسلام، ثم إن جماعة من الصحابة منهم عمر ومعاذ رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ [البقرة: ٢١٩] ثم إن رجلاً صلى المغرب إماماً فقرأ: قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون. وكان سكراناً فحرم الله السكر في أوقات الصلاة وأنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم إن قوماً من الصحابة اجتمعوا في وليمة عند عتبان بن مالك فأكلوا وشربوا الخمر ثم جلسوا يتناشدون الأشعار، ، فأنشد سعد بن أبي وقاص قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار، فشجّ رجل منهم رأس سعد بلحى بعير، فشكاه إلى النبي ﷺ فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، وفي رواية قال: يا رسول الله ادع الله أن يبين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١] فقال عمر: انتهينا يا رب. ولم يقلها وحده بل قالها الصحابة جميعاً حين سمعوا الآية، قالوها عملياً حيث أراقوا الخمر في الشوارع وكسروا الأواني واستجابوا لله ولرسوله ﷺ، ومن هنا نبين تلك الخطة الحكيمة التي انتهجها الإسلام في معالجة الأمراض الاجتماعية الخطيرة، فلقد سلك طريق التدرج في تشريع الأحكام، فبدأ بالتنفير بطريقة غير مباشرة كما في

الآية الأولى، ثم بالتنفير المباشر عن طريق المقارنة بين شيئين بين نفع ضئيل وضرر جسيم كما في الآية الثانية، ثم انتقل بهم خطوةً جديدة بالتحريم الجزئي في أوقات الصلاة كما في الآية الثالثة، ثم بالتحريم الكلي في جميع الأوقات كما في الآية الرابعة، فلله ما أدق هذا التشريع وما أحكمه، وبذلك صارت الخمر حراماً؛ قليلها وكثيرها وصارت نجسة من جملة النجاسات وذلك لما فيها من المفاسد العظيمة الكثيرة والتي منها إفساد العقل الذي هو أشرف ما أودعه الله في ابن آدم وبه تميز عن سائر المخلوقات، فإن السكران يصير أخس من البهائم، يفعل كل قبيح من السَّبِّ والسَّفَه والعربدة والحركات الجنونية وكسر الأواني، وربما يبول في ثيابه وربما يقع على بنته أو أمه وهو لا يشعر كما روى الطبراني عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ومن شربها وقع على أمه وخالته وعمته**» وأهون حالاته أنه يضحك ويهزأ ويصير مسخرةً بين الناس.

ومن مفاسدها أنها تتلف المال، لأن من شربها مرة استلذها وأحب معاودتها، فإن شربها ثانيةً وثالثةً أدمنها وصار شربها عادة له لا يصبر عنها فلا يزال يشربها فينقص ماله وعقله حتى يبقى بلا مال ولا عقل ولا مروءة.

ومن مضارِّها أنها تسبب الأمراض المزمنة والأسقام الخفية التي إذا تمكنت ورسخت في البدن تصبح لا علاج لها، وتسبب موت الفجاءة كما وقع ذلك كثيراً واكتشفه العلم الحديث، ومن أجل ذلك أدرك العالم كله خطورة هذه المخدرات فهبت كل دول المتحضر تسن من القوانين ما يحرم المخدرات ويحاربها بكل قوة لتحمي نفسها وشعوبها من هذا الخطر الداهم الفتاك، حتى خصصوا لها يوماً على مستوى العالم كله وسموه اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، ونحن المسلمين كجزء من هذا العالم نرحب بهذا الجهد المشكور ونؤيده بكل قوة لأن ذلك من صميم تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، فلقد سبق الإسلام العالم إلى ذلك الفهم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن وسماها أم الخبائث، وتوعد عليها بالعقاب واللعن ومن الشواهد ما رواه ابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها**

والمحمولة عليها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له».

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها ولم يتب لم يشربها في الآخرة**». وروي عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقت به امرأة فأرسلت إليه خادمها أنا ندعوك لشهادة، فدخل فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه، حتى إذا أفضى إلى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام، قالت: إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام أو تقع عليَّ أو تشرب كأساً من الخمر، فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال: اسقني كأساً من الخمر، فسقته، فقال: زيديني، فلم تزل به حتى وقع عليها وقتل النفس**». فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر رجل أبداً وليوشكن أحدهما أن يخرج صاحبه.

ولقد سقط كثير من أبناء الأمة تحت تأثير هذه السموم البيضاء، وبخاصة الشباب بصورة مخيفة تنذر بالخطر، وتهدد كيان الأمة، وتقضي على كل عناصر الخير فيه. فعلينا أن ننتبه جيداً إلى أن من وراء هذه السموم الفتاكة يداً آثمة من خارج البلاد وداخلها تعمل جاهدة على قتل النخوة وإماتة الغيرة وتحطيم الشباب من أبناء الأمة حتى يستكين ويخنع ويذل وينهار، فإذا هو لا يحمي وطناً ولا يصون عرضاً، وفي الحديث: «**لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله عنه ستره فكان الشيطان وليه وسمعه وبصره يسوقه إلى كل شر ويصرفه عن كل خير**».

فلا عجب إذا رأينا هذا التيار الخطير يجرف بعض أبناء الأمة إلى هاوية الانحراف والدمار والضياع، نسأل الله أن يحفظنا وأبناءنا من كل شر يراد بنا، ومن كل محنة تُكاد لنا لتقضي علينا، وأن يحفظ البلاد والعباد من الشر والفساد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وَحْدَه القوي القادر العظيم سبحانه، جعل الإسلام خاتمة الأديان، ورسوله ﷺ خاتم الرسل، وهو القائل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[آل عمران: ١٩].

سبحانك ربي سبحانك، يتغير الزمان ولا تتغير، وتتبدل الأحوال ولا تتبدل، لذا من يلجأ لغيرك يذل، ومن يرجو غير رضاك يضل، رضاك يا ربي خير من الدنيا وما فيها.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وخليلنا وعظيمنا وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور محمد النبي الأمي الذي علم المتعلمين والرسول الذي بعث الأمل في قلوب البائسين، والهادي الذي قاد سفينة العالم الحائرة في خضم المحيط ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين. أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون أحباب الحبيب المصطفى محمد ﷺ:

فإن الإسلام قوة، والمسلمون قوة يُفَلُّ الحديدُ ولا تفل قوتها، تهتز الجبال ولا تهتز، تضطرب الدنيا ولا تضطرب، هذه حقيقة تعلمها الإنسانية وسطرها المؤرخون، وتحدث بها المتحدثون، ونقلها لنا التاريخ فلا شك في ذلك. وانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم

مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤]. وهؤلاء الرجال هم أهل الإسلام من الأنصار الذين كان وفاؤهم وقيادتهم مضرب الأمثال، وكان صبرهم عنواناً لأخلاق الرجال وكان فداؤهم في سبيل دينهم مقياساً لبطولة الأبطال.

ثم انظر هناك إلى الجاهلية تجد العجب العجاب: يئدون بناتهم مخافة الفاقة والعار، تنشب الحروب بينهم لأتفه الأسباب، لم يكن لهم جيش يحمي حدودهم وبيوتهم، ولم تكن لهم حكومة تقوم على مصالحهم وتنمي ثرواتهم وتغرس مبادئ الخير فيهم، بل كان الفرس يحتلون جزءاً من أرضهم حفاةً عراةً يرعون الإبل ويخضعون لأوهام وظنون، وللأصنام يسجدون، وبتقاليد آبائهم يتمسكون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]. فأَذِنَ الله للدنيا أن تنفتح أمام شمس الهدى، ومصابيح الإيمان، وأن ينكشف ما ران على قلبها من ضلالات وخرافات وأوهام وخزعبلات ومنكرات، وأن ترى نور الحق وتسير كما أراد الله لا تضل ولا تذل، فكان مولد سيد الخلق محمد ﷺ، فجاءت شريعته بكل الخير، تجمع ما في الشرائع السابقة وتزيد عليها، تعطي كل العصور على اختلاف عقولهم ومقدرتهم، ووصولهم إلى حقائق العلم ولا تنضب كالمحيط إذا رأيته في أي وقت رأيته كما هو، ولو أخذ منه الناس جميعاً، فأصلحت حالهم وأعادت إليهم الحياة، واستردت لهم كرامتهم، وأقامت لهم حكومة ترعى مصالحهم وتقوم على أمرهم فَحَمَتْهم ووحَّدَتهم تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وخرجت بعقولهم إلى مدار التفكر والتأمل واتباع الحق فعلمتهم أن البينين والبنات إنما هما من خلق الله ولا ينبغي الاعتراض على أمره: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]، حتى أصبحوا رجالاً فضلاء، انظر إلى حياتهم تَرَ عمق إيمانهم وقوة تمسكهم بالإسلام

وصدقهم مع الله الملك العلام، ولذا دانت لهم الدنيا وخضعت لهم الرقاب، ففي معركة القادسية تجد العجب العجاب في حرب المسلمين مع فارس تقدمت فرقة قليلة العدد والعدة، فلما وصلوا طلب كسرى منهم وفداً للمفاوضة فأرسل إليه سعد بن أبي وقاص وفداً فماذا جرى؟ أقام الفرس بوابة صغيرة على باب كسرى حتى ينحني الوفد الإسلامي وهو داخل عليهم لأنهم يعلمون أن المسلمين أعزة لا ينحنون لغير الله ولا يركعون إلا لله، ورأى المسلمون هذا فانتبهوا للمكيدة بفراستهم ولا عجب، فالرسول ﷺ يقول: «**اتقوا فراسة المؤمن**»، فدخل الوفد على كسرى لا بوجهه بل بظهره حتى لا ينحني له فعرف كسرى أنهم أذكياء أقوياء وأنهم دخلوا عليه بظهورهم غير خائفين ولا وجلين لأنهم احترموا أنفسهم، فالإيمان أنار بصائرهم وزادهم قوة على قوة فماذا جرى؟

قال كسرى لهم: أنتم أيها العرب كنا نحتل جزءاً من أرضكم فلما غفلنا عنكم تجرأتم علينا، من أجل أي شيء جئتم؟ وأخذوا يعرضون عليه الإسلام عرضاً طيباً، وانتظروا أن يتجاوب الرجل معهم ولكنه أصر على كفره إصراراً واستكبر استكباراً، وطلب من حاجبه أن يأتي بوقر من تراب ويضعه على ظهر أعظمهم، فقال أجلهم شأناً أعظمهم ليحمل التراب على ظهره وليدفع العار عن كبير الوفد. وعادوا إلى سعد فلما دخلوا عليه قال: ماذا صنعتم؟ قال: هزئ بنا الرجل وسخر منا وأمر أن يوضع التراب على ظهر أعظمنا كما ترى. عندئذٍ صاح سعد صيحة ارتجَّ لها الجيش، صاح الضابط الذي تخرج من الكلية الحربية المحمدية وحوّل هذا الموقف من ضعف إلى قوة، صاح قائلاً: الله أكبر الله أكبر جاءت البشرى بانتصار المسلمين على الفرس، وهذه تربة أرضهم قد سلموها لنا بأيديهم. وتفاءل المسلمون وقويت روحهم المعنوية وانتصروا في المعارك حرباً بعد حرب، واضطر كسرى وجنوده إلى أن يفروا من الضفة الغربية إلى ضفتهم، ونظر المسلمون إليهم وهموا أن يتعقبوهم ولكنهم لم يجدوا سفناً ولا بواخر حربية، فأمرهم سعد بن أبي وقاص أن يركبوا الخيل ويعبروا البحر متوكلين على الله، واستجاب له المسلمون وهم يقولون: اللهم إنك سخرت البحر لموسى،

فسخره لنا نحن أتباع محمد، ونظر إليهم سلمان فقال: والله لتخرجن سالمين كما دخلتموه سالمين ما لم يكن فيكم ظلم ولا بغي. ويأتي أحدهم فيجد إناءه قد سقط فينحني عليه ليأخذه، ويسرع إليه زميله ليعدله خشية أن يغرق فيعتدل وقد استعاد الإناء ويخرجون جميعاً سالمين فيخر ساجداً ثم يرفع رأسه وهو يقول: الحمد لله لقد أقسمت بالله أن يخرجوا سالمين كما دخلوا وأبر الله قسمي، ربنا ولك الحمد. وشاهد أعداء الإسلام هذا فامتلأت قلوبهم رعباً وقالوا: لا طاقة لنا بقتال هؤلاء، فهم إمّا جِنٌّ وإما مجانين. وتعقبهم المسلمون حتى تم لهم النصر، وكان انتصارهم حقيقياً وليس مزيفاً، بعد هذا دخل سعد قصر كسرى وسجد لله شاكراً أنعمه ثم رفع رأسه وهو يتلو قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨].

انظر إلى هؤلاء الجنود الذين خرجتهم المدرسة المحمدية ماذا صنعوا بعد النصر؟ لقد أخذوا يعيدون الغنائم ويجمعونها، فجاء رجل بعلبة فسأله سعد: هل فتحتها؟ قال: لا، وما رآني أحد وأنا ألتقطها، ولو شئت أن أخفيها لأخفيتها، ففتحها سعد بمحفر من الجنود فرآها مليئة بالجواهر مرصوصة رصاً دقيقاً يدل على أنها لم تمسها يد، فقال سعد: دلني على اسمك لأكتب إلى عمر ليكافئك، فقال الرجل: والله ما أتيت بها ليكافئني عمر، ولكن أتيت بها ليكافئني رب عمر.

أرسل سعد هذا كله إلى عمر أمير المؤمنين فلما رأى عمر كثرة الغنائم قال: إن قوماً أدوا هذا لذو أمانة. فقال له علي كرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين عففت فعفُّوا ولو رتعت لرتعوا.

وانظر إلى عمر أيضاً كيف يرسل إليه عمرو بن العاص يخبره بعجزه عن إقناع أهل مصر فهم يجدون طول عامهم في البحث عن أجمل فتاة تطأ قدمها أرض مصر ليقذفوها آخر العام في النيل حتى يفيض عليهم ولا ينقطع عنهم، فكتب عمر برسالة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

من عمر بن الخطاب عبد الله وأمير المؤمنين إلى نيل مصر العظيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إن كنت تجري بأمرك فلسنا في حاجة فيك، وإن كنت تجري بأمر الله فإن الله مجريك. وأمر الرسول أن يقذف الرسالة في النيل، فما أمسى الناس إلا واشتكوا من شدة سيول النيل عليهم.

ألم تعلم أن ابن الهيثم وابن سينا وابن خلدون كلهم علماء مسلمين وما زالت كتبهم تدرس إلى الآن في أوربا، إن أوربا قد أقامت حضارتها على أساس علمي إسلامي، فأساسها من جهد علماء المسلمين، ولولا هؤلاء العلماء ما وصلت إلى ما هي فيه، وانظر إلى حالهم الآن، فقد بدل الله حالهم من قوة إلى ضعف ومن عزة إلى ذل، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١]. فالفضل لعلماء المسلمين الذين كانوا يبحثون في علوم الكون، ويتمسكون بالإسلام فيبصرهم الله ويفتح أمامهم المغالق والمفاتيح، ويبين لهم الخير ويسهل لهم الصعاب.

فالمسلمون أعزاء ما إن تمسكوا بهدى الله وهدى رسول الله ﷺ ، وعندئذٍ لا يستطيع عدو أن ينال منهم أو يقف أمامهم، ولقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي**».

والمسلمون ضعاف كل الضعف إذا ابتعدوا عن هذين النُّورين، وخاضوا وسط الملذات واتبعوا الأهواء وركنوا إلى الظالمين مخالفين بذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١].

ومن هنا وهنت الأمة وحل بها ما حذر منه نبيها ﷺ إذ يقول: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقالوا: أومن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليلقين في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**». رواه الترمذي.

أما آن للمسلمين أن يعودوا لدينهم ولشريعتهم لنخرج من هذه الظلمات

التي ألفناها بل عشقناها ونبذنا نور الإسلام وشـريعته الوضاءة ومنهاجه الحكيم لعل الله يغير حال المسلمين من ضعف إلى قوة ومن تبعية إلى ريادة، يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصـر الله، ينصـر من يشاء وهو العزيز الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

❊ ❊ ❊

قيم إسلامية يجب المحافظة عليها

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزَّنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له أمرنا بالاعتصام بحبله، وألف بين قلوبنا بفضله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل أنبيائه وخاتم رسله، دعا الناس جميعاً إلى تقوى الله وروح الأخوة والمحبة في الله، صلَّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. أما بعـد:

إخوة الإسلام والإيمان:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣] فالمتأمل في هذه الآية أيها الأحبة الكرام يرى فيها من البيان ما يدل على أن الله تعالى فطر الإنسان على أن يكون اجتماعياً بطبعه، والمجتمع المسلم بصفة خاصة مجتمع مفتوح بعضه على بعض لأن الإسلام ربط بين أبنائه برابطة العقيدة، وهي أقوى رابطة لا يمكن أن تنفصل إذا ما تمسك المسلمون بمبادئ تلك العقيدة التي يجب أن تقوم عليها أخوتهم وعلاقاتهم؛ لأن الإسلام جعل المسلمين إخوة في العقيدة والدين وشرع لهم حقوقاً وآداباً تقوي تلك الأخوة وتنميها، ومن بين تلك الحقوق ما أرشد إليه الرسول ﷺ بقوله فيما رواه مسلم: «**حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»، وما أسماها من حقوق تبعث على المحبة، لو عمل بها المسلمون فيما بينهم، وأما عن الآداب التي شرعها الإسلام

لتقوية الأخوة والمحبة بين المسلمين، فمنها آداب التناصر بين المسلم وأخيه المسلم على أساس من الحق والعدل، وبعيداً عن التعصب والتحزب، وهذا ما أرشد إليه ﷺ بقوله فيما رواه البخاري: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره**».

وكذلك من الآداب والحقوق التي شرعها الإسلام لتوطيد علاقة المسلمين فيما بينهم على الحب والإيمان آداب الموالاة، ولا يكون ذلك إلا في الله على نحو ما وضحه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٧١] وما بينه ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي بقوله: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**».

ومن الآداب والحقوق كذلك آداب التواصل بين المسلم وأخيه المسلم، وهذا التواصل له ما له من أهمية عظمى في حياة الأمة، فهو الذي تقوى به روابط الأخوة والمودة والمحبة بين المسلمين والتعاون على البر والتقوى وبه يرتقون إلى المستوى الإيماني الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله فيما رواه البخاري عن النعمان بن بشير حيث قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وحرصاً من جانب الرسول ﷺ على دوام هذا التواصل وحمايته مما يوهن من قوته نهى الرسول ﷺ المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام، وهذا فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه، لأن دوام الصلة يديم المحبة ودوام المحبة في الله يديم الخلة والصحبة بين المسلم وأخيه المسلم في الدنيا والآخرة فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: وماذا أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**». قال

أنس: فما فرحنا بشيء فرحتنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت، قال أنس: وأنا أحب النبي وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي لهم وإن لم أعمل بعملهم. والحديث فرواه البخاري، وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**». وهذا التوجيه النبوي يعني أنه إذا أحب المسلم أخاً أو اختار صاحباً ينبغي أن يكون ذلك في الله، وأن ينتقيه من خيرة الناس ليكون عوناً له على الخير وعلى طاعة الله ورضاه، لأن هذا النوع من الحب والمؤاخاة هو الذي يحبه الله تعالى لعباده المؤمنين ويرضاه لهم.

ومن الشواهد ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على طريقه ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تردها عليه؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**».

وحسب المتحابين في الله أمناً وشرفاً ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلَّا ظلي**» يا لها من كرامة لهم.

هل فكرت يا أخ الإسلام في هذا الحديث الشريف الذي سمعته الآن، وتصورت هذا اليوم؟ يوم تدنو الشمس من الرؤوس والزحام شديد حتى تكاد تختنق الأنفاس، فالبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة في أرض المحشر، وجهنم تزفر وتزمجر، وقد جيء بها لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وفي ظل هذه المشاهد التي تخلع القلوب وتجعل الوِلْدان شيباً ينادي ملك الملوك: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. يا لها ورب الكعبة من كرامة للمتحابين في الله.

فما أعظم الحب في الله، وما أعظم الأخوة في الله بين المسلمين إذا ما عرفوا حقوق هذه الأخوة فيما بينهم، ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فلقد كان الرجل يؤثر أخاه على نفسه وماله وأهله، وأثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

ﵟٱلۡمُفۡلِحُونَﵞ [الحشر: ٩] وما ذاك إلا لأنهم تحلوا بروح الإسلام وتأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه فشبوا على الصفاء والمحبة فيما بينهم لله وفي الله وعلى التضحية والفداء وضربوا أروع الأمثال من أجل المبادئ والقيم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين لا من أجل عرض من أعراض الدنيا الفانية، وشهد الله لهم بذلك حيث قال: ﵟوَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗاﵞ [الإنسان: ٨-١٢].

هؤلاء هم الذين كانت تربطهم جميعاً رابطة الأخوة والحب في الله تعالى، فكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فما أحوج المسلمين الآن إلى أن يتأسوا بسلفهم الكرام ويحافظوا على هذه القيم ليرتقوا بأنفسهم إلى هذا المقام، إلى مقام الأخوة الحقة وإلى مقام المحبة الخالصة لله وفي الله، فيا له من مقام عظيم عند رب العالمين، فضلاً عما يحدثه في الأمة من عزة وقوة.

وحسبنا في هذا المقام ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر ﵁ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من عباد الله ناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله، قيل: يا رسول الله أخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا قول الله تعالى:** ﵟأَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَﵞ [يونس: ٦٢-٦٣]». نسأل الله العزيز القدير أن يجعلنا من المتحابين فيه، إنه سميع مجيب.

روى البخاري ومسلم عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**».

نسأل الله تعالى أن يسلّمني وإياكم من النار وأن يجعلنا من المتحابين بجلاله المستظلين بظله يوم لا ظل إلا ظله وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



آثار الذنوب والمعاصي

إنَّ الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.

اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله الكرام الأطهار وصحبه الرجال الأبرار وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، والابتعاد عن المعاصي التي هي مخالفة أمر الله والإعراض عن ذكره، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] فاعلموا رحمكم الله أن الذنوب والمعاصي أخطر أعدائنا، بل إن المعاصي سبب كل شقاء وبلاء، فهي التي تدمر حياة الأفراد والمجتمعات، فما الذي أخرج إبليس من الجنة وطرده من رحمة الله؟ وما الذي أغرق فرعون وجنوده؟ وما الذي أهلك قوم عاد وثمود؟ وما الذي أهلك قوم لوط؟ وما الذي خسف بقارون الأرض؟ إنها المعاصي والذنوب، يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن سبب هلاك الأمم: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فيا عباد الله، اتقوا الله وأطيعوه، واحذروا من المعاصي، فإنه ليس هناك ما يستنزل رحمة الله وبركته مثل طاعته، وليس هناك ما يستوجب غضبه ولعنته مثل معصيته، وتلك سنة الله، تلمسها حيث يعاقب العصاة بالنكبات تجتاحهم،

وبالشدائد تستأصلهم، وإن أمهلهم فلن يهملهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

ولقد حذر النبي ﷺ من شؤم المعصية وعاقبتها، وذلك فيما رواه الحاكم وابن حبان وأبو نعيم بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلَّا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله** -أي يطلبون الخير مما أنزل الله تعالى على رسوله- **إلَّا جعل بأسهم بينهم**».

فتدبر يا أخ الإسلام هذا الحديث العظيم وانظر إلى حال المسلمين وتفكر فسترى كأن النبي ﷺ يجسد حال الأمة الآن، أظهرنا الفاحشة في كثير من البلدان فظهرت الأمراض والأوجاع، وأنقصنا الميزان فأُخذنا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان في كثير من الأقطار والبلدان، ونقضنا عهد الله وعهد رسوله ﷺ فبعدنا عن مصدر عزنا، ونبع شر منا فسلط الله علينا الآلام وطمع فينا الضعيف قبل القوي والذليل قبل العزيز والقاصي قبل الداني وسلبت أرضنا وضاع قدسنا وراح شرفنا وأصبحنا نتصرف في قضايانا من موقع الذلة لا من موقع العزة على عكس ما كان عليه سلفنا فلماذا؟ لأننا نحينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن الكثير من جوانب حياتنا واستبدلنا رحيقاً مختوماً من عند ربنا بحريق محرق من عند أنفسنا، فاشتد البأس بنا وتحقق فينا قول نبينا ﷺ فرانت على قلوبنا الذنوب، وصدق علام الغيوب إذ يقول في أثر المعاصي على القلب: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، قال الحسن البصري: الرَّان هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت.

فيا عبد الله، عُدْ إلى الله واستعن بالله واستقم على طاعة الله وابتعد عن المعاصي والذنوب، فإن البعد عن المعاصي والذنوب سبب رئيسي من أسباب رغد العيش وانشراح الصدر وحسن الخاتمة، وإذا ما زل الإنسان ووقع في ذنب أو ارتكب كبيرة من الكبائر أو معصية من المعاصي وضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه وظن أنه قد هلك وظن أنه قد ضاع وظن أنه قد فقد كل شيء فليستمع إلى هذا النداء العلوي الندي الراقي الذي يملأ عليه أركان الجوارح حيث ينادي صاحب هذا النداء جل جلاله لا تقنط ولا تيأس: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣].

يا لهذا النداء، نداءٌ عذبٌ، نداء نديٌّ، نداءُ رضى يملأ القلوب أمناً واطمئناناً ورجاءً في الرحيم الكريم، واسمع يا عبد الله إلى رب العزّة وهو ينادي عليك في الحديث القدسي الذي رواه مسلم والترمذي حيث يقول سبحانه وتعالى: «**يابنَ آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**».

إنها رحمة الله جل وعلا، نسأل الله عز وجل أن يهدينا سواء السبيل، وأن يتغمدنا بواسع رحمته، وأن يوفقنا لطاعته، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

* * *

والباقيات الصالحات خير

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان أتقى الناس وأشدهم لله تعالى خشيةً وطاعة وحباً، اللهم صَلِّ عليه وآله وأصحابه معالم الهدى ومصابيح الدجى وارض اللهم تعالى عن خلفائه الراشدين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين، أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنها جماع الخيرات وحصون البركات، وأكثر خصال المدح ذكراً في كتاب رب الأرض والسماوات، ووصية الله في الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ١٣١] فهي دعوة الأنبياء وشعار الأولياء، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتقيائه وأوليائه، وأن يتغمدنا في الحياة وبعد الممات بواسع رحمته وعفوه وكرمه وعطائه.

إخـــوة الإيمان:

يقول الله عز وجل في محكم القرآن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:١-٢] وهذه الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أن الله سبحانه وتعالى خلقنا في هذه الحياة الدنيا ووهبنا من نعمه المتنوعة وجعل ذلك ابتلاءً واختباراً ليظهر المحسن في عمله فيجزى على إحسانه، ويظهر المسيء في عمله فيجزى على إساءته،

تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. فالدنيا ليست بدار متاع ولا بدار قرار وإن بدا منها لبعض أهلها متاع فإنما هو متاع الغرور، يغتر به المغترون ويتلهى به الغافلون، إنما الأكياس والعقلاء ليسوا كذلك، بل لسان حالهم يقول كما قال الرسول ﷺ: «**ما لي والدنيا**» فلقد روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام ﷺ وقد أثَّر في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطأً – يعني فرشاً ليناً– تنام عليه، فقال ﷺ: «**ما لي والدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»، هكذا حال الأنبياء والصالحين.

انظر أخ الإيمان إلى نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلقد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين، حيث ساس له قيادة الإنس والجن والوحش والطير، وسخر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، ثم أعظم الله سبحانه عليه النعمة، وأجزل له المنة، فقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] فلم يعتبر سليمان ذلك نعمة يركن إليها أو مرتبة يعتمد عليها أو منزلة يطمئن بها، بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم استدراجاً من حيث لا يعلم، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] فالأمر شيء عظيم لا يحتمله إلا المتقون، لذلك وضع الله الدنيا والآخرة أمام الناس في كفتين متقابلتين مبيناً حال الاثنتين فقال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وصَوَّر لهم الدنيا والآخرة أيضاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

نعم والله يا عباد الله، إن الآية تصور لنا مشهد الحياة الذاهبة التي لا خلود

فيها ولا بقاء، بل سرعة وزوال وفناء وترحال، فهي ما تخضر حتى وتصفرّ. لذلك ليست الحياة الدنيا ميزاناً يقدر به الناس إنما الميزان هي القيم الباقية التي تستحق الاهتمام، إنها الباقيات الصالحات من الأقوال والأعمال والعبادات كالحج والصوم والصلاة والزكاة وجميع أعمال الخير التي بها تستجلب الحسنات وترفع الدرجات، ومن الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، بل هي كل الكلمات الطيبات والأعمال الصالحات لهذا أرشدنا رسولنا ﷺ إلى باقيات خالدات يستمر أجرها وثوابها حتى بعد الممات فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] أي نكتب ما باشره العبد بنفسه وما ترتب على أعماله مما عمله غيره أو انتفع به في حياته وبعد موته.

فالباقيات الصالحات نافعات لك يا عبد الله في دنياك وفي أخراك، أما في الدنيا فإن ثمار صلاحك سوف تجده في إكرام الله لك وتيسير أمرك، فالجزاء من جنس العمل، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] بل إن أثر ذلك يمتد إلى أولادك من بعدك. وتأملوا إخوة الإسلام كيف أن الله تعالى سخر موسى والخضر عليهما السلام في قرية بخيلة لإقامة جدار تحت كنز ليتيمين لحفظه لهما وأن ذلك كان بسبب صلاح والدهما، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾ [الكهف: ٨٢] قال العلامة ابن كثير رحمه الله: فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتسجل بركة صلاحه وعبادته لهم في الدنيا بعناية الله لهم وفي الآخرة بشفاعته فيهم، فلقد صح عنه ﷺ أن العبد المؤمن الصالح يشفع في سبعين من أهله، وعند خروج العبد من الدنيا فإن الباقيات الصالحات هي لصاحبها تؤنسه في وحشته ووحدته وغربته وليس

غيرها، يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**إذا مات ابن آدم تبعه ثلاث: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»، وكأنه يقال له بلسان الحال: رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك وللحساب عرضوك ولو بقوا معك ما نفعوك، يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

انظروا إخوة الإسلام إلى هارون الرشيد عندما حضرته الوفاة قال لإخوانه من حوله: أريد أن أرى قبري، فحملوا الرشيد إلى قبره فنظر هارون إلى القبر وبكى، ثم التفت إلى الناس من حوله وقال: «ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه». ثم رفع رأسه إلى السماء وقد استغرق في البكاء وقال: «يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه».

وهكذا إخوة الإسلام روي عن قيس رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله عظنا موعظة ننتفع بها، فقال: «**يا قيس إن مع العزِّ ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاب، ولا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلَّا معك، ولا تبعث إلَّا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تستأنس إلَّا به، وإن كان موحشاً لم تستوحش إلا فيه، وهو عملك**».

نسأل الله تعالى أن يثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام وأن يمن علينا جميعاً بحسن الختام وأن يخرجنا جميعاً من دار الفناء إلى دار العز والبقاء بسلام وأمان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نظرة الإسلام إلى المال

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، أما بعد:

فإن المال لا يطلب لذاته في هذه الدنيا وإنما يطلب عادة لما يضمنه من مصالح، ولما يحققه من منافع، إنه وسيلة، والوسيلة تحمد أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة أو سيئة.

وإنَّ المال كالسلاح، والسلاح في يد المجرم يقتل به الآخرين، ولكنه في يدي الجندي قد يدافع به عن وطنه، أو يحرس به الأمن في بلده، فليس السلاح محموداً أو معيباً لذاته والمال كذلك، وقد قال الله سبحانه وتعالى في المال وما يسوقه لأصحابه في الدنيا والآخرة من خير أو شر، قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ [الليل: ٥-١١] والمال كما يكون زينة الحياة ييسر مباهجها ويقرب شهواتها، فقد يكون كذلك سلاح الدين وضمان بقائه، ومدد تسليحه وحمايته، وقد قال الله في وصف المال والبنين: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال كذلك في قيمة المال والبنين لإحراز النصر ورفع الشأن قال: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦] فتنتصر الأمم بالمال والبنين، وتنهزم كذلك بالمال والبنين يوم يكون مالها أداة ترف، ويوم يكون مصدر استعلاء وطغيان، وقد يكون أبناؤها طلاب ملذة ولهو ولعب.

والإسلام يضمن أو يبيح ويقر حرية التملك ويعتبر حق التملك حقاً له

قداسته ومكانته، ويعتبر أن الجور على هذا الحق أو توهينه في المجتمع ليس من شأن المسلمين، ولا هو من مسالك الأتقياء، لكل إنسان الحق المطلق في أن يكتسب من كد يمينه وعرق جبينه ما يقيم به معايشه، وما يصون به مروءته، وما يربي به ولده، وما يحفظ به عرضه، لكل إنسان الحق كاملاً في هذا، والله عز وجل يرفض أي عدوان على حق التملك أو اجتياح لحقوق الناس المالية دون سبب مشروع، فيقول جل شأنه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النِّسَاء: ٢٩] ويقول جل شأنه: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨] ويقول جلَّ شأنه: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النِّسَاء: ٥] ويقول عليه الصلاة والسلام: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي، وكما أن العدوان على الدم والعرض منكر لا يقبل فكذلك العدوان على المال.

وفي خطبة الوداع بيَّن النبي ﷺ ما ينبغي لحقوق الناس المالية من قداسة، فقال بعد أن تساءل: أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟ قال: «**فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا**» رواه البخاري ومسلم.

وكان أبو الدرداء يقف على ممر الناس إلى طريق الجهاد ويقول: أيها الناس من كان يعلم أنه إذا مات في هذا الوجه وعليه دين لا يدع له قضاء فليرجع فإنه لن يصيب أجر شهادة. أي إنه يقول للمدين: قبل أن تجاهد سدد الدين الذي عليك ربما خرجت فمتَّ دون أن تدع تركةً تكفي سداد دينك فتلقى الله وأنت مدين.

هكذا كان المسلمون يحترمون حق الملكية.

ومع احترام الإسلام للملكية الخاصة فإنه أثقل هذه الملكية بالقيود، ولعل أول هذه القيود وأجدرها بأن ينبه إليه أن الإسلام لا يحترم الملك الخاص إلا إذا كان من وجه صحيح ومن طريق مباح، أما أن يكون التملك من ربا، أو من

احتكار أو من غصب أو من قمار أو من احتيال أو من أي باب من أبواب السحت فإن الإسلام يرفض هذا التملك رفضاً باتاً، بل يرى أن المرء إذا كسب ثوباً من حرام فصلى فيه لم تقبل صلاته، وإذا نما جسمه من سحت فإلى جهنم.

«**لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به**» رواه أحمد والطبراني هكذا قال رسول الله ﷺ. أول ما يقيد الإسلام الملكية به أن يقول لك: أبصر جيداً فإن القِرْشَ الذي تكسبه أمن حلال هو أم من حرام؟ فإن كان من حرام فلا حق لك فيه ولا يجوز أن تستبقيه، بل يجب أن تتركه فوراً، وإذا كسبته من حلال فللإسلام هنا توجيهات:

التوجيه الأول: ألا تظن نفسك المالك الأصيل لهذا المال، بل اشعر أن المالك الأصيل له هو ربك الذي خولك وملكك ومنحك وأعطاك، وأنت لست إلا صاحب يد عارضه عليه، ومن فضل الله عليك أن جعل يدك في هذا المال تعطي لنفسك وتعطي لغيرك والمالك الأول هو رب العالمين، وهذا المعنى هو الذي أكده القرآن في قوله جل شأنه: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧]. سئل أعرابي كان في قطيع غنم يملكها، سئل عن هذا القطيع كان جواب الرجل: هو لله عندي. وهذا جواب سديد، فلا تظن نفسك بالتملك قد أصبحت مالك الملك: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[البقرة: ١٠٧] فاعتبر نفسك مستخلفاً، وهذه النظرية –نظرية الاستخلاف– تجعلك تدقق فيما تنفقه على نفسك أو على غيرك أي ليست حريتك مطلقة، فأنت مراقب في تصرفك، مراقب من صاحب المال الذي وظفك فيه، المال مال الله.

التوجيه الثاني: أن الإسلام يطلب من أبنائه أن يكونوا أصحاب همم، فكسب المال عندهم يخضع لتصرف الهمة الكبيرة، وقد يكون المال قريباً منك ولكن لا ينبغي أن تأخذه من أيسر سبيل وتقعد. فعندما عُرض على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن يتملك وأن يعيش على فضل أخيه كان جواب عبد الرحمن: لا، دُلُّوني على السوق، وبهذا الخلق استطاع المهاجرون أن يزاحموا الاقتصاد اليهودي في المدينة

المنورة وأن يجعلوا المال إسلامياً، وهذا شيء له خطورته في كسب النصر، فإن الاقتصاد يوم تعبث به أيدي من لا صلة لهم ولا شرف فإنهم يسخرونه في حرب الملة السمحة، ولذلك كان الإسلام شديد الحرص أن ينطلق المؤمنون في المشارق والمغارب يكسبون رزقهم ويطلبون فضل الله في فجاجه المبعثرة هنا وهناك، أو المخبوءة تحت طباق الثرى، وهذا سر قوله جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠].

فإذا ملكت من حلال فإن الإسلام يوجب عليك أموراً، أول ما يوجب الإسلام فريضة الزكاة وهي فريضة ليست هينة، ولو أن المسلمين أخرجوا زكاة أرصدتهم وأموالهم وتتبعوا بها ثغرات المجتمع وعورات الناس لأراحوا الأمة من بلاء كثير. ولقد حدث أيام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وكان أميراً عادلاً وخليفةً راشداً، حدث ببركة العدل، وبركة الإيمان والتراحم أن الزكاة أخرجت من أفريقيا أي من مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش، خرجت الزكاة فلم يوجد من يأخذها في هذه الأقطار الرحبة كلها، لأن الله أغنى الناس بعدل عمر، فماذا صنع عمر؟ أمر بأن يشترى بالزكاة عبيد يتحررون بمال الزكاة واعتبر ذلك مصرفاً بنص الآية: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٠٧].

إن الخير الكثير يمكن أن يتحقق إذا وجدت فيه نية التراحم والعطاء، ووجد القصد الذي يستهدف وجه الله بما يعطي وبما ينفق، وقد قاتل الإسلام من أجل الزكاة، وكان قتاله فيها حاسماً ولعله أول قتال ظهر في تاريخ البشرية كلها كان الناس يتقاتلون لأمور كثيرة ولكن أول جيش ظهر في تاريخ البشرية يحارب ليرغم الأغنياء على إخراج الحق المعلوم للفقراء والمساكين ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقد تكون الزكاة حداً أدنى، فإن المجتمع ربما ظهرت له حاجات، وهنا على الناس أن ينفقوا، وهنا يأتي دور الصدقة وهو ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام وهو يعلِّم الناس في مجتمع المدينة المنورة كيف يتعاونون ويتراحمون، وفي الحديث: «**من كان معه فضل ظهر فَلْيَعُد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**» قال أبو سعيد: فذكر أصناف

المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في الفضل. رواه مسلم وأبو داود.

أيها المسلمون:

من أجل هذا كله نستطيع القول بأن الإسلام جرد المال عن أن يكون حكراً لفرد، وجعله موجهاً لمصلحة الجماعة، ونحن نذكر قصة ذلك الأعرابي الجافي الذي جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: أعطني يا محمد فإنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك، ويهم عمر بقتله لهذه الجرأة على رسول الله، ويمنع رسول الله عمر من إيذائه ثم يعطيه حتى يرضى. لقد كان ذلك من رسول الله تطبيقاً دائماً لمعنى الخلافة من الله في المال، وكان درساً لقنه أصحابه الذين بدأ بهم مجتمع المدينة بعد الهجرة فأسسه على الإيثار السخي والترفع عن عرض الدنيا رغبة فيما عند الله حتى لحظة وفاته عليه الصلاة والسلام. ولم يبق في بيته حين مات شيء.

أيها المسـلمون:

لقد فهم أسلافنا حقيقة وجودهم كما أراد الإسلام وكما علمهم الصادق الأمين، وأنهم لم يُخلقوا إلَّا ليكونوا عباداً لمن استخلفهم في الأرض، فنهضوا بحق الخلافة وأدوا أمانتها، ولقد سئل أعرابي عنده إبل كثيرة عن لمن هذه يا أعرابي؟ فقال: هي لله تعالى عندي، وبهذا الفهم عرفت الدنيا في أمة محمد ﷺ أمة ترى المال وسيلة لا غاية، ومجتمعاً بلا طبقات، بلا امتيازات وبلا جريمة وبلا نقائض مما يعج به العالم الآن، كانوا أمة ربانية سخرت كل ما بين يديها لطاعة ربها، وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه هذا الدعاء: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدَّين وأغننا من الفقر**». رواه مسلم. وقال ﷺ: «**لا حسد إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» رواه البخاري.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أدب الحوار في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، حثَّنـا على مكارم الأخلاق، ووجَّهنا إلى أن نعامل الناس بالإحسان والعفو والحلم، وإلى أن تكون علاقتنا بهم علاقة رحمة ومحبة ومودة، متمثلين قوله تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع لعباده من الآداب والنظم ما يكفل لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة حيث: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين والهادي إلى صراط الله المستقيم، اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أن من أهم الأسس التي يربي الإسلام عليها أبناءه تأديبهم على ضبط النفس وتدريبهم على قيادتها والإمساك بزمامها وكبح عواطفها وانفعالاتها، لا سيما عند اختلاف الرأي والخصومة، حيث أن الناس تقضي دواعيهم إلى الحديث في شؤون الدين والدنيا مع اتفاق في الرأي واختلاف فيه، فحوار بين الزوج والزوجة، وحوار بين الوالد وولده، وحوار بين الصديق وصديقه وحوار بين الأستاذ وطلابه، وحوار في مجلس الإدارة وحوار في مجلس الأمة وفي اللجان المختلفة، وحوار في الدواوين، وكل ذلك لا يستقيم أمره إلا بإرساء مبادئ وأسس في أدب الحوار نجد أصلها في كتاب الله تعالى، بالتزام تقاليد الحوار النابع من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن واتباع التوجيه القرآني الكريم بتقوى الله والقول السديد، إذ يرسم الإسلام أقوم علاج للنفس، فيدعو إلى القصد والاعتدال عند الغضب ثم إلى الإحسان في مقابلة الإساءة وإلى العفو في مقابلة

المظلمة وإلى الوصل في مقابلة القطيعة مرغباً في ذلك بما هو أسمى وأعظم عند الله سبحانه من الدنيا وما فيها فيقول سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، ويقول الصادق المصدوق ﷺ : «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وزعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وزعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه**» رواه أبو داود.

وهذه الأسس التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها وأمر بالمسارعة إليها من فضائل الإحسان التي تشد العلائق بعدد تفكك وتعيد الصلات بعد تمزق وتبين معدن صاحبها فإذا هو في نظر خصمه القمة التي يدنو إليها ويعشقها ويأمل أن يعيش في فلكها وفي رفقتها ليكون من المحسنين وليحظى بمحبة الله رب العالمين.

ولقد أرسى الإسلام دعائم هذا المنهج الحكيم في آياتٍ بينات من كتاب الله منها قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فُصِّلت: ٣٤]. وهذه الآية العظيمة يا أخ الإيمان تعني أن من أساء إليك فإنما تدفعه عن نفسك بالإحسان إليه وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنك إذا ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ما أن تطيع الله فيه لأنك إذا قابلت الإساءة بالإحسان أحسنت إلى من أساء إليك قاده الإحسان إلى معافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كما قال الله عزَّ وجَلّ: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ يعني كأنه قريب إليك من الشفقة عليك وهذا الخلق العظيم الذي دعا إليه القرآن في مقابلة الإساءة بالإحسان أدعى لصفاء القلب وذهاب الحقد وجلب المحبة ودفع المضرة ولله در من قال:

لَمَّا صفـــوت ولم أحقد على أحد   أرحت نفسي من هَمِّ العـداوات

إني أُحيي عدوي عند رؤيتـــه   لأدفع الضُّرَّ عني بالتحيـــات

ولذلك جاءت توجيهات الله تعالى لنبيه ﷺ في القرآن الكريم بأن يكون

سمحاً كريماً آخذاً بالمعروف متصفاً بالعفو متجاوزاً عن إساءة الجاهلين، حيث قال الله عز وجل: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، ولما نزلت عليه ﷺ هذه الآية الكريمة سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال: حتى أسأل العالم، ثم أتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك. فجمعت هذه الآية مكارم الأخلاق.

وبهذا الأدب الإلهي العالي ألف الرسول ﷺ حول دعوته القلوب وجعل أصحابه يفدونها بأعز ما يملكون لما رأوا من حسن خلق النبي ﷺ وعظيم حلمه وكمال عفوه، فكثيراً ما كان يستغضب ﷺ فيما يجاوز حدود التكرم والعفو عمن استغضبه إلَّا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله تعالى.

وسيرته ﷺ تفيض إشراقاً بمواقف العفو والإكرام ومقابلة الإساءة بالإحسان والإكرام ومن الشواهد على ذلك أيها الإخوة الكرام ما رواه البزار وغيره بأن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ يطلب شيئاً فأعطاه ثم قال: **هل أحسنت إليك؟** فقال الأعرابي: لا أحسنت ولا أجملت. فغضب المسلمون وأرادوا أن يهموا به فأشار إليهم أن كُفُّوا، وقام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئاً ثم قال: **هل أحسنت إليك؟** قال: نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبي: إنك قلت ما فات وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم فقال: نعم. فلما كان الغد جاء فقال النبي ﷺ لأصحابه: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال الرسول ﷺ: «**إن مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلَّا نفوراً فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه إليها بين يديه فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحله واستوى عليها ولو أني تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار**» أو كما قال ﷺ . وبهذا العفو والعطاء استطاع سيدنا الرسول ﷺ أن يرضي الأعرابي ويسمع أصحابه منه الثناء ويرسي دعائم العفو ومقابلة الإساءة

بالإحسان في نفوس أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وحسبنا أيها الإخوة الكرام ونحن نتكلم عن أدب الحوار ومقابلة الإساءة بالإحسان أن نذكر موقفه ﷺ يوم دخل مكة فاتحاً في عشرة آلاف جندي وحطم الأصنام في الكعبة وأذن بلال فوقها ووقف النبي ﷺ أمامها وبين يديه أهل مكة الذين آذوه وأخرجوه وهم في حصار وخزي وصغار ينتظرون المصير وإذا بالنبي الحليم الكريم ينظر إليهم ويقول: **يا أهل مكة ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟** فيقولون: أخٌ كريم وابن أخ كريم، فيقول: **لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء.** فكانت نتيجة عفوه ورحمته وكرمه أن دخل أكثر الناس في دين الله أفواجاً لأنه حقق بهذا العفو والكرم قول الله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ** ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩].

فسيرته ﷺ تفيض إشراقاً بمواقف العفو والحلم والرحمة، وتعد نبراساً لمن ينشد الكمال ومعالي الأمور ومعالم لمن يطلب حياة الشرف والمروءة ومن أحق بذلك من أتباع الحبيب ﷺ.

فلنتق الله إخوة الإيمان ونعفو ونصفح فيما بيننا وليقابل كل منا إساءة أخيه بالإحسان إليه والعفو عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً طاعةً لربنا وتأسياً برسولنا ﷺ فالله عز وجل يقول: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

إخوة الإيمان:

روى الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أنبئكم بما يشرف الله به ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك**». نسأل الله أن يجنبنا مناهيه وأن يوفقنا لمراضيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

معاملة الناس بالشفقة والرحمة واللين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير الرحمة المهداة والنعمة المسداة ﷺ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. **أمَّا بعد:**

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عبـاد الله:

إنَّ الله عز وجلَّ قد امتن على هذه الأمة بأن جعلها أمة وسطاً فهي أمة العدل والإجابة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] فالوسطية في هذه الأمة صفة لازمة لمن استفاد بهدي النبي ﷺ وهذا مما يدلنا على كمال الشريعة المحمدية، ذلك لأنها مبنية على الرحمة والتيسير والشفقة بعباد الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فالشريعة كلها مبنية على التيسير والرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء أكانت حقوقاً لله أو حقوقاً لعباده والله لم يكلف نفساً إلا

وسعها، ومن ثم فإن مما تميز به الإسلام عن غيره من الأديان أن الإسلام.

تدبرت يا عبد الله ما شرع الله تعالى فوجدت ذلك مبنياً على التيسير والرحمة بل ولقد وسعت الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق ومن الشواهد على ذلك قول أبي هريرة ﷺ فيما رواه مسلم حيث يقول: «قيل: يا رسول الله ادعُ على قريش. فقال: «**إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمةً**»، وقال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**».

وتتجلى رحمة المسلم في تعامله مع اليتيم والمسكين والأرملة بالقيام على خدمتهم ومساعدتهم وخفض الجناح لهم باللين والرفق والشفقة ابتغاء مرضاة الله وعملاً بهدي رسول الله حيث يقول فيما رواه البخاري: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وروى أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال له: «**امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**».

وتتجلى رحمة الإسلام في شخص رسوله عليه الصلاة والسلام وذلك لما دخل مكة عام الفتح والناس حوله يرتقبون ما هو فاعل بأهل مكة الذين آذوه وقاتلوه وأخرجوه، وقد أظهره الله عليهم ودخل مكة فاتحاً في عشرة آلاف مقاتل ووقف أهل مكة بين يديه في حصار وصغار ينتظرون المصير وماذا سيقول، فإذا بالرحمة المهداة ﷺ يقول: **يا أهل مكة ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟ فيقولون: أخٌ كريم وابن أخ كريم، فيقول: لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء**. فكانت نتيجة عفوه ورحمته وكرمه أن دخل أكثر الناس في دين الله أفواجاً وصدق الله إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فالتيسير والرحمة واللين والرحمة والترفق بعباد الله أمر واجب شرعاً وهو سبيل الأنبياء والمصلحين في دعوتهم إلى الله رب العالمين. ولعلكم إن شاء الله تحفظون حديث رسول الله ﷺ حينما دخل أعرابي جلف فبال في مسجد النبي

ﷺ، أسألكم بالله أن تتصوروا هذا المشهد: أعرابي يبول في المسجد النبوي ويقول له الصحابة: مه مه -أي كُفَّ واترك ما تصنع؟- وإذا بالرحمة المهداة يقول: دَعُوه دَعُوه دَعُوه، يكمل بوله في المسجد! نعم: لا تزرموه -أي لا تقطعوا بولته- ووقف الرجل قائماً حتى أنهى بولته ثم ناداه عليه المصطفى بحكمة ورفق وأدب وتواضع وحنان وقال عليه الصلاة والسلام: **إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا إنما جعلت للصلاة ولذكر الله ولقراءة القرآن**. وهكذا فقط، ثم أمر النبي صحابياً فجاء بدلو من الماء فسكبه على أثر البول وطهر المكان وانتهت القضية.

أيها الإخوة الكرام:

في رواية صححها شيخنا الألباني أن هذا الأعرابي انفعل بأخلاق النبي الكريم فلما دخل الصلاة قال: اللَّهمَّ ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: **لِـمَا حجرت واسعاً؟ رحمة الله وسعت كل شيء**. إنها الأخلاق للرحمة المهداة يا عباد الله.

وهذا موسى الكليم يأمره ربه بأن يقول لفرعون قولاً ليناً هو وأخوه هارون عليهما السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤] وليس المقصود باللين المجاملة والمداهنة والتغاضي عن الأخطاء وعدم إنكار المنكر حاشى لله وإنما هو اللين في الأسلوب والقول والترفق في المعاملة بما يحقق الغرض واستجابة المدعو، وهذا هو المنهج الرباني في الدعوة إلى الله والتعامل مع عباد الله، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال ﷺ لعائشة: «**ما كان الرفق في شيء إلَّا زانه، وما كان العنف في شيء إلَّا شانه**» بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، فلقد زكَّاه ربه عز وجل بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤].

فاللين يا عباد الله هو صورة من صور الرحمة يضعها الله في قلب العبد فيترحم بها على الخلق، ولهذا قال الحق جلَّ وعلا: ﴿ **فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فأَمَرَهُ أن يعفو عنهم وفضلاً عن ذلك بأن يستغفر لهم وأن يشاورهم في الأمر، فما أجمل هذا الدين! وإن من

كان رحيماً بعباد الله أو كان شاقاً عليهم كان له حظه من قوله ﷺ فيما رواه مسلم: «**اللهمَّ من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**». فالرفق لا يكون في شيء إلَّا زانه والعنف لا يكون في شيء إلا شانه، ومن يُعطاه في الدنيا يلقى نفعَه في الآخرة، قال ﷺ فيما رواه أحمد: «**إن في الجنة غرفةً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، قال أبو موسى الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وبات لله قائماً والناس نيام**»، وقال ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**».

وكان ﷺ أرحم الناس بالصِّبيان كما ثبت في الصحيح وهذا مما يدل على منزلة الرفق والتعامل به مع الناس من الدعوة ومن كل شيء وهذا مقصد نبيل يحتاجه كل كبير وصغير في هذه الحياة فضلاً عن أنه سبب مباشر في نشر سماحة الإسلام وعظمته على يد السلف الكرام وينبغي أن يكون كذلك في سائر الأزمان وهذا لا ينافي أن يغضب الإنسان في مواطن الغضب لله إن لزم الأمر، فلقد وصف الله المؤمنين مع حلمهم ورحمتهم ولين جانبهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩] فالتوازن في شخصية المسلم أمر مطلوب بأن يوازن في شخصيته بين الشدة والرحمة وفي كل شيء، والأصل هو في الرفق والسماحة ولين الجانب لأن هذا من السنن الثابتة عن النبي ﷺ واستعمال هذا في المعاملات وفي الدعوة أمر واجب. أمَّا الأمر الثاني وهو الغضب لله فقد ثبت ذلك عن النبي ﷺ ولكن عندما تنتهك محارم الله، وخير الهدى هدي محمد ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لسنته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الزّكـــاة

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شرع الزكاة وجعلها فرضاً لازماً على الأغنياء والموسرين، وحقاً معلوماً للفقراء والمحتاجين، وقال آمراً رسوله الكريم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأشهد أن محمداً رسول الله، اجتباه من الخلق مولاه، وعلى موائد كرمه رباه، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، فبيَّن للناس ما نزل إليهم من الأحكام، وفصّل ما أجمل من القرآن، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان. أمَّا بعد:

إخوة الإســـلام:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، ثم اعلموا أن الإسلام دين الرحمة والتواصل بين أفراد المجتمع، ولذلك جعل الزكاة ركناً من أركانه، وقدر مشروعيتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فصارت معلومة من الدين بالضرورة، وبشر من يؤديها بإخلاص وسرية أنه يوم القيامة في ظل عرش رب البرية. ففي الصحيح أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله رجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، وجعلها سبباً من أسباب التمكين في الأرض، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

والزكاة في الإسلام أيها الأحبة الكرام معناها النماء والزيادة والخير والبركة، وحقيقتها شرعاً إخراج حق معلوم من مال الأغنياء وصرفه إلى مستحقيه طبقاً لمصارفها الشرعية التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ

وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] وإن كان المال ينقص بها في الظاهر لبعض الناس، فحقيقتها عند الله أنها سبب لزيادة المال ومضاعفته وحلول البركة فيه، فينتفع به المزكي خير انتفاع، ويستمتع به حسبما شرع الله لعباده من الطيبات، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩] وقال سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] ولذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي: «**ما نَقُصَ مالٌ من صدقة**»، وفضلاً عن ذلك فهي طهارة للقلب والمال، وصيانة للمجتمع: طهارة للقلب من الشح والاستعلاء على حب الذات، وانتصار على الشيطان الذي يوسوس للنفس بأنها تنقص المال وتؤدي إلى الفقر، فيدفعها بذلك إلى الشح والبخل، وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فهي صيانة للمجتمع من الخلل الذي ينشأ من العوز في جانب والترف في جانب، ومن ثَمَّ فهي تأمين اجتماعي رباني للفرد والمجتمع جميعاً.

والإسلام أيها الإخوة الكرام يعتبر الزكاة سفينة النجاة للفقراء والمساكين وذوي الحاجات الملحة وكل مكروب أو منكوب تعرض لفقد ماله أو التشريد من وطنه ودياره، مهما كان سلفاً غنياً، فالدنيا قلما تدوم لأحد على حال واحد.

والله تعالى أسألُ أن يجعلكم من أهل اليسار وأن يكفيكم شر الفقر والسؤال فاشكروه على نعمه فهو الكريم المتعال، واعلموا رحمكم الله أن من تمام النعمة المبادرة بإخراج الزكاة إلى ذوي الحاجات لتعودوا بالأجر والثواب من فاطر الأرض والسماوات، لا سيما ونحن الآن على مشارف استقبال شهر رمضان شهر الجود والخير والإحسان، والحق جل وعلا يقول في محكم القرآن: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

وأحسنوا إلى عباد الله كما أحسن الله إليكم، وراعوا عند الإحسان الآداب التي فرضها الله عليكم، فلا تمنوا على الفقير، ولا تؤذوه، فإن ذلك محبط للأعمال، فأدوا عطاءكم وأنتم مخلصين متقين، فإن حاجتكم إلى الثواب وتكفير الذنوب أشد من حاجة الفقير إلى ما تخرجون، كذلك من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المزكي أن يكون طيب النفس بإخراجها فرحاً مسروراً بقبول الفقير لها، وليحذر أحدكم أن يكون كارهاً لها عند إخراجها، فالحق جلَّ وعلا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ومن الآداب كذلك أن يخرج المزكِّي من ماله أجله لأن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً، وأجوده وأحبه إلى نفسه لينال البر من الله تأسياً بالسلف الصالح، فلقد روى البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يشرب من ماء فيه طيب ، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ ، وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضمها يا رسول الله حيث أمرك الله، فقال رسول الله: **بَخٍ بَخٍ ذلك مال رابح**، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة على أقاربه وبني عمه، فربح بيعه ونال البر من الله تعالى.

واعلموا رحمكم الله أن منع الزكاة وعدم إخراجها أو التهاون في ذلك هو خرق لسفينة النجاة في المجتمع وتعريضه للغرق والدخول في محن وبلايا قد تعصف بكيانه وتزلزل بنيانه وتهدم أركانه، لذلك توعد الله مانعي الزكاة بالعقوبة الشديدة حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

كما أن منع الزكاة وعدم إخراجها يحرم الأمة من بركات الغيث ونزوله، ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه: «**وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء**». في حين يجود الله عز وجل بالغيث والبركة على من أنفق في سبيله، فالحق جل وعلا يقول: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّة** -أي أرض فيها حجارة سود- **فإذا برجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته** -الفأس- **فقال: يا عبد الله ما اسمك؟ فقال: فلان** -الاسم الذي سمع في السحابة- **فقال: يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ فقال: سمعت من السحاب الذي هذا ماؤه صوتاً يقول اسقِ حديقة فلان باسمك، فماذا تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأدّخر ثلثه**» رواه مسلم. وصدق الله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. فاتقوا الله يا عباد الله وأدوا زكاة أموالكم إرضاءً لله وإبراءً للذمة ومساعدةً للفقراء والمحتاجين: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعلنا في هذا الشهر العظيم من عتقائه من النار ومن المقبولين، أقول قولي هذا وأستغفر الله.

❊ ❊ ❊

لا حول ولا قوّة إلا باللّه

الحمد لله القائل لنبيه ومصطفاه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد: ١٩] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام العابدين وقدوة الموحدين، خاطبه ربه جل وعلا بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥].

اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة ووحدوه، واعلموا رحمكم الله أن توحيد الله تبارك وتعالى هو الأساس الذي قامت عليه دعوات الرسل جميعاً، ولقد دعا كل رسول قومه بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[الأعراف: ٥٩] والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل: ٣٦].

لذا فإن أول ما يجب على المكلف : شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله، لأنها مفتاح الجنة، وباب الإسلام، وقاعدة الدين وأساسه، وهي أفضل الذكر كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ، وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي: يقول النبي ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**». وروى ابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قال موسى عليه السلام: يا رب، علِّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. فقال: يا موسى قل (لا إله**

إلا الله). فقال: يا رب كُلُّ عبادك يقول هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة و(لا إله إلا الله) في كفة لمالت بهن (لا إله إلا الله)».

وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك وإثبات التوحيد لله.

عباد الله:

إنَّ التوحيد هو أفضل الأعمال، وأساس الملة والدين، فمن قال لا إله إلَّا الله بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك فهذه هي الحسنة التي لا يوازيها شيء. فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣]. أي إن الذين قالوا ربنا الله فأفردوه وَحْدَه بالخلق والأمر، والملك والرزق والتدبير والتصريف تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فأقروا بذلك وبأن الله وحده هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرازق وما عداه مرزوق، وهو الرَّبُّ وما عداه مربوب، وهو المالك وما عداه مملوك، وبذلك الإقرار والاعتقاد أفردوا الله وحده سبحانه بالعبادة والعبودية، وهذا هو أصل الدين، وهو الذي لأجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار، ولذلك فإن أهل التوحيد يقولون ويعملون على أنه لا خضوع ولا انقياد إلا لله وحده، ولا محبة إلا لله وفيه سبحانه، ولا رجاء إلا منه، ولا توكل إلا عليه، ولا حلف ولا استعانة ولا استغاثة إلا به، ولا ذبح ولا نذر إلا له، ولا طواف إلا ببيته، تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وبذلك القول والعمل كله استقاموا على التوحيد الكامل العظيم، فهم لم يكتفوا بالقول دون العمل، لأن ذلك من شيم أهل النفاق والعياذ بالله، لأن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان أي بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان.

يقول الحسن رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبل منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه.

ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن سفيان بن عبد الله ﷺ جاء إلى النبي ﷺ مع وفد ثقيف وقال: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن المنذر أن أمير المؤمنين عمر ﷺ قرأ على المثنى هذه الآية: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ** ﴾ [الأحقاف: ١٣] ثم قال ﷺ: استقاموا على طاعة الله فلم يروغوا رغوان الثعلب.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد. كما فسر أبو بكر ﷺ وغيره قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ** ﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره سبحانه، فمتى استقام القلب على معرفة الله ومحبته وإجلاله وخشيته ومهابته ودعائه ورجائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعة الله، لأن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام القلب على لا إله إلا الله استقامت جنوده ورعاياه، وفي هذا يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

وهذا هو التوحيد الكامل الذي يغفر الله معه أي ذنب، فهو كالأكسير الأعظم الذي لو وضعت منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لأذابتها، بل وبدلتها حسنات، لأن للتوحيد نوراً يبدد ظلام الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور. وهذا هو السر الأعظم الذي ثقل بطاقة الرجل وطاشت من أجله السجلات في ساعة العرض على رب الأرض والسماوات، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله ففي الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من**

هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتَبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فإنه لا يثقل مع اسم الله تبارك وتعالى شيء».

والسِّرُّ هو كمال التوحيد يا عباد الله، والعمل بمقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولهذا يقول الرسول ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**».

ومسك الختام إخوة الإيمان هذه البشارة التي تدل على علو مقام التوحيد وسعة رحمة الواحد سبحانه وتعالى: روى الإمام مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**».

أسأل الله تبارك وتعالى أن يختم لي ولكم بخاتمة السعادة، وأن يدخلنا الجنة، ويمتعنا بالزيادة، وهي لذة النظر إلى وجهه الكريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



اليهود كما وصفهم القرآن

الحمد لله منزِّلِ الكتاب ومُجري السحاب وهازم الأحزاب، وأشهد أن لا إله إلا الله شديد البطش والعقاب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، اللهم صَلِّ وسَلِّم وزد وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أمَّا بعد: يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

أيها الأخوة المؤمنون:

لقد توالت الآيات في القرآن العظيم تبين أن اليهود ملعونين من الله لما علم سبحانه من غدرهم وسوء طريقهم، وفساد جبلتهم وسواد قلبهم، وقد حذر الله النبي محمداً ﷺ منهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وفي واقعنا اليوم ما تزال خيانتهم تتوالى، فمؤامراتهم وخيانتهم متوالية على العالم بصفة العموم، وعلى شعب فلسطين بصفة الخصوص، فهم يمارسون ضدهم أشد أنواع العداء والخيانة والمكر، ويبيتون الشر والبغضاء للناس أجمعين، لذلك يكشف القرآن الكريم نفوسهم الشريرة والمريضة، محذراً منهم وموصياً المؤمنين بالله أن يبتعدوا عنهم، وأن يكونوا على حذر منهم، ولا يركنوا إليهم بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

أيها الإخوة المؤمنون:

لماذا لعن الله اليهود؟ إن الله جل شأنه لعنهم لكفرهم وفسادهم العظيم، فقلوبهم قاسية، ونفوسهم ممسكة لا تجود بنبلٍ أو رحمة، وضمائرهم ميتة وعواطفهم لا تلين لعبرة، ولا تنفعل بموعظة، فهم كالحجارة أو أشد قسوة، وبعدما تبين لهم الرشد من الغي قست قلوبهم، وفي ذلك يقول الله تعالى فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

ومن طبيعة اليهود اللجاج والتساؤل، والتعنت والتلكؤ، والمماطلة والجدال بغير حق، والمطاولة، فلقد بين القرآن الكريم ذلك مفصلاً، ففي عهد موسى عليه السلام ارتكبوا جريمة قتل، فأرادوا أن يدرؤوا عن فاعلها العقاب، ولكن الله أراد أن يفضح مكرهم، وأن تستمر فضيحتهم عبر التاريخ الإنساني كله، وفي ذلك فصل الله تعالى هذه الحادثة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣].

فعلى الرغم من هذا البيان الجلي والدليل الحسي على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وهو الأمر الذي ارتاب فيه اليهود، فقد زادهم الأمر ريبة وقسوة على قسوة، وعدواناً على عدوان. والقرآن الكريم يصور اليهود أمام العالم بصورة

واضحة السمات بينة القسمات عن تجاوزهم لحدود الله واعتدائهم على حرمات الله وتفريطهم فيما أمرهم الله به، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦]، ويقول سبحانه: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

لقد كان تاريخ بني إسرائيل سلسلة آثمة في قتل الأنبياء وآخرها محاولتهم قتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وهم يزعمون حتى اليوم أنهم قتلوه متباهين بهذا الجرم العظيم، ولقد فند الله مواعمهم الكاذبة بقوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النِّساء: ١٥٧]، وأخيراً حاولوا قتل سيدنا النبي محمد ﷺ، ففي السنة الرابعة للهجرة دبر يهود بني النضير مؤامرة حقيرة لاغتيال البشير النذير محمد بن عبد الله ﷺ يوم أن ذهب إليهم النبي ﷺ لتحصيل الدية، وجلس النبي ﷺ إلى جوار حائط من جدران اليهود وخلا اليهود المجرمون ببعضهم ببعض وقالوا لن نجد الرجل في مثل هذه الحالة، فمن منكم يقوم إلى صخرة كبيرة من فوق سطح هذه الدار ويلقيها على رأس الرجل ليريحنا منه، فانبعث أشقى القوم عمرو بن جحاش بن كعب وقال أنا لها، فقام وصعد إلى سطح الدار ليلقيها على رأس سيد الرجال ﷺ، ولكن ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فأطلع الله نبيه على ما أرادوا فقام النبي ﷺ مسرعاً في الحال وقام ومعه أصحابه رضوان الله عليهم. فلما أخبرهم بالخبر قالوا: يا رسول الله والله لا بد من إجلاء هؤلاء. فانطلق النبي ﷺ مع أصحابه فحاصروا يهود بني النضير فأخزاهم الله وقذف في قلوبهم الرعب وأجلاهم رسول الله ﷺ، وفيهم أنزل الله جلَّ وعلا سورة الحشر بأسرها، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ (٢) وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر: ١-٣]. وقد بلغ من غلظ حسهم وجلافة قلوبهم أن اختاروا ألفاظاً أشد وقاحة وكفراً، فقالوا: (يد الله مغلولة)، ولقد كان الرد الإلهي عليهم بعد هذا التطاول هو لعنهم وطردهم من رحمة الله جزاءً على كل ما يقولون ويفعلون فهم أعداء الله وأعداء الرسل، بل والبشر جميعاً، لأنهم أخبث خلق الله على هذه الأرض، وهم ملعونون أينما ثقفوا وهم حملة الأحقاد وأرباب الضغائن، وصانعو الشر ضد أمن الشعوب وسلامتها. فهل يستيقظ المسلمون ليأخذوا حذرهم من مكر اليهود وخداعهم، وهل يعي المسلمون حقيقة اليهود وأهدافهم الخبيثة المبيَّتة ضد المسلمين في فلسطين والإنسانية جمعاء.

أيها المسلمون:

لقد مضى السياق القرآني في فضح اليهود وبيان أوصافهم الذميمة، فيقول سبحانه: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠]. إنهم هم الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير، إنهم هم الذين عبدوا الطاغوت، والقرآن الكريم ينفر من موالاتهم، وذلك ببيان صفاتهم وسماتهم بعد عرض تاريخهم وجرائمهم والتوعية منهم لكشف ما يبيتون، فاتقوا الله عباد الله واحذروا مكائد اليهود وخداعهم ومكرهم، كما بين القرآن كل ذلك لكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

إتقـان العمـل وإخلاصـه
وسيلة حضارية لتقدم المجتمع

الحمد لله الذي يؤيد بنصره المؤمنين، ويرفع أقدار العاملين المخلصين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحب من العمل ما كان خالصاً لوجهه وطلب به رضاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، خير من أخلص القول والعمل لله، وعبد الله تبارك وتعالى مخلصاً له الدين حتى أتاه اليقين، اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين، أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وإخلاص العمل له، فاتقوه وأطيعوه وأخلصوا له العمل، وراقبوه في السر والعلن، وحققوا إيمانكم بذلك لتكونوا عباد الله مخلصين، فالحق تبارك وتعالى يقول آمراً نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] وهذه الآية ترشد إلى إفراد الله عز وجل بالقصد في جميع الأعمال، وتدعو إلى الإخلاص وترغب فيه.

والإخلاص أيها الأحبة في الله صفة إيمانية عظيمة أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يتصف بها، وذلك في قوله جل شأنه: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٣] وفي قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: ١١-١٢]. وأمر عباده المؤمنين أن يتصفوا بها وأن يتحلوا بها في سائر أعمالهم وأقوالهم وعباداتهم، ومن الشواهد على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة: ٥].

وهذه الآيات وغيرها من كتاب الله تبين لنا أيها الأحبة في الله أن الإخلاص هو أصل العبادة وجوهرها وأساس الطاعة ولبّها، فلا تصلح العبادة إلا عليه، ولا تتم مقاصد الدين الحنيف إلا به، فلا قيمة لعمل من الأعمال مهما كان كبيراً، ولا وزن لخير مهما كان كثيراً، ما لم يصحبه الإخلاص، وتتقدمه النية الطيبة لله عز وجل، لأن الله تعالى لا ينظر إلى قلة الأعمال وكثرتها، وإنما ينظر للنية الطيبة فيها، وإخلاصها لله وحده لا شريك له، ولذلك قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الصحيحين: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**».

ولقد علق الرسول ﷺ كل نجاح وفلاح في الأقوال أو الأفعال على الإخلاص، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح من أخلص قلبه لله وجعل لسانه صادقاً ويده طاهرة ونفسه مطمئنة**»، وحسبنا في هذا المقام قول ربنا ذي الجلال والإكرام: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] أي بقلب خالص صادق مع الله، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر من الناس إلى المظاهر والأشكال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فالعمل لا وزن له ولا يعتد به إلا إذا صدر عن نية طيبة خالصة، وكانت غايته تحقيق الخير للفرد أو الجماعة، وابتغي به وجه الله تعالى.

ومن ثَمَّ فالمجتمع الذي يتخلق أفراده بصفة الإخلاص والصدق في العمل هو المجتمع المتحضِّر الراقي الذي يكسب التقدير والاحترام بين سائر المجتمعات، فضلاً عن ذلك يحظى برضى رب الأرض والسماوات.

ومن هنا اقترن الإيمان بالعمل الصالح في كثير من الآيات، وأثمر اجتماعهما أينع الثمار في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ

﴿خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

فراقب الله يا أخ الإسلام وأتقن عملك أين كان، وأخلصه لله على الدوام، واعلم أن الله تعالى محيط بسرك وعلانيتك، خبير بظاهرك وباطنك، فلا تقصد بعملك غيره، ولا تخشى في الحق سواه، لأنه تعالى ولي نعمتك ونبع كرامتك وملء سمعك وبصرك، ولا ترائي أحداً بعملك، واعلم أن الرياء هو الشِّرك الخفي الذي يحبط الله العمل بسببه ويفضح صاحبه على رؤوس الأشهاد، وروى الترمذي عن أبي سعيد ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشِّرْك**»، وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال فلان جريء، وقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك أنفقت ليقال هو جواد وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**»، وفي رواية أبي هريرة ﷺ: «**هؤلاء أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة**».

فينبغي على كل مسلم أن يؤدي عمله في موقعه بإخلاص وإتقان، وأن تكون أعماله خالصةً لوجه الله تعالى، وأن يكون الله غايته في قوله وعمله وفي عطائه وفي منعه وفي حبه وفي بغضه، لا يريد من الناس جزاءً ولا شكوراً ولا جاهاً ولا حمداً

ولا منزلة في قلوبهم ولا هرباً من ذمهم، بل يعد الناس كأصحاب القبور لا يملكون له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وراقبه في كل شيء، ووضع نصب عينيه قول النبي ﷺ: «**احفظ الله يحفظك..**» الحديث. وبذلك يسلم العبد من الرياء والشرك، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وطلب به رضاه، فليست العبرة أبداً بكثرة العمل، وإنما العبرة بإخلاص العمل لله، ولهذا كان من وصايا رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : «**أخلص نيّتك يكفيك العمل القليل**»، وروى أحمد والبيهقي أن شداد بن أوس رؤي يبكي ذات يوم، فسئل عن بكائه فقال: ذكرت شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعته يقول: «**أتخوّف على أمتي الشرك والشهوة الخفية، فقلت: أتشرك أمتك من بعدك؟ فقال: نعم أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، وإنما يراؤون بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه**».

فاتق الله يا عبد الله، وأخلص القول والعمل لله، فالله عزَّ وجَلَّ يحب من عبده الإخلاص في القول والعمل والتعامل، ويعطي الجزاء الأوفى لمن أخلص نيته وعمله لله، حتى ولو كان عملاً دنيوياً بحتاً، يقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك**». فالمسلم إذا أسلم وجهه لله تعالى وأخلص عمله ونيته لله فإن حركاته وسكناته تحسب له خطوات نحو مرضاة الله سبحانه وتعالى، يقول النبي ﷺ فيما رواه الحاكم: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض**».

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والتعامل، وأن يتوفنا مخلصين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

التحذير من آفات اللسان وزلاته

الحمد لله الذي أكمل الدين وأظهر البرهان وحدد الحدود بين الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الإنسان وعلمه البيان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وأنعم عليه نعمة السمع والبصر والفؤاد واللسان، وحذر من استعمالها في الحرام، حيث قال سبحانه في محكم القرآن: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦] وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، جمله الله تبارك وتعالى بأعظم الأخلاق، فكان خلقه القرآن.

صلَّى الله وسَلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، الذين أسسوا دينهم على تقوى من الله ورضوان، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] أما بعد:

أيها الأحبــة الكرام:

في الجمعة الماضية تحدثنا عن خلق من أخلاق المجتمع المسلم ألا وهو خلق التواضع، وقلنا بأن هذا الخلق العظيم هو أول خلق ذكره القرآن من صفات عباد الرحمن الذين شرفهم الله تعالى بنسبهم إليه، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] أي بتواضع وسكينة ووقار من غير تبختر ولا استكبار، ثم ذكر القرآن صفة ثانية من صفاتهم في بقية الآية فقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] أي أنهم لا يردُّون على البذاءة بمثلها لأنهم على حذر من اللسان عظيم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم، وهو موضوع حديثنا.

ثم تتوالى آيات سورة الفرقان في ذكر صفات عباد الرحمن لتؤكد لنا مرة ثانية ما هم عليه من حفظ اللسان وذلك في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ [الفرقان: ٧٢] فهم بتلك الصفة أيضاً يحفظون اللسان من قول الحرام، وفي موطن آخر من القرآن يصف الله تعالى عباده المؤمنين الذين بشرهم بالفوز بالجنة والنجاة من النار فيقول سبحانه: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٣] والشاهد هنا أن من صفات أهل الإيمان وعباد الرحمن الإعراض باللسان عن كل قول حرام لا يرضي الله تعالى كقول الشِّرك أو الرياء أو الكذب أو الزور أو الغيبة أو النميمة، لأن هذا هو الحصاد المر الذي يكب صاحبه على وجهه في نار جهنم يوم القيامة، فلقد روى الترمذي وغيره بإسناد حسن صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «**قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير لمن يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلاً، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا:** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] **ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه ثم قال: كُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم** -أو قال على مناخيرهم- **إلَّا حصائد ألسنتهم**».

ولم لا واللسان قد يدعو إلى غير الله، وقد يكذب على الله ورسوله، وقد يدعو إلى المعاصي والبدع، وربما يقول كلمة تدمى لها القلوب وتقرح الأكباد وتقطع

الأرحام وتفرق بين الأحبة، ويقذف المحصنات، ويتهم البريئات العفيفات، ويجرح الكرامات جراحات لا تلتئم إلى الممات.

جراحاتُ السِّنان لها التئام ... ولا يلتـام ما جرح اللِّســان

فالمراد بحصاد الألسنة هو الكلام المحرم وعقوباته وهو ما يهزأ به اللسان ويحصيه الملكان ويكتبانه على العبد ثم ينادى من قبل الرب تعالى من قبل ملك الملوك في ساحة العرض يوم القيامة ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤].

أيها الأحبة الكرام:

فالإنسان يزرع في دنياه بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد ما زرع يوم القيامة، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الخير والكرامة، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد الشر والندامة، ولله در من قال:

غداً توفى النفوس مــا عملت ... ويحصد الزارعون مــا زرعوا

إن أحسنوا أحســنوا لأنفسهم ... وإن أساؤوا فبئس مــا صنعوا

وقد حذرنا المولى جل وعلا من خطر اللسان فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٦-١٨] ملكان عن اليمين وعن الشمال يسجلان كل ما يلفظ اللسان، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ: «**أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفم والفرج**»، وقال: «**مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وفخذيه أضمن له الجنة**»، وحذرنا من اللسان كل الحذر فقال فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ محذّراً: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**». ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يـحذِّرون من خطر اللسان كل الاحتراز، ومن الشـواهد هنا ما رواه مالك عن يزيد بن أسلم عن أبيه أن عمر ﷺ دخل على أبي بكر ﷺ وهو يجز لسانه، فقال عمر: مه يا أبا بكر، غفر الله لك،

فقال أبو بكر: هذا الذي أوردني الموارد. قال ابن زيد ﷺ: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما آخذ بلسان نفسه وهو يقول: «ويحك قُلْ خيراً تَغْنَمْ، أو اسكتْ عن سوء تسلمْ». وقال الحسن البصري: «اللسان أمير البدن، إذا جنى على الأعضاء شيئاً جنت، وإذا عفا عفت». وقال أبو حامد: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الجوارح كلها تذكِّر اللسان فتقول: اتقِ الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا». وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول فيما رواه أحمد في مسنده حيث يقول ﷺ: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**».

وبقدر تنزه المسلم عن اللغو وسفاسف الأمور تكون نجاته وتكون درجته عند ربه يوم القيامة، لأن الله تعالى قال: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النِّساء: ١١٤] وروى الإمام الترمذي عن أنس ﷺ أنه قال: توفي رجل، فقال رجل آخر ورسول الله ﷺ يسمع: أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**أو لا تدري لعله تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه**». ولذلك ينبغي على المسلم أن يتجنب اللغو، وأن يعرض عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ليكون متصفاً بصفات أهل الإيمان، وأن يعود نفسه ولسانه الجميل من القول والتعبير الحسن عما يدور في نفسه لصديقه أو لعدوه، وهذا هو الأدب الحسن الذي أمر الله تعالى به عباده في قوله جل شأنه: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾ [الإسراء: ٥٣]. وإليكم هذا الشاهد أيها الأحبة في الله: روى أبو داود في سننه عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: «**بينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه وقع رجل في بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر لنفسه، فقام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أوجدْتَّ عليّ يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن نزل ملك من السماء يكذبه، فلما انتصرت لنفسك ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان**».

فاتق الله في نفسك يا أخ الإيمان، واعلم أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، ولهذا يقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجه: «**كُلُّ كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرٌ بمعروف أو نهيٌ عن منكر أو ذكر لله تعالى**». وحسن الختام في هذا المقام قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تكثر الكلام بغير ذكر الله تعالى، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس عن الله ذي القلب القاسي**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❊ ❊ ❊

التزهيد في زخارف الدنيا

الحمد لله الذي تفرد بالعز والكمال والعظمة والكبرياء والجلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المزجاة، والسِّراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم البعث والنشور.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]. أما بعد:

أيها الأحبة الكرام:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك. وهذه الوصايا الجامعة تدعو بالضرورة كل لبيب إلى التفكر والاعتبار والزهد في زخارف الدنيا الفانية والعمل الدؤوب للدار الباقية التي قال عنها الحق جل وعلا: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ولا يتحقق ذلك إلا بقصر الأمل والتوبة والاستعداد للقاء الله في كل لحظة لأن الموت يأتي بغتة، والعاقل هو الذي لا تشغله دنياه عن أخراه بأي حال.

والقبر كما ورد عن رسول الله ﷺ بين حالتين لا ثالث لهما: إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وقد فطن السلف الصالح إلى ذلك فكانوا من الدنيا على حذر لأنهم أدركوا أنها دار سفر فطلقوها تطليقاً وعملوا للآخرة. يقول سيدنا علي رضي الله عنه: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكلٍّ منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم

عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

وقال أبو سليمان: الدنيا حجاب عن الله لأعدائه، ومطية موصلة إليه لأوليائه، فسبحان من جعل شيئاً واحداً سبباً للاتصال به والانقطاع عنه.

إخوة الإيمان:

إن النبي عليه الصلاة والسلام حين يرشدنا إلى أن نعتبر أنفسنا في الدنيا غرباء ويوصينا بذلك ﷺ في شخص هذا الصحابي الجليل فإنما ذلك من منطلق حرصه علينا ورأفته ورحمته بنا لأنه ﷺ عرف حقيقتها ومدى خطورتها على المؤمن ووقف على قيمتها من خلال وصف الله عز وجل لها في كتابه في كثير من آياته، كقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ولقد حذَّر الله عز وجل نبيه من مغبة النظر إلى زخارف هذه الدنيا ومتعها الفانية: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ [طه: ١٣١]، وجاء في الأثر أن الله خاطب الدنيا في صحف إبراهيم بقوله عز وجل: «يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم، إني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصبر عنك، ما خلقت خلقاً أهون عليَّ منك، إني قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم أحد لك».

وفي صحيح مسلم: «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء**». ولهذا كان ﷺ يدعو دائماً إلى التحقير من شأن الدنيا ما لم تكن لله، ومن شأن محبيها، لهوانها على الله ولخطورتها على المؤمن، ولهذا يقول النبي ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»، ولقد جاء في الأثر: «مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه، إذا أخرج من بطن أمه بكى على مخرجه لكنه إذا رأى النور كره أن يعود إلى بطن أمه»، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه.

ولقد ورد أن النبي ﷺ صعد المنبر في آخر أيام حياته وقال لأصحابه: «إنَّ

عبداً خيّره الله بين زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده، وقال: اللهم الرفيق الأعلى»، ففطن الصديق ﵁ أن الله تعالى خيّر رسوله ﷺ فاختار الآخرة على الدنيا. ولقد كان ﷺ مثلاً أعلى في القناعة والرضى بالقليل من العيش، فعاش طول حياته زاهداً عابداً، وعن الدنيا معرضاً، ولربه سبحانه وتعالى مجاهداً، حتى لحق بربه راضياً مرضياً.

روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً إلى فرش فقال: «**ما لي وللدنيا ما أنا والدنيا إلّا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»، وهكذا كان حال الأنبياء والصالحين.

انظر أخ الإسلام إلى نبي الله سليمان عليه السلام لقد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين، حيث ساس له قيادة الإنس والجن والوحش والطير وسخر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص، ثم أعظم الله سبحانه عليه النعمة وأجزل له المنة فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩] فلم يَعُدّ سليمان عليه السلام ذلك نعمةً يركن إليها أو مرتبة يعتمد عليها، أو منزلة يطمئن بها بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم استدراجاً من حيث لا يعلم فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]، فالأمر شيء لا يتحمله إلّا المتقون، فلقد وضع الله الدنيا والآخرة أمام الناس في كفتين متقابلتين مبيناً حال الاثنتين فقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. اسمع هذا البيان الرباني يرشد إلى ضرورة تسخير الدنيا في طلب الآخرة وهذا هو سبيل النجاة.

والرسول ﷺ إذ يوصينا أن نَعُدّ أنفسنا في هذه الدنيا غرباء، فإنه يريد من وراء ذلك التحقير لشأن الدنيا وأهلها الذي يحبونها ويقدمونها على الآخرة ويريد منك أيها المسلم أن ترتفع بنفسك فوق زينة الدنيا وزخرفتها، وأن لا تكون عبداً لها مهما بدا لك نعيمها سوى أن تكون مرتبطاً بالله متوكلاً على الله، وأن يكون

حبك للآخرة أكثر من حبك للدنيا، لأن الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، وما هي إلَّا عرض زائل يأخذ منه البر والفاجر، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلَّا من يحب.

قال رجل لعلي بن أبي طالب ﵁ : صِفْ لنا الدنيا، فقال: وما أصف لكم من دار من صح فيها ما أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب.

فاحذر أخي المسلم أن تكون ممن يطلب الآخرة بلا عمل، ويؤجل التوبة لطول الأمل، فيقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن حُرم لم يقنع، فهذا في الآخرة من المحرومين، فالله عز وجل يقول في الحديث القدسي: «**ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل علي بطاعتي**». ولله در من قال:

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها

واعمل لدار غد رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشيها

قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيها

واعلم أخي المسلم أنه ليس المراد من قول رسول الله ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» أن نكون متواكلين في هذه الدنيا حتى نكون عالة على غيرنا، فهذا يتعارض مع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلقد أمرنا الله تعالى بالعمل، فقال: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] وأمرنا بالسعي في هذه الحياة لطلب الرزق، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥] وغير ذلك من آيات الله.

وروى البخاري عن المقداد بن معديكرب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**».

كما أن النبي ﷺ لا يعني بزهده في الدنيا وبتزهيده فيها أن يكون ذلك معناه رفض الدنيا من الملك، وإنما يعني رفضها من القلب. ولهذا قال بعض العلماء: ليس الزاهد من لا مال له، وإنما الزاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتي من المال مثل ما أوتي قارون. فَزُهْدُ المؤمن في الدنيا بأن لا يفرح بالموجود، وأن لا يحزن على المفقود، ولا يشغله طلبها والتمتع بها عما هو خير له عند ربه، وأن يخرج حب الجاه من قلبه حتى يستوي عند المدح والذم، وإقبال الخلق عليه وإعراضهم عنه. قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

نسأل الله تعالى حسن العاقبة، ولله در من قال:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهداً واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

وقال ﷺ: «**من أَحَبَّ دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**».

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر: ٦٠] والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

بـــرّ الأمّ

الحمد لله البَرّ الرحيم، أودع الرحمة قلوب عباده المؤمنين، وجعل قلوب الأبوين مستودع الرحمة ومستقرها المكين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له أمر عباده بالتوحيد أولاً حرزاً لهم وحصناً، وثنَّى بطلب الإحسان إلى الوالدين وقايةً من النار وأمناً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث للعالمين رحمةً وسلماً، اللهم صَلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اتبع طريقه الأسمى. **أمّا بعـد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وتذكروا دائماً أن الآجال تطوى، وأن الأعمار تفنى، وما عند الله خير وأبقى.

ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاه أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وأن القلوب تتعلق بمن كان له فضل عليها، وليس هناك أحد على الإطلاق أعظم إحساناً ولا فضلاً ولا حناناً على الإنسان بعد الله عز وجل من والديه، ولذلك قرن الله حقهما بحقه، وشكرهما بشكره، وجاء الأمر الإلهي في القرآن الكريم بالإحسان إلى الوالدين مع الأمر بعبادة الله تعالى وتوحيده، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [النِّساء: ٣٦] وهذا من عدل الله تعالى وفضله، لأن الوالدين هما مصدر خلق الولد وسبب وجوده المباشر في هذه الحياة بتقدير الله سبحانه، ومن ثَمّ فإن لله عز وجل علينا حق الشكر على نعمة الخلق والإيجاد، فهو الذي خلقنا من العدم، وأسبغ علينا من النعم، ثم للوالدين أيضاً حق الشكر على نعمة الحمل والإيلاد والتربية والإرشاد، وهذا ما وصانا الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[لقمان: ١٤] ففي هذه الآية قرن الله تعالى شكرهما بشكره، إجلالاً لفضلهما وإظهاراً لحقهما، وفي هذا يقول ابن عباس: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل الله واحدة بدون قرينتها: أما الأولى فهي قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النِّساء: ٥٩] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، وأما الثانية فهي قوله سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن أقام الصلاة وضيع الزكاة لم يقبل منه، وأما الثالثة فهي قول الله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. وفي هذا يقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي عن ابن عمر: «**رضى الرَّبِّ في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»، وفي حديث عن معاوية، رواه ابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني رحمه الله أن رجلاً من الصحابة لما استشار الرسول للخروج للغزو قال: «**هل لك أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة عند رجلها**». فتأمل يا أخ الإسلام كيف قدم النبي عليه الصلاة والسلام خدمة هذا الصحابي الجليل لأمه على خروجه للغزو في سبيل الله، بل ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال: «**رغم أنه رغم أنفه رغم أنفه** -يعني خاب وخسر ودس أنفه في التراب- **قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة**» أي جزاء برهما والإحسان إليهما وفاء لحقهما وإقراراً بفضلهما.

فحق الوالدين على ولدهما عظيم، ولذلك بيَّن الرسول ﷺ فيما رواه مسلم أنه مهما بذل الولد لوالده من العطاء فإنه لا يستطيع أن يوفيه كامل حقه إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه. وروى مسلم في صحيحه أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «**لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما**». وروى الإمام البزار أن رجلاً كان في الطواف يحمل أمه على عاتقه يطوف بها، فلقي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل أديت حقها؟ قال: «**لا ولا بزفرة واحدة من زفرات الولادة**» يعني ولا بطلقة من طلقات الولادة.

ولا عجب أيها الأحبة الكرام، فالأُمُّ كم عانت من المتاعب في الحمل، وكم تعرضت للمخاطر في الوضع، وكم سهرت الليالي إلى جوار طفلها، وأرضعته

خلاصة دمها وغذائها، وإذا مرض تألمت لمرضه، وسهرت الليالي باكيةً لأجله، ولو خيرت بين حياتها وحياته لاختارت الحياة لطفلها دون تردد، ومن أجل ذلك أوصى الإسلام ببر الوالدين، وأعلى شرف البر وقدره خصوصاً البر بالأم، حيث أضفى عليها بالغ التكريم، فأنزلها منزلة خاصةً من الرعاية والتقدير والإكرام والاحترام، ومن الشواهد ما رواه البخاري أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك**». وقول الحسن البصري: للأم ثلثا البر وللأب الثلث. وما أخرجه ابن ماجه في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال لرجل يحثه على بر أمه: «**الزم رجلها فثمّ الجنة**».

هذا ولم يجعل الإسلام البر بالوالدين مقصوراً على حياتهما، وإنما جعله ممتداً بعد وفاتهما، ومن الشواهد على ذلك ما رواه الإمام أبو داود في سننه أن رجلاً من بني سلمة قال: يا رسول الله هل بقي علي شيء من بر والدي أبرهما به من بعد وفاتهما؟ قال: «**نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**». وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي**» أي بعد وفاته.

وكما أمر الإسلام ببر الوالدين في الحياة وبعد الممات نهى بشدة عن عقوقهما وجعل ذلك من أكبر الكبائر، فقد روى الإمام البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالها ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» الحديث.

فاتقوا الله يا شباب الإسلام في آبائكم وأمهاتكم، وليعلم الأبناء الذين لا يراعون حقوق الآباء والأمهات ويهملونهم أو يزجون بهم في دور رعاية المسنين وهم قادرون على رعايتهم، أنه كما يدين الفتى يدان، وما أسرع ما تمر الأيام ويمضي الشباب ويأتي المشيب، والكيل الذي يكيلون به لآبائهم غداً سيُكال لهم به من أبنائهم، لأن الله سبحانه وتعالى يعجل بعقوبة العاق لوالديه في الدنيا قبل

الآخرة، ومن الشواهد على ذلك ما رواه الحاكم بإسناد صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجل لصاحبه في الحياة الدنيا قبل المات**»، ولهذا يقول النبي ﷺ فيما رواه الطبراني بسند حسن: «**بروا آباءكم يبركم أبناؤكم**» فالجزاء من جنس العمل، وفي الحديث كذلك: «**البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديّان لا يموت، فاعمل ما شئت كما تدين تدان**».

وفي الختام أسأل الله رب الأنام أن يغفر لنا ولوالدينا ولأصحاب الحقوق علينا وأن يوفقنا لطاعته وطاعة من أمرنا بطاعته وأن يجعلنا من عباده الطائعين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الاســتقامة

الحمد لله الذي سلك بأهل الاستقامة سبل الأمن والسلامة، وتوّجهم يوم القيامة بتيجان العز والكرامة، وبوّأهم مقعد صدق في دار المقامة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فُصِّلت: ٦] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من أُمر بالاستقامة، ثم أمر بها فقال: «**واستقيموا ولن تحصوا**» فاللهم صلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى، والآجال تفنى، وما عند الله خير وأبقى.

واعلموا رحمكم الله أن توحيد الله تبارك وتعالى هو أفضل الأعمال، وأساس الملة والدين، فمن قال لا إله إلا الله بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك، فهذه هي الحسنة التي لا يوازيها شيء إلا الجنة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فُصِّلت: ٣٠] أي إن الذين قالوا ربنا الله، فأفردوا الله وحده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر والملك والرزق والتدبير والتصريف، تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] فأقرّوا بأن الله وحده هو الخالق، وما عداه مخلوق، وهو الرازق وما عداه مرزوق، وهو الرب وما عداه مربوب، وهو المالك وما عداه مملوك، وبذلك أفردوه وحده سبحانه بالعبادة، ودانوا له بالعبودية، وهذا هو أصل الإسلام وأساس الملة والدين، وهو الذي لأجله بعث الله الرسل،

وأنزل الكتب، وخلق الجنة وخلق النار، فجميع الخلق خلقه، والأمر أمره، والملك حكمه، وهو القائل جلَّ شأنُه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وبذلك الاعتقاد والعمل، استقاموا على التوحيد الكامل العظيم، إذ لم يكتفوا بالقول دون العمل، لأن ذلك من شيم المنافقين، فالإيمان كما قال أهل العلم: قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، واستقامة على ذلك العمل، نرى أن الإيمان يرد مقروناً بالعمل، وأن العمل يأتي مقروناً بالإيمان في كثير من آيات القرآن، فنقرأ من آيات الله مثلاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] ونقرأ كذلك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] ونحو ذلك من الآيات ولهذا يقول الحسن رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل، فمن قال خيراً وعمل خيراً قبل منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه.

وفي صحيح مسلم أن سفيان بن عبد الله ﵁ جاء إلى النبي ﷺ مع وفد ثقيف وقال: يا رسول الله قُلْ لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك -وفي رواية للإمام أحمد لا أسأل عنه أحداً بعدك- فقال: «**قُلْ آمنت بالله ثم استقم**».

وروى الإمام أحمد والترمذي أن عمر ﵁ قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصِّلت: ٣٠] فقال ﵁: استقاموا على طاعة الله فلم يروغوا روغان الثعلب، وهذا يعني دوام إخلاصهم لله سبحانه وتعالى وثباتهم على ذلك.

وقال الحافظ بن رجب الحنبلي جامع العلوم والحكم: وأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد (**لا إله إلا الله**) كما فسَّر أبو بكر وغيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره سبحانه، فمتى

استقام القلب على معرفة الله وخشيته، استقامت الجوارح كلها على طاعة الله، لأن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام القلب على **(لا إله إلَّا الله)** استقامت جنوده ورعاياه كما قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

وهذا هو التوحيد الكامل، الذي يغفر الله تعالى معه كلَّ ذنب، فهو الإكسير الأعظم الذي إذا وضعت منه ذرة واحدة على جبال الذنوب والخطايا لأذابتها، بل وأبدلتها حسنات لأن للتوحيد نوراً يبدد ظلام الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور، وهذا هو السر الأعظم الذي ثقل بطاقة الرجل، وطاشت من أجل السجلات، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيء؟ أظلمك كتبتي الحفظة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فغنه لا يثقل مع اسم الله شيء**»، ما السِّرُّ؟ هو كمال التوحيد يا عباد الله، والعمل بمقتضى **(لا إله إلَّا الله محمد رسول الله محمد رسول الله)**، والاستقامة والثبات على ذلك.

ومن الشواهد ما رواه مسلم والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا**

ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

إخـــوة الإيمان:

روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم**، ثُمَّ تلا صلى الله عليه وسلم : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]».

فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

نسأل الله تعالى أن يتولانا بعنايته، وأن يرحمنا برحمته، وأن يدخلنا جنته، وأن يرزقنا النظر إلى وجهه الكريم، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



العبودية هي الغاية من خَلْق العباد

الحمد لله الذي لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، مالك يوم الدين، يوم الأخذ بالنواصي، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، خلق الخلق بقدرته، وأوجدهم في هذا الكون لعبادته، وقال تعالى في حديثه القدسي: «**يا عبادي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم من وحدة لأمر عجزت عنه، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرةً وأصيلاً**».

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، إمام المتقين، وقدوة العابدين، خير من عبد الله تعالى مخلصاً له الدين، حتى أتاه من ربه اليقين. اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين المخلصين، ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد:

فاتقوا الله عباد الله وأطيعوه سبحانه، وأنيبوا إليه وراقبوه، واذكروا نعمه عليكم، وتمسكوا بتعاليم الإسلام الحنيف الذي جاءكم به نبيكم ﷺ، واسمعوا وعوا لدعوته الخالدة، واعلموا رحمكم الله أن الإسلام معناه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، وإفراده بالعبادة، وهذا حق الله علينا، فكم لله تعالى علينا من النعم، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] فما من شيء في هذا الكون إلا ويعرف لله حقه ويسبحه، ولا يفتر عن تسبيحه، وذكره سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وإن من شيء في هذا الكون إلا هو مسخر بأمر الله للإنسان، ولو نظر الإنسان لكل ما حوله بعين البصيرة لوجد أن كل ما في هذا الكون مسخر بأمر الله تعالى له، وأن الله كرمه غاية الإكرام منذ بداية نشأته، فصنعه بيده بشراً سوياً، ونفخ فيه

من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً لتكون هذه الأشياء المسخرة له، وفي خدمته، وليكون هو لله تعالى وعبادته وتوحيده، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، والعبادة تعني طاعة الله تعالى والخضوع له والالتزام بكل ما شرع؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، والعبادة بهذا المعنى تجعل الإنسان لا يخضع إلا للحق، وتجنبه الظنون والأوهام والأباطيل، وتفتح أمامه الطريق ليتصل مباشرة بالله، فلا يخضع في عبادته لسطلان العلماء، ولا يتوسل بالأنبياء ولا بالأولياء، وهي في الوقت نفسه تذكير بالله جلت قدرته، وعلا سلطانه، والتذكير بالله يعمر القلب بعظمته، وإذا عمر القلب بمعرفة الله وعظمته، وجّه قوى النفس إلى الخير والبر، وكفها عن الإثم والشر، ومن ثَمَّ كانت العبادة ركناً أساسياً في بناء الشخصية المسلمة المتكاملة التي يريدها الله، وكانت قياماً للمجتمع الصالح، وكانت هي غاية الحياة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولأجل أن يَصِل الإنسان إلى هذه الغاية، زوده الله تعالى بالعقل والاختيار، وأمده بالوحي، وجعله بهذا أهلاً لحمل مسؤوليته ليقطع عذره، وليقيم عليه الحجة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومن هنا كانت مهمة الرسل الكرام من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ هي دعوة الخلق إلى عبادة الله الخالق سبحانه وتعالى، وأن يبينوا للناس أن ذلك حق الله تعالى عليهم، قال تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وروى الإمام البخاري عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: «**كنت ردف النبي ﷺ على حمار، فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله**

إذا فعلوا ذلك ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

وليس بغريب أن يكون لله علينا حق عبادته، بل الغريب والعجيب كل العجب أن يكون غير ذلك، لأننا بذلك نكون قد أدينا الحق إلى غير أهله، وبعدنا عن تحقيق الغاية التي من أجلها خُلقنا، وبها أمرنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: هذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه، وعظيم سلطانه، وقد سئل بعض الأعراب عن وجود الله تعالى فقال الأعرابي: سبحان الله ، إنَّ البعرة تدل على البعير، وإن أثر القدم لدليل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

والمتأمل في هذه الآية العظيمة، يرى أن الحق جلت قدرته بعد أن أمر الناس فيها بعبادته، وذكرهم ببديع صنعه، وعظيم فضله وقدرته، قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، والأنداد: جمع ند، وهو النظير والشبه والمثيل –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– فليس هناك ذنب أعظم من الشرك. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

وفي الصحيحين: عن ابن مسعود ﷺ قال: «**قلتُ: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**.

ولهذا تدعو الآية إلى إفراد الله وحده بالعبادة وإخلاص العمل له، وأن الأنداد التي يشدد الإسلام في النهي عنها لتكون عقيدة التوحيد بالنسبة للمسلم صافية نقية، ليس المقصود بها آلهة تعبد من دون الله كما كان يفعل المشركون من عبدة الأصنام والأوثان، ولكن للأنداد صور أخرى خفية، فقد تكون مثلاً في الخوف

من غير الله، أو الاعتقاد بأن غير الله بيده الضر والنفع، أو تعليق الرجاء بغير الله تعالى، وما كان على نحو ذلك.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، وهو أن يقول ما شاء الله وما شئتَ، وقول الرجل لولا الله وفلان. وفي الحديث: «أن رجلاً قال للرسول ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، فقال له الرسول ﷺ: **أجعلتني لله نداً، قل: ما شاء وحده**».

وينبغي أن نقف مع هذا القول العظيم، ففيه تأمل لتصحيح عقيدة التوحيد بالنسبة لكثير من الناس، فكثيراً ما نسمع من يقول لصاحبه: أنا متوكل على الله وعليك، أو: ليس لي إلا الله وأنت، أو: هذا من فضل الله وفضلك. ولو تأملنا هذه الألفاظ وقول الرجل لرسول الله: ما شاء الله وشئتَ؛ لوجدنا أنها أسوأ بكثير من هذا اللفظ الذي قاله الرجل لرسول الله، وقال له الرسول: أجعلتني لله نِدًّا؟ قل: ما شاء الله وحده. فهذه الألفاظ وما شابهها نهى عنها الرسول ﷺ فقال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: «**ما شاء الله ثم شاء فلان**».

فهناك فرق عند أهل اللغة بين (الواو، ثم) وإن كان كلاهما للعطف، لكن العطف بالواو يقتضي المقارنة والتسوية، فإن قلت: ما شاء الله وشئتَ، فقد قارنت وساويت مشيئة الله تعالى بمشيئة العبد، بمعنى أنك جعلت مشيئة العبد ومشيئة الله تعالى في درجة واحدة، تعالى الله عن ذلك، بخلاف العطف بثم، فإنه يقتضي التبعية، فمن يقول مثلاً: ما شاء الله ثم شئتَ فإنه يكون قد اعترف بأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى، ولا تكون إلا بعد مشيئته، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، وبهذا نخلص العبادة، ونخلص القول والعمل لله وحده، وينال العبد بعبادته مثوبة الله تعالى ورضاه. ولنتأمل إخوة الإسلام هذا الموقف بين النبي ﷺ وبين هذا الرجل الذي أذنب ذنباً، ثم جاء فوقف بين يدي النبي ﷺ وقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد. فقال النبي ﷺ: «**عرفت الحق لأهله**».

وهكذا يعلمنا الرسول ﷺ حقيقة التوحيد الخالص لله رب العالمين، والذي

يعتبر فيصلاً بين عقيدة المسلم وغيرها من العقائد الفاسدة، لنعبد الله ونوحده كما أراد الله سبحانه وتعالى مخلصين له الدين حنفاء، ونستعين به في جميع أحوالنا، قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] استعداداً للقائه، ورجاءً لمغفرته ومرضاته، حيث قال جل شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

نسأل الله تعالى أن يرزقنا توحيداً خالصاً لجلاله، وأن يجعل عبادتنا على طريقة رسوله ﷺ، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

❊ ❊ ❊

مع الرسول ﷺ في خُلُقه وبعض شمائله

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له فاطر الأرض والسماوات، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى، الذي اصطفاه مولاه وعلى موائد كرمه رباه، ومن نعمته تفضل عليه وأعطاه، فبلغ بذلك من العظمة ومن الكمال قدراً يصعب وصفه، ويتعزز بيانه، فاللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه، فكانت حياته ﷺ جامعة لكل القيم، ومثالاً أخلاقياً ونموذجاً حياً لكل الشمائل الكريمة والصفات النبيلة، كانت حياته ﷺ عامرةً بالخير والهدى، مليئةً بأعظم الخلال وأجل الصفات، وأوسع الرحمات.

اشتهر ﷺ منذ صغره بالصدق والأمانة وكان ﷺ مثلاً أعلى للحلم والرحمة، وكيف لا وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ولقد روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عليه السلام تأويلها فقال له: حتى أسأل العالِم، ثم ذهب وأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

ليت شعري أي أدب هذا الأدب الرفيع، وأية نفس تلك النفس التي تطيق أن تصل من قطعها، وتعطي من حرمها، وتعفو عمن ظلمها، إنها نفس محمد ﷺ الذي كُسِرت رَباعيته يوم أُحد، وشُجَّ وجهُهُ الشريف، حيث شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين مشقة شديدة وقالوا: لو دعوت عليهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت رحمةً ، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**».

أي نفس هذه أيها الإخوة؟ إنها النفس الكريمة التي خاطبها ربها تبارك

وتعالى بقوله سبحانه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أيها الإخوة المسلمون:

إننا لو استقصينا حلم الحلماء وصبرهم على أذى السفهاء لوجدنا أنه ما من حليم إلا عرفت عنه زلة، أو حُفظت عنه هفوة، أو سجلت له أثرة، أما رسول الله ﷺ فكان لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً وحلماً ورحمةً ووفاءً وعفواً.

ولقد وعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الحقيقة العظيمة في شخص رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا، فلقد وطئ ظهرك، وأدمي وجهك، وكسرت رَبَاعيتُك، فأبيت أن تقول إلَّا خيراً، فقلتَ: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وقال القاضي عياض رحمه الله معلقاً على قول عمر هذا: انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم بل عفا عنهم واستغفر لهم ودعا لهم بقوله: «**اللهم اغفر لقومي**» ثم اعتذر بجهلهم فقال: «**فإنهم لا يعلمون**».

ثم انظروا إخوة الإسلام إلى هذا الموقف الكريم الذي يتحلى فيه الحبيب محمد ﷺ بالرحمة والعفو عند المقدرة بأوضح صورة، روى البيهقي وغيره من أصحاب السنن أنه لما عاد رسول الله ﷺ وأصحابه من غزوة ذات الرقاع في السنة الخامسة من الهجرة اتخذ رسول الله ﷺ مكاناً يقيل فيه تحت شجرة وإذ بغوث بن الحارث يتسلل ليفتك برسول الله ﷺ فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلَّا وغوث قائم والسيف في يده فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال لغوث: من يمنعك مني؟ قال غوث: كن خير آخذ، فتركه النبي ﷺ وعفا عنه، فجاء إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ولله در من قال:

وإذا عفوت فقادراً ومقدّراً   لا يستهين بعفوك الجهلاء

ولقد ملأت الرحمةُ قَلْبَ رسول الله ﷺ وفاضت تلك الرحمة فشملت القريب

والبعيد والعدو والحبيب والإنسان والحيوان والطير.

فكانت رحمته ﷺ تسع الناس جميعاً، حتى شملت رحمته أعداءه الذين آذوه وأخرجوه، ويوم أن مكَّنه الله منهم وأظهره عليهم ودخل مكة دخول الفاتحين ووقف على أهلها وقوف القادرين وصاروا في قبضة يده قال لهم: **ما تظنون أني فاعل بكم؟** قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم ﷺ: **اذهبوا فأنتم الطلقاء.**

هكذا كان ﷺ رحيماً وكان أعظم وأفضل الناس تسامحاً وأوسع احتمالاً مهما وقع له ومهما وُجّه إليه. وروى الطبراني عن أبي أمامة قال: كانت امرأة ترافث الرجال أي تكلمهم كلاماً بذيئاً، فمرت برسول الله ﷺ وهو يأكل ثريداً، فقالت: انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد، ويأكل كما يأكل العبد، فقال ﷺ: وأيُّ عبدٍ أعبد مني؟ قالت: يأكل ولا يطعمني، فقال لها ﷺ: فكلي، قالت: ناولني بيدك، فناولها الرسول ﷺ، قالت: أطعمني ما في فيك، فأعطاها الرسول ﷺ، فأكلت، فما كان من تلك المرأة بعد هذا الموقف من رسول الله ﷺ إلا أن غلبها الحياء فلم ترافث أحداً حتى ماتت.

وكان ﷺ أكثر الناس تواضعاً. روى أحمد والطبراني أنه ﷺ خيّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، فقال إسرافيل عليه السلام: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع.

فانظروا إخوة الإسلام كيف اختار الرسول عليه الصلاة والسلام العبودية لله على الملك والسلطان، لأن شأن الملوك غالباً التكبر والتحيز للدنيا والتكثر من البطانة والخدم والترفع عن الخدمة، وإنما اختار العبودية لله عز وجل لأن من صفات العبد التقلل من الدنيا والتكثر من خدمة المولى، ولما كان ﷺ مع ربه كذلك منحه الله سيادة بني آدم كلهم، ولهذا يقول ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» وسيقت له الدنيا بحذافيرها وترادفت عليه فتوحاتها، حتى أنه ﷺ قال: لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة، لكنه مع ذلك كان عن الدنيا عزوفاً ولمكرها وخداعها عروفاً، فكان من دعائه: **اللَّهمَّ اجعل رزق آل محمد قوتاً**. أي

اللهم ارزق آل محمد ما يسد به رمقهم. يقول ابن عباس رضي الله عنهما وكان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله طاوياً لا يجدون شيئاً. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه أرماً حشوه ليف، ولما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت قام في الناس خطيباً فقال: **من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأني، ألا وإن أحبكم إلي من أخذ مني حقاً إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس.** ﷺ طبت حياً وميتاً يا رسول الله.

وهكذا كانت حياته ﷺ ودعوته إلى مكارم الأخلاق وإلى أجَلِّ الصفات، وصدق الله تعالى إذ يقول مُثنياً عليه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فلنتق الله إخوة الإيمان ولنتخلق بأخلاق المصطفى عليه الصلاة والسلام وحسبنا قول ربنا جَلَّ في علاه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

روى الطبراني والبيهقي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الخُلُق الحسن يُذهب الخطايا كما يذهب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



محاسبة النفس وأقسامها

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له جعل الجنة لمن أطاعه واتقاه، والنار لمن خالف أمره ونهيه واتبع هواه ورأيه: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩]، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، والهادي إلى صراط الله المستقيم، صلَّى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أمَّا بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، واعلموا أن أجسادنا على النار لا تقوى، فاستمسكوا بالعروة الوثقى، ثم اعلموا رحمكم الله أن من أهم الواجبات على المسلم في هذه الحياة بعد تقوى الله تعالى، أن يكون عروفاً بحقيقة نفسه، شغوفاً بمجاهدتها، دؤوباً في تزكيتها، لأن من عرف نفسه عرف ربه، فمن عرفه نفسه بالذل والافتقار، عرف ربه بالعز والاقتدار، ولا بد أن يكون المسلم على يقين بأن سعادته في الدنيا والآخرة متوقفة على مدى تزكية نفسه بالمجاهدة، وتطييبها بالمحاسبة، مع دوام الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل من الذنوب والأوزار، والاستقامة مع صالح الأعمال إذ لا فلاح للمرء إلا بذلك. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الحق جَلَّ وعلا: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ [الشمس: ٧-١٠] ولله در من قال:

أقبلْ على النفس فاستكملْ فضائلها   فالمرءُ بالنفس لا بالجِسم إنسـانُ

وقد صنف القرآن الكريم النفوس وقسمها إلى ثلاثة أصناف: مطمئنة،

ونفس لوامة، ونفس أمارة بالسوء.

أما النفس المطمئنة فهي التي اطمأنت بذكر الله وعبادته، وتشرفت بعبوديته، واشتاقت بدوام محبته للقائه ورؤيته سبحانه وتعالى، وفي الحديث: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»، والنفس اللوامة هي التي أقسم الله بها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢] فهي التي تلوم صاحبها على الخير والشر، تلوم صاحبها على الخير لم لم تكثر منه، وتلوم صاحبها على الشر لماذا وقعت فيه؟ يقول الحسن رحمه الله: إن المؤمن والله ما تراه إلا ويلوم نفسه. وفي ذلك يقول عبد الله بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ أست صاحبة كذا؟ ذمها فألزمها كتاب الله فكان له قائداً. وأما النفس الأمارة بالسوء فهي النفس التي تأمر صاحبها بالشر والمعصية دوماً، وتريد أن تخرجه من طريق الهداية إلى طريق الغواية والضلالة، وهذه النفس إن أهملها صاحبها وأهمل حسابها قادته إلى الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، وإن استعان بالله جَلَّ وعلا ووقف لها بالمرصاد، وحاسبها محاسبة الشريك الشحيح، قادته إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

والنفس كالطفل إن تهمله شَبَّ على ... حُبِّ الرضاع وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم

والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] وهذه الآية تشير إشارة واضحة إلى ضرورة المحاسبة، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: يا أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيؤوا للعرض الأكبر، يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

وقال الحسن البصري: إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل وإنما كف الحساب يوم القيامة عن قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، فالمسلم إذا حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال بين يدي الله جوابه وحسن متقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت خساراته،

وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته.

فحاسِبْ نفسَك يا أخ الإيمان قبل فوات الإيمان، فإن وجدت من نفسك خيراً فاحمد الله تعالى وسل الله أن يثبتك على ذلك، فالقلوب تتقلب والأعمال بالخواتيم، نسأل الله أن يختم لنا بحسن الختام، وإن وجدت غير ذلك يا أخ الإسلام فقل يا نفس ويحك إلى متى تعصين، وعلى الله تتجرئين، ويحك يا نفس أما تنظرين إلى أهل القبور كانوا كثيراً وجمعوا كثيراً، فأصبح جمعهم بوارا، وأملهم غرورا، وبناياتهم قبورا، ويحك يا نفس أما تخافين من الحساب ودقته، أما تخافين من الصراط وحدته، أما تخافين من النار والأغلال والأهوال، أما تخافين عن النظر إلى وجه الكبير المتعال، ويحك يا نفس اعملي قبل أن لا تعملي، وحاسبي قبل أن تحاسَبي، فإن الوقوف بين يدي الله طويل، وإن الحساب لمن غفل عن الحساب عسير، وإن الخطب جليل، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشمل منه فلا يرى إلَّا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلَّا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**» فإن اتقيت الله وحاسبت نفسك وأنت في الدنيا اطمأنت نفسك، أي كانت نفسك مطمئنة وكنت من المؤمنين العارفين، ومن ثَمَّ يعطيك الله كتابك بيمينك، ويقربك منه سبحانه ويدنيك ويستر عليك ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

يقول المصطفى ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**يُدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع رب العزة عليه كنفه ويقرره بذنوبه ويقول: لقد عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا. فيقول المؤمن: رب أعرف أعرف، فيقول الله جَلَّ وعلا: ولكن سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم**» فيعطيك الله كتابك بيمينك يا عبد الله يا من حاسبت نفسك فيشرق النور من وجهك ومن أعضائك ومن بين يديك وتسعد سعادة لا تشقى بعدها أبداً، وتنقلب إلى

أهلك مسروراً، وبكتابك فخوراً. يقول الحق جلَّ وعلا: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة ١٩-٢٤] أي التي خلت من الدنيا.

وإن كانت الأخرى أعاذنا الله وإياكم من الأخرى، أعطاه الله كتابه بشماله أو من وراء ظهره فاسود وجهه، وكسي من سرابيل القطران، وانطلق من أرض المحشر فزعان يصرخ ويقول: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]، ولله در من قال:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها — إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه — وإن بناها بشر خاب بانيها

فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهداً — واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

فاتقوا الله إخوة الإسلام واحرصوا على إصلاح نفوسكم، ونقبوا عن ذنوبكم وتوبوا منها إلى ربكم يصلح الله تعالى أحوالكم، ويحسن ختامكم. روى أحمد والترمذي عن أبي يعلى شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

أثر الإيمان في سعادة الفَرْد والمجتمع

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، بيده مقاليد السماوات والأرض، ومصائر كافة الخلق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، وقدوة المؤمنين، أنزل عليه قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥].

اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الذين أدركوا أن السعادة الحقيقية لا تتحقق إلا بتقوى الله وكمال الإيمان، فتخلقوا بها وصف الله عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] وتخلَّقوا كذلك بما وصف الله به عباده المؤمنين في قوله سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١١] فتحققت لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ورضي الله عنهم أجمعين. أمّا بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق تقاته، وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى، وأن الآجال تفنى، وما عند الله خير وأبقى، وكونوا على يقين أنه لا سعادة للإنسان في الدنيا والآخرة إلا بتقوى الله وكمال والإيمان، لأن الإيمان بالله تعالى نور يشرح الصدور، وينير العقول، ويهدي إلى الصراط المستقيم والحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والمؤمن إذا ارتبط بربه، وعرف فضله عليه، وأيقن أنه في حاجة إلى رحمته ورعايته في كل لحظة من لحظات حياته، وفي كل ذرة من ذرات جسمه، وأنه وحده سبحانه بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأن المصير يوم القيامة إليه، والحساب بين يديه، والعفو والمغفرة والسعادة كلها مردها إليه، لا بد وأن يحب الذي أنعم عليه ورعاه، ويخاف الذي إليه مرجعه ومنتهاه، ويأمل فيما عنده من سعادة وخير وبِرّ، ومن ثم يندفع إلى عمل الخير ومناصرة الحق لصدق إيمانه، وكامل مشاعره وثقته بربه وخالقه، لا يخاف أحداً سواه، ولا يوالي سوى من والاه، فالحب لله، والخوف منه، والرجاء في رحمته، والعمل لرضاه، هذه الأربعة أصول لازمة لمن آمن بالله تعالى إيماناً ملك عليه زمام قلبه.

مقتضى الإيمان حب ورجاء وخوف وعمل، وهذا هو الذي ربى عليه رسول الله ﷺ أصحابه، فكانوا بمقتضاه كما وصفهم الله سبحانه وتعالى رجال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩]. فهم فرسان بالنهار رهبان بالليل: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧-١٩]. رباهم الرسول ﷺ على ذلك.

ولقد أثبت التاريخ أن الذين تربوا في مدارس الأنبياء وأشربوا تعاليم السماء هم ومن على شاكلتهم الذين سعدت بهم الحياة، وصلحت بهم الدنيا، واعتدل بهم ميزان الحق والعدل، لتسمع وترى نمطاً جديداً من الناس، يعطي من نفسه ليسعد غيره، ويرضى بالفناء لذاته لتحيى أمته وتنهض، وهذا هو أثر الإيمان في إصلاح الأفراد وسعادة المجتمعات من لدن آدم إلى محمد ﷺ إلى يوم الساعة، والشواهد على ذلك كثيرة من القرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرته والصحابة رضي الله عنهم، وإليكم أيها الإخوة الكرام نموذجاً من الرعيل الأول الذين تربوا على الإيمان وذاقوا حلاوته في مدرسة النبي عليه الصلاة والسلام فعرفوا حقيقة السعادة وعملوا لها، لنرى معاً كيف سعدوا وسادوا في الدنيا، ونالوا احترام العالم من حوالهم بصدق إيمانهم، وتقواهم لربهم، وقوة يقينهم، واعتزازهم بإسلامهم، وحبهم الخير لغيرهم، ولله در من قال:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هـو السَّـعيد

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمته أن عبد الله بن حذافة السهمي أحد أصحاب النبي ﷺ أسرته الروم، فجاؤوا به إلى ملكهم، فقال له الملك: تنصر وأشركك في ملكي وأزوجك ابنتي. فقال: لو أعطيتني جميع ما تملك وما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت. قال: إذن أقتلك. قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ﷺ وأرضاه، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر من نحاس فأحميت حتى احمرت وببكرة فرفعت فوق القدر، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه في القدر وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه ما عرض فأبى، الله الله، إنه الإيمان، وصدق رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رَبّاً**» فأمر أن يلقى فيها فلما دفع في البكرة ليلقى في القدر بكى، فطمع فيه الملك فدعاه وسأله، فقال: إنما بكيت لأني ذكرت أن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذا القدر الساعة في الله. وفي رواية أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟

فقال ﷺ: أما أنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك فيّ. فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك، قال: تطلق معي جميع أسرى المسلمين؟ فقال: نعم، فقبل رأسه، فأطلق جميع أسرى المؤمنين، فلما رجع قال أمير المؤمنين عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ بنفسي، وقام عمر فقبل رأسه إعجاباً بإيمانه وصدق يقينه وحبه لإسلامه وإخوانه رضي الله عنهم أجمعين.

فما أحوج الأمة الآن إلى إيمان كإيمان هؤلاء، يُحيي في الأمة مواتها، ويوقظها من سباتها، ويعيد إليها سعادتها وعزتها ومكانتها بين الأمم، ولا يتحقق بذلك إلا بتحقيق منهج الله بين عباده، فلقد حقق منهج الله للأولين الطمأنينة النفسية، والسعادة القلبية، وقضى على العصبية، فكانوا عباد الله إخواناً، فطمأنينة النفس وسعادة القلب وانشراح الصدر نعمة عجيبة لا يحظى بها إلّا المؤمنون، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]. ولذلك يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ولا يكون ذلك إلا لمؤمن، إن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».

فالسعادة الحقيقية لا تتحقق في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان الكامل والعمل الصالح، لأن الله تعالى يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، وتلك سعادة الآخرة والتي هي في الجنة إن شاء الله، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨] وإن أسما ما يسعد به المؤمنون في دار النعيم الرضى والنظر إلى وجه الله الكريم،

ففي صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مما لم تُعْطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلَّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**» فيا لها بذلك من سعادة ما بعدها سعادة إلا النظر إلى وجه الله الكريم كما في صحيح البخاري عن صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه الكريم**» أسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نسأل الله تعالى أن يسعدنا بطاعته في الدنيا، وبرضوانه والنظر إلى وجهه في الآخرة.

اللهمَّ أتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا من كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر. اللهم إنا نسألك عيشةً هنية وميتة سوية.

❋ ❋ ❋

اهتمام الإسلام برعاية الآداب العامة ودعوته لحفظ الأعراض وإقامة مجتمع سويّ

الحمد لله الذي أكمل الدين وأظهر البرهان وحد الحدود وبين الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الإنسان علمه البيان، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وأنعم عليه بنعمة السمع والبصر واللسان، وحذره من استعمالها في الحرام، حيث قال جَلَّ شأنهُ في محكم القرآن: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، جمله الله تعالى بأعظم الأخلاق، فكان خلقه القرآن، اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين أسسوا دينهم على تقوى من الله ورضوانه، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد جاء الإسلام لإقامة كيان اجتماعي سوي، جاء الإسلام ليصلح الناس ويقيم العباد على صفاء النفوس، وطهارة القلوب، وتبادل الثقة ، ويجنبهم الريب والشكوك والظنون والتهم، ولذا فإن رعاية الآداب العامة وحماية أعراض الناس وصيانة كرامتهم والمحافظة على حرماتهم لها في الإسلام شأن عظيم.

انظر أخ الإسلام إلى قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧-٢٨]، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢] ففي هذه الآية الكريمة ينهى الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن ثلاث خصال باعثة للفتن مثيرة للعداوة زارعة للأحقاد قاطعة للصلات مفرقة للجماعات وكلها خصال منافية للآداب.

أوَّل هذه الخصال: الظن السَّيِّئ بالمؤمنين، والظن هنا هو التهمة التي لا سبب لها، فلا يحل لمسلم أن يسيء الظن بأخيه فيتهمه ويخدش عرضه بشيء من المعاصي والمنكرات بدون مبرر، فالأصل في المؤمنين أنهم أبرياء، ووسواس الظن لا يصح أن يعرض ساحة المسلم البريء للاتهام، وقد قال المعصوم ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»، ولا يدخل في الظن المحرم من أورد نفسه موارد الريب والتهم، أو المجاهرة بالخبائث، أما الذي يظهر منه ما يريب، ولم يعرف عنه إلا الخير والبر والأمانة، فالظن السيئ به محرم، والإنسان لضعفه لا يسلم من خواطر الظن والشك في بعض الناس ولكن عليه ألا يستسلم لخواطر الظن ويسير وراءها، وهذا معنى ما ورد في الحديث: «**إذا ظننت فلا تحقق**».

أما الخصلة الثانية: فهي التجسس: والتجسس هنا هو التفتيش عن عورات المسلمين، والبحث عن مساوئهم بأي طريق، والقرآن والسنة يقاومان هذا العمل الذي يتنافى مع آداب الإسلام وينهيان عنه، ويعظمان خطره، فلا يحل لمسلم أن يتجسس على أخيه ويتبع عورته حتى ولو ظن أنه يرتكب إثماً خاصاً بنفسه ما دام مستتراً غير مجاهر.

والتجسس غالباً يكون هو الحركة التي تلي الظن، فالظن السيئ هو الدافع للتجسس، لذا جاء النهي عنه في الآية وفي الحديث مقروناً بالنهي عن سوء الظن، ففي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تفاحشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**». وقد جعل النبي ﷺ تتبع عورات المسلمين من خصال المنافقين، وحمل عليهم حملة عنيفة على ملأٍ من الناس، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

«**صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**». وحرم النبي ﷺ بشدة الاطلاع في البيوت بغير إذن أصحابها مراعاةً للآداب العامة وصيانةً للبيوت من التجسس، وتعظيماً لحرماتها، فقال ﷺ: «**من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه**». وقال: «**إنما الاستئذان من النظر**».

أما الخصلة الثالثة والأخيرة فهي الغيبة: وهي من الكبائر التي حرمها الإسلام، ونفر منها أشد تنفير، حتى قرنها عند ذكرها والنهي عنها بما تشمئز منه النفوس وتأباه الطبائع فقال: ﴿**وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ**﴾ [الحجرات: ١٢] وهذا أوضح دليل على بشاعتها لسوء أثرها في المجتمعات، وفي محيط الأسر والجماعات لما يترتب عليها من عداوات وبغضاء وإثارة نار الفتنة والشحناء بين الناس، وقد حدد الرسول ﷺ للأمة مفهوم الغيبة ليحذرها كل مسلم فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قالوا: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**»، وهذا ما حرمه الإسلام تحريماً شديداً، فمن أقوال النبي ﷺ في خطبة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت اللهم فاشهد»، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي: «**كُلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**». وحسبنا أيها الإخوة الكرام في هذا المقام ما رواه أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخدشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»، إنه لمشهد رهيب تقشعر منه الأبدان، قوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم كالمجانين، فما الذي جلب عليهم هذا الكرب الذي هم فيه؟ إنها الغيبة التي نفر

منها القرآن أشد تنفير، وحذر منها رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تبع عورة أخيه تبع الله عورته ومن تبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**».

بل جاءت الأحاديث فجمعت الخوض في عرض المسلم أشد من أن ينكح الرجل أمه والعياذ بالله، فلقد روى الطبراني في الأوسط والألباني في السلسلة الصحيحة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**»، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه «**أن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار**» والعياذ بالله من ذلك.

وإذا ذكرت الغيبة ذكرت بجوارها خصلة تقترن بها حرمها الإسلام كذلك أشد تحريم تلك هي النميمة، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبيرة، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» والنميمة هي نقل ما يسمعه الإنسان من شخص إلى شخص آخر على وجه الوشاية والوقيعة والإفساد، وقد نزل القرآن الكريم بذم هذه الرذيلة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠-١١]، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قتّات وفي رواية لا يدخل الجنة نمام**».

وفي الحديث الذي رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب أن النبي ﷺ قال: «خير عباد الله **الذين إذا رؤوا ذُكر الله وشر عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت**». ولقد كان الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان أشد الناس بعداً عن الغيبة والنميمة ومثل هذه الأمور، بل كانوا يحترزون من اللسان أشد الاحتراز، يقول ابن يزيد: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما آخذاً بلسانه وهو يقول: ويحك قُلْ خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلم وإلَّا فاعلم أنك ستندم.

ودخل رجل على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فذكر له عن رجل شيئاً فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليها أبداً.

فاتقوا الله عباد الله، وتوبوا إليه واستغفروه وجنبوا أنفسكم سوء الظن بالمسلمين والتجسس عليهم والغيبة والنميمة فيهم تسلموا وتربحوا وتفلحوا ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴾ [المعارج: ٨-١٠]، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه**».

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

نسأل الله أن يجعل ألسنتنا رطبة بذكره ونفوسنا سامعة مطيعة لأمره، وجوارحنا ساعية في خدمته، وأن يجعلنا من عباده الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

❋ ❋ ❋

«الدين النصيحة»

الحمد لله الذي حثنا على مكارم الأخلاق، وأمرنا أن نعامل الناس بالنصح واللين، وأن ندعو غيرنا إلى هذا الدين القويم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع لعباده من النظم ما يكفل لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، والهادي إلى صراط الله المستقيم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. **أما بعـد:**

إخوة الإسلام والإيمان:

اعلموا وفَّقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أن النصيحة خلق من أخلاق القرآن العظيم، وجانب مهم من هدي النبي الكريم، وهي ضرورة محتمة على المسلمين، تحتمها الأخوة الصادقة بين المؤمنين، حيث من شأن المؤمن أنه يحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه كما ورد في الحديث المتفق عليه، ولذلك ترى المؤمن ناصحاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يشيع الحب والتعاون على البر والتقوى انطلاقاً من تعاليم دينه القويم، ففي الحديث عن .. ابن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم**» وهذا الحديث رواه الإمام مسلم، وهو حديث له شأن عظيم، يبين لنا فيه الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن النصيحة مرادفة للدين، وهي من أحب العبادة إلى الله رب العالمين، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي**» هذا

ومما يستدل به على صدق إسلام المسلم عنايته بنصيحة المسلمين واهتمامه بأمورهم، والشاهد ما رواه الإمام مسلم عن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**». والنصيحة أيها الأحبة في الله هي حب أداء الخير للمنصوح له، فحبك الخير لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم هو النصح لهم، والنصيحة لله تعالى تعني صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه تعني الإيمان به والعمل بما فيه والدعوة إليه، وأما النصيحة لرسوله ﷺ فهي التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به وفيما نهى عنه، والإرشاد إلى اتباعه وعدم مخالفته، والنصيحة لعامة المسلمين هي إرشادهم إلى مصالحهم، وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي تعني بالضرورة إعانتهم على الحق وفعل الخير وطاعتهم في غير معصية الله وتذكيرهم بحوائج العباد، وأئمة المسلمين هم قادتهم في تنظيم شؤون الحياة لهم، والقائمون بأعباء الرسالة الإسلامية ونشرها بين الناس، فتشمل الملوك والأمراء والحكام والرؤساء والعلماء، والنصيحة لهؤلاء من أرضى الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، ففي الحديث: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم..**» فينبغي أن تكون النصيحة لهؤلاء بالحكمة ولين الجانب وتخير الأسلوب المناسب لتحقق النصيحة مرادها وتؤتي ثمارها، ولسلفنا الصالح في ذلك آثار كثيرة منها أن الإمام الأوزاعي دخل على المنصور وكان شديد الهيبة فقال له: عظني. فقال له: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله هو الحق المبين، ومن كره الحق فقد كره الله، يا أمير المؤمنين: إن الملك لا يدوم لمخلوق، وإنما الملك لله وحده، ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك، يا أمير المؤمنين إن رسول الله دعا بالقصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً وهو غير متعمد فقال الأعرابي بأبي أنت وأمي قد أحللتك وما كنت لأفعل ذلك لك أبداً يا رسول الله، يا أمير المؤمنين إن خير الكرم عند الله التقوى، ومن طلب العزة بتقوى الله وطاعته رفعه الله وأعزه، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذله. فلما انتهى من موعظته أمر له

المنصور بمال، فاعتذر واستعفى من قبوله وقال: يا أمير المؤمنين ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا فأُحْرَم ثوابَها وأُقلِّل من نفعها، وما دام أمير المؤمنين قائماً فينا بالعدل فنحن في خير الله ثم في خيره.

وحين دخل واعظ على المأمون بن الرشيد ليعظه فعنف له في الموعظة، قال له المأمون: ارفق يا رجل، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٤] يعني نبي الله موسى وأخاه هارون لما بعثهما إلى فرعون، فشتَّان ما بين الناصحين وما بين الأَثَرين.

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**ما كان الرفق في شيء إلَّا زانه وما كان العنف في شيء إلَّا شانه**».

وتكون النصيحة واجبة إذا استنصح المسلم أخاه المسلم لقوله ﷺ: «**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**» فواجب عليك أخي المسلم إذا طلب أخوك منك النصح أن تخلص له وأن ترشده إلى الخير، وأن تحب ذلك له وأن تكون أميناً في نصحك ولا تخدعه ولا تغشه ولا تنصحه بما لا تعلم، وهذا حق أخيك عليك، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم ست، فذكر منها: وإذا استنصحك فانصح له**» أي إذا استشارك في عمل من الأعمال هل يعمله أم لا فانصح له بما تحبه لنفسك، فإن كان العمل نافعاً من كل وجه فحثه على فعله، وإن كان مضراً فحذره منه، وإن احتوى على نفع وضرر فاشرح له ذلك، ووازن بين المصالح والمفاسد، كذلك إذا شاورك على معاملة أحد من الناس أو تزويجه أو التزوج منه فابذل محض نصيحتك، واعمل له من الرأي ما تعمله لنفسك، وإياك أن تغشه في شيء من ذلك فمن غش المسلمين فليس منهم كما قال الحبيب المصطفى.

وينبغي أن تكون النصيحة برفق ولين تأسياً برسول الله ﷺ فلقد روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

هذا هو أعرابي يدخل مسجد رسول الله ﷺ ويقف ويتبول ظناً منه أن المسجد كبقية الأماكن ليس هناك ما يمنع من التبول فيه أو قضاء الحاجة، وليس له من عذر إلا أنه جاهل بحرمة المكان، ويرى أصحاب رسول الله هذا المنظر المؤذي، منظر العرابي يتبول في المسجد فيسرعون نحوه يريدون ضربه وتأديبه لأنه أساء إلى حرمة بيت الله، ويأمرهم الرسول الرحيم بالكف عنه وعدم إيذائه أو ضربه، لأن الجاهل ينبغي أن يعلم لا أن يضرب، لأن الضرب ينفر ولا يؤدب، والرسول الكريم ﷺ يقول: «**بشِّروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**» يأمرهم الرسول بعدم التعرض له، ويكلفهم أن يريقوا على بوله دلواً من ماء تطهيراً للمكان من النجاسة، ثم يدعو الأعرابي فيعلمه ويرشده إلى أن هذا بيت من بيوت الله عز وجل ولا يليق بالمسلم أن يحدث فيه أذى أو يعرضه لنجاسة، ويتلطف معه عليه الصلاة والسلام حتى يشعر الأعرابي من نفسه بخطئه، ويندم على عمله ويطلب من الرسول الكريم العفو والسماح، وهنا يقبل الرسول ﷺ على أصحابه مرشداً لهم إلى طريق الرفق في الدعوة واللطف في المعاملة قائلاً لهم: «**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**».

فانظروا أيها الأحبة إلى هذا الشعور الطيب الذي انعكس على هذا الأعرابي من جراء تيسير النصح له من قبل النبي أن انصرف هذا الأعرابي وهو يقول: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا. فيبتسم النبي ويقول له: يا أعرابي لقد حجرت واسعاً. فالنصيحة عندما تكون بالرفق واللين تكون أجدى بالقبول من المنصوح، وتحقق ثمارها، وينبغي أن تكون النصيحة في السر، قال الإمام الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه، ومن وعظه علانيةً فقد فضحه وشانه. وأنشد رحمه الله قائلاً:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعه

فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تُعط طاعه

وقول سيدنا الرسول في الحديث: «**الدِّين النصيحة**» يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة.

ويقول عمر رضي الله عنه راوي الحديث: ثم قال لي -أي رسول الله ﷺ- يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

فمتى قام المجتمع المسلم على أساس النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بالحكمة والموعظة الحسنة عاش عيشةً راضية حميدة، وسعيدة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التحذير من الفواحش

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمانة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.

اللَّهمَّ صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] أما بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد أنعم الله تعالى علينا بنعم كثيرة محسوسة وملموسة كشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه، ونسأله من فضله دوام هذه النعم وعدم زوالها، ولا ريب أنه مما ينبغي علينا ليديم الله تعالى لنا هذه النعم ويجنبنا البلاء والنقم أن نداوم على طاعة الله عز وجل، ونتجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونبتعد عن المعاصي بكل صورها، ما صغر منها وما عظم، لأنها هي التي تحل سخط الله على مرتكبيها وتجلب على العباد والبلاد البلايا والنكبات.

والمعاصي تنبثق من مخالفة أمر الله عز وجل، والغفلة عن الآخرة، والانشغال بالدنيا والإعراض عن ذكر الله سبحانه، والحق جل شأنه يقول: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

ومن ثَمَّ فإن الذنوب والمعاصي من أخطر أعداء الإنسان لأنها سبب كل شقاء

وبلاء، فلو تفكرنا مثلاً ما الذي أخرج إبليس من الجنة وطرده من رحمة الله، وكان قبل ذلك عابداً يعبد الله مع الملائكة؟ إنها المعصية والاستكبار وعدم امتثال أمر الله سبحانه . وما الذي أغرق فرعون وجنوده؟ إنها المعصية والاستكبار وعدم امتثال أمر الله سبحانه. وما الذي أهلك قوم عاد وثمود؟ إنها المعصية والاستكبار وعدم امتثال أمر الله سبحانه . وما الذي أهلك قوم لوط؟ إنها الفاحشة والعياذ بالله. وما الذي خسف بقارون وبداره الأرض؟ إنها المعصية والغرور والتغاضي عن يوم العرض والنشور.

يقول الله سبحانه مخبراً عن سبب هلاك هذه الأمم: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٠].

نعم والله يا إخوة الإسلام، فليس هناك ما يستنزل رحمة الله وبركته على العباد مثل طاعته، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وليس هناك ما يستوجب غضبه ونقمته مثل معصيته، وبيان ذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[النحل: ١١٢].

وتلك سنة الله نلمسها على مر الزمن، حيث يعاقب الله العصاة بالنكبات تجتاحهم، وبالشدائد تستأصلهم، وإن أمهلهم فلن يهملهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

ولقد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وحرم المعاصي في شتى صورها، وأمر رسوله ﷺ أن يبلغ ذلك فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وفي الحديث: «**اتقِ الله تكن أعبد الناس**».

وحذر النبي ﷺ من شؤم المعاصي وسوء عاقبتها، وذلك فيما رواه ابن حبان والحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلَّا فشى فيها الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله –أي يطلبوا الخير مما أنزل الله تعالى على رسوله– إلَّا جعل بأسهم بينهم**».

فتدبر يا أخ الإسلام هذا الحديث العظيم، وانظر إلى حال المسلمين وتفكر، ومن ثم فسترى كأن النبي ﷺ يجسد حال الأمة وما آلت إليه كما لو كان بين أظهرنا الآن.

أظهرنا الفاحشة في كثير من البلدان، فظهرت الأمراض والأوجاع التي ما سمعنا بها قط في أسلافنا، كالسرطان والإيدز وغيرها من الأمراض، وأنقصنا الميزان فأخذنا في كثير من البلدان بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ونقضنا عهد الله وعهد رسوله ﷺ ببعدنا عن مصدر عزنا وشرفنا فسلط الله علينا عدواً من غيرنا وطمع فينا الضعيف قبل القوي، والذليل قبل العزيز والقاصي قبل الداني، وسُلبت أرضنا وضاع قدسنا وراح شرفنا وأصبحنا نتصرف في قضايانا من موقع الذلة لا من موقع العزة، وعلى عكس ما كان عليه سلفنا ولا حول ولا قوة إلا بالله، نحينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن الكثير من جوانب حياتنا، واستبدلنا رحيقاً مختوماً من عند ربنا بحريق محرق من الشرق أو الغرب أو من عند أنفسنا فاشتد البأس بيننا في كثير من البلاد والأقطار، وتحقق فينا قول نبينا المختار فرانت على قلوبنا الذنوب، وصدق علام الغيوب إذ يقول في أثر المعاصي على القلوب: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] يقول الحسن

البصري في تأويل ذلك: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت. والعياذ بالله. ومن ثَمَّ فواجب أهل الحق من المصلحين الصادقين أن ينذروا ويحذروا أهل الفساد والواقعين في حدود الله، وأن يأخذوا على أيديهم، ولا يتركوهم حتى تغرق السفينة بالجميع، فنحن جميعاً ركاب سفينة واحدة إن نجت نجونا، وإن هلكت هلكنا جميعاً، وقد أحسن النبي ﷺ في تبيان هذه الحقيقة في الحديث الذي رواه البخاري عن النعمان بن بشير حيث قال: «**مثل الواقع في حدود الله والقائم فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استسقوا مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**».

وروى الإمام أحمد في المسند وأبو داود في السنن أن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة**».

ومن هنا فواجب على أهل الحق المصلحين أن يأخذوا على أيدي الواقعين في حدود الله ولا يتركوهم حتى لا تغرق السفينة بالجميع.

وعلينا جميع معشر المسلمين أن نعود إلى الله، وأن نستقيم على طاعته، وأن نبتعد عن معاصيه، لأن البعد عن المعاصي سبب من أسباب رغد العيش، وانشراح الصدر، وحسن الخاتمة، ولا سعادة للبشرية عامة وللمسلمين خاصة إلا بالعودة إلى منهج الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يفسده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

نسأل الله أن يرزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيماً وملكاً عظيماً.

وأن يختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة أجمعين

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الأعمال بالخواتيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمانة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك. اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان. أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى، والآجال تفنى، وما عند الله خير وأبقى، فالشهور والأعوام والليالي والأيام مواقيت للأعمال، ومقادير للآجال، تنقضي جميعاً وتمضي سريعاً، والليل والنهار يتعاقبان لا يفترقان، مطيتان تقربان كل بعيد، وتدنيان كل غريب، والسعيد لا يركن إلى الأماني ولا يغتر بالدنيا، فكم من مُسْتَقْبِل يوماً لا يستكمله، وكم من مؤمل لغد لا يدركه: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

والله تبارك وتعالى يحث عباده على المسارعة إلى الخيرات، فيقول جل شأنه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ويحثهم على مبادرة الأوقات، فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]. وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يعظ رجلاً ويقول له: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك،**

وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»، وما أعظمها من موعظة جمعت فأوعت ودلت على أسباب الخير والفلاح، فالأيام تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تبلى، والسعيد من طال عمره وحسن عمله، والشقي من طال عمره وساء عمله، فعن أبي بكر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «**من طال عمره وحسن عمله**، قال: فأيُّ الناس شر؟ **قال: من طال عمره وساء عمله**».

فأحسنوا عملكم يا عباد الله وكونوا من أبناء الاخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، والأعمال بالخواتيم، نسأل الله تعالى أن يثبت على الإيمان قلوبنا، وأن يحسن ختامنا، فالنبي ﷺ يقول فيما رواه مسلم: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»، وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قالوا: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه بعمل صالح قبل موته**».

فمن حسن الخاتمة توفيق الله للعبد قبل الموت للتوبة من الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات والاستقامة عليها، فيكون موته بعد ذلك على هذه الحال موتاً على الإيمان، وتبشره ملائكة الرحمة ويختم له بحسن الختام، فالحق تبارك وتعالى يقول في محكم القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصِّلت: ٣٠-٣١]، ففي هذه اللحظات والكربات تنزل عليهم عند الموت الملائكة، أي على هؤلاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتبشرهم بفضل الله عليهم وكرامة الله لهم بحسن الختام والنعيم في الجنان. وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: «**تحضر الملائكة** -أي عند الموت- **فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة** -إذا كانت في الجسد الطيب- **اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج**».

وهنا يستبشر العبد المؤمن فيشتاق إلى لقاء الله عز وجل، ففي الحديث الذي

رواه البخاري في كتاب الرفاق ومسلم في كتاب الذكر والدعاء وهذا لفظ مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، قال: **ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه**».

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم -يعني قرناءكم- في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس فيكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور. أسأل الله لي ولكم الاستقامة وحسن الختام.

أيها الإخوة الكرام:

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي: وأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد على لا إله إلا الله. كما فسر أبو بكر ﷺ وغيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره سبحانه، فمتى استقام القلب على معرفة الله وطاعته وخشيته وإجلاله ومهابته ومحبته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعة الله، لن القلب هو ملك الأعضاء وهي جنوده فإذا استقام القلب على لا إله إلا الله استقامت جنوده ورعاياه، كما قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

وهذا هو التوحيد الكامل الذي يغفر الله معه كل ذنب وتحسن به خاتمة العبد، فهو الأكسير الأعظم الذي لو وضعت منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لأذابتها، بل وبدلتها حسنات، لأن للتوحيد نوراً يبدد ظلام الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور، وهذا هو السر الأعظم الذي ثقل بطاقة الرجل وطاشت من

أجله السجلات في ساعة العرض على رب الأرض والسماوات، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله ففي الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتَبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها شهادة (لا إله إلَّا الله محمد رسول الله)، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فإنه لا يثقل مع اسم الله تبارك وتعالى شيء**».

والسر هو كمال التوحيد يا عباد الله، والعمل بمقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فيه يحسن ختام العبد في دنياه وينال في الآخرة مغفرة الله ورضاه، والشاهد ما رواه مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «**سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**».

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنَّةَ يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا ﷺ** : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦]».

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإيمان والاستقامة وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يدخلنا الجنة ولا يحرمنا الزيادة.

الرّحمـة

الحمد لله الذي ليس لفضله حدٌّ، ولا لنعمه عدٌّ، والذي سبق حلمُهُ غضبَه، ووسعت رحمتُهُ خَلْقَه ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شريك له الملك البَرُّ الرحيم، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، صلَّى وسَلَّم وبَارَك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

عباد الله:

أوصيكم وإيَّاي بتقوى الله، فاتقوه حقَّ التقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنجوى، واذكروا وقوفكم بين يديه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] واعلموا رحمكم الله أن من أعظم من تصبو إليه المقاصد وتتحقق به على طريق الخير المطالب، أن يتصف الإنسان بصفة من أجل الصفات المندوبة والخصال المثوبة، ألا وهي صفة الرحمة. فهذه الصفة لعظم شرفها وصف الله نفسه بها على وجه الكمال والجلال فقال جلَّ وعلا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣] وقال سبحانه: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والرحمة أيها الأحبة الكرام خُلُقٌ يدل على نُبْل الطَّبْع وسمو الرُّوح ونقاء المعدن، وهي عند الخلق رقة ولطف، وشفقة وحنان وعطف، بل هي مشاعر فيَّاضة تعمر القلب الرحيم، وعواطف جياشة تسكن الفؤاد الكريم. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة**

وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه». ومن أعظم من تمثل بهذه الرحمة بفضل من الله تبارك وتعالى هو نبينا المصطفى ﷺ فإنه ما بعث إلَّا لتحقيقها في الخلق، ومن ثَمَّ أقامها على أكمل وجوه الحق تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي الحديث: «**إنما أنا رحمةٌ**».

ولو قرأنا وتأمّلنا إخوة الإسلام سيرة الرسول ﷺ لوجدنا الرحمة سمة بارزة في حياته ومعاملاته، ومن ذلك رحمته ﷺ بالأطفال، يقول أنس بن مالك فيما رواه مسلم: «**ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ**». وعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله في إحدى صلاتي العشاء وهو يحمل حَسَناً أو حُسَيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر وصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا بالصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: **كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**. وقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»، ولم تكن هذه الرحمة خاصة بأهل بيته بل بكل الأطفال عامة، ولم تقتصر رحمته ﷺ على الإنسان بل شمل كذلك برحمته الطير والحيوان، ليبين جانب الرحمة في هذا الدين العظيم والتشريع الخالد الحكيم، ومن الشواهد ما روي عن عبد الله بن جعفر أنه قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ ذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح مما ذرفتاه فسكت، فقال: **من رَبُّ هذا الجمل؟** فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله إياها؟ فإنه شكا لي أن تجيعه**».

والمسلم مدعو إلى أن يقتدي برسول الله ﷺ في أخلاقه وصفاته وسائر معاملاته، فقد بعثه الله تعالى ليسمو بالبشر في أخلاقهم ومعاملاتهم إلى درجات

من الكمال، واختاره ليكون المثل الحي لكل مسلم، فملأ قلبه رأفة ورحمة وبهذه الرحمة استطاع أن يستميل قلوب الناس وينشر دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد تعدَّت رحمته ﷺ وفاضت حتى شملت الأعداء الذين نال على أيديهم ألواناً من الاضطهاد والإيذاء، ومن الشواهد ما رواه البخاري وغيره أنه ﷺ حين عودته من الطائف وقد لقي من الإيذاء ما لقي فيقول عليه الصلاة والسلام فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلَّا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني وسلَّم عليَّ ثم قال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: «**أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له**»، فقال الملك: صدق من سماك الرؤوف الرحيم.

فبهذه الرحمة والشفقة عَامَلَ الرسول الرحيم خصومه وأعداءه كما عامل أصحابه وأهله؛ ليرسم للأمة منهج الرحمة في التعامل مع الخلق كافة بروح الإسلام الحنيف. ولكنْ اعلم أنَّ أحقَّ الناس بالرحمة هم والداك، فأنت مأمور أن تعاملهم بمنتهى الرحمة واللِّين، وكذلك الدعاء لهم بأن يرحمهم الله، قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

واعلم يا أخ الإسلام أن حق الناس برحمتك بعد والديك هم بناتك وأبناؤك ونساؤك وسائر الأقربين وعموم الضعفاء والفقراء والمساكين، ومن ولَّاك الله أمرهم. واعلم أن من الرحمة أيضاً إطعامُ الطعام والسَّعي على الأرامل والأيتام وإطعامهم وإكرامهم، وفي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**السَّاعي على**

الأرملة واليتيم كالصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر»، وفي الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة دخلت عليها ومعها صبيتان فاستطعمتها إحدى البنتين فردتها إلى ابنتها من فمها وأطعمتها فعجبت عائشة من صنعها فلما دخل رسول الله ﷺ أخبرته فقال: **أتعجبين مما فعلت؟ إن الله حرمها على النار بتمرتها تلك**. كما ثبت في الصحيح أن امرأة بَغِيّاً رأت كلباً في يوم حار يطوف ببئر وقد اندلع لسانه من شدة العطش، فنزعت خُفَّها ونزلت البئر وملأته ماءً وسقته فغفر الله لها.

فما أعظم رحمة الله يا عباد الله، وما أعظم أثر الرحمة في الخلق، فبِشَـرْبة ماء لكلب غفر الله ذنبها وستر عليها وأدخلها الجنة، وصدق سيدنا الرسول ﷺ إذ يقول فيما رواه الترمذي: «**الرَّاحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**».

فلنتأسَّ يا عباد الله بنبينا محمد ﷺ ولنكن رحماء فيما بيننا لننال سعادة الدنيا والآخرة ونحظى برحمة الله، ونسأل الله أن يجعلنا من عباده المتراحمين المرحومين وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

التيسير والتحذير من الكفر

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمْران: ١٠٢].

إخوة الإســلام والإيمان:

إن الله جلت قدرته وعلا سلطانه من على هذه الأمة بأن جعلها أمةً وسطاً، أي أمة العدل والإجابة، وشرفها بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فالوسطية في هذه الأمة سِمَةٌ لازمة لمن استنار بهدي الحبيب المصطفى ﷺ، وشرفه الله تعالى بالانتساب إلى هذا الدين السمح الكامل العظيم، الذي أكمله الله تبارك وتعالى وتوج به الأديان، وقال عنه في محكم القرآن: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ومما يدل على سماحة شريعة الإسلام وكمالها أنها مبنية على الاعتدال والتيسير والرحمة في أصولها وفروعها، وفي المر بأداء الحقوق إلى أهلها، سواء كانت حقوقاً لله عز وجل، أو حقوقاً لعباده، فالله عز وجل لم يكلف نفساً إلا وسعها، وما جعل على أحد في الدين من حرج، وقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وبذلك تميز الإسلام عن سائر الأديان من حيث الكمال والاعتدال والسماحة والتيسير، ورفع الحرج والمشقة عن كاهل الناس، وهذا يحسه ويلمسه من تفقَّه في هذا الدين العظيم، ووقف على حقيقته بفقه ونزاهة وإنصاف.

فما أعظم الإسلام، وما أيسره وأرحمه من منهج حياة للإنسان، فالقرآن ميسر للذكر، والعقيدة ميسرة للفهم، والشريعة بتكاليفها ميسرة للتنفيذ والتطبيق، وليس فيها شيء على الإطلاق يتجاوز طاقة المكلفين بها، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة في أكثر من آية، انظروا رحمكم الله إلى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦] وإلى قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: ٧].

كما علَّم القرآن الكريم المؤمنين أن يدعوا ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وفي الصحيح أن الله تعالى استجاب لهم دعاءهم.

والمتأمل في كتاب الله تعالى يرى أن الله سبحانه يأمر بالخير لتحقيق السعادة لبني آدم، وينهى عن الشر بكل أشكاله، وعن الفاحشة بكل صورها، لما لها من ضرر على الإنسان في الدنيا والآخرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠].

وحذَّر سبحانه وتعالى من الإفساد في الأرض بجميع صوره وأشكاله، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ولا شك أيها الإخوة الكرام أن من أعظم أنواع الإفساد وأشده ضرراً المغالاة في الدين، والحكم بالكفر على بعض المسلمين، فالتكفير فتنة عظيمة، أتت على الأمة بكثير من الشر والبلاء، وقد حذرنا الرسول ﷺ من الوقوع في هذه الفتنة

النكراء، من ذلك ما ورد في الصحيحين عن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ردت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك**». ولهذا ينبغي على المسلم أن يتقي الله تعالى ويحذر من هذه الفتنة، التي فشت في هذا الزمان، ففي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو الذي ما من شيء يباعدنا عن الجنة ويقربنا من النار إلا حذرنا منه، يقول ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»، فمتى أطلق الكفر على جماعة أو فرد فهذا يعني أنه مرتد عن الإسلام حلال الدم والمال. ولذلك عُني العلماء سَلَفاً وخَلَفاً ببيان هذه الفتنة والتحذير من خطرها العظيم، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر أمر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلَّا ببرهان أوضح من شمس النهار.

فالذين يتجرؤون على تكفير بعض العلماء أو الأفراد بشبهة لا دليل عليها مؤولين بعض النصوص الشرعية على حسب أهوائهم لتؤيد رأيهم وانتصاراً لمذهبهم إنما يرتكبون إثماً عظيماً لمخالفتهم لشريعة الله تعالى وما أنزله على رسوله، فالسنة النبوية حافلة بالأحاديث الكثيرة التي تدل على أنه من رمى أخاه بالكفر يكفر هو حقيقة إن لم يكن من رمي بالكفر كذلك، فلو كان ثمة تسعة وتسعون دليلاً على كفر أحد، ودليل واحد على إسلامه ينبغي للمفتي أن يعمل بذلك الواحد، لأن خطأه في عفوه خير من خطئه في حده وقصاصه، وذلك من منطلق القاعدة الشرعية التي أوصانا بها رسول الله ﷺ في قوله: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**».

وقد نهى النبي ﷺ عن قتل من نطق بالشهادتين، وليس أدل على ذلك من موقفه ﷺ من أسامة وهو الحِبُّ ابن الحِبِّ حين ضرب الرجل بسيفه فقتله بعد أن نطق بالشهادتين، فما أشد غضب رسول الله عليه وهو يقول: «**أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ قال: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السيف، فقال له النبي ﷺ: فهلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك؟**».

فالكفر أمر باطني لا يعلمه إلا الله، والحكم به على واحد من المسلمين من أخطر الأمور، والحكم به على الكثير منهم أشد خطراً وأعظم فساداً وشراً، ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَعْنُ المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله**»، فاتقوا الله عباد الله، وإياكم والوقوع في مزالق التكفير. نسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الوسطية في الإسلام

الحمد لله الذي جعل أمة الإسلام أمة وَسَطاً بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شريك له الملك كلُّه وله الأمر كلُّه، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين والقائل: «**خير الأمور أوسطها**»، صلَّى وسَلَّم وبَارَك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فمفهوم الوسطية في الإسلام يشمل حياة المسلم كلها في عقيدته وعبادته ومعاملاته ونمط حياته مع أسرته وعلاقته بغيره.

ففي العقيدة الإسلامية لا تعارض بين الوحي والعقل السليم، وفي الشريعة السمحة نرى الاعتدال جلياً في أحكامها وتعاليمها ومقاصدها، فهي بما تعرضه على المكلفين من أوامر ومعاملات لا يريد الله تعالى بذلك الإثقال عليهم أو إرهاقهم أو حرمانهم، بل يريد سبحانه إصلاحهم في معاشهم ومعادهم، وقد روى البخاري أن النبي ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال لها: ما ساءك؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء، ليست له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم: فقال: نَمْ فنام، ثم ذهب فقال: نَمْ، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصلِّ، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر له فقال: **صدق سلمان**. فحرمان النفس مما أحل الله لها من الطيبات خروج عن منهج الاعتدال الذي هو سمات الإسلام، وقليل دائم خيرٌ من كثير منقطع، لذلك جعل الله شريعته السمحة سهلة ميسورة، لتبقى دوماً محببة إلى القلوب المؤمنة، كما قال النبي ﷺ فيما رواه البزار عن جابر ﵁ : «**إن هذا الدين**

متين فأوغل فيه برفق»، وقال ﷺ: «**هلك المتنطِّعون**».

إخوة الإسـلام والإيمان:

إن الإسلام في كل تعاليمه ينشد التوازن بين طاقات الإنسان العقلية والوجدانية والجسمية والروحانية حتى لا تطغى طاقة على أخرى فتطمسها. وإنَّ أنجح طريقة لإصلاح الإنسان أن يأخذ بعين الاعتبار جميع ما ركب الله فيه من طاقات مختلفة حتى لا يكون إهمال طاقة منها عائقاً عن بلوغ الهدف المنشود، لأن ذلك من واقعية الإسلام، بل من مثاليته في اعتداله وتوازنه ووسطيته التي مدحت بها الأمة الإسلامية، فقد أجمع الشيخان عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، قالوا: فأنَّى نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**. وهكذا فإن دعوة التشديد في الإسلام دعوة مردودة لأنها تخالف طبيعته ومقصده، فهو دين وسط، ولن يشادَّ أحد الدين إلَّا غلبه، فسددوا وقاربوا كما أوصانا بذلك رسول الله ﷺ، القائل فيما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ: «**إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**».

أيها الإخوة المسلمون:

لقد أشار الله تعالى إلى يسر هذا الدين في عديد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨] وكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومن وسطية الإسلام وتيسيره ما نادى به النبي ﷺ في قوله: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه**».

ومن وسطية الإسلام وتيسيره قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ

لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]. ومن وسطية الإسلام وتيسيره ما ورد عنه ﷺ أنه رأى رجلاً يمشي إلى بيت الله الحرام، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: **إنَّ الله عن تعذيب هذا نفسه لغنيّ**، وأمره أن يركب. وروى مسلم عن جابر بن سمرة ﵁ أنه قال: كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً، وكان النبي ﷺ يقول: «**إنّ خير دينكم أيسره**».

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في الدين وأن يجعلنا من الصالحين وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❊ ❊ ❊

إنما بعثتم ميسِّرين

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قوياً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، والهادي إلى صراط الله المستقيم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إخوة الإسـلام والإيمان:

لقد أنزل الله تعالى شريعة الإسلام خاتمة الشرائع للناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، للذكر والأنثى، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والصحيح والمريض، ومن أجل هذا جاءت ميسورة الفهم سهلة التطبيق، تسع الناس أجمعين، ويطبقها كل المكلفين، فالتيسير مقصد من مقاصد هذا الدين، وصفةٌ عامة للشريعة في أحكامها ومعاملاتها وسائر شؤونها، ولذلك كان رسول الله ﷺ يحب ما خف على الناس، وهذا من هديه ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد عن عائشة: «**وما خُيِّرَ ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً**»، وقد أمر بالتيسير في المهور فقال: «**إن أعظم النساء بركةً أيسرهن صداقاً**»، وهذا مما يدل على سماحة الشريعة الإسلامية وكمالها، لأنها بنيت على الوسطية يعني على الاعتدال والتيسير في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق إلى أهلها سواء كانت حقوقاً لله سبحانه أو حقوقاً لعباده، فالله سبحانه وتعالى لم يكلف نفساً إلا وسعها وما جعل على أحد في الدين من حرج، وقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي الصحيح:

«**إنّ الدين يُسْر ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**».

وبذلك أيها الإخوة الكرام تميز الإسلام عن سائر الأديان من حيث الكمال والاعتدال والتيسير ودفع الحرج والمشقة عن كاهل الناس، وهذا يحسه ويلمسه من تفقه في هذا الدين العظيم، ووقف على حقيقته بفقه ونزاهة وإنصاف.

فالقرآن وهو الدستور العام مُيَسَّرٌ للذِّكر، والعقيدة مُيَسَّرةٌ للفهم، والشريعة بتكاليفها مُيَسَّرةٌ للتنفيذ والتطبيق، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة في أكثر من آية، انظروا رحمكم الله إلى قوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وإلى قوله سبحانه: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا** ﴾ [الطلاق: ٧].

كما علم القرآن الكريم المؤمنين أن يدعو ربهم قائلين: ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن القواعد الكلية في الشريعة الإسلامية أن المشقة تجلب التيسير، والحرج مرفوع والضرر يزال فمثلاً المرض والسفر يؤجلان الصيام إلى أيام أخر، والصلاة الرباعية يجوز قصرها في السفر المباح إلى النصف، بل الأفضل للمسافر أن يقصر لأن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، لأن مفهوم الوسطية في الإسلام يشمل حياة المسلم كلها في عقيدته وفي عبادته وفي معاملاته، بل في نمط حياته كعلاقته مع أسرته ومع غيره، ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري أن النبي ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال لها: ما ساءك؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء، ليست له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم: فقال: نم فنام، ثم ذهب فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصلِّ، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر له فقال: صدق سلمان.

أيها الإخوة الكرام:

إن الإسلام في كل تعاليمه ينشد التوازن بين طاقات الإنسان العقلية والوجدانية والروحانية حتى لا تطغى طاقة على أخرى فتطمسها، ومن الشواهد على ذلك ما رواه الشيخان عن أنس ﵁ أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، قالوا: فأنَّى نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.**

فلهذا أيها الأحبة الكرام بيّن النبي عليه الصلاة والسلام أن دعوة التشديد في الإسلام دعوة مرفوضة لأنها تخالف منهجه ومقصده، فهو دين وسط، ولن يشاد أحد الدين إلَّا غلبه، فسددوا وقاربوا رحمكم الله كما أوصاكم بذلك رسول الله ﷺ، وما نهيتم عنه فانتهوا، وما أمرتم به فأتوا به ما استطعتم، ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، وهذه هي الوسطية التي بعث بها خير البرية محمد ﷺ، وإن ما يصدر من البعض من تشدد وتزمت في الدين إنما سببه قلة الفقه في الدين، والجهل بمقاصد الشرع الحكيم.

إخوة الإسلام:

روى البراء عن جابر عن النبي ﷺ: «**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبتَّ لا أرض قطع ولا ظهر أبقى**». نسأل الله تعالى أن يجعلنا بنبينا مقتدين وبهديه مهتدين، وأن يجعلنا ميسرين لا معسرين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

آداب السفر

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه إلى يوم البعث والنشور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] أما بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد أنعم الله علينا بنعم كثيرة محسوسة وملموسة، نشكره سبحانه وتعالى على نعمه، ونسأله من فضله دوام هذه النعم وعدم زوالها، ولا ريب أيها الإخوة الكرام أنه مما ينبغي علينا ليديم الله لنا هذه النعم ويجنبنا البلايا والنقم، أن نداوم على طاعة الله عز وجل، ونتجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، في الحضر وفي السفر، ونبتعد عن المعاصي بكل صورها ما صغُر منها وما عظُم، لأنها هي التي تحل سخط الله على مرتكبيها، وتجلب على البلاد والعباد البلايا والنكبات، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة كما في الحديث عن النبي ﷺ.

ومن فضل الله تعالى على العباد أنَّ الإسلام ما ترك أمراً من أمور الدنيا والآخرة إلا وله في توجيه كريم، ليكون المسلم في كل أموره وسلوكه منضبطاً ومرتبطاً بما شرعه له الدين من منهج قويم، ومن هذه الأمور أيها الإخوة الكرام ما شرع في الإسلام من آداب وأحكام للسفر والضرب في أرض الله.

فمن شروط السفر في الإسلام أن يكون في طاعة الله، وذلك في صور عديدة، منها السفر إلى حج بيت الله الحرام، وأداء العمرة، والسفر لطلب الرزق

والتجارة، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

ومنها السفر لطلب العلم، ومنها السفر للعلاج، ومنها السفر لصلة الأرحام ولزيارة الإخوان في الله، وهذا مما يحبه الله تعالى ويرضى به عن عبده كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على طريقه ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة عليه؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك أن الله تعالى أحبك كما أحببته فيه.

وكذلك السفر للنزهة وللعظة والعبرة، لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢] حتى يدرك العبد ويتأمل عجيب صنع ربه وعظمة قدرته في أرضه وفي خلقه سبحانه وتعالى، يقول الثعالبي: من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علماً بقدرة الله تعالى، ويدعوه شكراً على نعمه. فهذه الأسفار كلها في طاعة الله، وفيها يقول القائل:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلا وســـــافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج همٍّ واكتســــــاب معيشةٍ وعلم وأدب وصحبة ماجــــــد

أما إذا كان السفر في غير طاعة الله كالذي يسافر لمعصية يقترفها في غير وطنه بعيداً عن الأعين، فهذا السفر ذميم، وصاحبه آثم، ويحيط به غضب الله من كل جانب، فليتقي هذا العبد ربه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥] وليعلم كل إنسان أن الله معه حيثما كان، وهو أقرب إليه من نفسه، وسيحاسبه على عمله، ومن ثَمَّ فعلينا إخوة الإسلام أن ننظر في سفرنا هل هو في طاعة؟ أم خلاف ذلك؟ قبل الخروج من البيت، وأن تكون هناك رغبة للسفر فيما يحبه ربنا ويرضاه، لعل مسافراً يخرج من بيته فيلقى بهذه فيها الأجل، ولعل السفر يكون في مجال الإنعاش، وحسبنا في هذا

المقام قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد والطبراني في الأوسط بسند جيد عن أبي هريرة ﷺ: «**ما من خارج يخرج من بيته إلَّا بيده رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج كما يحب الله عز وجل أتبعه الملك برايته حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله عز وجلَّ أتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**» وهذا والعياذ بالله هو الخسران.

وللسفر أيها الأحبة الكرام آداب: منها الاستخارة والاستشارة، فقد كان النبي ﷺ يعلم المسلمين الاستخارة في الأمور كلها، فإذا استقر عزم المسافر على السفر بعد الاستشارة والاستخارة، فَلْيُوْصِ بما يحتاج إلى الوصية به، ويستحلَّ كل من بينه وبينه معاملة، ويستوصي والديه ومن له يد عليه، ويتوب إلى الله ويستغفره من جميع الذنوب، ويتوجه إلى الله تعالى بقلبه عازماً على الطاعة في حله وسفره، ولا يفوته التوسعة على العيال وإدخال السرور عليهم، وأن يرد الودائع والأمانات إلى أهلها إن كان لديه شيء من ذلك، وأن يؤدي الديون إن كان عليه دين، أو يتحلل من أصحابها، وأن يودع من يخلفه ويستودعه الله، عملاً بقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد عن أبي هريرة ﷺ حيث قال: «**من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه**»، ويصلي ركعتين لقوله ﷺ فيما روي عن ابن المقدام: «**ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين**»، وأن يختار الرفيق الصالح لسفره، ولا يسافر وحده لنهي النبي ﷺ عن ذلك فيما رواه أحمد وحسَّنه السيوطي، وأن يدعو المسافر عند الركوب بالدعاء الوارد عن الرسول ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي: «**كان ﷺ إذا استوى على بعير خارجاً للسفر كبر ثلاثاً ثم قال:** ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣] **اللهمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطْوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال**» وإذا رجع قالهن وزاد: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» إلى آخر ما ورد من أحكام وآداب للسفر، ولا يتسع المقام لذكرها.

فعلى المسافر أيها الإخوة الكرام أن يلتزم بهدي الإسلام في سفره وحضره عملاً بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣] فاتباع المنهج الإلهي يحفظ الإنسان من الضلال والشقاء، ويصل به إلى شاطئ النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وعلينا إخوة الإسلام أن نسأل أنفسنا إلى أين نسافر في العطلات وغير العطلات؟ هل نسافر في طاعة الله؟ وبمنأى عما يسخط الله؟ فإن كان الأمر كذلك فلنسافر على بركة الله، وإن كان الأمر غير ذلك فليتقِ الإنسان ربه في حله وترحاله. وليعلم دائماً وأبداً أنه سبحانه رقيب على أفعاله وهو القائل في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النِّسَاء: ١]. ولله در من قال:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت، ولكن قُــلْ عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ســـاعة ... ولا أنَّ ما تخفي عليـــه يغيبُ

ولا بد أن يذكرنا هذا السفر العارض القصير بالسفر الطويل الذي أشار إليه الصحابي الجليل أبو الدرداء ﷺ يوم أن وقف أمام الكعبة قائلاً لأصحابه: أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعدُّ له بزاد؟ قالوا: نعم، قال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون، فقالوا: دلَّنا على زاده، فقال: صلُّوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور. وحسبنا في هذا المقام وصية النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر ﷺ حيث قال له: «**أحكِم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير**»، وقوله ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي: «**اتَّقِ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**».

نسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك لنا في أسفارنا وأن يحفظنا من الزلل، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، اللهم آمين. أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

(المهر) من منظور الإسلام

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة، والسِّراج المنير، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا أرحم الراحمين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

إخوة الإســلام:

قلنا في الجمعة الماضية إن الإسلام أكرم المرأة غاية الإكرام، حيث كانت في الجاهلية كما مهملاً تسمع ولا تتكلم، وتورث ولا ترث، وتُملك ولا تملِك، ثم جاء الإسلام فكرمها وعظم شخصيتها وجعلها أميرة لا أجيرة، ومالكة لا مملوكة، وجعل لها الحق في الميراث، وأوجب لها المهر قبل الزواج، والنفقة عند الطلاق، وأوجب على الزوج أن يكون محسناً إليها، مؤدياً حقها من مهر ونفقة ومؤونة وكسوة، حافظاً لسانه من الزلل معها، متغافلاً عن كثير مما يصدر منها رحمةً بها وإشفاقاً عليها. وكيف لا والرسول ﷺ يقول فيما رواه البخاري ومسلم: «**ألا فاستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن**»، ولم يكن أحد أرحم بالزوجات من رسول الله ﷺ، فقد كان يحتمل الأذى من بعضهن حلماً وكرماً، وكان يقول ﷺ: «**المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها فداوها تعش بها**».

وقد أوجب لها الإسلام المهر قبل الزواج من باب الإعزاز والتقدير، وإشعارها أنها مطلوبة، وليوفر لها حياءها ويحفظ لها كرامتها، ولم يجعل الإسلام

المهر أبداً في مقابل الانتفاع بها، بل هو من الحقوق الواجبة التابعة لها، قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النِّسَاء: ٤] فهو حق ثابت لها، لا يجوز لوليها أن يأخذ منه شيئاً، ولا يزوجها أيضاً إلا بطيب خاطر منها، قال: ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا** ﴾ [النِّسَاء: ٤].

ولم يحدد الشرع قيمة محددة للمهر، بل تركه بحسب الظروف والملابسات لكل من الطرفين، فيمكن أن يكون كثيراً يصل إلى حد الوصف بالقنطار كما قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النِّسَاء: ٢٠] ويمكن أن يكون قليلاً يصل إلى حد ملء الكفين طعاماً، كما قال الرسول ﷺ: «**لو أن رجلاً أعطى امرأةً صداقاً ملء كفيه طعاماً أو دقيقاً كانت حلاله**»، وقد يكون المهر آلاف الدراهم كما أوردت السير أن رسول الله ﷺ أرسل إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة وهي بالحبشة فدفع لها المهر نيابة عن رسول الله ﷺ ومكرمة له أربعة آلاف وأربعمئة دينار، ولم ير النبي ﷺ أن ذلك كثير لأنه بالنسبة للملوك يسير.

ولكنه ﷺ حين جاءه شاب فقير يقول إني تزوجت على مئة وستين درهماً، استكثرها وقال له: «**كأنكم تنحتون الفضة عن عرض الجبل**». وقد رضي ﷺ للفقير المعدم أن يقدم الصَّداق خاتماً من حديد، أو بما يحفظ من قرآن. وليست العبرة في الصداق بالقلة أو الكثرة، بل بما يكون له من يسر المؤونة، فإن اليسر هو الجالب للخير والبركة كما قال النبي ﷺ: «**إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة**»، وقال ﷺ: «**خير الصداق أيسره**» فمجمل شرائع الإسلام قائمة على اليسر لا على الحرج والتعقيد، والزواج إن هو إلَّا إمضاء لسنة أزلية، وإبقاء لفريضة فرضها سبحانه وتعالى، فإدخال الحرج عليها بالمغالاة في المهر أو نحوه أمر منافٍ لليسر الذي سنه سبحانه بقوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨]، ولكن كثيراً من الناس في هذا الزمان انحرفوا عن الإسلام الصحيح، وأصبحوا ينظرون إلى تزويج البنت نظرةً مادية بحتة، كما ينظر التاجر إلى سلعته التي يريد من بيعها الربح العظيم والمكاسب الكثيرة دون التعرف على القيم الأخلاقية والاعتبارات الدينية التي بها صلاح الأسرة وتثبيت دعائم البيت المسلم، فالذين

يعقدون الزواج بالمغالاة في المهور لا يحسبون حساباً لهذا الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ولا يقدرون النتائج الخلقية والمفاسد الاجتماعية التي تنتج عن عدم رواج سوق الزواج، وهم في ذلك في بُعْد عن منهج سلف الأمة. فالرجل لا يقاس بمقياس الذهب والفضة، ولا بكثرة العقارات، وإنما يقاس بمقياس الدين والعفاف، ولا يقاس بمقياس ما يشغله من منصب، وإنما يقاس بأخلاقه وكريم صفاته وحسن صلته بالله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» ولنا في رسول الله ﷺ وفي سلفنا الصالح الأسوة والعداوة.

فهذا هو رسول الله ﷺ ينزل عند أمر ربه، فيختار لابنته فاطمة رضي الله عنها صاحب الدين والشجاعة والإيمان علي بن أبي طالب، وكان صداقها درع قيمته أربع دراهم، نعم يختار لها التقي الورع دون الالتفات والاعتبار للظل الزائل والمادة الفانية، ولقد كان زواج السيدة فاطمة هو أبرك زواج وأسعد زواج عرفه المسلمون.

وها هو سعيد بن المسيب كبير علماء التابعين ينزل عند أمر ربه ويقتدي بمعلم البشرية محمد ﷺ في اختيار الفقير الصالح التقي زوجاً لابنته، وتفضيله على ابن أمير المؤمنين، ويضرب بالجاه والمنصب والسلطان عُرْض الحائط، وها هو الزوج الفقير الصالح إنه عبد الله بن وداعة، واستمعوا إليه أيها الأحبة وهو يروي قصة هذا الزواج السعيد حيث يقول: كنت أجالس سعيد بن المسيب -يعني في مجلس علمه- فتفقدني أياماً فلما أتيته قال: أين كنت؟ قلت: توفِّيت زوجتي فانشغلت بها، قال: هلا أخبرتنا فشهدناها معك، ثم أردت أن أقوم فقال: هلا تزوّجت؟ قلت: يرحمك الله ومن يزوّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، فحمد الله تعالى وصلَّى على نبيه ﷺ وزوَّجني على درهمين أو ثلاثة، ثم قمت وما أدري ما أصنع من الفرح، وجعلت أفكر ممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي، وكنت صائماً فقدمت عشائي وكان خبزاً وزيتاً، وإذا ببابي يقرع، فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه

سعيد إلَّا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد لو أرسلت إليَّ لأتيتك، فقال: لا أنت أحق أن تُؤتى، قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذها بيده فدفعها في الباب ورده، فاستوثقت من الباب ثم تقدَّمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج حتى لا تراه، ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاوبني وقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوَّجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة، قالوا: أوسعيد زوَّجك؟ قلت: نعم، فنزلوا إليها ، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج، ثم مكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، ولما كان الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس، فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت: بخير يا أبا محمد، ثم انصرفت إلى منزلي فوجَّه إلي بعشرين ألف درهم، قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولَّاه العهد فأبى سعيد أن يزوجها.

الله الله، ما أعظم اطمئنان هذا التابعي الجليل إلى مصير ابنته، حتى أنه لم يفكر في استقصاء أحوالها والاطمئنان منها على أمرها لأنه يعلم أنها في كنف رجل تقي يخشى الله تعالى ويعرف حقها عليه ومكانتها منه.

ولكن أغلب الناس في هذا العصر نتيجة لجهلهم بروح الإسلام وابتعادهم عن هدايته ونوره أعرضوا عن تزويج بناتهن بذوي المروءة والدين بسبب فقرهم أو رقة حالهم فباعوا فلذات أكبادهم للفساق والفجار رغبةً في مالهم أو جاههم أو سلطانهم غير مبالين بأي نقص في الخلق والدين فلا عجب أن تقوم مثل هذه الحياة على شفا جرف هار من نار لا يكاد ينعقد حتى ينفصل تاركةً خلفها الشقاء الأليم بالنسبة للزوجات والحسرة الدائمة بالنسبة للآباء والأمهات والمستقبل المظلم بالنسبة للأولاد.

فاتقوا الله عباد الله وتخلقوا بخلق الإسلام، وتأسوا بسلف هذه الأمة واعلموا أن الزواج ارتباط روحي وقرب قلبي وليس المال إلا تنظيم للأسرة في بداية حياتها، فلا تجعلوا المال غاية، ويسِّروا في المهور فإن اليسر فيه رحمة وبركة وعفة وعصمة، وليكن المهر في حدود ما تملكه اليد كل على حسب حاله ليكون ذلك أحرى لجمع شمل الشباب والستر على الأعراض.

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم.



«اتّقِ المحارم تكنْ أعبدَ الناس»

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد شرع الله لنا من الأحكام والحدود والمحارم ما نحفظ به ديننا وعقيدتنا وأنفسنا وأموالنا لنفوز بعز الدنيا وسعادة الآخرة، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى في كتابه المبين: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وللأعمال الصالحة مراتب ودرجات، فمن أعلاها بعد الإيمان أداء الفرائض واجتناب المحارم، ومن أدناها إماطة الأذى عن

الطريق، ومع تفاوت الطاعات والعبادات لا يزال العبد يتحرى القرب من المعبود سبحانه باتباع الفرائض واجتناب المحارم حتى ينال أعلى المنازل، وفي الحديث الشريف: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس**» أي من أعبدهم ويلزم من اتقاء المحارم فعل الطاعات ، ولذا فإن هذا الحديث يُعَدُّ من جوامع كلم النبي ﷺ التي يرغب بها المسلم في رتبة عظيمة وخير كثير، ويحذره من الوقوع في جميع ما حرم الله من الذنوب والمعاصي لأنها سبب كل بلاء وشقاء على العباد وعلى البلاد على حد سواء.

فليس هناك إخوة الإسلام ما يستنزل رحمة الله وبركته على العباد والبلاد مثل طاعته، وليس هناك ما يستوجب غضبه ونقمته مثل معصيته، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويقول سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[النحل: ١١٢]. وتلك سنة الله نلمسها على مر الزمن، حيث يعاقب الله العصاة بالنكبات تجتاحهم والشدائد تستأصلهم، وإن أمهلهم فلن يهملهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]. وقال النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: «**إن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه**» وقد ثبتت الآيات أن في مقدمة ما حرم الله الشرك وعقوق الوالدين وقتل النفس وأكل مال اليتيم إلى آخر ما ورد من بيان.

إخوة الإسلام والإيمان:

إن اختراق جدار المحارم في غفلة أو خلوة عن الناس يمحق جبالاً من الحسنات، ويحبط الأعمال، فعن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقواماً يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً**» قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون**

من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن دوحة أحكام الشريعة العظيمة تُظِلُّ العالَمَ بظلِّها الوارف وبسماحتها وعدالتها وطهارتها، حتى إن العاقل لا يرضى عنها بديلاً، ولا يرغب عن سنة الله تحويلاً، ألا وإن ترك المناهي أشد على النفس من فعل الأوامر، لأن النفس أمَّارة بالسوء وهي في حاجة ماسة إلى وازع الإيمان دائماً في قلب الإنسان، والمعاصي لا يتركها إلا صديق صادق القلب نقي السريرة، فعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وفي رواية ولا تتفرقوا، وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أحد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**» وزاد الترمذي: «**والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**».

وهكذا أيها الأحبة الكرام ربى الإسلام المسلمين في مدرسة الإيمان والتربية والتزكية، فسوّر الدين بالحدود، ونظف القلوب من حظوظ الشيطان، وجعل فيها قوة المراقبة والمحاسبة، فكان واعظ الله في قلب المسلم الطاهر حارساً أميناً يحميه من الجرأة على المعصية والمخافة والولوج في الأبواب المحظورة ليبقى صوت الإيمان مجلجلاً حيث حلَّ وارتحل في غفلة العيون ونوم الجفون، فعلينا إخوة الإسلام أن نتقي الله وأن نستقيم على طاعته، وأن نجتنب محارمه، لأن تجنب المحارم والبعد عن المعاصي والتزام منهج الله تعالى سبب من أسباب حفظ الإنسان من الزلل ورغد العيش وانشراح الصدر وحسن الخاتمة، ولا سعادة للبشرية عامة وللمسلمين خاصة إلَّا بالعودة إلى منهج الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يفسده، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يرزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيما وملكاً كريماً، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❊ ❊ ❊

أفضل العبادة صلاة الجماعة

الحمد لله القائل في كتابه المبين: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الخلق بقدرته، وأوجدهم في الكون لعبادته، وأرشدهم إلى ذلك بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى الناس قلباً وأشدهم لربه طاعة وحباً، امتزجت العبادة في حياته كما يمتزج في مداره الفلك، وسما في عبادة ربه فما بلغ شأنه إنس ولا ملك ﷺ. أما بعـد:

فالحق تبارك وتعالى يقول آمراً عباده أجمعين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

ويقول في حديثه القدسي: «**يا عبادي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم من وحدة لأمر عجزت عنه، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرةً وأصيلاً**».

فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً كما في الصحيح من حديث معاذ رضي الله عنه.

ومن هنا كانت مهمة الرسل الكرام من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام هي دعوة الخلق إلى التوحيد، وإلى عبادة الله الخالق، وأن يبينوا لهم أن ذلك حق الله تعالى على عباده، ومن الشواهد على ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وما رواه البخاري عن معاذ حيث قال: «**كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق**

العباد على الله إذا فعلوا ذلك ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً». وتلك ثمرة عظيمة من ثمرات التوحيد التي يجنيها العبد في الآخرة يوم القيامة، وأما في الدنيا فالمسلم الذي يعظم شعائر الله ويأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه ويحفظ حدود الله عز وجل يحفظه الله ويحيطه بعنايته ويرعاه برعايته، فسيدنا الرسول ﷺ يقول: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**» ومن يحفظه الله يصير في حصن حصين من الشيطان الرجيم، وفي هذا يقول القائل:

وإذا العناية لاحظتك عيونها فَنَم فالمخـاوف كلهنّ أمـان

ومثل العبد المتصل بالله الذي تحيط به عناية الله تعالى ولله المثل الأعلى كمثل السفينة التي تجري في البحر آمنة مطمئنة ما دامت متصلة ببرج مراقبتها ومحل إدارتها وتوجهها، أما لو انفصلت عنه فإنها تحار في البحار ويتعرض مصيرها للغرق والدمار، وكذلك الإنسان إذا قطع صلته بالله حار في بحر هذه الحياة، وصار فريسة سهلة للشيطان ووساوسه، وأنى له النجاة ما دام قطع صلته بخالقه ومولاه، وفي هذا يقول القائل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

فلا أمان للإنسان في هذه الحياة إلا بدوام صلته بالله سبحانه وتعالى، ولذلك يقول لقمان لابنه: اعلم يا بني أن الدنيا بحر عميق غرق فيه ناس كثيرون فلتكن سفينتك تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو.

ولقد يسَّر الله لعباده سبل العبادة وجعل الإسلام الصلاة عمود الدين فمن أقامها أقام الدين، ومن تركها لا دين له ولا حظ له في الإسلام، وأخبر الرسول أنه من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها فليس له نور ولا برهان ولا نجاة ، وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون والعياذ بالله.

والصلاة أيها الأحبة في الله من أجلّ العبادات التي أنعم الله بها على عباده المسلمين، لأنها تنظم صلتهم بالله حين يمسون وحين يصبحون وعشياً وحين يظهرون، وحين يكررونها خمس مرات في اليوم والليلة تكون لهم بمثابة نهر

روحي يتطهرون به من غفلات قلوبهم ومن أدران خطاياهم، وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ حيث يقول في حديث رواه البخاري ومسلم: «**أرأيتم لو أنَّ نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى ذلك على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

وصلاة الرجل في جماعة أيها الأحبة في الله خير من صلاته منفرداً، ففي الحديث المتفق عليه يقول النبي ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له درجة وحطت عنه خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث، تقول: اللهم صلِّ عليه، اللهمَّ ارحمه**».

وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على الصلاة في الجماعة حتى في مرضه، وكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، بل كان الصحابة يسيؤون الظن بمن تخلف عن الصلاة في الجماعة، لا سيما الفجر والعشاء، وكان بعض السلف يعزون أنفسهم ثلاثة أيام لمن فاتته تكبيرة الإحرام، وخمسة لمن فاتته صلاة الجماعة مع الإمام، ويقولون: ليس المصاب من فقد الأحباب، ولكن المصاب من حُرم الثواب. واسمعوا رحمكم الله إلى هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ: من سرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حين يُنَادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلَّا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلَّا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف.

وهكذا أيها الأحبة في الله حذر النبي ﷺ تحذيراً شديداً من التخلف عن صلاة الجماعة، بل وتوعد من تخلف عنها كما ورد في الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ

قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معه برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»، فهل هناك أيها الحبيب الكريم وعيد أشد من التخلف عن صلاة الجماعة، وهذا الوعيد الشديد يدل على عظم أمر الصلاة عند الله ورسوله والمؤمنين.

فالصلاة في حقيقتها تعميق لمعاني العبودية والتوحيد، وفي إقامتها والمحافظة عليها اعتراف لله بالربوبية والتدبير، فمن أقامها بخشوع وواظب عليها بإخلاص قويت صلته بالله، وكلما ازداد العبد بصلاته على الله إقبالاً كلما ازداد من الله ولايةً ومحبةً وقبولاً، والشاهد ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه**».

فأعمال البر دائماً تثمر الهدى، وتزيل الردى، يقول الله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٤-١١٥].

وانظروا أيها الأحبة إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وإلى ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ في صلاة الغداة حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج سريعاً فثوَّب بالصلاة وصلَّى وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم قال: «ابقوا على ما أنتم عليه على مصافكم أني سأحدثكم بما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري ربي، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري ربي، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى في كل شيء وعرفت، فقال: يا

محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ -يعني ما هي الأعمال التي يتنافس فيها وتتحاور بخصوصها الملائكة في السماء والتي تزداد لها الحسنات وترتفع بها الدرجات في يوم العرض على رب الأرض والسماوات يوم القيامة- قلت: في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء على الكراهات، قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سَلْ، قلت: اللهمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فاقبضني إليك غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك، ثم قال: إنها حق فادرسوها وتعلموها» أو كما قال ﷺ.

أسأل الله أن يفقهني وإياكم في الدين، وأن يجعلني وإياكم من الصالحين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



دروس وعبر من الإسراء والمعراج

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بأرض الشام، وجمع له الأنبياء والرسل الكرام، فصلى بهم إماماً، وقام فيهم خطيباً، فكان ذلك إيذاناً بعموم إمامته، وشمول رسالته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يكرم من يشاء بما يشاء ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله تشرف من الله جل وعلا بالعبودية كما تشرف بالرسالة الإلهية، فنال الحسنيين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون. أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فالله جلَّ وعَلَا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

إخوة الإسـلام والإيمان:

تمر بنا هذه الأيام الطيبة المباركة ذكرى غالية على قلب كل مسلم، ألا وهي ذكرى الإسراء والمعراج، إنها المعجزة العظيمة التي جاء ذكرها في صدر سورة الإسراء في قول الله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

ولقد شاء الله تعالى أن يكون مكان هذا الحدث العظيم المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومهبط الوحي ومجمع الأنبياء والرسل، ليرمز هذا الحدث دائماً وأبداً إلى الرباط الوثيق بين المسلمين أينما كانوا وبين مسرى نبيهم ومعراجه من المسجد الأقصى بأرض فلسطين.

وليكون في ذلك من الدلائل والعبر ما يشير بصفة عامة إلى عالمية رسالة الإسلام التي جاء بها خاتم النبيين والمرسلين وإمامهم محمد ﷺ، وأن الإسلام هو الدين المهيمن على سائر الأديان ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولقد تمثلت تلك المعاني العظيمة في إمامته ﷺ للأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى قبل العروج به إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى . وهذا هو الجوهر الذي يجب على المسلمين أن يفطنوا إليه وأن يتحدوا عليه، وأن يعملوا جاهدين على تحرير موطن مسرى نبيهم ومعراجه مهما كلفهم ذلك من تضحيات، فالرسول ﷺ يقول فيما رواه مسلم: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار**».

فهذه المعجزة بكل ما تحمله من العبر والآيات دلالة على قدرة الله عز وجل ورمز لقدر رسول الله ﷺ عند ربه، حيث شاء الله تعالى أن تكون رحلة الإسراء والمعراج آنذاك تكريماً لرسوله وتخفيفاً لمصابه وتجديداً لعزيمته بعد فترة من أصعب فترات الدعوة التي مر بها رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، فمن مقاطعة وحصار لهم في شعب أبي طالب دام ثلاث سنوات أكلوا خلالها ورق الشجر إلى وفاة عمه وزوجته، وإعراض قريش عن دعوته ودأبهم على إيذائه وإيذاء أصحابه، وخروجه بدعوته إلى الطائف ماشياً على قدميه، وعودته حزين القلب يائساً من نصرة ثقيف له بعد أن هزئوا به وسلطوا عليه السفهاء والغلمان يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه ووقع في حيرة من أمر نفسه، فرفع يديه بالدعاء إلى ربه وهو يقول: «**اللَّهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلمني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدو ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**».

وما كان الله عز وجل ليذر رسوله في هذه الحيرة وهو أرحم بعبده من الوالدة بولدها، فما أن دعا ﷺ ربه بهذه الدعوات إلا وانفتحت لها أبواب السماوات وتجلت من الله عز وجل على الحبيب محمد رحمات وإكرامات. ومن الشواهد ما ورد في الصحيحين من حديث عروة الذي رواه عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ وهو في طريق عودته من الطائف إلى مكة وقد انطلق وهو مهموم على وجهه لم يستفق إلَّا بقرن الثعالب، حيث بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال فناداه جبريل فسلم عليه وكلمه، وناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فإن شئتَ أطبقت عليهم الأخشبين، -والأخشبان جبلان عظيمان بمكة- فقال النبي الرحيم صلوات الله وسلامه عليه: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**».

وهذا النصر من الله فيه مكرمة لنبيه ومصطفاه، وهو في هذه الشدة من قومه، ولكنه ﷺ يأبى رحمةً بهم وأملاً في هداية الله لهم.

وما إن وصل الحبيب إلى مكة زادها الله تشريفاً إلا ويرى مكرمة أخرى له من الله جل في علاه، يرى جبريل هنالك في انتظاره ليأخذه إلى هذه الرحلة المباركة، إلى رحلة الإسراء والمعراج، وكأن الله عز وجل قد أراد بذلك أن يقول لحبيبه المصطفى: يا رسول الله يا محمد إن كان أهل مكة وأهل الطائف قد رفضوك فإن رب السماوات والأرض يدعوك، يدعوك الليلة ليعوضك بجفاء أهل الأرض حفاوة أهل السماء، الله أكبر، وصدق الله القائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

فجاءت رحلة الإسراء والمعراج في هذا الوقت بالذات تكريماً لرسول الله وتخفيفاً لمصابه وتثبيتاً لقلبه وتجديداً لعزيمته مما سيراه خلال هذه الرحلة المباركة من عجائب قدرة الله في ملكه وملكوته ولقاء أنبيائه ورسله وجنته وناره وأنوار قدسه في الملأ الأعلى، وعند سدرة المنتهى، وفي مقام لم يرق إليه ملك ولا إنسان غير محمد عليه الصلاة والسلام.

وهذا درس عظيم لكل داعية إلى الله يتعلم من خلاله أن الرسول ﷺ وهو إمام الدعاة لما التزم جانب العبودية لله والتسليم لأمره والصبر لحكمه والرضى بقضائه والثبات على مبدئه رفعه الله مكاناً علياً وقربه وكرمه وحباه.

ففي هذه الليلة الطيبة المباركة رفع الله نبيه مكاناً علياً وقرَّبه وحباه وفرض عليه وعلى أمته في هذا المقام العظيم الصلاة، لتكون عماد الإسلام، ولتكون معراج أرواح أهل الإيمان إلى الله الواحد الديان، فكانت الصلاة هدية الله تعالى لهذه الأمة في هذه الليلة العظيمة المباركة، خمس في العمل وخمسون في الأجر والثواب.

فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على صلواتكم واحرصوا على إسلامكم، فإنه أمل نبيكم ودعوته الخالدة لكم وللناس أجمعين إلى يوم الدين.

نسأل الله رب العالمين أن يتولى توفيقنا وأن يوحد شملنا وأن ينصرنا على عدونا، وأن يعيد الأقصى حرّاً محرراً لنا، وأن يوفقنا دائماً لطاعته وطاعة من أمرنا بطاعته، إنه تعالى ولي ذلك ومولاه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



منزلة المرأة في الإسلام

الحمد لله الذي خلق الخلق بحكمته، وذرأ البشرية بقدرته، وجعلهم من نفس واحدة بإرادته، وقال عزَّ من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أوصى بالمرأة خيراً، فقال ﷺ فيما رواه البخاري: «**استوصوا بالنساء خيراً**» اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيد الأنام، ومصباح الظلام، محمد عبد الله وعلى آله الأخيار وصحابته الأبرار ومن اهتدى بهديهم ما تعاقب الليل والنهار. أمَّا بعد:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله جلَّ وعلا وأحثكم على طاعته، وأذكركم بأنه سبحانه خلق الذكر والأنثى وجعل سعيهم شتى.

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد جاءت شريعة الإسلام فخلصت المرأة من قيودها، وحفظت إنسانيتها ووجودها، وأعادت لها كرامتها، ثم رفعت شأنها، وأعلت مقامها، وقد خلد القرآن الكريم شيئاً من حالها قبل الإسلام، لتتذكر المرأة هذا على الدوام، ويعرف الناس جميعاً كيف كانت وكيف صارت بنعمة الإسلام، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨-٩].

ولقد عرض القرآن الكريم الكثير من شؤون المرأة في أكثر من عشرين سورة منها سورتان عرفت إحداها بسورة النساء الكبرى وعرفت الثانية بسورة النساء الصغرى هما سورة النساء وسورة الطلاق.

وقد دلت هذه العناية القرآنية على المكانة التي رفع الإسلام إليها المرأة، وأنها مكانة لم تحظ المرأة بمثلها في شرع سماوي سابق، ولا في اجتماع إنساني توافق عليه

الناس فيما بينهم، واتخذوا لها من خلاله القوانين التي تتناسب مع أنوثتها وتحفظ لها مكانتها.

وعلى الرغم من هذا فقد كثر الكلام حول وضع المرأة في الإسلام، وزعم زاعمون أن الإسلام هضم حقها، وأسقط منزلتها، وجعلها متاعاً في يد الرجل يتصرف بها كيف يشاء، هم يزعمون هذا، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] والرسول ﷺ يقول فيما رواه أحمد: «**النساء شقائق الرجال**» ، ويقول فيما رواه البخاري: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**».

والحقيقة أيها الأحبة في الله أن المسألة لا ترجع إلى حق يريدون تقريره، أو باطل يكشفون تزييفه، وإنما هي العصبية النتنة، والحقد الأعمى على الإسلام والمسلمين، وما ذلك إلا لأن الإسلام بمنهجه القويم منح المرأة كل خير، وصانها عن كل شر، وستعلم المرأة حين تعود لرشدها أنه لا منقذ لها ولا حافظ لكرامتها وحقوقها سوى هذه التعاليم الإلهية التي يحاول خصوم الدين والسائرون على طريقهم من أبناء المسلمين أن يصوروها بصورة الأغلال التي تطوق الأعناق وتحول بينها وبين ما لها من حق في الحياة: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

إخوة الإسـلام والإيمان:

إن القرآن الكريم حين تحدث عن الأصل الذي تفرع منه الإنسان جعل المرأة شريكة فيه للرجل، ومن مجموعها تعددت القبائل والشعوب، حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي جانب المسؤولية فإن الإسلام يقر أن المرأة ذات مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل، فضلاً عن مسؤوليتها معه في جوانب عدة من جوانب الحياة، فهي مسؤولة عن نفسها وعن عبادتها وعن بيتها وعن جماعتها، وهي لا تقل في مسؤوليتها عن مسؤولية أخيها الرجل، كما أن منزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله منوطة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة، فطاعة الرجل لا تنفعها وهي طالحة

منحرفة، ومعصيته لا تضرها وهي صالحة مستقيمة، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النِّسَاء: ١٢٤].

وانظر أخ الإسلام إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وليقف المتأمل عند هذا التعبير: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ ليرى كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل، وكيف حد من طغيان الرجل فجعله جزءاً من المرأة.

ثم انظر بعد ذلك أيها الأخ الكريم كيف رفع الله شأن المرأة في ظل هذا الدين العظيم، وكيف احترم رأيها وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول ﷺ فجمعها وإياه في خطاب واحد: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] وكيف قرَّر الله رأيها وجعله تشريعاً عاماً وخالداً، ليعلم الناس أن آيات الظهار وأحكامه في الشريعة الإسلامية لم تكن إلا أثراً من آثار الفكر النسائي وصفحة إلهية خالدة يلمح الناس فيها على مر الدهور احترام الإسلام لرأي المرأة، وأن الإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ينعم بها الرجل بشم رائحتها، وإنما هي مخلوق عاقل مفكر له رأي، وللرأي قيمته واحترامه ووزنه، وقد شاع مع امتداد الحضارة الإسلامية نوابغ من النساء العالمات المعلمات عبر العصور الإسلامية المتتالية، وتلك نظرة الإسلام للمرأة يا عباد الله.

ولذلك أباح الإسلام للمرأة أن تتعلم وتعلم، وأن تعمل ولو في خارج بيتها عملاً يتناسب مع أنوثتها، وذلك كله في إطار العفة والوقار والمروءة والصيانة ضمن الإطار الشرعي المعروف، ومن الشواهد ما رواه مسلم عن جابر ﵁ أنه قال: طلقت خالتي فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ﷺ فقال: «**بلى جِدِي نخلك فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً**»، وقد دخل النبي ﷺ على أم معبد حائطاً -أي بستاناً- كانت تغرس فيه وتعمل، فقال: «**فلا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة**». وكرمها الإسلام تكريماً لا نظير له بفرض الحجاب عليها لتظهر بالمظهر

اللائق البعيد عن الفتنة، فلم يمنعها الإسلام من الخروج من بيتها، بل منعها من التبرج والخلاعة كي لا يطمع فيها طامع، وأمر بسترها وصيانتها وذلك في قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وهذا يدلنا دلالة واضحة على عناية الإسلام بالمرأة بصفة خاصة وهي التي كانت قبل الإسلام توأد صغيرةً وتُحرم من الميراث كبيرة، فلما جاء الإسلام حرم وأدها وأوجب برها والعناية بها منذ نعومة أظفارها إلى نهاية عمرها، وبين أن صلاحها يتعدى نفعه إلى أبنائها، وإذا كانت غير صالحة فنشؤها يكون عالة على مجتمعها وشقاءً لوطنها، وإلى هذا أشار الشاعر العربي بقوله:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق

فحين تعد الأم إعداداً طيباً انطلاقاً من الهدي النبوي الشريف، فإنها تعني ببيتها وتعد أبناءها إعداداً طيباً على الدين، فيكونوا عماداً للأمة في يسرها وعسرها ومنشطها ومكرهها، وهذا ما كان عليه نساء السلف الصالح من المسلمين.

نسأل الله أن يحفظنا وجميع المسلمين من كيد الكائدين ومكر الماكرين وأن يجعلنا بهدي نبينا مهتدين وبسنته مستمسكين وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الأسرة في ميزان الإسلام

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة المكرمين وكرمه غاية تكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه من إله عظيم، خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديرا، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله اصطفاه من خلقه وأرسله للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلَّا كل منيب سالك، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام واجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، وارض اللهم عن التابعين ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين وعنَّا معهم بجودك وكرمك يا رب العالمين وأكرم الأكرمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النِّساء: ١]، أمَّا بعـد:

أيها الإخوة الكرام:

حديثي معكم هذا اللقاء بمشيئة رب الأرض والسماء موضوعه الأسرة في ميزان الإسلام، ومما لا شك فيه أيها الأحباب الكرام أن أول أسرة اجتمعت على ظهر البسيطة منذ خلقها الله تعالى: آدم وحواء، وكان لهما أبناء وذرية، فالأسرة أساس الجماعات، ومن الأسرة تتكون الأمة وتستمد قوتها، وتتبوأ مكانتها بين الأمم كلها، وعلى غرار الأسرة تكون الأمة، فإذا كانت الأسرة قوة بإيمانها ومبادئها وأخلاقها كانت الأمة كذلك، وإذا كانت الأسرة ضعيفة في إيمانها

ومبادئها وأخلاقها كانت الأمة أمة هزيلة بعيدة عن الأخلاق والمبادئ ومن ثم تصبح موضع احتقار الأمم، وقد تكون فريسة سهلة لدولة قوية تعتدي عليها وتنال منها، وحينئذٍ يحل لها الذل والهوان ويلحق بها العار والدمار وما ذلك إلا بسبب ضعف إيمانها وانحطاط أخلاقها وفي ذلك يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخــلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك أيها الأحباب الكرام عني الإسلام بالأسرة عناية عظيمة، ووضع لها في ميزانه أسساً ونظماً كريمة جاء بها القرآن الكريم، وفصلتها سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

فَسُورة النِّساء وسورة المجادلة وسورة الطلاق وسورة التحريم وغيرها من السُّوَر والآيات والأحاديث تذكر بواجبات الأسرة، وتنظم علاقات الزوج بزوجته والزوجة بزوجها، وترعى تربية الأبناء على أسس سليمة، وتذكر أحكام الميراث والطلاق وكل ما يتعلق بشؤون الأسرة من حقوق الآباء على الأبناء وحقوق الأبناء على الآباء، وحقوق ذوي القربى وإلى غير ذلك، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولما كانت غاية الإسلام أيها الإخوة الكرام من بناء الأسرة على أساس سليم أن تكون قوام المجتمع الإسلامي، ولا يمكن لأسرة أن تقوم هكذا إلا على رباط قويم بين رجل وامرأة من أجل ذلك أيها الأحباب شرع الله تعالى الزواج وحث عليه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: ١]، بل وأمر به فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] وحض عليه الرسول ﷺ وبين أنه من سنن النبوة فقال: « النكاح من سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني». وقال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة**» وكيف لا والعزوبة غالباً ما تكون مبعث الشرور والرذائل، ومعول يهدم أخلاق الأمم فتنحل أخلاقها وتنحط من عليائها حتى تصير في طريق الانحلال والفناء والدمار،

ولذلك شدد النبي ﷺ على عكاف رضي الله عنه حين سأله قائلاً: يا عكاف ألك زوجة؟ قال: لا، قال: ولا جارية؟ قال: لا، قال: وأنت صحيح موسر؟ قال: نعم والحمد لله، قال: أنت إذن من إخوان الشياطين إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فمن سنتنا النكاح، ونادى ﷺ الشباب يحضهم على الزواج ويرغبهم فيه قائلاً: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» يعني وقاية من العنت والوقوع في الحرام، والحديث رواه مسلم.

ولما كان الرجل والمرأة هما الأساس الذي يبنى عليه الأمر، فقد أمر الإسلام الرجل أن يختار من تشاركه الحياة وأن تكون صالحة طيبة العرق حسنة المنبت، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**»، ويقول: «**إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن؟ فقال: المرأة الحسناء في المنبت السوء**» وأمر المرأة هي الأخرى أن تختار من يشاركها الحياة، وأن يكون صالحاً، لأنه سيكون أباً لأبنائها ورفيق حياتها، ووصى بذلك ولي أمرها فقال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلَّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»، وبهذه التعاليم أرشدنا الإسلام إلى ضرورة تخير الأصلح عند الزواج لكلا الطرفين وجعل الميزان المعتبر لهذا الاختيار أن تكون الزوجة من الأسرة المتدينة الحفيظة على مكارم الأخلاق وأن يكون هذا المقصد في المرتبة الأولى، وإن كان الجمال والمال مرغوبين فليكونا في المرتبة الثانية أي بعد الدين والخلق الكريم، لأنه من الخطر الخطير أن يكون المال أو الجمال فقط هما الهدف الأول من الزواج، وليس في هذين الأمرين عاصم يصون الزواج عند ضعف الجمال، أو فقد المال، وقد يكون هذان الأمران في كثير من الأحيان من أسباب الغيرة أو النزاع التي تقوض الأسرة وتودي بها، أما الدِّين فهو صمام الأمان، ينشر السعادة والهناء إذ أمر الزَّوْجَ بالإحسان إلى زوجته ومعاشرتها بالمعروف، كما طلب من الزوجة أن تراعي حقوق زوجها فلا تقع نظره منها إلَّا على كل كريم يسرُّ خاطره ويريح قلبه، وتحقيقاً لذلك أكد الإسلام مراراً على الرجل أن يختار امرأة صالحة تقف

عند حدود الله في شأن زوجها وأبنائها، وفي هذا يقول الحق جلَّ شأنه: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النِّساء: ٣٤]، وكذلك يرشدنا الرسول ﷺ إلى طريق الصواب في النكاح فيقول فيما رواه البخاري: «**تنكح المرأة لأربع: مالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**» ويقول فيما رواه ابن ماجه والبيهقي: «**لا تَزَوَّجوا النِّساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل**»، ومما ينبغي في الزوجة المتدينة أن يكون من شأنها الطاعة والرعاية لحق الزوج، فقد سئل النبي ﷺ فيما رواه النسائي والحاكم بسند صحيح: «**أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله**».

وكذلك من لا يشق عليه صداقها أو نفقتها، لما رواه ابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً**».

هذا ولقد نهى الإسلام أن يُفرض على الفتاة أو المرأة شخص لا تريده ولو كان الذي يفرضه عليها أبوها أو أخوها أو عمها، وليس لأهلها الحق أن يعترضوا رغبتها في الزواج من شخص معين ما دام كفئاً مناسباً لها، ويشهد لحرية المرأة في اختيار زوجها ما رواه الجماعة إلَّا البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «**البنت أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن وإذنها صمتها**»، وما رواه النسائي أن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع به خسيسته وأنا كارهة، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله الآن أَجَزْتُ ما صنع أبي، ولكن أردت أن أُعْلِم النِّساءَ أن ليس للآباء من الأمر شيء. وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن للأسرة من ميزان الإسلام مقام عظيم، ويدلنا كذلك على عناية الإسلام بالأسرة خصوصاً المرأة، وهي التي كانت قبل الإسلام تُوْءَد صغيرة وتُحْرَم من الميراث كبيرة، فلما

جاء الإسلام حَرَّم وَأْدَها وأوجب بِرَّها والعناية بها منذ نعومة أظفارها، وبيَّن أن صلاحها يتعدى إلى أبنائها، وإذا كانت غير صالحة تكون عالة على مجتمعها ووبالاً على وطنها، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر العربي في قوله:

الأم مدرســـة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وإن ما نشكو منه اليوم من انحلال في الأخلاق وتهاون في أوامر الدين وقلة الضمير إنما سببه عدم بناء الأسرة على أساس من الدين وعدم تربية الأولاد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله فاتقوا الله أيها الأحباب في الأولاد واعلموا أنهم أمانة في أعناقكم تسألون يوم القيامة، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**».

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وذهاب غمومنا وهمومنا وأن يعلمنا منه ما جهلنا وأن يذكرنا منه ما نسينا وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا وأن يشفعه فينا وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يبارك لنا في ذرياتنا ويجمعنا بهم يوم القيامة في مستقر رحمته ورضوانه إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

❊ ❊ ❊

الزواج وأثره في بناء الأسرة والمجتمع

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وطرق الفساد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق من الماء كل شيء حي فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً ﷺ، أمَّا بعد:

عبــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّساء: ١].

ثم اعلموا رحمكم الله وفقني الله وإيَّاكم لما فيه رضاه أن الإسلام ينظر إلى الأسرة على أنها لَبِنَة من لَبِنَات البناء التي تتكون منه الأُمَّة، وعلى غرارها تكون، فإذا كانت الأسرة قوية في إيمانها ومبادئها وأخلاقها كانت الأمة كذلك، وإذا كانت الأسرة ضعيفة في إيمانها ومبادئها وأخلاقها كانت الأمة أمة هزيلة بعيدة عن الأخلاق والمبادئ ومن ثَمَّ تصبح موضع احتقار الأمم، وقد تكون فريسة سهلة لدولة قوية تعتدي عليها وتنال منها، وحينئذٍ يحل لها الذل والهوان ويلحق بها العار والدمار وما ذلك إلَّا بسبب ضعف إيمانها وانحطاط أخلاقها وفي ذلك يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخــلاق ما بقيت　　　فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولذلك عني الإسلام بالأسرة عناية عظيمة، ووضع لها في ميزانه أسساً ونظماً كريمة جاء بها القرآن الكريم، وفصلتها سنة النبي عليه الصلاة والسلام لتبني الأسرة على أساس قويم وهدى فتكون قوام الأمة في نهضتها لتحقيق الغاية التي أرادها الله منها، وبذلك تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر وتؤمن بالله.

ولما كانت غاية الإسلام من بناء الأسرة على أساس وقِيَم أن تكون قوام الأمة، ولا يمكن للأسرة أن تقوم إلَّا على رباط وثيق بين رجل وامرأة، شرع الإسلام الزواج وحض عليه ووضع له أسس السعادة، وفي مقدمة تلك الأسس الصلاح والدين.

وفي ذلك يقول الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النُّور: ٣٢] ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» وينادي ﷺ الشباب مرغباً إياهم في الزواج فيقول: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» يعني وقاية من الوقوع في العنت والخطأ، وكيف لا والعزوبة غالباً ما تكون مبعث الشرور والرذائل، ومِعْولاً يهدم أخلاق الأمم فتنحل أخلاقها وتنحط من عليائها حتى تصير في طريق الانحلال والفناء والدمار، ولذلك شدد النبي ﷺ على عكاف رضي الله عنه حين سأله قائلاً: يا عكاف ألك زوجة؟ قال: لا، قال: ولا جارية؟ قال: لا، قال: وأنت صحيح موسر؟ قال: نعم والحمد لله، قال: أنت إذن من إخوان الشياطين إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فمن سنتنا النكاح» ، وقال ﷺ: «**النكاح من سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني**». وأرشد النبي ﷺ إلى ضرورة تخير الأصلح عند الزواج، وجعل الميزان المعتبر لذلك هو الدين، حيث قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»، رواه الترمذي، هذا في ميزان اختيار الزوج، وكذلك في جانب اختيار الزوجة فينبغي أن تكون هي الأخرى من الأسرة المتدينة الحفيظة على مكارم الأخلاق وأن يكون هذا المقصد في المرتبة الأولى، وإن كان الجمال والمال مرغوبين فليكونا في المرتبة الثانية، أي بعد الدِّين والخلق الكريم، لأنه من الخطأ والخطر أن يكون الدافع الأول للزواج هو المال فقط أو الجمال فقط ، فليس في هذين الأمرين

عاصم يصون الزواج عند ضعف الجمال، أو فقد المال، وقد يكون هذان الأمران من أسباب النزاع التي تقوض الأسرة وتودي بها إلى الشقاق، أما الدِّين فهو صمام الأمان، وبشير الهناء إذا ظلل الأسرة، وراقب الزوج ربه فأحسن إلى زوجته وعاشرها بالمعروف كما تراعي الزوجة في ظل الدين حقوق زوجها فلا يقع نظره منها إلَّا كل كريم يسره، فقد سُئل النبي ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «**التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله**»، وتحقيقاً لذلك حثَّ الإسلام الرجل أن يختار زوجة صالحة تقف عند حدود الله في شأن زوجها وأبنائها وغيرهما قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النِّسَاء: ٣٤]، وفي الصحيح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: مالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**» وروي عن عبد الله بن عمر مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل**»، والمرأة المتدينة هي التي يكون من شأنها الطاعة والعفة والرعاية لحق الزوج، فقد سُئل النبي ﷺ فيما رواه النسائي والحاكم بسند صحيح: «**أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله**» وأن لا يشق عليه صداقها أو نفقتها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً**». رواه ابن ماجه وفي رواية : «**أقلهن مهوراً وأكثرهن بركة**».

وصيانة لحقها فقد نهى الإسلام أن يفرض على الفتاة أو المرأة رجل معين لا تريده ولو كان الذي يفرضه عليها أبوها أو أخوها أو عمها، وليس لأهلها الحق أن يعترضوا رغبتها في الزواج من رجل معين ما دام كفئاً مناسباً لها، ويشهد لحرية المرأة في اختيار زوجها ما رواه الجماعة إلا البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «**البنت أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن وإذنها صمتها**»، وما رواه النسائي أن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن فتاة دخلت عليها

فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع به خسيسته وأنا كارهة، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله الآن أَجَزْتُ ما صنع أبي، ولكن أردت أن أُعْلِم النِّسَاءَ أن ليس للآباء من الأمر شيء. وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن للأسرة من ميزان الإسلام مقام عظيم، ويدلنا كذلك على عناية الإسلام بالأسرة خصوصاً المرأة وهي التي كانت قبل الإسلام تُوْءَد صغيرة وتُحرم من الميراث كبيرة، بل كانت مهملة فلما جاء الإسلام حرم وأدها وأوجب برها والعناية بها منذ نعومة أظفارها، وبين أن صلاحها يتعدى إلى أبنائها وإذا كانت غير صالحة فنشؤها يكون عالة على مجتمعها ووبالاً على وطنها، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر العربي في قوله:

الأمُّ مدرســـةٌ إذا أعددتها　　أعددت شعباً طيب الأعراق

وإن ما نشكو منه اليوم من انحلال في الأخلاق وتهاون في أوامر الدين وقلة الضمير إنما سببه ترك التربية السليمة على منهج الله وسنة رسوله والإعراض عن الزواج بسبب غلاء المهور، فاتقوا الله أيها الآباء في أولادكم واعلموا أنهم أمانة في أعناقكم ستسألون عنها بين يدي ربكم ففي الحديث عن الرسول ﷺ: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**».

وفقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊　❊　❊

فضل الأيام العشر من ذي الحجة

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة وجعلنا خير أمة وأنزل سبحانه وتعالى على نبينا محمد ﷺ في حجة الوداع قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، والهادي إلى صراط الله المستقيم، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتابعين، ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلِّم تسليماً كثيراً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أمَّا بعد:

إخوة الإسلام:

اعلموا وفقني الله وإياكم لما فيه رضاه أنكم تعيشون الآن أياماً عظيمة وليالي كريمة تهطل بالخيرات وتزخر بالعبرات، أيام اختصها الله عز وجل بالتفضيل، وأقسم بها في محكم التنزيل، فقال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]، وقد أخبر ﷺ أن هذه الأيام العشر التي أقسم الله بها هي العشر من ذي الحجة فقال ﷺ فيما رواه أحمد عن جابر رضي الله عنه أن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر، وهذا مما يدل على فضل هذه الأيام الطيبة المباركة لأنها أيام تحفل بالأعمال الصالحة التي تُقَرِّبُ العَبْدَ من الله جلَّ في علاه، إنها أيام جد وجهاد بالنسبة لحجاج بيت الله الحرام وتتلاقى مشاعر المسلمين هنا وهناك لتعظيم شعائر الله إيذاناً بتوحد الأمة في كل مكان عندما تكون هذه الأيام أيام عملٍ صالح ذِكْرٍ وبِرٍّ وإحسان لعامة المسلمين؛ لأن فضل العمل الصالح فيها عظيم، روى البخاري وأصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:

«**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعني أيام العشر من ذي الحجة، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلَّا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء**»، وعلى ذلك أيها الإخوة الكرام ينبغي على كل مسلم أن يكثر من العمل الصالح في هذه الأيام وأن يتقرب إلى الله عز وجل فيها بالطاعات وأن يكثر فيها من الصدقات على الفقراء والمساكين وأن يحييها بالذكر والصيام تأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام حيث كان يحافظ على صيامها ﷺ، ومما يذكر في ذلك مما رواه الإمام أحمد عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «**أربع لم يكن يدعهن رسول الله** ﷺ: **صيام يوم عاشوراء والعشر** -أي العشر من ذي الحجة- **وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة**»، ومن أهم هذه الأيام صياماً صوم يوم عرفة لقول النبي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم: «**صوم يوم عرفة يكفِّرُ سنة ماضية وسنة مستقبلة، وصوم يوم عاشوراء يكفِّر سنة ماضية**» وفي قوله ﷺ : «**صوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية ومستقبلة**» بشارة، والبشارة إلى امتداد عمر الذي يوفقه الله إلى صيام ذلك اليوم إلى عام قادم غير الذي هو فيه بمشيئة الله تعالى وفضله.

أما حُجَّاجُ بيت الله الحرام فيكره لهم صيام ذلك اليوم ليتقووا بالإفطار على ما هم فيه من جهد وشغل عظيم، ففي هذا اليوم الكريم يجتمع حجاج بيت الله الحرام على عرفات في مشهد عظيم يذكر الناس يوم العرض على رب العالمين، يلبي منهم من يلبي ويكبر، ومنهم من يكبر ويهلل ، الكل في خشوع وخضوع، الكل في ذكر الله تبارك وتعالى ومناجاته ، تجردوا جميعاً من كل ثياب وزينة وارتدوا ثياب الإحرام يتضرعون إلى الله تبارك وتعالى يرجونه الهداية والقبول والغفران، متجردين من شهوات الدنيا ومتعها، يمضي الواحد منهم أشعث أغبر ملبياً نداء الرحمن مردِّداً: **لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. . .**

لقد وقف رسول الله ﷺ خطيباً في حجة الوداع في خطبة جامعة مانعة شاملة لكثير مما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم فيها دستور لهذه الأمة إلى يوم القيامة

وقال: يا بلال أنصت لي الناس، فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصت الناس، فقال ﷺ: يا معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله عزَّ وجَلَّ غفر لأهل عرفات أهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات، فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ فقال ﷺ: هذا لكم ولمن جاء من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر: كثر خير الله وطاب.

أيها الإخـوة الكرام:

لقد بدأ ﷺ خطبة الوداع في هذا اليوم العظيم بحمد الله والثناء عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا قولي، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ، ثم أخذ ﷺ يبين للناس أحكام دينهم فكان مما بينه ﷺ لأمته أن بين لهم كيف تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم، ونادى بالمساواة بين أبناء الأمة فقال: «**أيها النَّاس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلَّا بالتقوى**»، وبهذا القول الكريم يلفت الرسول ﷺ النظر إلى شيء هام بالنسبة للمسلمين وهو أنه لا عبرة بالنسب أو اللون أو اللغة، وليست لهذه المعاني حساب في ميزان التفاضل عند الله تبارك وتعالى، وليست هي المقاييس الحقيقية التي يوزن بها المرء يوم القيامة، بل هناك ميزان واحد تتحدد به القيم ويعرف به فضل الناس وهو ميزان التقوى الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب أو الأنساب أو الأوطان، فمن أراد شرفاً في الدنيا ومنزلةً طيبة في الآخرة فليتق الله، وقد تضمنت تلك الخطبة الجامعة المحافظة على أعراض الناس وأموالهم وأن يردوا الأمانات إلى أهلها، وأن يبتعدوا عن الربا والزنى والقتل وبين فيها ﷺ حقوق النساء وحذر أمته من الشيطان، وفي نهاية خطبته ﷺ نبه أمته إلى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة حيث قال ﷺ: «**أيها الناس اسمعوا قولي فإني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**».

فهل آن للمسلمين أن يتذكروا مع هذه الذكرى وصية رسول الله ﷺ وأن

يعتصموا بكتاب الله عز وجل، هذا الكتاب الذي أودع الله فيه من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ما يكفل للإنسان المؤمن حياةً طيبة في الدنيا وسعادة أبدية في الآخرة، وقد قال تعالى مبشـراً عباده الصالحين القائمين على كتابه وسنة نبيه ﷺ نيةً وقولاً وعملاً: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، فما أجمل أن ينتهز المسلمون حكاماً ومحكومين تلك المناسبة الطيبة ويتركوا الخلافات التي بينهم إلى جانب ويوحدوا صفوفهم في وجوه أعدائهم، ويعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيها نصـرة هذه الأمة وعزها وسعادتها وفوزها في الدنيا والآخرة، لأنهم إذ يفعلون ذلك يُنصـرون بعون الله تعالى ، والله عز وجل وعد بالنصـر من نصـر دينه، حيث قال جل شأنه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فإن خرجتم عنها سلط الله عليكم من يخلفكم ولا ينزع الخوف من قلوبكم حتى تعودوا**»، وروى أبو داود بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإن من يعش منكم بعدي سيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» .

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



فضل يوم عرفة وخطبة الوداع

الحمد لله الذي فضل عشر ذي الحجة على سائر أيام الشهر، وفضل يوم عرفة على عموم الأيام العشر، وأقسم بذلك سبحانه فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١-٣] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الخلق بقدرته، وأوجدهم في هذا الكون لعبادته وطاعته، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال جل شأنه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من عبد الله مخلصاً له الدين، وأفضل من وقف في عرفات وحج واعتمر وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه من ربه اليقين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أهله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

أيها الأحبــة في الله:

إن هذا اليوم الذي نحن فيه يوم من أعظم أيام الله، فهو من حيث الأيام يوم جمعة، ويوم الجمعة كما ورد في الحديث خير يوم طلعت عليه الشمس، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم سأل الله خيراً إلا أعطاه، وهو من حيث المناسبة يوم عرفة، يوم عرفة من أعظم أيام الدنيا، وهو يوم عزيز على قلوبنا نحن المسلمين، فهو اليوم الذي أكمل الله لنا فيه الدين، وأتم علينا النعمة، وأنزل لنا فيه على نبينا ﷺ في حجة الوداع قوله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

ويا لها من آية كريمة وبشارة عظيمة نزلت في يوم عظيم، فحق لهذا اليوم أن يكون عيداً للمسلمين، ففي الصحيحين من حديث طارق بن شهاب: أن يهودياً

جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية من كتابكم لو علينا نزلت معشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: هي قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها والمكان الذي نزلت فيه، إنها نزلت على رسول الله ﷺ وهو قائم بعرفة في يوم جمعة، يعني وكلاهما عيد لنا، ففي السنن أن النبي ﷺ قال: يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام. فإذا اتفق يوم عرفة ويوم جمعة فقد اتفق عيدان، ذكره ابن القيم.

فيوم عرفة أيها الإخوة الأحباب هو يوم من أفضل أيام الله المباركة التي يحب الله من عباده أن يعملوا فيها الصالحات، ويكثروا فيها من العبادات، ويستزيدوا من الخيرات، ويقلعوا عن الذنوب والسيئات، ويقبلوا بقلوبهم على فاطر الأرض والسماوات، ويدعونه بخالص الدعوات، فخير الدعاء دعاء يوم عرفة، كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ.

وهو يوم فَضَّله عظيم وخيره عميم، ففيه تصفو الأرواح وتتجلى القلوب، وتتطهر الأبدان وتتهذب النفوس، وترتفع الأصوات في عرفات بالتلبية والذكر والدعاء، فيستجيب الله دعاء الداعين، ويعطي الطالبين، ويضاعف الأجر للعاملين المخلصين، ويهب فيه المسيئين للمحسنين، ويغفر ذنوب الحجاج الواقفين والصائمين لوجهه الكريم، فنعم اليوم يوم عرفة، إنه يوم يكفر الله بصيامه سنة ماضية ومستقبلة.

والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، يقول النبي ﷺ: «**الحج عرفة**»، فمن فاته شرف الوقوف بعرفة فقد فاته الحج بإجماع العلماء، وعلى الواقفين بعرفة تتنزل الرحمات، ويباهي الله بهم ملائكة الأرض والسماوات، ويعتق الله في هذا اليوم المبارك الكثير من النار، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: أُشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم**» وهو يوم يذل

فيه الشيطان أشد إذلال، فعن أبي الدرداء ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمات وتجاوز الله عن الذنوب العظام**».

والوقوف بعرفة أيها الإخوة الكرام يذكرنا كل عام بخطبة وداع رسول الله ﷺ، هذه الخطبة الجامعة المانعة الشاملة لكثير مما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم وهي دستور لهذه الأمة إلى يوم القيامة، لقد وقف رسول الله ﷺ خطيباً في حجة الوداع، وبدأ ﷺ خطبته في هذا اليوم العظيم بحمد الله والثناء عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا قولي، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ، ثم أخذ ﷺ يبيِّنُ للناس أحكام دينهم فكان مما بينه ﷺ لأمته أن بين لهم كيف تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم، ونادى بالمساواة بين أبناء الأمة فقال: **أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلَّا بالتقوى**، وبهذا القول الكريم يلفت الرسول ﷺ النظر إلى شيء مُهِمٍّ بالنسبة للمسلمين وهو أنه لا عبرة بالنسب أو اللون أو اللغة، وليست لهذه المعاني حساب في ميزان التفاضل عند الله تبارك وتعالى، وليست هي المقاييس الحقيقية التي يوزن بها المرء يوم القيامة، بل هناك ميزان واحد تتحدد به القيم ويعرف به فضل الناس وهو ميزان التقوى الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب أو الأنساب أو الأوطان، فمن أراد شرفاً في الدنيا ومنزلةً طيبة في الآخرة فليتق الله، وقد تضمنت تلك الخطبة الجامعة المحافظة على أعراض الناس وأموالهم وأن يردوا الأمانات إلى أهلها، وأن يبتعدوا عن الربا والزنى والقتل وبيَّن فيها ﷺ حقوق النساء وحذر أمته من الشيطان، وفي نهاية خطبته ﷺ نبه أمته إلى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة حيث قال ﷺ: أيها الناس اسمعوا قولي فإني قد بلّغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

فهل آن للمسلمين أن يتذكروا مع هذه الذكرى وصية رسول الله ﷺ وأن

يعتصموا بكتاب الله عز وجل، هذا الكتاب الذي أودع الله فيه من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ما يكفل للإنسان المؤمن حياةً طيبة في الدنيا وسعادة أبدية في الآخرة، وقد قال تعالى مبشراً عباده الصالحين القائمين على كتابه وسنة نبيه ﷺ نيةً وقولاً وعملاً: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. فما أجمل أن ينتهز المسلمون حكاماً ومحكومين تلك المناسبة الطيبة ويتركوا الخلافات التي بينهم إلى جانب ويوحدوا صفوفهم في وجوه أعدائهم، ويعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيها نصرة هذه الأمة وعزها وسعادتها وفوزها في الدنيا والآخرة، لأنهم إذ يفعلون ذلك يُنصرون بعون الله تعالى، والله عز وجل وعد بالنصر من نصر دينه، حيث قال جل شأنه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فإن خرجتم عنها سلط الله عليكم من يخلفكم ولا ينزع الخوف من قلوبكم حتى تعودوا**»، وروى أبو داود بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإن من يعش منكم بعدي سيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**».

أسأل الله تبارك وتعالى أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً وأن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه، وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه، وأن ينصر الإسلام والمسلمين على أعدائهم أعداء الدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

حال الأمة بين الماضي والحاضر

الحمد لله الذي جعل أعياد المسلمين مسرة للقلوب وانشراحاً للصدور وإنهاءً للخصومات والأحقاد، الله أكبر لا إله إلا الله والله ولله الحمد، الله أكبر ما شدّت الرحال إلى بيت الله الحرام قبلة المسلمين ودعامة الإسلام، الله أكبر ما سعت الأقدام لزيارة مسجد سيد الأنام، الله أكبر ما وقفوا على عرفات في موقف مهيب عظيم، يذكر الناس بيوم العرض على رب العالمين وهم يلبون ويهللون ويكبرون أين ما كان وحيث كان، الله أكبر ما وقفوا عند المشعر الحرام وهم شاكرين لله رب الأنام لله تبارك وتعالى ذاكرين، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله سبحانه وأشهد أن لا إله إلَّا هو الملك العظيم الأكبر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الشافع المشفع في المحشر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهر، وارضَ اللَّهمَّ عن الصحابة الطيبين الطاهرين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١] أمَّـا بعد:

أيها الإخــوة المسلمون:

هذا يوم عيدكم قد وافاكم صبيحة يوم مبارك، إنه يوم من أيام الله المباركة، إنه يوم المحبة والألفة، يوم التسامح والتعاطف، يوم التزاور والتراحم، إنه ليوم من أعز الأيام على الله، إنه يوم تتلاقى فيه مشاعر المسلمين على الطاعة والمحبة لله رب العالمين، ويكثر فيه تعاطف الأغنياء مع الفقراء وذوي القربى والمحتاجين، يوم يقف فيه الحجَّاج بالأماكن المقدسة يكبرون الله عند رمي الجمرات، ويشارك المسلمون تلك المشاعر المباركة بالتكبير عقب الصلوات: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد.

أيها الأحبــة الكرام:

بالأمس القريب كان حُجَّاج بيت الله الحرام يقفون في أعظم مشهد على جبل عرفات، حيث كان موقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وقفوا متجردين من كل ما يربطهم بالدنيا وملذاتها، يلبِّي منهم من يلبي، ويهلِّل منهم من يهلل، ويكبِّر من يكبر.

الكلُّ في خشوع وخضوع، الكل هائم في ذكر الله ومناجاته، يبتغون رحمة الله ويرجون مغفرته ورضاه، وهذا اليوم الذي نحن فيه يوم فضل وعيد جليل يجتمع فيه الحجيج بمنى، يستكملون مناسك الحج إلى الله، ينحرون الهدي وهم يذكرون الله ويحيون سنة أبيهم إبراهيم بما يتقربون به من الله بالهدي يبتغون وجه رَبّ العالمين، إظهاراً للتضحية والفداء في طريق الحق والهدى ورمزاً لما يقتضيه الواجب بين المسلمين من تكاتف وتجانب.

ولقد جاء الإسلام ليقيم أمة صالحة، أمة مؤمنة، متحابَّة مضحية بكل ما تملك في سبيل الله وفي سبيل وحدة هذه الأمة، ولتحقيق ذلك حرص الإسلام كل الحرص على أن يكون على رأس هذه الأمة قيادة مؤمنة وحكومة صالحة تشعر بعظيم المسؤولية التي تقع على عاتقها، وتخشى الله لتكون من الفائزين، وها هو ذا أبو بكر الصديق ﷺ الخليفة والحاكم الأول للمسلمين بعد الرسول ﷺ يقول لمَّا بويع بالخلافة وتولى شؤون المسلمين قال: إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع له حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا أخذهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

ولما حضرته الوفاة قال لعائشة رضي الله عنها: لقد كنت استلفت قصعة وفروة من بيت المال فرديها إليه، فلما مات أرسلت بها إلى عمر، فقال عمر: رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك. سبحان الله أي شعور بالمسؤولية هذا وأي

إحساس بالمراقبة لله عز وجل!

وقد روي أن بنات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جِئْنَه يوم العيد وقلن له: يا أمير المؤمنين ليس عندنا من الثياب الجديدة ما نلبسه اليوم. فقال له وزير ماليته: يا أمير المؤمنين إذا كنت لا تجد ما تشتري الثياب به لهن ألا أصرف لك قرضاً تؤديه بعد شهر؟ فقال له أمير المؤمنين: ثكِلَتْكَ أمك أيها الوزير، وهل اطَّلعت على غيب الله فوجدتني سأعيش شهراً؟ ثم نظر إلى بناته وقال لهن: يا بناتي ليس العيد لمن لبس الجديد وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد.

ورُوي أن زوجته دخلت عليه ذات مرة فوجدته يبكي، فسألته عن سبب بكائه فقال لها: لقد فكرت في أمري فرأيت أن الله عز وجل جعل هذه الأمة وفيها الضعيف والمظلوم والمقهور والفقير الجائع والمريض الضائع والشيخ الكبير وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فقلت إن ربي سائلي عنهم يوم القيامة، فخشيت ألا تثبت لي حجة فبكيت.

هذا هو الشعور بالمسؤولية أيها الإخوة تجاه الرعية، والتي نتج عنها أن الذئاب كانت ترعى مع الغنم في عهده، وكانت لا تقربها ولا تؤذيها، فهؤلاء الناس كانوا يشعرون بالمسؤولية الدينية قبل المسؤولية الدنيوية، وكانوا يدركون معنى قوله ﷺ فيما رواه ابن حبان وابن ماجه أنه قال: «**إن الله مع الحاكم ما لم يَجُرْ، فإن جار وكله إلى نفسه**»، وقوله: «**السلطان ظل الله في أرضه، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر، وإذا جار كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر**»، كانوا يعلمون ذلك تمام العلم ويتفانى كل منهم في التزامه ولا يهتم بشخصه بقدر ما يهمه تلك المهمة التي هيأه الله لها وضحوا من أجل ذلك وكانوا يحرصون على الموت في سبيل الله فتوهب لهم الحياة.

أيها الإخـــوة:

إن المسلمين الأوائل كانوا مؤمنين بربهم إيماناً قوياً وكانوا يثقون بالله ثقة لا نهاية لها، وكانوا لا يخافون إلَّا الله، ولا يخشون في الحق لومة لائم، وكانوا يضحون بأنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل الله، وها هو إبراهيم عليه السلام لما ضحى

بولده فداه الله بذبح عظيم، ووهب له الحياة إلى يوم القيامة، فما أحوج المسلمين في هذه الأيام إلى دراسة تاريخ سلف الأمة وإلى دروس حية وقوية في التضحية والفداء لتحيا في الأمة روح التضحية من أجل الدين والأرض والعرض ونصرة المستضعفين وترك الخلاف، فالأمة إذا سرى فيها روح التضحية والفداء زال عنها العناء والشقاء، وسعدت برضى رب الأرض والسماء لأن التضحية شعار الكرامة وعنوان الشرف ودليل الإيمان ورمز الصبر والمثابرة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. ولكن أين المسلمين اليوم وأين الأمة المسلمة؟ وأين الأخوة والوحدة الإسلامية؟ إن المسلمين اليوم للأسف الشديد في عزلة وتخاذل وتنازل واختلاف وتخاصم وشقاق لأنهم الآن محبون لأنفسهم ولا يفكرون إلا في أنفسهم ولا يعيشون إلَّا لأنفسهم ولا يفكِّرون في غيرهم من المسلمين. ومن ثَمَّ فلا عجب أن صاروا ضعفاء بعد أن كانوا أقوياء وأعزاء، ولا عجب أيضاً أن صاروا متأخرين بعد أن كانوا يقودون العالم فيما مضى إلى النور. ولن يستعيد المسلمون مجدهم القديم إلَّا إذا آمنوا بالله إيماناً صادقاً واتحدت كلمتهم وتعاونت قلوبهم حتى يعودوا كالجسد الواحد.

نسأل الله أن يجمع شمل المسلمين على كلمة سواء وأن يرزقهم حب التضحية والفداء في سبيله وإعلاء دينه والعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز، ففي الحديث: «**لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فإن خرجتم عنها سلط الله من عدوكم من يخيفكم ولا يدع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتي**».

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. اللَّهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وارضَ اللهمَّ عن الصحابة أجمعين.

الدنيـــا ظلّ زائل

الحمد لله الذي تفرد بالعز والكمال والعظمة والكبرياء والجلال، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالك ولا يتبعها إلَّا كل منيب سالك، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]، أمَّا بعـد:

أيها الأحبة الكرام:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك. وما أعظمها والله من وصايا جمعت فأوعت ودلت على أبواب الخير، فهذه الوصايا الجامعة تدعو كل مسلم إلى التفكر والاعتبار والزهد في زخارف الدنيا الفانية والعمل الدؤوب للدار الباقية التي قال عنها الحق جلَّ وعلا: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي لهي الحياة الباقية لو كانوا يعلمون، والزهد في الدنيا مقام عظيم لا يتحقق للمسلم إلا بقصر الأمل وتعجيل التوبة والاستعداد بالعمل الصالح للقاء الله في أي لحظة لأن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل، وهو إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، على حسب عمل الإنسان في هذه الدنيا، فالميت يتبعه إلى قبره

ثلاث كما في الحديث: أهله وماله وعمله، فيرجع الأهل والمال ويبقى العمل. وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه والترمذي والحاكم وصححه عن عثمان ﷺ يقول النبي ﷺ: «**إن القبر أول منزلة من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»، ولا نجاة أيها الأحبة في الله إلا بحسن العمل والإخلاص فيه، وقد فطن السلف الصالح إلى هذه الأمور العظيمة فكانوا من الدنيا على حذر لأنهم أدركوا أنها دار سفر فعملوا للآخرة وطلقوا الدنيا تطليقاً ففازوا وربحوا، وصدق فيهم قول من قال:

إنَّ لله عبـــــاداً فُطُنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيهـــــا فلما علموا   أنها ليســـت لحيٍّ وطنا

جعلوها لُجّــــة واتخذوا   صالح الأعمال فيهــا سفنا

يقول الإمام علي ﷺ وكرَّم وجهه: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. وقال أبو سليمان: الدنيا حجاب عن الله لأعدائه، ومطية موصلة إليه لأوليائه، فسبحان من جعل شيئاً واحداً سبباً للاتصال به والانقطاع عنه.

إخوة الإسلام والإيمان:

إن النبي عليه الصلاة والسلام حين يوصينا في شخص هذا الصحابي الجليل أن نعتبر أنفسنا في هذه الدنيا غرباء فإن ذلك من منطلق حرصه علينا ورحمته بنا لأنه ﷺ عرف حقيقة الدنيا ومدى خطورتها على المؤمن من خلال وصف الله عز وجل لها في آيات كثيرة من كتابه، اسمعوا رحمكم الله إلى قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]. ولهذا قال أحد الصالحين: «إنما الدنيا كأحلام نائم، وما خير لا يكون بدائم، وتأمل إذا ما نلت الأمن لذة

وأفتيتها، هل أنت إلا كحاكم».

وقال آخر: «وما دنياك إلا مثل ظل، أظلك ثم آذن بارتحال».

وقال آخر: «الدنيا ساعة فاجعلها لله طاعة».

ولقد حذَّر الله عز وجل نبيه المصطفى ﷺ من مغبة النظر إلى زخارف هذه الدنيا ومتعها الفانية فقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]، ويوم أن خيَّر الله تعالى نبيه ﷺ بين زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده اختار ما عنده، وخطب ﷺ في أصحابه قائلاً: «**إن عبداً خيّره الله بين زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده، وقال: اللهم الرفيق الأعلى**»، ومن ثَمَّ كان ﷺ مثلاً أعلى للزهد والقناعة والرضى بالقليل من العيش حيث قضى ﷺ حياته زاهداً عابداً وعن الدنيا معرضاً ولربه مجاهداً حتى لحق بربه راضياً مرضياً، ومن الشواهد ما رواه الإمام الترمذي وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً إلى فرش فقال: «**ما لي وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»، وهكذا كان حال الأنبياء والصالحين من عباد الله فهذا يوسف عليه السلام وهو على خزائن مصر وتحت يديه المال والملك والدنيا ويقول: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وانظر أخ الإسلام إلى نبي الله سليمان عليه السلام فقد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين، حيث ساس له قيادة الإنس والجن والوحش والطير وسخر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص، ثم أعظم الله سبحانه عليه النعمة وأجزل له المنة فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩] فلم يعتبر سليمان عليه السلام ذلك نعمةً يركن إليها أو مرتبة يعتمد عليها، أو منزلة يطمئن بها بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم استدراجاً من حيث لا يعلم فقال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ

﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، فالأمر شيء لا يتحمله إلا المتقون، فلقد وضع الله الدنيا والآخرة أمام الناس في كفتين متقابلتين مبيناً حال الاثنتين فقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وهذا البيان الرباني يرشد الناس إلى ضرورة تسخير الدنيا في طلب الآخرة وهذا هو طريق النجاة يا عباد الله.

فغداً توفى النفوس مـا عملت ... ويـحصـد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسـنوا لأنفسهم ... وإن أسـاؤوا فبئس ما صنعوا

فاحذر أخي المسلم أن تكون ممن يطلب الآخرة بلا عمل، ويسوِّف التوبة لطول الأمل، فيقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن حُرم لم يقنع، فهذا في الآخرة من المحرومين، فالله عزَّ وجلَّ يقول في الحديث القدسي: «**ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل علي بطاعتي**». فلا بد إذن من العمل للآخرة وعدم الركون إلى الدنيا بحال، ولله در من قال:

لا تركنن إلى الدنيـا وما فيها ... فالموت لا شـك يفنينا ويفنيها

واعمل لدار غد رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن ناشـيها

قصورها ذهب والمسـك طينتها ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيهـا

أيها الأحبـة الكرام:

اعلموا وفَّقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أن الغرض من وجودنا في هذه الحياة وتسخير كل ما على الأرض لنا بقدرة الله ليس الأكل والشرب والتنعم بنعمها الفانية، وكأننا لا نهاية لنا، وإنما الغرض هو عبادة الرحمن وعصيان الهوى والشيطان، وأن نعمر الأرض بالخيرات، ونستكثر من الأعمال الصالحات قبل الفوات لما بعد الممات لنحظى برضى رب الأرض والسماوات، حيث يقول سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ويقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. وروى الإمام أحمد عن أبي بكرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «**من طال عمره وحسن عمله**، قال: فأي الناس شر؟ قال: **من طال عمره وساء عمله**». ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

نسأل الله تعالى أن يطيل أعمارنا وأن يحسن أعمالنا وألا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا من كل خير وأن يجعل الموت راحة لنا من كل شر وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



خُلُق الإسلام (الحياء)

الحمد لله الذي جعل الحياء من أفضل المسالك وأحسن الآداب، ووفق من شاء من عباده للتخلق به وهو الحكيم الوهاب، وأشهد أن لا إله إلَّا الله حث على التخلق بالأخلاق الحسنة الجميلة، ونهى عن الأخلاق السيئة الذميمة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أدبه ربه فأحسن تأديبه، وهذبه فأكمل تهذيبه، وأثنى عليه في كتابه الحكيم، فقال عز من قائل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تأدب بأدبهم وتخلق بأخلاقهم، وسار على نهجهم القويم إلى يوم الدين. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. ثم اعلموا رحمكم الله ووفَّقني وإياكم لما فيه رضاه أن الرسول ﷺ قال فيما رواه البخاري ومسلم: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها لا إله إلَّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»، هذا وقد حدد ﷺ الغاية من بعثته والمنهج المبين في دعوته فقال فيما رواه مالك: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

وأرشد ﷺ إلى حسن الخلق بقوله وفعله، وضرب المثل الأعلى في ذلك مما يترتب عليه ائتلاف القلوب وارتباط النفوس والتعاون على فعل الخيرات بين الأفراد والجماعات، من هديه في ذلك قوله ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم وإنما تسعوهم بأخلاقكم**»، وقوله ﷺ: «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون**».

ولِحُسْن الخلق أيها الإخوة معيارٌ يقاس به ويعرف به ألا وهو الحياء، وهو أصل لكل فضيلة وخير، ولذلك يقول ﷺ فيما رواه البخاري: «**كان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**».

وللحياء أيها الأحبة في الله أثر كبير في سلوك الإنسان ومسيرته في الحياة لأنه يقوي الروابط التي تربط الولد بأبيه والأخ بأخيه والزوج بزوجته والصديق بصديقه والتلميذ بأستاذه والجار بجاره، وبذلك يكون المجتمع الإنساني مجتمعاً مترابطاً خلوقاً، وهذا ما يرشدنا إليه الإسلام في تعاليمه وآدابه. ولذلك يقول النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجه: «**إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء**»، وقد سأله الصحابة قائلين: هل الحياء من الدين؟ فقال ﷺ : **بل هو الدين كله.** والحديث رواه الطبراني في الكبير. ومن ثم فللحياء أيها الإخوة الكرام منزلة عالية في الإسلام لما له من خصائص وميزات وفضائل، وحسبنا من فضائله أنه صفة من صفات الله عز وجل، يقول النبي ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذي: «**إن الله حيي سِتِّير يحب الحياء والستر**». ويقول فيما رواه أبو داود والترمذي: «**إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل يديه إليه بالدعاء أن يردهما صفراً خائبتين**»، وهو خلق نبوي كريم، فقد كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرف ذلك في وجهه، والحياء قرين الإيمان إذا رفع أحدهما رفع الآخر، كما في الحديث الذي رواه الحاكم عن النبي ﷺ.

هذا وينبغي أن يكون خُلُق الحياء في المسلم غير مانع له من أن يقول حقاً أو يطلب علماً أو يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، ولنا في رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم الأسوة الحسنة، فقد شفع مرة عند رسول الله ﷺ أسامة بن زيد حِبّ رسول الله وابن حِبّه، فلم يمنع الحياء رسول الله ﷺ أن يقول لأسامة في غضب: «**أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟ والله لو سرقت فاطمة لقطعت يدها**». ولم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول: إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فيقول الرسول ﷺ ولم يمنعه الحياء: «**نعم إذا رأت الماء**». وخطب عمر رضي الله عنه مرة فعرض لغلاء المهور، فقالت له امرأة: يعطينا الله وتمنعنا يا عمر؟ ألم يقل الله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [التوبة: ٢٠] فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق النساء، ولم يمنع عمرَ الحياء أن يقول معتذراً: كل الناس أفقه منك يا عمر.

كما خطب مرة في المسلمين وعليه ثوبان فأمر بالسمع والطاعة، فنطق أحد المسلمين قائلاً: لا سمع ولا طاعة يا عمر، عليك ثوبان وعلينا ثوب واحد، فنادى عمر بأعلى صوته: يا عبد الله بن عمر، فأجابه ولده: لبَّيك أبتاه، فقال له: أنشدك الله أليس أحد ثوبي هو ثوبك أعطيتنيه؟ قال: بلى والله، فقال الرجل: الآن نسمع ونطيع يا عمر. فانظر كيف لم يمنع الحياء الرجلَ أن يقول، ولا عمر أن يبيِّن، لأن الثياب كانت غنائم.

والمسلم كما يستحي من الخلق فلا يكشف لهم عوراته، ولا يقصر في حق وجب لهم عليه، ولا ينكر لهم معروفاً أسدوه إليه، ولا يخاطبهم بسوء، ولا يجابهم بمكروه، فهو يستحي من الخالق سبحانه. فلا يقصر في طاعته ولا في شكر نعمته ولا يبارزه بالمعاصي، وذلك لما يراه من جلال قدرته ودوام نعمته، ولذلك يستحي أن يراه ربه حيث نهاه ويفقده حيث أمره، وإذا استحى العبد من ربه كذلك فقد استكمل الخير كله. روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء.** قلنا: يا رسول الله إنَّا لنستحي والحمد لله، قال: **ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء**». رواه الإمام الترمذي في صحيحه.

فيا أيها الإخوة المسلمون راقبوا الله تعالى، واحذروا ترك هذا الخلق الكريم، فقد قال مالك بن دينار: ما عاقب الله قلباً أشد من أن يسلب منه الحياء، فروِّضوا أنفسكم يا عباد الله على خلق الحياء، وعولوا عليه في جميع شؤونكم، حتى تفوزوا مع الفائزين بدار النعيم، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النِّسَاء: ٦٩].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

مواعظ لقمان لابنه

الحمد لله الذي جعل القصص القرآني موعظةً للمتقين، وتذكرةً للغافلين، وتثبيتاً لأفئدة المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له يقول في كتابه الكريم: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ ، أيده ربه بالمعجزات التي أثبتتها المشاهدة والحسّ، وأقر بها الجن والإنس من جماد يتكلم وجذعٍ لفراقه يتألم، وقمر له ينشق، وضَبُع يشهد أن ما جاء به من عند ربه هو الحق، صلوات الله وسلامه عليه، نبع من كفه الشريف الماء الكثير، وأطعم بالقليل من الطعام الجم الغفير، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإن الوصية بالتقوى هي وصية الله إلى الخلق أجمعين، يقول جل وعلا في كتابه المبين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النِّسَاء: ١٣١]. ثم اعلموا -رحمكم الله ووفَّقني وإياكم لما فيه رضاه- أنَّ الوعظ هو التذكير بالخير والمعروف أو بما يرق له القلب، وهو أهم ما تصلح به النفس البشرية، لذلك أمر الله به نبيه ﷺ فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النِّسَاء: ٦٣].

والوعظ أيها الأحبة في الله من النصيحة التي هي عماد الدين وجوهره، فلقد أخرج الإمام مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس الداري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله عز وجل ولكتابه ولرسوله**

ولأئمة المسلمين وعامتهم».

والنصيحة أيها الأخوة الكرام هي أداء الخير للمنصوح له، فحبك الخير لله عز وجلَّ ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم هو النصح لهم، والنصيحة لله تعالى تعني صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته وإرشاد الغير بالنصح إلى اتباع هذا الخير، والنصيحة لكتابه تعني الإيمان به والعمل بما فيه والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأما النصيحة لرسوله فهي التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به وفيما نهى عنه، والإرشاد إلى اتباعه وعدم مخالفته، والنصيحة إلى عامة المسلمين هي إرشادهم إلى مصالحهم، وأما النصيحة لأئمة المسلمين فإنها تعني بالضرورة إعانتهم على الحق وفعل الخير وطاعتهم في غير معصية الله، وتذكيرهم بحوائج العباد، وأئمة المسلمين هم قادتهم في تنظيم شؤون الحياة لهم، والقائمون بأعباء الرسالة الإسلامية ونشرها بين الناس، فتشمل الملوك والأمراء والحكام والرؤساء والعلماء، وطاعة هؤلاء واجبة، والنصيحة لهم من أرضى الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، ففي الحديث: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**».

وينبغي أن تكون النصيحة لهؤلاء بالحكمة ولين الجانب وتخير الأسلوب المناسب لتحقق النصيحة مرادها، وتؤتي ثمارها، ولسلفنا الصالح في ذلك آثار كثيرة ومنها أن الإمام الأوزاعي دخل على المنصور وكان شديد الهيبة، فقال له: عظمني، فقال له: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله هو الحق المبين، ومن كره الحق فقد كره الله، يا أمير المؤمنين إن الملك لا يدوم لمخلوق، وإنما الملك لله وحده، ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك، يا أمير المؤمنين إن رسول الله دعا بالقصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً وهو غير متعمد له فقال الأعرابي: بأبي أنت وأمي قد أحللتك، وما كنت لأفعل ذلك بك أبداً يا رسول الله. يا أمير المؤمنين إن خير الزاد عند التقوى، ومن طلب العزة بتقوى الله وطاعته رفعه الله، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذله، فلما انتهى من موعظته أمر له المنصور بمال، فاعتذر

واستعفى من قبوله وقال: يا أمير المؤمنين ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا وأحرم ثوابها وأقلل من نفعها، وما دام أمير المؤمنين قائماً فينا بالعدل فنحن في خير الله ثُمَّ في خيره.

في حين دخل واعظ على المأمون بن الرشيد ليعظه فعنف له في الموعظة، فقال له المأمون: اتَّق الله يا رجل وارفق، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال له: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤] يعني نبي الله موسى وأخاه هارون لما بعثهما إلى فرعون، فشتَّان ما بين الناصحين وما بين الأثرين، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**ما كان الرفق في شيء إلَّا زانه، وما كان العنف في شيء إلَّا شانه**»، فالنصيحة أو الموعظة تحتاج دائماً إلى الحكمة لتؤتي ثمارها.

ولقد قصَّ القرآن الكريم علينا قصة لقمان الحكيم عليه السلام، وهو ينصح ابنه فلذة كبده في موعظة بليغة، وقد آتاه الله الحكمة فأخذ يعظ ابنه بحكمة في أسلوب دقيق ومنهج سوي ومثال فريد وأسوة صالحة للاقتداء به في نصح الآباء لأبنائهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[لقمان: ١٢].

لقد كان أول ما وعظ به لقمان ابنه هو أهم أركان الإيمان، وهو إفراد الله بالعبادة، وتحذيره من الإشراك بالله، لأن توحيد الله وحمده بما يليق بكماله وجلاله هو الأساس لكل عبادة أو عمل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، إنها لنصيحة غالية، فهل يريد الوالد لولده دائماً إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً أميناً.

أيها الإخوة الكـــرام:

تأمَّلوا كيف بدأ لقمان في وعظه لابنه بالأهم وهو المنع من الإشراك، وقال له إن الشرك لظلم عظيم لأنه وضع وتحقير لنفس شريفة مكرمة كرمها الله بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] ووضع للعبادة في غير موضعها، وهي أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره سبحانه كالدعاء والاستغاثة، فيكون

بذلك قد صرف حقاً من حقوق الخالق إلى المخلوق الضعيف، وهذا هو أعظم أنواع الظلم لأنه خروج عن الطاعة، وبعد عن الاستقامة التي فطر الله عليها قلوب الموحدين من عباده وأمرهم بها ودعاهم إلى الاستقامة عليها، وبشرهم على ذلك بالجنة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي: وأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، كما فسَّر أبو بكر ﷺ وغيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فُصِّلت: ٣٠] بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره سبحانه. فمتى استقام القلب على معرفة الله ومحبته وإجلاله وخشيته ومهابته ودعائه ورجائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعة الله لأن القلب هو مَلِكُ الأعضاء وهي جنوده فإذا استقام القلب على (لا إله إلَّا الله) استقامت جنوده ورعاياه، وفي هذا يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

وهذا هو التوحيد الكامل الذي يغفر الله معه أي ذنب، فهو كالأكسير الأعظم الذي لو وضعت منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لأذابتها، بل وبدلتها حسنات، لأن للتوحيد نوراً يبدد ظلام الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور. وهذا هو السِّرُّ الأعظم الذي ثقَّل بطاقة الرجل وطاشت من أجله السجلات في ساعة العرض على رب الأرض والسماوات، كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله ففي الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كلُّ سِجِلّ مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتَبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم،**

فيخرج بطاقة فيها شهادة لا إله إلَّا الله محمد رسول الله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السِّجِلّات في كفّة والبطاقة في كفّة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فإنه لا يثقل مع اسم الله تبارك وتعالى شيء». والسر هو كمال التوحيد يا عباد الله.

إخوة الإســـلام والإيمان:

إن ما نصح به لقمان ابنه هو في الحقيقة منهج متكامل في الوعظ والإرشاد لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الآباء والأبناء وبين الناس بعضهم مع بعض، فقد أراد لقمان إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والترقي في مدارج الكمال البشري، وذلك بأن يخلص العبادة لله قيوم السماوات والأرض، وأن يقيم شعائر الدين وأولها إقامة الصلوات ثم التحلي بمكارم الأخلاق، فمجمل موعظة لقمان لابنه هو المحافظة على أركان العقيدة وأولها توحيد الله عز وجل وتعظيم شعائره وأداء فروع العبادة والمحافظة على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة مع الخلق بالتواضع لهم وعدم التكبُّر عليهم، فلله در لقمان عليه السلام، ونضَّر الله وجهه وأعلى مقامه عند الله لما قدمه لنا من هذه النصائح الذهبية التي نحن في حاجة ماسة إلى التمسك بها فتمسكوا بها يا عباد الله وعَضُّوا عليها بالنواجذ تكونوا من المفلحين إن شاء الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضــائل الصلاة

الحمد لله القائل في كتابه المبين: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[البقرة: ٢٣٨] وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له خلق الخلق بقدرته، وأوجدهم في الكون لعبادته، وأرشدهم إلى ذلك بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّاريات: ٥٦] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى الناس قلباً وأشدهم لربه طاعة وحباً، امتزجت العبادة في حياته كما يمتزج في مداره الفلك، وسما في عبادة ربه فما بلغ شأنه إنس ولا ملك ﷺ.أما بعد:

فالحق تبارك وتعالى يقول آمراً عباده أجمعين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٢١]. ويقول في حديثه القدسي: «**يا عبادي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم من وحدة لأمر عجزت عنه، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرةً وأصيلاً**».

وتحقيقاً لذلك إخوة الإسلام كانت المهمة الأولى للرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته، وأن يبينوا لهم أن ذاك حق الله تعالى عليهم، ومن الشواهد على ذلك قول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وما رواه البخاري عن معاذ حيث قال: «**كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً**».

ولقد يسَّر الله عز وجلَّ لعباده في ظل هذا الدين العظيم شكل العبادة ليتحقق لهم بها الفوز والسعادة، وجاءت الصلاة في مقدمة تلك العبادة لأنها عماد

الدين وركنه الركين، وآخر ما وصى به سيد المرسلين، هي الفريضة الوحيدة التي فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج لمكانتها العظيمة في هذا الدين، ولذلك أخبر الرسول ﷺ أنه من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها فليس له نور ولا برهان ولا نجاة وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون والعياذ بالله، ومن ثم فالصلاة أيها الأحبة في الله من أجل العبادات التي أنعم الله بها على عباده المسلمين، لأنها تنظم صلتهم بالله حين يمسون وحين يصبحون وعشياً وحين يظهرون، وحين يكررونها خمس مرات في اليوم والليلة تكون لهم بمثابة نهر روحي يتطهرون به من غفلات قلوبهم ومن أدران خطاياهم، وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ حيث يقول في حديث رواه البخاري ومسلم: «**أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى ذلك على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]. وبيَّن سدينا الرسول للمسلمين ما لصلاة الجماعة من الثواب والفضل العظيم ليحافظوا عليها فقال فيما رواه البخاري وغيره: «**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له درجة وحطت عنه خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث، تقول: اللَّهمَّ صلِّ عليه، اللَّهمَّ ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**».

وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على الصلاة في الجماعة حتى في مرضه، وكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، بل كان الصحابة يسيئون الظن بمن تخلف عن الصلاة في الجماعة، لا سيما الفجر والعشاء، وكان بعض السلف يعزون أنفسهم ثلاثة أيام لمن فاتته تكبيرة الإحرام، وخمسة لمن فاتته صلاة الجماعة مع الإمام، ويقولون: ليس المصاب من فقد الأحباب، ولكن المصاب من حُرم

الثواب. واسمعوا رحمكم الله إلى هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ : من سرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلَّا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف.

أيها الأحبـــة في الله:

وليس ذلك كله إلَّا لما للصلاة من شأن عظيم. ولقد حذر النبي ﷺ تحذيراً شديداً من التخلف عن صلاة الجماعة بل وتوعّد من تخلف عنها كما ورد في الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معه برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»، فهل هناك أيها الحبيب الكريم وعيد أشد من التخلف عن صلاة الجماعة، وهذا الوعيد الشديد يدل على عظم أمر الصلاة عند الله ورسوله والمؤمنين.

فالصلاة في حقيقتها تعميق لمعاني العبودية والتوحيد، وفي إقامتها والمحافظة عليها اعتراف لله بالربوبية والتدبير، فمن أقامها بخشوع وواظب عليها بإخلاص قويت صلته بالله، وكلما ازداد العبد بصلاته على الله إقبالاً كلما ازداد من الله ولايةً ومحبةً وقبولاً، والشاهد ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه**».

فأعمال البر دائماً تثمر الهدى، وتزيل الردى، يقول الله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ

ﭐلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٤-١١٥]. وانظروا أيها الأحبة إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وإلى ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ في صلاة الغداة حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة وصلى وتجود في صلاته، فلما سلم قال: على ما أنتم عليه على مصافكم أني سأحدثكم بما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري ربي، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري ربي، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى في كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ - يعني ما هي الأعمال التي يتنافس فيها وتتحاور بخصوصها الملائكة في السماء والتي تزداد لها الحسنات وترتفع بها الدرجات في يوم العرض على رب الأرض والسماوات يوم القيامة- قلت: في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء على الكراهات، قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فاقبضني إليك غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك، ثم قال: إنها حق فادرسوها وتعلموها.

أسأل الله أن يفقهني وإياكم في الدين، وأن يجعلني وإياكم من الصالحين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الأمن من أسس الرقي في المجتمع

الحمد لله الذي أنزل الكتاب والحكمة، وأرسل الرسل إلى الناس هداية ونعمة، وعلم الضعف من الخلق فكتب على نفسه الرحمة، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده إله عظيم قادر كريم، وعد المؤمنين المقسطين بالأمن والهداية والتمكين، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى والرسول المجتبى، فطر الله ذاته على الطهر والعفاف، وأقام به شريعة العدل والإنصاف، صلى الله عليه وعلى أله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أمَّا بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وتذكروا دائماً أن الآجال تطوى والأعمار تفنى وما عند الله خير وأبقى، وكونوا دائماً على يقين أنه لا سعادة للإنسان ولا أمن ولا أمان للبلاد والأوطان في كل زمان ومكان إلا بالإيمان، وتطبيق منهج الإسلام، لأن الإيمان بالله تعالى نور يشرح الصدور، وينير العقول ويهدي إلى الصراط المستقيم، الذي يتحقق به وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالأمن والأمان والتمكين، حيث قال جلَّ وعلَا في كتابه الكريم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾ [النور: ٥٥].

وتحقيقاً لذلك أيها الأحبة الكرام دعا الإسلام المسلمين أن يقيموا حياتهم على أساس من الإيمان، والأمن والحياة المستقرة، ليأمن الناس جميعاً في ظل الإسلام على أرواحهم وأموالهم.

ولا شك أن من دواعي الأمن والاستقرار تحقيق ما أمر به الإسلام من إقامة العدل بين الرعية على يد راعيها ليرفع بذلك من شأن العدل في نفوس الناس، وليعلي من مكانة الإمام المقسط العادل، حسبه في ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «**إنَّ المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا**».

ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قريب ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**»، ولا ريب إخوة الإيمان أن القاعدة الأساسية في سلوك المؤمن حاكماً أو محكوماً هي إحساسه بالله تبارك وتعالى مع كل خطوة يخطوها وكل همسة يهمسها ومن هنا لا تزن الدنيا في نفسه مثقال ذرة، إلَّا إذا كانت لله فهو حين يملأ نفسه بمحبة الله تعالى ومراقبته والخوف منه فإنه يتذكر دائماً أن الله العدل سوف يحاسبه عاجلاً كان أم آجلاً وأن أعماله لا تخفى على الله منها خافية، فكيف يغفل عن هذا كله والحق تبارك وتعالى أخبر عنه في القرآن بقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ذلكم شعور المؤمن، لا يتجه إلى الناس، وإنما يستحضر رهبة الله في قلبه حين يقدم على عمل أو يضطلع بمسؤولية أو يحكم في قضية.

هذا أبو بكر ﷺ يقول للناس يوم تولى الخلافة: أيها الناس الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه. فإقامة العدل هنا هي مسؤولية الخليفة أو السلطان فلا يلقي بالاً لقوي من حيث هو قوي لأنه يرى أن الحق أقوى منه بل هو الحق الذي يشد أزر الضعيف حتى ينتصر، وكيف لا يكون هذا منهج خليفة رسول الله ﷺ مع الرعية، وقد أناط النبي ﷺ مسؤولية الرعاية للرعية على الرعاة فقال: «**كلُّكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته**» والحديث رواه البخاري ومسلم.

وبهذا التوجيه النبوي الشريف الذي أحاط بجوامع الكلم يضع النبي ﷺ أسس الحياة الهانئة للإنسان في أمنه الاجتماعي والروحي والصحي والاقتصادي

على عاتق الرعاة من خلال تطبيقهم لمنهج الله بين الرعية؛ فلقد حقق تطبيقُ منهج الله في الأرض الأمنَ والأمانَ والسعادةَ والرَّخاء والطمأنينة القلبية والسعادة النفسية وانشراح الصدر، لا أقول هذا رجماً بالغيب لأنه واقع، لأنه تاريخ مفتوح صفحاته لكل من أراد أن يقرأ وأن يتعرف على الحقائق، ولا أقول ذلك على المسلمين الذين نفذوا منهج الإسلام فحسب وإنما أقول لليهود والنصارى الذين عاشوا تحت ظلال منهج الإسلام في أي بقعة من بقاع أرض الله جلَّ وعلا، والتاريخ خير شاهد وعلى سبيل المثال ذلكم هو اليهودي الذي سرق درع علي ولعلكم تعلمون القصة وغيرها كثير وكثير، وعلي حينئذٍ كان خليفة المسلمين وأميراً للمؤمنين، ولما رأى علي الدرع مع اليهودي قال: هذا درعي ولا أتركه، وقال اليهودي بل هو درعي.

أتدرون ماذا حدث؟ مثل علي ﷺ خليفةُ المسلمين وأمير المؤمنين مع اليهودي أمام قاضي المسلمين شريح رحمه الله رحمةً واسعة، ونادى شريح على علي قائلاً: يا أبا الحسن، ونادى اليهودي باسمه، فغضب علي، فظن شريح سوءاً وقال لعلي: ما الذي أغضبك؟ فقال علي: يا شريح أما وقد كنَّيتني بكنيتي وقلت يا أبا الحسن فكان من حق اليهودي أن تكنيه هو الآخر بكنيته. ما هذا الخلق؟ وما هذا الدين العظيم؟ ومثل علي واليهودي أمام شريح، وقال شريح: يا علي ما قضيتك؟ قال: الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فنظر شريح إلى اليهودي وقال: ماذا تقول في كلام علي؟ فقال: الدرع درعي وليس أمير المؤمنين عندي بكاذب، فنظر شريح إلى علي وقال: هل عندك من بينة؟ فالبينة على من ادعى واليمين على من أنكر، قال: لا، وكان شريح رائعاً بمقدار ما كان أمير المؤمنين عظيماً، وقضى شريح بالدرع لليهودي. وأخذ اليهودي الدرع وخرج ومضى غير قليل، ثم عاد مرة أخرى ليقف أمام علي وأمام القاضي وهو يقول: ما هذا الدين وما أروعه؟ أمير المؤمنين يقف أمامي خصماً وأمام قاض من قضاة المسلمين ويحكم القاضي بالدرع لي، والله ليست هذه أخلاق بشر، إنما هي أخلاق أنبياء، أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فسعد علي. وقال اليهودي: يا أمير المؤمنين الدرع درعك فقد

سقطت منك فأخذتها، فنظر علي إلى اليهودي مبتسماً وقال: أما وقد شرح الله صدرك للإسلام فالدرع مني هدية لك.

فهذا الأمن والأمان لمن؟ لأبناء اليهود والنصارى تحت ظلال الإسلام الوارفة، وكذلك النصارى وما حدث لابن والي مصر عمرو بن العاص بين يدي عمر ﷺ في المدينة حين ضرب القبطيَّ في مصر فشكاه القبطيُّ إلى عمر ﷺ في المدينة فاستدعاه وأباه، ويأتي عمرو بن العاص من مصر مع ولده ويقفان أمام أمير المؤمنين عمر ﷺ ويقف القبطي، ويأمر القبطيَّ بضرب ابن عمرو ويرفع عمر العصا للقبطي ويقول له: اضرب ابن الأكرمين، ويأخذ القبطيُّ العصا ويضرب رأس ابن عمرو، ثم يقول اضرب أباه؛ لأنه ما تجرَّأ على فعلته إلَّا بوجود بأبيه في الولاية، وهنا ينظر عمر إلى عمرو ويقول قولته الخالدة الشهيرة التي لا أقول تكتب بمداد من الذهب وإنما تكتب بمداد من النور، حيث علا صوت عمر وهو يقول: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

عبــاد الله:

هذا المنهج هو الذي يحقق الأمن والأمان في أرض الله لا للمسلمين فحسب وإنما لليهود وللنصارى الذين يعيشون في ظلاله الوارفة اليانعة. ونريد أن تتضح الحقائق للذين يخافون من دين الله عز وجل، الذي وفر لهم الأمن والأمان في بلاد الإسلام أكثر مما وفرته لهم دياناتهم وقوانينهم ومواثيقهم.

ولقد حمل الرسول ﷺ كل مسلم مسؤولية تحقيق الأمن فقال ﷺ في توجيهه النبوي الشريف: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**». والحديث رواه البخاري. ومن ثَمّ علينا جميعاً أن نحافظ على أمن المجتمع في إطار من الأخوة والتراحم والتعاون فيما بيننا لما فيه خير وطننا وأمتنا، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد**

الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

ونتوجه إلى الله تعالى بقلوب خاشعة وأكف ضارعة أن يوفقنا الله تعالى لمراضيه ويجنبنا مناهيه ويجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه، ويردنا رداً جميلاً إلى الدين ويهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



ثمــار التقوى

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله الله بيده مقاليد السماوات والأرض، ومصائر الخلق، من اتقاه وقاه وجعل الجنة مثواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، أتقى الناس قلباً، وأشدهم لله تعالى خشيةً وطاعةً، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه معالم الهدى ومصابيح الدجى، وارضَ اللَّهمَّ عن خلفائه الراشدين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **أمَّا بعـد:**

عبــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنها جماع الخيرات، وحصون البركات، وأكثر خصال المدح ذكراً في كتاب رب الأرض والسماوات، فهي دعوة الأنبياء، وحلية الأولياء، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢-٦٣]، لذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: كل مؤمن تقي فهو لله ولي.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من أوليائه وأتقيائه، وأن يتغمدنا في الحياة وبعد الممات بواسع رحمته وعفوه وكرمه وعطائه.

إخوة الإســلام والإيمان:

لقد جاء الإسلام إلى هذا العالم في وقت كان ولا بد أن يأتي فيه، فلقد وفد على الدنيا كما تفد العافية على الجسم الذي أنهكه المرض، وهزمته العلة، وطرق باب الإنسانية كما يطرق السخي الكريم باب قوم طحنهم الجوع وأذلهم الحرمان.

وكان نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في علاجه لأمراض المجتمع كالطبيب الحاذق الذي يسوق البرء للمريض في قطرات من الدواء، أو لمسات من العلاج برحمة وحكمة، وكيف لا وهو الذي بعثه الله للعالمين رحمةً، وجمله بالحلم

واللين والرأفة، وأعطاه جوامع الكلم.

وهل تجد يا أخ الإسلام شيئاً أجمع لمناهج الإصلاح وأحفظ للحقوق وأشمل لأنواع المعاملات من قول الرسول ﷺ في حديثه الشريف: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**». إن هذا الحديث الجامع الذي رواه الترمذي تضمن ثلاث وصايا جامعة انتظمت خلالها جميع المعاملات التي يستقيم بها أمر الدين والدنيا معاً، فلقد بينت بإيجاز حق الله تعالى وحقوق العباد. أما حق الله في هذه الوصايا الجامعة هو أن يُتقى الله حق تقاته، بمعنى أن يعبد فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يحمد على السَّـرَّاء والضراء كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ومن يتق الله هكذا يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

وأمَّا حقوق العباد في هذه الوصايا فهي على أمرين: أولاً حق الإنسان، وثانياً حق غيره عليه.

أمَّا حق الإنسان على نفسه هو أن يربيها على التقوى فيسوقها إلى الطاعة، ويباعد بينها وبين المعصية، فإن حادت عن الصراط المستقيم ردها إليه من قريب، وأتبع السيئة الحسنة فإنها تمحها وتذهبها كما في الوصية الثانية من الحديث، وإن كان في ذلك مجاهدة للنفس إلا أنها تكسب العبد هداية لله سبحانه حيث يقول جلَّ شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالجزاء من جنس العمل.

وأمَّا حق الناس على الإنسان فإنه يتحقق بلين المعاملة وطيب المعاشرة، وأن يخالقهم بخلق حسن كما في الوصية الثالثة، وأساس ذلك كله التقوى فهي الجامعة لكل خير، ومن الشواهد ما رواه الحاكم بإسناد حسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله**». ولقد وجه القرآن الكريم كبير عنايته للتقوى، ووردت في آياته الشريفة على أساليب مختلفة بين ترغيب وترهيب ووعد ووعيد، فمثلاً انظروا رحمكم الله إلى جانب الترغيب في التقوى، حيث يقول جلَّ وعلَا: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ

﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦]. ثم انظروا رحمكم الله في جانب الترهيب والوعد والوعيد إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١-٢]، وإلى قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ ﴾ [لقمان: ٣٣].

ومهما تنوعت أساليب الدعوة إلى التقوى في القرآن الكريم ما بين ترغيب وترهيب فالمقصود الأول منها أن يتخذ العبد لنفسه وقاية من المعاصي تقية سخط الله وغضبه وعذابه، ولتحقيق ذلك لا بد أن يراقب العبد ربه وأن يعلم أنه سبحانه يراه حيث كان، وأنه مطلع على ظاهره وباطنه، محيط بقوله وعمله لا يخفى عليه شيء من أمره، وأن يضع نصب عينيه قول ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧] وهذا ما عبر عنه أحد السلف الصالح بقوله:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

ولقد ورد أن الإمام أحمد رحمه الله لَمَّا سمع هذه الأبيات من قائلها انتفض قائماً ودخل داره وأغلق عليه بابه وهو يرددها ويبكي، وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، وتلك ثمرة التقوى، ولذلك يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليس التقوى بصيام النهار ولا بقيام الليل أو التخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله، فمن رُزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير.

وكتب رضي الله عنه إلى رجل من عماله فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلَّا أهلها، ولا يثيب إلَّا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.

جعلنا الله وإياكم من المتقين. ولما سئل أبو هريرة ﷺ عن التقوى قال للسائل: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: كيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك نزلت عنه أو جاورته أو قصرت -أي شمَّرت- ثوبي وأخذت حذري، قال: ذلك التقوى. يعني أن تحذر من المعاصي والذنوب وتبتعد عنها مهما كانت صغيرة، وفي هذا يقول الشاعر ابن المعتز:

خلِّ الذنـــوب صغيرها وكبيرها فهـــو التقى

واصنع كماش فـــوق الشوك يحذر مـــا يرى

لا تحقـــرنَّ صغـــيرة إنّ الجبـــال من الحصى

ولما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال في وصيته له: «**يا معاذ اتق الله ما استطعت، واذكر الله عز وجل عند كل شجرة وحجر . .**» أو كما قال ﷺ.

وما أعظم قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله سبحانه وتعالى في حديثه القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**». ولله در من قال:

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى تجرد عرياناً ولـو كان كاســيا

فخير لبـــاس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيـــا

فاتقوا الله عباد الله، وتمسكوا بدينكم، واعملوا بهدي نبيكم ﷺ.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلني وإياكم من المتقين، وأن يختم لي ولكن بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خُلُق الإسلام (الحلم والأناة)

الحمد لله الذي حثنا على مكارم الأخلاق، ووجهنا إلى أن نعامل الناس بالحلم، وأن تكون علاقتنا بهم علاقة رحمة ومحبة ومودة، وأمرنا بأن نتمثل قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وضع لعباده من النظم ما يكفل لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وأشهد أن محمداً رسول الله، جاء بالإسلام سلماً للأصدقاء، وشدة على الأعداء: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اتخذوا من سيرة رسولهم الكريم أسوة حسنة، كما قال لهم المولى تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. **أمَّا بعد:**

فإن الناس في حياتهم يتفاوتون في مشاربهم، ويختلفون في منازعهم على ثلاثة أصناف: صنف يقِلُّ منه فعل الخير، وكثيراً ما يصدر عنه الشَّرّ، وإذا ما حاول إنسان أن يدفعه إلى ما هو خير وإلى اجتناب ما هو قبيح أعرض ونأى بجانبه، وربما قابل هذا النصح الهادئ بالصد والإيذاء.

وصنف ثانٍ يفعلون الخير، ولكنهم ينتظرون الجزاء العاجل، وهم لا يبدؤون أحداً بظلم ولكنهم إن ظلموا انتقموا ممن ظلمهم، وحرموا من حرمهم، وردوا الأذى عن أنفسهم بكل ما يستطيعون من وسائل، شعارهم في الحياة: الشر بالشر، والبادئ أظلم، أو كما قال القائل:

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا   فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا

وصنف ثالث يتجاوزون العدل إلى الفضل، لا يظلمون أحداً، بل يعفون عمن ظلمهم، ولا يبخسون أحداً حقه، بل يسمحون له ببعض حقوقهم، إن نالهم أذى من غيرهم لم يقابلوه بأذى مثله، بل أعرضوا عمن قدم الأذى تكرماً منهم مع قدرتهم على أن ينتقموا لأنفسهم، وهذا الصنف من البشر كريم النفس طيب الخلق عالي المروءة، يدفع بالتي هي أحسن، ولا يقدر على ذلك إلا أولو الفضل من الناس، ولهذا قال جلَّ شأنه: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

إخـــوة الإيمان:

إن صفة الحِلْم والأناة من الصفات الحميدة التي يحبها الإسلام، ويحث أصحابه على التخلق بها، لأنها أساس الحبِّ والصفاء بين الأفراد، وأساس الترابط والاستقرار بين الجماعات، وعلى أساسها تتكون العلاقات الطيبة بين الناس. ولذا نجد الحق تبارك وتعالى وصف نفسه بالحلم، وجعله من مدلولات صفاته ليشعر عباده جميعاً بأهمية هذه الصفة الكريمة، وليبين لهم أنها من لوازم حياتهم، حتى يعيشوا سعداء في ظل تراحمهم، وينعموا بالطمأنينة والأمن في رحاب رفقهم ومودتهم، ودفعهم السيئة بالتي هي أحسن.

ولأهمية هذه الصفة وكثرة عطائها وعظيم آثارها نجد أن الحق تبارك وتعالى أضاف صفة الحليم إلى نفسه مقترنةً بصفات أخرى لجلاله، وهذا يدلنا على ما لها من منزلة جليلة، ومكانة عالية عنده جل شأنه، فمع مغفرته وصف نفسه بالحلم، فقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، ومع غناه وصف نفسه بالحلم فقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، ومع علمه سبحانه وصف نفسه بالحلم فقال: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٩]، إلى غير ذلك مما توارد في القرآن الكريم.

ومن هنا كانت أوامر الله تعالى وتوجيهاته لرسوله أن يكون سمحاً حليماً رحيماً آخذاً بالعرف متصفاً بالعفو، متجاوزاً عن إساءة الجاهلين، وفي هذا يقول الحق جلَّ وعلا: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]،

ولما نزلت هذه الآية الكريمة على رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال: حتى أسأل العليم، ثم أتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. وبهذا الأدب الإلهي العالي ألَّف سيدنا الرسول ﷺ حول دعوته القلوب، وجعل أصحابه يفدونه بأرواحهم وبأعز ما يملكون، بخلقه الكريم، وبحلمه وعفوه، وكثيراً ما كان يُستغضب غير أنه ما تجاوز حدود التكرم والإغضاء، لم ينتقم لنفسه قط إلَّا أن تنتهك حرمات الله فيغضب لله تعالى، وسيرته ﷺ تفيض إشراقاً بمواقف العفو ومقابلة الإساءة بالكرم والإحسان، يقول جابر فيما رواه الشيخان وغيرهما: كنا بذات الرقاع إذا بنا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، فجاء أعرابي وسيف رسول الله معلق بالشجرة. ووقف به على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد تخافني؟ قال: لا، قال: ومن يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه الرسول ﷺ وقال: ومن يمنعك مني؟ قال: يا محمد كن خير آخذ، قال: تشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: لا غير أني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى رسول الله ﷺ سبيله، فلما رجع إلى قومه قال: جئتكم من عند خير الناس.

وحسبنا في هذا المقام مقام مقابلة الإساءة بالإحسان أن نتذكر موقفه عليه الصلاة والسلام عندما دخل مكة في عشرة آلاف من جند الله وبعد أن حطم الأصنام وأذن بلال ووقف النبي ﷺ أمام الكعبة فرأى أهل مكة الذين طردوه وأخرجوه من بلده ومن بين أهله وعشيرته يرتعدون أمامه وهم في صغار وإذلال فقال: ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟ فقالوا: أخٌ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ «**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**». ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت القطيعة والجفاء ولكن فعله ﷺ كله جميلٌ، وهل ينضح إلَّا ما حواه الإناء.

فسيرته ﷺ تفيض إشراقاً بمواقف العفو والحلم والرحمة، وتعد نبراساً لمن ينشد الكمال ومعالي الأمور ومعالم لمن يطلب حياة الشرف والمروءة ومن أحق بذلك من سيدنا رسول الله ﷺ، وقد علمنا في كثير من سيرته النبوية ودروسه

العملية كيف نضبط النفس ونعفو عمن أساء، وقد جاءه أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا أحسنت ولا أجملت، فغضب المسلمون فأشار إليهم أن كُفّوا، ثم قام ودخل منزله، فأرسل إليه وزاده شيئاً، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له النبي: إنك قلت ما قلت آنفاً، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل ما بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال: نعم، فلما كان الغد جاء فقال النبي ﷺ: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلّا نفوراً، فناداهم صاحبها فقال لهم: خلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحله واستوى عليها، ولو أني تركتم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار**».

وبهذا العفو والعطاء استطاع الرسول ﷺ أن يرضي الأعرابي ويسمع منه الثناء، ويغرس دعائم العفو في نفوس أصحابه الكرام.



«من حُسْنِ إسلام المرء تركُهُ ما لا يعنيه»

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الجنة لمن أطاعه واتقاه، والنار لمن خالف أمره ونهيه واتبع هواه ورأيه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلَّا كل منيب سالك، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين. **أمّا بعد:**

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته ومراقبته، فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه محاسب على كثير عمله وقليله، ومراقب في جليل كلامه وصغيره، ويعلم أن لدى كل جارحة منه رقيب حسيب، ولدى كل خطوة أو نظرة أو كلمة منه رقيب عتيد، فاستعمل نفسه في طاعة مولاه، واجتنب كل ما عنه حذره ونهاه، وشغل نفسه بتفقد عيوبها وإصلاحها، وبالسعي في أسباب تزكيتها وفلاحها ليكون من المفلحين، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، لأن هذا هو طريق الفلاح يا عباد الله، فالحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم**..إلخ، وتهيؤوا للعرض الأكبر، يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية. ألا وإن سيِّد

البشر صلوات الله وسلامه عليه قد حرص على أمته غاية الحرص، ونصح لها تمام النصح، وبين لها طريق الرشاد لتسلكها، وحذرها من سبيل الفساد لتتجنبها، فقد أوتي ﷺ جوامع الكلم التي تدل أمته على الطريق، وتهديها إلى سبيل السلامة والتوفيق، ومن ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، وهذا الحديث الشريف قد جمع خيري الدنيا والآخرة، فإن المرء إذا ترك ما لا يعنيه من قول أو فعل واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال فقد حسن إسلامه، وإنَّ حُسْنَ الإسلام يقتضي ترك المسلم ما لا يعنيه من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحث التي لا يحتاج إليها، فإن هذا كله لا يعني المسلم، وبذلك يكمُلَ إسلامه ويعظم إيمانه ويبلغ درجة الإحسان وهو أن يعبد الله تعالى كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه الله تعالى يراه، فإذا بلغ المرء هذا المقام العظيم استحضر عظمة خالقه وبارئه وإلهه سبحانه، فأوجب له ذلك الحياء من الله، واشتغل بما يعنيه وابتعد عما لا يعنيه مُسْتَحٍ من الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**الحياء شعبة من شعب الإيمان**»، ويقول فيما رواه الترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر وابن مسعود: «الاستحياء من الله تعالى حق الحياء أن تحفظ الرأس وما حوى، وتحفظ البطن وما وعى، وتتذكر الموت والبلى، ومن فعل ذلك فقد استحى من الله على قدر قربه منك وخف الله على قدر قدرته عليك، وقال بعضهم: إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا سكت فاذكر نظره إليك. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه.

وقد نفى الله الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم فقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ

ذَلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النِّسَاء: ١١٤].

أيها المسلمون الكرام:

إن قول النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» يدل على أن من ترك ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ونزَّه نفسه عن الفضول كان ذلك دليلاً على رجاحة عقله وقوة دينه وحسن إسلامه، ألا وإن أكثر ما يراد مما لا يعني حفظ اللسان وترك الفضول والتنزه عن سفاسف الأمور، والتي منها على سبيل المثال أن يرى اثنين يتناجيان فيحاول أن يعرف ما يدور بينهما، فهذا الأمر لا يعنيه ويعتبر تطفُّلاً وفضولاً، أو أن يرى رجلاً يطوي شيئاً في جيبه أو يخفيه وليس من حقه أن يعرف حقيقة هذا الشيء أو السؤال عليه فيسأل ويتجسس، ومنها أيضاً سؤال الغير من أين أقبلت أو إلى أين أنت ذاهب إلى غير ذلك من أسئلة يضيق بها من سُئِل عنها ذرعاً، فإن كذب أثم وإن صدق وقع في الحرج.

ومن الفضول أيضاً ما نراه من أناس يجتمعون يخوضون في أعراض الناس واستعراض شؤون العامة والخاصة والحكم عليهم بمنظارهم الخاص وعقلهم القاصر، ويجرهم الحديث إلى الغيبة والنميمة والطعن والكذب هادرين أوقاتهم سدى بغير نفع معرضين أنفسهم بذلك لغضب الله تعالى عليهم، فالحق جل وعلا يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولقد جاءت الأحاديث فجعلت الخوض في عرض المسلم أشد من أن ينكح الرجل أمه والعياذ بالله، ومنها ما رواه الطبراني في الأوسط، والألباني في الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**الرِّبا اثنتان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه**».

ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**».

فاتقوا الله يا عباد الله، وألزموا ألسنتكم كلمة التقوى، وابتعدوا عن التدخل في ما لا يعنيكم ليسلم لكم دينكم وتبقى لكم مروءتكم وتنالوا ثواب ربكم جلَّ وعلا، فعن أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ فيما رواه مسلم قال رسول الله ﷺ: «**وإذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل**»، وصدق الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدّثر: ٣٨].

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه، وأن يجنبنا مناهيه، وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



فضلُ الحج وآدابه

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابةً للناس وأمناً، وأمرنا أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى، وأشهد أن لا إله إلَّا الله جعل حج بيته الحرام من الشريعة ركنا، وصرف وجوهنا إليه حيث ما كنا، فكان ذلك من تمام نعمه العظمى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من طاف بالبيت معظماً لشعائر ربه الحسنى، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أمَّا بعد:

أيها الإخـوة الكرام:

يقول الله جلَّ وعلا في محكم القرآن: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي مثل هذه الأيام من كل عام يتوجه كثير من المسلمين في شتاع بقاع الأرض إلى حج بيت الله الحرام، هذا البيت العتيق الذي رفع قواعده خليل الله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، وإلى جواره وعلى مقربة منه ولد حبيب الله وخاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ ، هذا البيت المبارك الذي باركه الله تعالى وجعله مثابة للناس وأمنا، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]. هذا البيت العظيم الذي عظمه الله تعالى، وضاعف أجر العبادة فيه أضعافاً كثيرة، وجعل الصلاة فيه بمئة ألف صلاة، روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه**» في صحيح الترغيب.

والحج أيها الأحبة في الله رحلة إيمانية مباركة تغفر فيها الذنوب، وتمحى فيها

العيوب، وتطمئن فيها القلوب، رحلة تنسكب فيها العبرات، وتستجاب فيها الدعوات، وتتجلى فيها الرحمات، فيرجع أصحابها بمغفرة رب الأرض والسماوات، وقد طهروا من كل ذنب وعيب كيوم ولدتهم الأمهات، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام والبيت دعامته، يقول النبي ﷺ فيما رواه ابن جريج بإسناد حسن: «**هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة**»، وصح عنه ﷺ أن الذي يموت في الحج يبعث يوم القيامة ملبياً، وهو كالشهيد من حيث الأجر والثواب، وكذلك النفقة في الحج كالنفقة في الجهاد الدرهم بسبع مئة ضعف، وهذا ما رواه أحمد عن بريده رضي الله عنه.

وهو من أفضل الأعمال وأعظمها، لما روي في الصحيحين أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم أي: قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم أي؟ قال: حج مبرور. والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، ومن علامات بره أن يرجع العاج زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وقد فرضه الله سبحانه وتعالى على كل مسلم بالغ عاقل حر مستطيع مرة واحدة في العمر، إلا أن ينذر فيجب الوفاء بالنذر، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجُّوا، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**».

وقد أخذ العلماء من ذلك أن الحج مرة واحدة في العمر، ومن زاد عن ذلك فهو من باب التطوع وحب الخير وطلب المغفرة والأجر لقول سيدنا النبي ﷺ فيما رواه النسائي والترمذي عن ابن مسعود: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلَّا الجنة**».

وعلى المسلم أن يتحرَّى المال الحلال لحجه، فلا يذهب إلى الحج بمال كَسَبَهُ من حرام، أو مال خَالَطَهُ ربا، لما ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا ربّ ومطعمُهُ حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟**».

ويرى الإمام أحمد رحمه الله أن الحج بالمال الحرام لا يجزئ عن صاحبه، ولذلك ينعي الشاعر هؤلاء الذين يؤدون الفريضة من مال فيه أثر من دنس أو شبهته فيقول:

إذا حججت بمال أصله سحت　　فما حججت ولكن حجَّت العير

لا يقبل الله إلا كل صافية　　فما كل من حج بيت الله مبرور

وعلى كل حاج أن يقصد بحجه وجه الله، فلا يقصد فسحة أو سمعة أو مفاخرة بعدد حجاته أو عمراته، فذلك يفسد الحج ويحبط الأجر لأنه شرك خفي في العبادة يتنافى مع إخلاصها لله عز وجل، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥]. ولتمام نعمة الله تعالى ومغفرته لمن خرج يؤم بيت الله الحرام قاصداً الحج والعمرة أن يلتزم بما أمر الله في كتابه من آداب وتقوى، حيث قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**».

واعلموا إخوة الإسلام أن اتباع التعليمات والضوابط الإرشادية التي تنظمها الدولة في شؤون الحج مطلب ضروري يحقق السلامة لحجاج بيت الله الحرام، وتعمل الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف إلقاء الدروس والمحاضرات

وإصدار المطبوعات التي تبصر الحجاج بفقه الحج وأحكامه، فلنحرص على قراءتها والانتفاع بها، حتى يتمكن الحاج من أداء الفريضة في سهولة ويسر، ويقوم علماء الهيئة بالرد على الأسئلة الشرعية المتعلقة بالحج في الأراضي المقدسة على مدار الساعة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ونسأل الله تعالى أن يوفق الحجيج من المسلمين رجالاً ونساءً شيوخاً وشباباً إلى حج مبرور وذنب مغفور وأن يرزقنا جميعاً حج بيته الحرام لنكون ضمن وفده الكرام إنه تعالى ولي ذلك ومولاه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



والله يدعو إلى دار السلام

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له أعد لعباده المتقين جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى الناس قلباً، وأشدهم لله تعالى خشية وطاعة وحُبّاً، اللهمَّ صَلِّ عليه وآله وأصحابه معالم الهدى ومصابيح الدجى، وارض اللهم تعالى عن خلفائه الراشدين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين، أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها جماع الخيرات، وحصون البركات، وأكثر خصال المدح ذكراً في كتاب رب الأرض والسماوات، ووصية الله في الأولين والآخرين بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النِّسَاء: ١٣١] فهي دعوة الأنبياء وشعار الأولياء، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. نسأل الله جميعاً أن يجعلنا من أتقيائه وأوليائه وأن يتغمدنا في الحياة وبعد الممات بواسع رحمته وعفوه وكرمه وعطائه.

إخـــوة الإيمان:

إن من فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه، أن دعا الخلق إلى المسارعة إلى جنته ورضوانه فقال: ﴿**وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣] وأخبر سبحانه عما أعده لعباده المؤمنين في الدار الآخرة من النعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] وأخبر سبحانه أنهم لا يتحولون عنها ولا يخرجون

منها فقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾ [الكهف: ١٠٨] وساق للمتقين السائرين على الطريق المستقيم أعظم البشرى عند لقائه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فُصِّلت: ٣٠].

وهذه الجنة التي تحدث عنها القرآن الكريم أعدها الله تعالى لعباده المتقين الذين أطاعوا الله ورسوله وساروا على هديه وسنته المطهرة لأنه كما قال عنه رب العزة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وإن اتباع النبي ﷺ والتمسك بسنته وامتلاء القلب من محبته من أهم الأسباب التي ترقى بالعبد أن يكون من عباد الرحمن الذين وصفهم رب العزة في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧١].

إخوة الإسـلام والإيمان:

إن هذه الآيات البينات تبين لنا منهج النبي ﷺ وصحابته الكرام في عبادتهم لله تعالى ، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وإشفاقاً عليه قالت له أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لما رأت من كثرة عبادته وأنه يجهد نفسه: يا رسول الله أما غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**».

أيها المسلمون:

ولما رأى الله سبحانه اجتهاد رسول الله ﷺ وإخلاصه في عبادة ربه واقتداء

صحابته له في هذا المقام وأنهم يحيون الليل رُكَّعاً وسُجَّداً وتتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً خفف الله عنهم رحمةً بهم وهو أرحم الراحمين، وخاطبهم في شخص النبي ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ [المزمل: ٢٠].

ولمَّا أخلص المؤمنون في عبادة ربهم وقاموا بأداء ما أمرهم به متبعين سنة الرسول ﷺ وعدهم الله سبحانه بأجل التكريم الذي أعده لأهل الجنة، ومن ذلك تحية الملائكة لهم والتسليم عليهم، فقال سبحانه: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

أيها المسلمون الكرام:

إن الله سبحانه وتعالى دعا عباده إلى الجنة وسماها دار السلام، حيث لا نصب فيها ولا تعب ولا هموم ولا أحزان، بل هي دار أفراح وسرور دائماً، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [يونس: ٢٥]، فمن لبَّى دعوة الله ورسوله واستمسك بالعروة الوثقى كان من أهل هذه الدار، وما أعظمها من دار، نسأل الله جلَّ وعلا أن يجعلنا من أهلها. أخرج الترمذي من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيَّب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام**» أو كما قال ﷺ . وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أنني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**». وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة أن جبريل قال للنبي ﷺ: هذه خديجة أقرئها السلام من ربها وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، القصب هنا قصب اللؤلؤ، لا صخب فيه ولا نصب.

عبـــاد الله:

لقد فصَّلت السنة المطهرة الأعمال التي تدخل العبد الجنة، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**شيئان موجبان، فقال رجل: يا رسول الله ما يوجبان؟ قال: من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار، ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**».

ويقول النبي ﷺ فيما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

وأجمعُ ما ورد في ذلك حديثُ معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «**كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير لمن يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟** يعني الجنة؟ **قلت: بلى يا رسول الله، قال: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين، ثم تلا قوله:** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] **ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: كُفَّ عليك هذا، وأشار إلى لسانه، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم** أو قال على مناخيرهم **إلَّا حصائد ألسنتهم**» رواه أحمد والترمذي.

عبـاد الله:

إنَّ الجنة هي عطاء من الله سبحانه وفضلٌ لكل عبد أحسن العمل وفق

الكتاب والسنة، وكان مخلصاً لله في عمله، مقتدياً برسول الله ﷺ في كل أمره ونهيه، متبعاً سبيل المؤمنين الذين يحسنون العمل ابتغاء مرضاة الله تعالى، وهذا هو شأن المتقين من عباده سبحانه، ومن ثم جزاهم الله جنة ونعيماً فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وروى الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إلى الله، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى**»، زاد في رواية: **ثم تلا هذه الآية:** ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس: ٢٦]».

نسأل الله أن يحسن ختامنا أجمعين وأن يدخلنا الجنة دار النعيم، وأن يمتِّعنا بالنظر إلى وجهه الكريم. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب عظيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

نجاة البشرية بالتمسك بهدي خير البريّة ﷺ

الحمد لله رب العالمين نحمدك اللهمَّ حمد الشاكرين أن جعلتنا من أمة سيد المرسلين وخاتم النبيين، فأكرمتنا وشرفتنا بذلك غاية التشريف والتكريم، ولله درُّ من قال:

ومما زادني عزاً وتيهـــاً … وكدت بأخمصي أطأ الثريـــا

دخولي تحت قولك يا عبـادي … وأن صيَّرت أحمد لي نبيـــا

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الأنام ومصباح الظلام ورسول الملك العلَّام، صلَّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه السادة الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فإنها جماع الخيرات، وحصون البركات، ووصية الله تعالى للأولين والآخرين، يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [النِّسَاء: ١٣١]. ثم اعلموا -رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاه- أن الله جلَّ في علاه شاء بإرادته وحكمته أن يمن على الخلق بنعمة الإيجاد، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ١-٢] ثم امتنَّ على الخلق بنعمة الإمداد وهو الذي يمد الخلق جميعاً بالغذاء والماء والهواء وكل ما تحتاجه الخلائق في حياتها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، ثم كانت المِنَّة

العظمى والمنحة الكبرى هي نعمة الإرشاد، فلم يُوْجِد الله الخَلْقَ عبثاً، ولم يتركهم سدى، بل بعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئـلَّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان بدر التمام ومسك الختام إمامَ المرسلين وسيدَ الأولين والآخرين سيدَنا محمد ﷺ حيث أرسله ربه للناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ثم جعل رسالته عامة، وأمر الله رسوله أن يعلن عموم رسالته وعالمية بعثته فقال سبحانه مخاطباً له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولقد تغيَّرت رسالة الإسلام عن سائر الأديان من حيث الكمال والاعتدال والتيسير ورفع الحرج والمشقة عن كاهل الناس، وهذا يحسه ويلمسه من تفقه في هذا الدين العظيم ووقف على حقيقته بعفة ونزاهة وإنصاف. فما أعظم الإسلام وما أيسره من منهج حياة للإنسان، فهذا القرآن وهو الدستور العام ميسرٌ للذكر، والعقيدةُ ميسرةٌ للفهم، والشريعة بكل تكاليفها ميسرةٌ للتنفيذ والتطبيق، وليس فيها على الإطلاق شيء يتجاوز طاقة المكلفين بها، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة في أكثر من آية، انظروا رحمكم الله إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وإلى قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧]، بل علم القرآن الكريم المؤمنين أن يدعوا ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي الصحيح أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعاءهم أي استجاب الله دعاء الصحابة رضي الله عنهم لَّما قالوها ورفعوا بها أصواتهم.

فمن القواعد الكلية في الشريعة الإسلامية أن المشقة تجلب التيسير، والحرج مرفوع، والضرر يزال، فمثلاً المرض والسفر يؤجلان الصيام إلى أيام أخر،

والصلاة الرباعية يجوز قصرها في السفر المباح إلى النصف، بل الأفضل للمسافر أن يقصر؛ لأنَّ الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، وكذلك الأصل في الأشياء الإباحة، ولا تحريم ولا تحليل إلَّا بنص شرعي قاطع لأن الله عز وجلَّ جعل هذه الأمة أمة وسطاً، ومفهوم الوسطية في الإسلام يشمل حياة المسلم كلها في عقيدته وفي عبادته وفي معاملاته، بل وفي نمط حياته كعلاقته مع أسرته ومع غيره.

ومن هنا فإن الشريعة بما تفرضه على المكلفين من أوامر ومعاملات، لا يريد الله بذلك تعذيبهم أو إرهاقهم أو حرمانهم، بل يريد الله تعالى إصلاحهم في معاشهم ومعادهم، ولا يجب أن يأتيها الناس -أي التكاليف- في غلو أو تقصير، لأنهم إذا تجاوزوا حد الاعتدال في ناحية أخلوا بناحية أخرى، كالذي تستغرق العبادة كل وقته وجهده فيقصر في حق ذويه أو أبنائه أو في حق نفسه، ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري أن النبي ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أُمَّ الدرداء مبتذلة فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلمَّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال: نَمْ، فنام، ثم ذهب ليقوم، فقال: نَمْ، فنام، فلمَّا كان آخر الليل قال سلمان: قُمِ الآن فَصَلِّ، فقال سلمان: إن لربك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر له ما كان من سلمان فقال ﷺ : **صَدَقَ سَلْمان.**

أيها الإخــوة المسلمون:

إن الإسلام في كل تعاليمه ينشد التوازن بين طاقات الإنسان العقلية والوجدانية والروحانية حتى لا تطغى طاقة على أخرى فتطمسها، ومن الشواهد على ذلك ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، قالوا: فأنَّى نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فأصلي

الليل أبداً ولا أرقد، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**.

أيها المسلمون الكــرام:

شفاء البشرية من أمراضها وبرؤها من دائها العضال إنما هو في تعاليم الإسلام التي تأمر بترك الرياء والبعد عن كل المحرمات، وباتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ألا وإن سفينة العالم التي تهوي الآن مشرفةً على الغرق ليس لها من وسيلة إنقاذ إلَّا هدي النبي محمد ﷺ وشريعته، آن الأوان للكون بأسره أن ينهض من كبوته، ولن تسري الحياة الآمنة في أوصاله إلَّا بنهج الإسلام واتِّباع الشريعة التي جاء بها خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام، وحسبنا في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

عبــاد الله:

إن مستقبل البشرية جميعاً مرهون بمدى قبولها وتمسكها بتعاليم الإسلام السمحة، وسنة الرسول ﷺ، فهو الدين الذي نصوصه وواقعه العملي يدلان دلالة قاطعة على أنه دين عالمي وأنه رسالة الله للعالمين، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن التمسك بهدي الله ورسوله عصمة من الضلال والردى، فعن عمرو بن عوف مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه** ﷺ» أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله. وأخبر ﷺ أنَّ من عصاه وخالف أمره يكون من أهل النار، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»، رواه البخاري.

عبـــاد الله:

إن رسالة الإسلام هي دعوة الله التي ارتضاها للعالمين، وقد أرسل بها سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ خاتم النبيين شاهداً ومبشـراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٧-٨٨] ويقول: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦-١٠٧].

نسأل الله أن يردَّنا رداً جميلاً إلى الدين، وأن يجعلنا ممن هم بالقرآن والسنة متمسكين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب عظيم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التفكُّر في آيات الله في الكون

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد ﷺ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه، بيده مقاليد السماوات والأرض، ومصائر كل الخلق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين، وقدوة المؤمنين، وصفوة الله من الخلق أجمعين، اللَّهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن سلك طريقهم بخير وإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله حق التقوى وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى والآجال تفنى وما عند الله خير وأبقى، وكونوا على يقين أنه لا سعادة للإنسان في الدنيا والآخرة إلا بكمال الإيمان.

وهذا هو الذي ربَّى عليه رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله تعالى عنهم، وكانوا بمقتضاه كما وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] فهم فرسان بالنهار رهبان في الليل. يتفكرون في خلق السماوات والأرض، فيتفهمون ما فيهما من الحكم والعجائب الدالَّة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته، فيزدادوا بالتفكر في خلقها ودقة صنعها إيماناً بخالقها العظيم، حتى قال أحد هؤلاء الأعلام: إني لأخرج من منزلي فما يقع نظري على شيء إلَّا ورأيت لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة. وقال الحسن البصري: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وقال رحمه الله: التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، ومن نظر إلى الدنيا بغير عِبْرة انطمس قلبه بقدر تلك الغفلة.

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته، وشرعه وقدرته وآياته، فقال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ومدح عباده المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجّده، فقال البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم قام فتوضأ واستاك ثم صلَّى إحدى عشرة ركعة ثم أذَّن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وعنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعد مضي ليل، فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخر السورة، ثم قال: «**اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ومن بين يدي نوراً ومن خلفي نوراً ومن فوقي نوراً ومن تحتي نوراً وأعظم لي نوراً يوم القيامة**». وعن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعُبيد الله بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب، فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر: زُر غِبَّاً تَزْدَدْ حُبّاً. فقال ابن عمر: أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مسَّ جِلْدُه جلدي، ثم قال: «**ذريني أتعبَّد لربي عزَّ وجلّ** فقلت: والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تعبد ربك فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي حتى بلَّل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بلَّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يُؤْذِنه بصلاة الصبح فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك

ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليَّ هذه الليلة:** ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم قال: **ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.**

إخوة الإســلام والإيمان:

إن لحظة تأمل في مطلع الشمس ومغيبها وفي الزهرة المتفتحة وفي الطائر السابح في الفضاء وفي السمك السابح في البحار وسائر الحشود من الحيوان والحشرات، إن لحظة واحدة بتأمل وتفكر في تلك الأشياء لكافية لارتعاش الإنسان بقشعريرة الإدراك والتأثر والإيمان الخالص الذي يصدقه العمل الصالح المفضي إلى الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة. فالسعادة الحقيقية لا تتحقق للإنسان في الدنيا والآخرة إلّا بالإيمان الكامل والعمل الصالح، لأن الله تعالى يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] يعني حياة سعيدة، وتلك سعادة الدنيا، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] وذلك في دار النعيم المقيم والرضوان والنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام، ففي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا أهل الجنة! فيقولون: لبَّيك ربنا وسَعْديك والخيرُ بين يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**». وفي صحيح البخاري عن صُهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قال الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه الكريم**».

أسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وأن يمتعنا يوم القيامة بلذة النظر إلى وجهه الكريم اللهم آمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه.

محبة النبي ﷺ

الحمد لله الذي زاد رسوله محمداً ﷺ تشريفاً وتكريماً وتعظيماً، وحَبَاه فضلاً من لدنه عميماً، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، أمر المؤمنين بالصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، فقال جَلَّ في علاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي اصطفاه مولاه وعلى موائد كرمه رباه وخصه بالمنح الإلهية والعطايا الربانية التي لم يحظى بها أحد من الخلق سواه، وكيف لا وهو الذي شرح له صدره، ووضع عنه وِزْرَه ورفع له ذكره، وزكَّاه في كل شيء، زكَّاه في عقله فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢] وزكَّاه في قوله فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣] وزكَّاه في معلِّمه فقال: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥] وزكَّاه في بصره فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧] وزكَّاه في فؤاده فقال:﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١]، وزكَّاه في طبعه فقال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨] وزكَّاه كله فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: ٤]، فاللهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

عبـاد الله:

أُوصيكم أولاً ونفسي بتقوى الله فإنها جماع الخيرات وحصون البركات ووصية الله تعالى للأولين والآخرين حيث يقول ربُّنا الكريم: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النِّساء : ١٣١].

ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاكم أن الله جلَّت قدرته وعلا سلطانه أعلا قَدْرَ نبيِّه محمداً ﷺ ورفع ذكره في الأرض والسماء وفضله على سائر

الأنبياء ففي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد والترمذي يقول النبي ﷺ: «**فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرُّعب**، وفي رواية البخاري مسيرة شهر، **وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيّون**» صلَّى الله عليهم أجمعين.

ومن عظم مقام الحبيب محمد ﷺ عند ربه جلَّ وعلا أنْ جعل محبَّته ﷺ من محبته وطاعته من طاعته، فقال سبحانه: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٣١]، و: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وهذا فيه من التشريف والتنويه بمقامه ما تعجز العبارة عن شرحه وبيانه، وقد زفت السنة النبوية الشريفة للمؤمنين البشائر التي يكرمون بها من رب العالمين جزاء صلاتهم وسلامهم على نبيهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم، ومن تلك البشائر التي بشَّر بها النبي ﷺ ما أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي كعب رضي الله عنه حيث قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: **ما شئت** قلت: الربع. قال: **ما شئت وإن زِدْتَ فهو خير لك.** قلت: فالنصف، قال: **ما شئت فإن زِدْتَ فهو خير لك.** قلت: الثلثين قال: **ما شئت، فإن زدت فهو خير لك**. قلت: أجعل لك صلاتي كلها -يعني أجعل كل وقتي مشغولاً بالصلاة والسلام عليك بعد أدائي ما فرض الله علي من العبادات- قال: **إذاً يُكفَّى همُّك ويُغْفر لك ذنبُك**» أو كما قال ﷺ. فأي مسلم أفضل من كفاية الهم ومغفرة الذنوب ووسيلة ذلك كله الصلاة على الحبيب محمد ﷺ.

ولقد ضرب الصحابة وسلف هذه الأمة أروع الأمثلة في تعظيم الرسول ﷺ وإجلاله وطاعته ومحبته، ومن الشواهد على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن

عمرو بن العاص ﷺ قال: «**ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سُئِلت أنْ أَصِفَه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه**». ولقد وصف عروة بن مظعون حال الصحابة الأطهار في محبة النبي المختار بعدما رجع من الحديبية إلى قريش فقال: والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، فإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدِّون إليه النظر تعظيماً له. وقال سهيل بن عمرو: لقد دخلت على الملوك وكسرى وقيصر فما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ﷺ.

ولقد بلغت محبته ومكانته ﷺ في قلوب أصحابه الكرام الغاية القصوى، وشهد بهذه الحقيقة المشركون أنفسهم، والفضل ما شهدت به الأعداء، وإليكم الشاهد من صحيح مسلم: فهذا زيد أحد الصحابة وقع في الأسر، فلما خرج به مشركو مكة ليقتلوه قال له أبو سفيان قبل إسلامه: أنشدك بالله يا زيد أتحب أنَّ محمداً عندنا مكانك الآن تضرب عنقه وأنك ناج في أهلك؟ فانتفض زيد ﷺ وقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان للملأ من حوله: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. رضي الله عنهم ، وهذا الحديث أخرجه مسلم.

وقد تمثل شاعر هذا الموقف فقال:

أسرت قريش مسلماً في غزو ... فمضى بلا وجل إلى السَّياف

سألوه هل يرضيك أنك سالم ... ولك النبي فدى من الإتلاف

فقال كلا لا سلمت من الأذى ... ويُصاب أنف محمد برعاف

وهذا خبيب بن عدي ﷺ خرج به أهلُ مكة لقتله خارج الحرم وقد راحوا يمثلون به وهو حي، ويقطعون من جسده القطعة تلو القطعة وهم يقولون له: أتحب أن يكون محمداً مكانك وأنت ناج في أهلك؟ فاسمعوا جواب هذا الصحابي المؤمن الذي تغلغل الإيمان في قلبه وتمكن حب الله وحب رسوله ﷺ

من فؤاده، أجاب ﷺ قائلاً: والله ما أحبُّ أن أكون آمناً في أهلي وولدي وأن محمداً ﷺ يشاك شوكة، ويرتجز خبيب قائلاً:

ولسـت أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

وأبو بكر ﷺ لما قام يدافع عن النبي ﷺ عند الكعبة ضربوه ضرباً مبرحاً ووطئوه بأقدامهم حتى أغمي عليه، فكان أول كلمة قالها حينما أفاق في آخر النهار: ماذا فعل رسول الله؟ أين رسول الله؟ فأخبره أهله بسلامة النبي ﷺ وأنه بخير ثم عرضوا عليه الماء فقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى آتي رسول الله ﷺ، وطلب منهم حمله ليراه بعينه، فحينما رآه سالماً أُعيد إلى بيته وإلى فراشه قرير العين راضياً.

وهذا غيض من فيض حب الصحابة الكرام للرسول عليه الصلاة والسلام.

هذا ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاه أن محبة المسلم لرسول الله ﷺ لا تتحقق إلَّا باتباع سنته والعمل بشريعته والثبات على ملته، ودعوة الغير بالحكمة والموعظة الحسنة إلى هذا الخير الذي جاء به ﷺ. وبذلك ينال المسلم محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، فلقد ورد أن من علامات حب النبي ﷺ حب السنة ومن علامات حبِّ السنة رَفْض البِدْعة، فنسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً للعمل بكتابه وسنة رسوله وأن يأخذ بنواصيهم إلى الحق وأن يهديهم سبيل الرشاد وأن يصلح فساد قلوبهم وينصرهم على أعدائهم إنه تعالى ولي ذلك ومولاه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

من آثار الرحمة (صلة الرَّحم)

الحمد لله الذي ليس لفضله حَدّ، ولا لنعمه عَدّ، وسبقت رحمتُهُ غضبَه، ووسعت مغفرتُهُ خَلْقَه، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧] وأشهد أن لا إله إلَّا الله ذو الجلال والإكرام، والطول والإنعام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للأنام، اللهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١]، أمَّا بعد:

أيها الإخوة الكرام:

فإن من أعظم ما تصبو إليه المقاصد، وتتحقق به على طريق الخير المطالب، صفة من أجل الصفات المندوبة، والخصال المنشودة، ألا وهي صفة الرحمة، فهذه الصفة لعظم شرفها وصف الله نفسه بها، على وجه الكمال والجلال، فقال جَلَّ وعلا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكتبها على نفسه جل وعلا فقال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

ولو قلَّبنا سيرة رسول الله ﷺ لوجدنا الرحمة سمة بارزة في حياته ومعاملاته، ومن ذلك رحمته ﷺ بالصبيان، فعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: «خرج علينا رسول الله في إحدى صلاتي العشاء وهو يحمل حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر وصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا بالصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى

سجودي، فلما قضى رسول الله الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: **كُلُّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**». أي غايته.

ولما رفع له ابن لابنته وروحه فاضت عيناه ﷺ، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**». بل شمل كذلك برحمته الطير والحيوان، ليبين جانب الرحمة في هذا الدين العظيم والتشريع الخالد الحكيم، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن جعفر أنه قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ ذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح مما ذرفتاه فسكت، فقال: من ربُّ هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله إياها؟ فإنه شكا لي أنك تجيعه، فعلَّمه الله منطق الجمل كما عَلَّمَ سليمان منطق الطير.

فبهذه الرحمة والشفقة بعث نبينا محمد ﷺ، وبهذه الرحمة والشفقة عامل الرسول الرحيم خصومه وأعداءه الذين آذوه ومن مكة أخرجوه، وعندما أظهره الله عليهم ومكنه منهم قال قولته المشهورة: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: **اذهبوا فأنتم الطلقاء**، وهكذا عامل الرسول الرحيم خصومه برحمته ليرسم للأمة منهج الرحمة في التعامل مع الخلق كافة، كما علَّم الأمة أن أوجب وأحوج ما يكون إلى الرحمة الوالدان، فارحمهما يا أخ الإسلام بدوام البر والإحسان إليهما، ولا تعذبهما بعقوقك لهما، ففي الحديث: «**إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق**»، ولا تؤاخذهما على شيء مهما بدر منهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً.

واعلم يا أخ الإسلام أن أحوج الناس إلى رحمتك بعد والديك أهلك وبناتك وأبنائك وإخوانك وسائر الأقربين من أرحامك، قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ

أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ولو تأمّلنا إخوة الإسلام والإيمان عناية الله تبارك وتعالى بحقوق الأقارب وصلة الأرحام، نجد أنها من قديم الزمان، ففي الصحيحين عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم:** ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]». وروى الترمذي وأبو داود أنه ﷺ قال فيما يرويه عن رب العزة أنه قال في حديث قدسي: «**أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**». إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي وردت في هذا الشأن العظيم. بل هناك ما هو أبلغ في الدلالة على عناية الإسلام بالرحم وصلتها والإحسان إليها، حتى لو كانت على غير ملة الإسلام، منها ما رواه البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: قدمت عليَّ أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نَعَم صِلِي أُمَّك**».

ومع كل هذه الآيات والأحاديث فإن من الناس من تموت عواطفه، ويزيغ عن الرشد فؤاده، فلا يلتفت إلى أهله، ولا يسأل عن قريب، وإنه لعار على من منحه الله جاهاً وأحسن له رزقاً ثم يتنكر لأقاربه أو يتعالى عليهم، بل قد يترفع أن ينتسب إليهم، فضلاً عن أن يشملهم بمعروفه، ويمد لهم يد الإحسان، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

عبـاد الله:

إنَّ تقطيع الرَّحِم شـؤم وخراب، وعقوبتها معجلةٌ في الدنيا قبل الآخرة، أخرج أبو داود والترمذي وصححه الحاكم عن أبي بكر ﷺ عن النبي ﷺ: «**ما من**

ذنب أقدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

فاتقوا الله يا عبـاد الله، وصِلُوا أرحامكم وقدِّموا لهم الخير ولو جفوكم، وصلوهم ولو قطعوكم، يفتح الله عليكم من بركاته ويبسط لكم أرزاقكم، ويبارك لكم في أعماركم، ففي صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**».

نسأل الله أن يوفِّقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

❊ ❊ ❊

التوكّل على الله سبحانه وتعالى

الحمد لله رب العالمين، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله من اتقاه وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن التجأ إليه أعزه وحباه، فهو القائل جَلَّ في علاه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، إمام المتقين وقدوة المتوكلين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اتّبع سبيلهم وسلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أما بعد:

أيها الأحبة الكـــرام:

فحديثي إليكم هذا اللقاء بمشيئة الله رب العالمين حول صفة من صفات المؤمنين ومقام من أسمى مقامات أهل الصدق واليقين، ألا وهو مقام التوكل على الله. والتوكل على الله يعني الاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، وذلك من لوازم كمال الإيمان. قال سعيد بن جبير: هو الإيمان كله. لأنه يعني الاعتماد على الخالق دون التعلق بالخلائق، فمن توكل على الله كفاه، ومن انقطع إليه آواه، قال الله تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزُّمر: ٣٦]، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال: يا داود من دعاني أجبته، ومن استغاثني أغثته، ومن استنصر بي نصرته، ومن توكل عليَّ كفيته.

واعلموا أيها الأحبة في الله أن حقيقة التوكل على الله هي طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، مع اتخاذ الأسباب ومتابعة سنن الله وقوانينه في الكون، ثم التسليم بالنتائج بعد اتخاذ الأسباب إلى مشيئة الله سبحانه، فهو القائل جلَّ وعلا في حديثه القدسي: «**تشاء يا عبدي**

وتشاء، ولا يقع إلا ما أشاء، فإن رضيت بما أشاء أعطيتك ما تشاء».

وبهذا التوكل أمر الله نبيه ومصطفاه ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٨١]، وأمر به المؤمنين من عباده فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، ولذلك كان التوكل على الله تعالى دائماً هو منهج أصحاب النبي ﷺ، فهم الذين تربوا في مدرسة النبوة على تقوى الله، وأدركوا حقيقة قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وكانوا دائماً على يقين أن الله تعالى يكفي المتوكلين عليه كل ما يهمهم من أمر الدنيا والآخرة، وهم الذين سجل لهم القرآن الكريم صدق توكلهم على الله رب العالمين ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

وهذا هو واقع الإيمان الصادق في قلوب أهله الذين يحققون بصدق إيمانهم حسن توكلهم على الله تبارك وتعالى، فلقد بيّن القرآن الكريم أن لأهل الإيمان أمارات وصفات منها التوكل على الله، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، كما بيّن الرسول ﷺ ما للمتوكلين على الله سبحانه وتعالى من عفو عظيم ومقام كريم يوم يقوم الناس لرب العالمين، فقال ﷺ في حديث رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجلين، والنبي ومعه الرجل، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل: أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب،**

فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذي تخاضون في؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرِقُّون ولا يسترقون، ولا يطّيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، فقام رجل آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكّاشة».

إخوة الإســـلام والإيمان:

أرأيتم هذا الفضل العظيم وهذا العفو الكريم الذي اختص الله به المتوكلين عليه المفوضين أمرهم إليه أن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب في يوم عظيم يجعل الولدان شيباً. فالتوكُّل على الله تعالى اعتراف وتسليم بقدرة الله وربوبيته وألوهيته، وله شأن عظيم في حياة المتوكلين المخلصين، ولله در من قال:

توكَّلْ على الرحمن في الأمر كله ... فما خاب من عبد عليـــه توكّلا

وكن واثقاً بالله وارضَ بحكمه ... تنل الذي ترجوه منـــه تفضّلا

أيها الأحبـــة في الله:

يقول جابر بن عبد الله ﷺ: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع وكُنَّا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله معلق بالشجرة ، فاخترطه -أي سلَّه في خفة- ورفعه على رسول الله ﷺ وقال: أتخافني؟ فقال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذ الرسول ﷺ السيف ثم قال: فمن يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى رسول الله ﷺ سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس».

ولقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى في التوكُّل على الله وذلك حين انتهى المشركون إلى الغار ووقفوا بسيوفهم على بابه، واشتد حزن الصديق خوفاً على

الرسول ﷺ، وقال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لرآنا، فقال الرسول: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فما أحوجنا إخوة الإسلام إلى أن نقتفي أثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأثر هؤلاء الذين سبقونا بالإيمان، وأخلصوا دينهم لله، وصدقوا في حسن توكلهم على الله، وأعزهم الله ونصرهم وأنار بالإيمان قلوبهم فتولى جل أمرهم.

إخوة الإسلام والإيمان:

روى الإمام الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**». فنسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من عباده المتوكلين دائماً عليه، المفوضين أمرهم إليه، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

تربية النشء على الصلاة وقراءة القرآن

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، واستخلفه في أرضه من بين العالمين، وأمد له في أثره بالذرية والبنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأولاد في الدنيا زينة ونعمة، والله عنده أجر عظيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين ﷺ إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّسَاء: ١] أما بعد: فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٤٦].

إخوة الإســلام والإيمان:

إن الأولاد نعمة جليلة، وهبة جميلة، بهم تعمر الأرض وتزدان الدنيا، وتكتمل سعادة الآباء والأمهات، وبهم امتن الله على عباده ببقاء النوع الإنساني موجوداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النحل: ٧٢]، ولكي يكون الأبناء في الدنيا بحق زينة ونعمة لا فتنة ونقمة أوصى الإسلام الآباء أن يحسنوا أدبهم، وأن يكملوا دينهم ويتقنوا تعليمهم وتهذيبهم عملاً بتعاليم الدين الحنيف، وفي هذا يقول ﷺ: «**الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**».

والإسلام وهو دين الفطرة الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين، ينظر إلى الأطفال دائماً نظرة تقدير وإكبار، وهي نظرة واعية لأن أطفال اليوم هم رجال الغد وقادة المستقبل، على كواهلهم تُبنى الأمجاد، وبسواعدهم تُشاد الحضارات، ولهذا يحوطهم الإسلام الحنيف بالرعاية والعناية والتوجيه السديد منذ نعومة أظفارهم إلى أن يشبوا على الطريق ويصيروا رجالاً.

ونحن إذا نظرنا إلى هدي رسول الله ﷺ في تربية الأطفال وتنشئتهم نجد أن

الرسول ﷺ قد وضع في هذا الشأن أعظم مبادئ التربية وأقوم أساليبها سابقاً بذلك المضمار أساليب التربية الحديثة بأكثر من أربعة عشر قرناً، ونستطيع أن نبين هديه ﷺ في ذلك من أول مراحل التربية إذا كانت على منهاج النبوة، حيث أن من هديه إحاطة الطفل من صغره بالمحبة والحنان والرحمة حتى ينشأ، وهذه الصفات تكون من أبرز ما يتصف به، فإذا نال الطفل حظه من المحبة والحنان والرحمة، نشأ قويم الأخلاق مهذب السلوك محباً للخير متأثراً به، بعيداً عن أساليب القسوة والغلظة، ليناً سهلاً في كل معاملاته، ينشر الرحمة والمحبة بين الناس، لأنه شب عليها وتشبع بها. إما إذا لم ينل حظه من الرحمة والحنان فإنه ينشأ قاسي القلب، غليظ الطبع، سيئ التعامل مع الناس. من أجل ذلك كان رسول الله ﷺ وهو خير البرية ومعلم الناس الخير يداعب الأطفال ويلاعبهم، بل كان يحملهم ويعانقهم ويقبلهم في حنان ورحمة ومحبة منقطعة النظير، ويجعل ذلك آية على تمكن الرحمة من قلب فاعله. يحدثنا أبو هريرة فيقول في حديث رواه البخاري: قبّل رسول الله ﷺ الحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: «**من لا يرحم لا يُرحم**»، وفي البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الآخر ثم يضمنا ويقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما**»، بل كان كثيراً ما يبدي تلك الرحمة بالأطفال وهو بين يدي الله في الصلاة، فقد روي أن الحسن ركب فوق ظهره الشريف وهو ساجد فكره أن يعجله وأطال السجود حتى نزل من على ظهره جده المصطفى ﷺ، ولم يزد ﷺ عن قوله: «**إن ابني امتطاني فكرهت أن أعجله**».

هذا وإن من هديه ﷺ في التربية مع الحب والعطف والحنان أخذ الطفل بالحزم إذا اقتضى الأمر ذلك، فقد كان الرسول ﷺ يأخذ أطفاله بالحزم مع أخذه إياهم بالحنان والمحبة، بمعنى أنه إذا رأى من طفله سلوكاً معوجاً قوّمه، وإذا بدا من أحدهم خطأ أصلحه وأمره بالإقلاع عنه، مبيّناً له السبب، فمن ذلك مثلاً ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله أنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي

الله عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه، فقال رسول الله: «**كخ كخ ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**». وهذه الكلمة كلمة زجر للطفل.

والذي لا شك فيه أن النبي ﷺ كان يحب الحسن حباً جماً ومع حبه له أخذه بالشدة والحزم في هذا الموطن ليصلح من شأنه، ويهذب من سلوكه، ويعوده على أحسن الأخلاق وأفضلها، فكان الحسن كذلك ﷺ، وفي الوقت نفسه يضع للآباء دستوراً حكيماً في تربية الأطفال وتنشئتهم ليصلح بذلك حال الأمة كلها.

ولم تكن تربية الأطفال لديه ﷺ تربية كلامية فحسب، بل وتدريباً عملياً، فنراه في موطن آخر يبين ﷺ أن أفضل ما يعين الآباء على تربية أبنائهم تربية صالحة هو أن الآباء يأخذون أنفسهم بآداب الشرع الحكيم أمام أبنائهم صلاةً وصياماً وزكاةً ومعاملةً وسلوكاً، فإذا وعدوهم فليفوا بوعودهم، وإذا حدثوهم فليكونوا صادقين في أحاديثهم معهم، لماذا؟ لأن ذلك يدرب الأبناء على الصدق وينفوهم من الكذب، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن عبد الله بن عامر أنه قال: نادتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ عندنا في البيت فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ فقالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها الرسول ﷺ: «**أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**».

فالرسول ﷺ يريد بهذا التوجيه الكريم تعليم الآباء والأمهات والمربين تنشئة الأطفال وتعوديهم على صفة الصدق ليشبوا عليها لأنه كما تعلمون من شب على شيء شاب عليه، وكذلك يرشد النبي ﷺ إلى تربية الأطفال من الصغر على التوحيد، مرغباً في ذلك فيقول في حديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ربى صغيراً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله**»، وهذا يتطلب أن تكون التربية على التوحيد كما علم الرسول ﷺ ابن عباس بقوله: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**». كما يأمرنا الرسول صلوات الله عليه أن ندرب أبناءنا من الصغر على شعائر الدين حتى ينشؤوا وقد تعودوا على أدائها، وصارت جزءاً من كيانهم، وغريزة من غرائزهم، فيقول في حديث رواه أبو داود بإسناد حسن عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ

يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**».

لكن لم يفرق بينهم في المضاجع وهم أبناء عشر؟ ذلك لأن الطفل عند ذلك سيدخل مرحلة لها خطورتها، وهو ما يسمى اليوم بلغة العصر مرحلة المراهقة، وهي مرحلة لها ما لها من الخطورة، وقد يقع بها ما يقع في غفلة من الآباء والأمهات فيما لا يحمد عقباه، ولهذا يغلق الرسول ﷺ هذا الباب ويدق ناقوس الخطر حتى ينبه الآباء والأمهات في الوقت المناسب، لأن الآباء والأمهات مسؤولون أمام الله تعالى عن سلوك أبنائهم وأخلاقهم، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته**». فالبيت مدرسة، والرجل في البيت هو عميد هذه المدرسة، والأم هي المعلمة، والأولاد هم تلاميذها، فإذا تخلّق الأب والأم أمام الأولاد بمحاسن الأخلاق وسلوك الدين تخرج أبناؤهم من هذا البيت أساتذة في الأخلاق والعادات الطيبة، وما جلس ابنك أو بنتك في مجتمع إلَّا أثنى ذلك المجتمع على بناتك وأولادك وعلى من علمهم ورباهم هذه التربية الحسنة. فمن شاء ذلك فليجعل كتاب الله حلية أبنائه، وسنة رسول الله ﷺ قدوتهم، وتعاليم الدين الحنيف قبلتهم، وأخلاق السلف الصالح خير منهج ينتهجونه، وأفضل سبيل يسلكونه، فمن فعل بأبنائه ذلك نعم بهم صغاراً وأسعد بهم كباراً، وكانوا له بعد المات مصدر رحمة بين الأموات، وذكراً جميلاً بين الأحياء. ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

نسأل الله أن يلهمنا رشدناً، وأن يبارك لنا في أولادنا، وأن يردنا وآباءهم وأولاد المسلمين إلى الدين رداً جميلاً، وان يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

إن الله لا يضيع أجر المحسنين

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وحثنا على مكارم الأخلاق، ووجهنا إلى أن نعامل الناس بالإحسان والرحمة والحلم، وأن تكون علاقتنا بهم علاقة رحمة ومحبة ومودة، متمثلين قوله سبحانه وتعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شرع لعباده من الدين ومن الآداب والنظم وحسن المعاملة ما يكفل لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة حيث ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث رحمة للعالمين والهادي إلى صراط الله المستقيم، اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين، ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعـد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا -وفّقني الله تعالى وإياكم لما يحبه ويرضاه- أن من أهم الأسس التي يربي الإسلام عليها أبناءه ضبط أنفسهم وتدريبهم على قيادتها والإمساك بزمامها وكبح عواطفها وكفكفة انفعالاتها؛ لا سيما عند الحاجة والخصومة وذلك بالدعوة إلى القصر والاعتدال عند الغضب ثم إلى الإحسان في مقابلة الإساءة، وإلى العفو في مقابلة الظلم، وإلى الوصل في مقابل القطيعة، مرغباً في ذلك بما هو عند الله خير من الدنيا وما فيها، حيث يقول القرآن: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وهذه المبادئ التي دعا إليها الإسلام ورغّب فيها وأمر بالمسارعة إليها، وهي

تُعَدّ من فضائل الإحسان التي تشد العلاقات بعد تفكك، وتعيد الصلات بعد تمزق، وتبين معدن صاحبها، فإذا هو في نظر خصمه القمة الأخلاقية التي يربو إليها ويعشقها، ويأمل أن يعيش في كنفها وفي رفقتها ليكون من المحسنين، ويحظى بمحبة الله رب العالمين.

ولقد أرسى الإسلام دعائم هذا المنهج الحكيم في آيات بينات من كتاب رب العالمين منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فُصّلت: ٣٤] وفي هذا يقول عمر بن الخطاب: إنك ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، فإنك إذا قابلت الإساءة بالإحسان وأحسنت إلى من أساء إليك قاده الإحسان إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك، حتى يصير كما قال الله عزَّ وجَلّ: ﴿ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ يعني كأنه قريب إليك من الشفقة عليك، وهذا الإحسان الذي يقدمه المرء في مقابلة الإساءة لا شك أنه أدعى لصفاء القلب، وذهاب الحقد، وجلب المحبة، ودفع المضـرة، ولله در من قال:

لما صفوت ولم أحقــد على أحد ... أرحت نفسي من هَمِّ العـداوات

إني أحيي عدوي عند رؤيتــه ... لأرفع الضُّرّ عني بالتحيــات

ولذا جاءت توجيهات الله تعالى لنبيه ﷺ في القرآن الكريم بان يكون سمحاً كريماً آخذاً بالمعروف منصفاً بالعفو متجاوزاً عن إساءة الجاهلين، حيث أنزل الله عز وجل عليه هذه الآيات الكريمة سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال: حتى أسأل العالم، ثم أتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تَصِلَ من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. فجمعت هذه الآية جل مكارم الأخلاق ودعائم الإصلاح.

وبهذا الأدب الإلهي أَلَّف الرسول ﷺ حول دعوته القلوب مما جعل أصحابه يفدونها بأعز ما يملكون، وذلك لحسن خلقه وعظم حلمه وكمال إحسانه وعفوه، فكثيراً ما كان يستغضب ﷺ فما يجاوز حدود التكرم بالعفو عمن استغضبه، إلَّا

أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله تعالى، وسيرته ﷺ تفيض إشراقاً بمواقف العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان والإكرام، ومن الشواهد في هذا المقام ما رواه الطبراني وغيره أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب شيئاً فأعطاه ثم قال له: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: لا أحسنت ولا أجملت، فغضب المسلمون وأرادوا أن يهموا به، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئاً، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبي: إنك قلت ما قلت ، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم ، فقال: نعم، فلما كان الغد جاء فقال النبي لأصحابه: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال رسول الله ﷺ: «**إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلَّا نفوراً، فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحله واستوى عليها، ولو أني تركتم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار**». وبهذا العفو والكرم والعطاء استطاع الرسول ﷺ أن يرضي الأعرابي ويسمع أصحابه منه الثناء.

فسيرته تفيض إشراقاً بمواقف العفو والحلم والرحمة والإحسان وتعد نبراساً لمن ينشد الكمال ومعالي الأمور، ومعالم لمن يطلب حياة الشرف والمروءة، ومن أحق بذلك من أتباع الحبيب المصطفى ﷺ ونحن أبناء أمته.

فلنتق الله إخوة الإيمان ولنربي أنفسنا على الإحسان في كل شيء فيما بيننا وبين الله، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، حيث ورد الإحسان بهذا المعنى في حديث جبريل عليه السلام، وبه أمرنا رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري، فقال ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». فيعبد الله كأنه يراه، وعلى الإحسان أيضاً فيما بيننا وبين أنفسنا بمجاهدة النفس ومحاسبتها لأن سعادة المسلم سواء في الدنيا أو في الآخرة متوقفة على مدى تزكية نفسه بالمجاهدة وتطييبها بالمحاسبة، لأنه لا

فلاح للإنسان إلا بذلك، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وبالإحسان أيضاً إلى الوالدين كما أمر الإسلام، فلقد أمر الإسلام بالإحسان إليهما، وذلك ببرِّهما بكل ما تصل إليه يد الابن كإطعامهما وكسوتهما وعلاج مريضهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما، وألا يسمعهما الابن أدنى مراتب القول السيئ مهما بدر منهما كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وبالإحسان إلى الجار، حيث أمر الإسلام بالإحسان إلى الجار وذلك بأن يكون لجاره في الشدائد عوناً وفي الرخاء أخاً، يأسف لما يؤذيه، ويفرح لما يسره ويرضيه، ويفرج كرباته ويقضي حاجاته، إلى غير ذلك مما أرشد إليه الإسلام الحنيف.

وبالإحسان فيما بيننا بصفة عامة، فنعفو ونصفح وليقابل كل منا إساءة أخيه بالإحسان إليه، والعفو عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، طاعةً لربنا وتأسياً برسولنا ﷺ فالله عزَّ وجَلَّ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وحَسْبُنا في هذا المقام أيها الأحبة الكرام قول ربنا ذي الجلال والإكرام: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[الرحمن: ٦٠].

إخـــوة الإيمان:

روى الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم عمن جعل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من المحسنين وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

* * *

حقوق الآباء والأبناء

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، واستخلفه في أرضه من بين العالمين، وأمد له في أثره بالذرية والبنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأولاد في الدنيا زينة ونعمة، والله عنده أجر عظيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين ﷺ إلى يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أمَّا بعـد:

أيها الإخـــوة الكرام:

إنَّ الإسلام هو الدين الحنيف الذي ارتضاه الله تعالى منهجاً للعالمين عني بحقوق الأسرة أزواجاً وآباءً وأبناءً عنايةً عظيمة، ووضع لها في ميزانه أسساً ونظماً كريمة، جاء بها القرآن الكريم وبينتها سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فنرى مثلاً في بيان القرآن لحقوق الآباء على الأبناء أن الله تعالى قرن في القرآن الكريم حق الوالدين بحقه، وشكرهما بشكره، وأمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادته وتوحيده، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. وهذا من عدل الله وفضله سبحانه، لأن الوالدين هما مصدر خلق الولد وسبب وجوده المباشر في هذه الحياة، بقدر من الله سبحانه، ومن ثَمَّ فإن لله عزَّ وجَلّ حق الشكر على نعمة الخلق والإيجاد، ثم للوالدين

كذلك حق الشكر على نعمة الحمل والإيلاد، والرعاية والتربية للأولاد. ولذلك جاء الشكر في القرآن الكريم للوالدين مقروناً بالشكر لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا يقبل الله واحدة بدون قرينتها، أما الأولى: فهي قوله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، وأما الثانية: فهي قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن أقام الصلاة وضيَّع الزكاة لم يقبل منه، وأما الثالثة: فهي قول الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه». فرضى الله تعالى في رضى الوالدين، وسخط الله تعالى في سخط الوالدين، وإنه لحق عظيم لمن عرف قدره ففي الحديث: «**الوالد باب الجنة**».

وتأمل أخ الإسلام هذا الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة ﵁ ففيه يقول الحبيب محمد ﷺ: «**رغم أنه رغم أنفه رغم أنفه قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة**»، فالرسول ﷺ يقول رغم أنفه ثلاثاً أي ذل وهان وتعرض للخيبة والخذلان من أدرك أبويه عند الكبر ولا يكونا سبباً في دخوله الجنة لعدم برهما وعقوقه لهما، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق**».

وتأمل معي أخَ الإسلام هذا الحديث الرقراق الذي رواه البيهقي وابن ماجه وحسنه الألباني في الصحيح من حديث أحد الصحابة ﵁ عندما جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو في سبيل الله وجئت أستشيرك، فقال: هل لك أم؟ قال: نعم، قال: «**فالزمها فإن الجنة عند رجلها**». وهنا قدم النبي ﷺ خدمته لأُمِّه على الجهاد في سبيل الله، وهذا دليل على عظم حق الأم على ولدها. وروى مسلم في صحيحه أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «**لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما**». وروى الإمام

البزار أن رجلاً كان في الطواف يحمل أمه على عاتقه يطوف بها، فلقي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل أديت حقها؟ قال: «**لا ولا بزفرة واحدة من زفرات الولادة**». وهذا غيض من فيض مما ورد في حقوق الآباء على الأبناء. وأما عن حقوق الأبناء على الآباء فهي أيضاً كثيرة أبرزها وأعظمها التربية والأدب الحسن كما صح عن النبي ﷺ، فضلاً عن اختيار أمه واسمه وتعليمه القرآن. ونحن إذا نظرنا إلى هدي رسول الله ﷺ في تربية الأطفال وتنشئتهم نجد أن الرسول ﷺ قد وضع في هذا الشأن أعظم مبادئ التربية وأقوم أساليبها سابقاً بذلك المضمار أساليب التربية الحديثة بأكثر من أربعة عشر قرناً، ونستطيع أن نبيِّن هديه ﷺ في ذلك من أول مراحل التربية إذا كانت على منهاج النبوة. حيث أن من هديه إحاطة الطفل من صغره بالمحبة والحنان والرحمة حتى ينشأ، وهذه الصفات تكون من أبرز ما يتصف به، فإذا نال الطفل حظه من المحبة والحنان والرحمة، نشأ قويم الأخلاق مهذب السلوك محباً للخير متأثراً به، بعيداً عن أساليب القسوة والغلظة، ليناً سهلاً في كل معاملاته، ينشر الرحمة والمحبة بين الناس، لأنه شب عليها وتشبَّع بها. إمّا إذا لم ينل حظه من الرحمة والحنان فإنه ينشأ قاسي القلب، غليظ الطبع، سيئ التعامل مع الناس. من أجل ذلك كان رسول الله ﷺ وهو خير البرية ومعلم الناس الخير يداعب الأطفال ويلاعبهم، بل كان يحملهم ويعانقهم ويقبلهم في حنان ورحمة ومحبة منقطعة النظير، ويجعل ذلك آية على تمكن الرحمة من قلب فاعله. يحدثنا أبو هريرة فيقول في حديث رواه البخاري: قبّل رسول الله ﷺ الحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: «**من لا يرحم لا يُرحم**»، وفي البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فَخِذه الآخر ثم يضمُّنا ويقول: اللَّهمَّ ارحمهما فإني أرحمهما**»، بل كان كثيراً ما يبدي تلك الرحمة بالأطفال وهو بين يدي الله في الصلاة، فقد روي أن الحسن ركب فوق ظهره الشريف وهو ساجد فكره أن يعجله وأطال السجود حتى نزل من على ظهره جده المصطفى ﷺ، ولم يزد ﷺ

عن قوله: «**إن ابني امتطاني فكرهت أن أعجله**».

هذا وإن من هديه ﷺ في التربية مع الحب والعطف والحنان أخذ الطفل بالحزم إذا اقتضى الأمر ذلك، فقد كان الرسول ﷺ يأخذ أطفاله بالحزم مع أخذه إياهم بالحنان والمحبة، بمعنى أنه إذا رأى من طفله سلوكاً معوجاً قوّمه، وإذا بدا من أحدهم خطأ أصلحه وأمره بالإقلاع عنه، مبيناً له السبب، فمن ذلك مثلاً ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه، فقال رسول الله: «كخ كخ ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة». وهذه الكلمة كلمة زجر للطفل.

والذي لا شك فيه أن النبي ﷺ كان يحب الحسن حباً جماً ومع حبه له أخذه بالشدة والحزم في هذا الموطن ليصلح من شأنه، ويهذب من سلوكه، ويعوده على أحسن الأخلاق وأفضلها، فكان الحسن كذلك رضي الله عنه، وفي الوقت نفسه يضع للآباء دستوراً حكيماً في تربية الأطفال وتنشئتهم ليصلح بذلك حال الأمة كلها، ولكم في رسول الله أسوة حسنة.

ولم تكن تربية الأطفال لديه ﷺ تربية كلامية فحسب، بل وتدريباً عملياً، فنراه في موطن آخر يبين ﷺ أن أفضل ما يعين الآباء على تربية أبنائهم تربية صالحة هو أن الآباء يأخذون أنفسهم بآداب الشرع الحكيم أمام أبنائهم صلاةً وصياماً وزكاةً ومعاملةً وسلوكاً، فإذا وعدوهم فليفوا بوعودهم، وإذا حدثوهم فليكونوا صادقين في أحاديثهم معهم، لماذا؟ لأن ذلك يدرب الأبناء على الصدق وينفوهم من الكذب، ومن ذلك ما رواه أبو داود عن عبد الله بن عامر أنه قال: نادتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ عندنا في البيت فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ فقالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها الرسول ﷺ: أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة.

فالرسول ﷺ يريد بهذا التوجيه الكريم تعليم الآباء والأمهات والمربين تنشئة الأطفال وتعوديهم على صفة الصدق ليشبوا عليها لأنه كما تعلمون من شب على شيء شاب عليه، وكذلك يرشد النبي ﷺ إلى تربية الأطفال من الصِّغَر على

التوحيد، مرغباً في ذلك فيقول في حديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ربى صغيراً حتى يقول لا إله إلَّا الله لم يحاسبه الله**»، وهذا يتطلب أن تكون التربية على التوحيد كما علم الرسول ﷺ ابن عباس بقوله: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**». كما يأمرنا الرسول صلوات الله عليه أن ندرب أبناءنا من الصغر على شعائر الدين حتى ينشؤوا وقد تعودوا على أدائها، وصارت جزءاً من كيانهم، وغريزة من غرائزهم، فيقول في حديث رواه أبو داود بإسناد حسن عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

لكن لم يفرق بينهم في المضاجع وهم أبناء عشر؟ ذلك لأن الطفل عند ذلك سيدخل مرحلة لها خطورتها، وهو ما يسمى اليوم بلغة العصر مرحلة المراهقة، وهي مرحلة لها ما لها من الخطورة، وقد يقع بها ما يقع في غفلة من الآباء والأمهات فيما لا يحمد عقباه، ولهذا يغلق الرسول ﷺ هذا الباب ويدق ناقوس الخطر حتى ينبه الآباء والأمهات في الوقت المناسب، لأن الآباء والأمهات مسؤولون أمام الله تعالى عن سلوك أبنائهم وأخلاقهم، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته**». فالبيت مدرسة، والرجل في البيت هو عميد هذه المدرسة، والأم هي المعلمة، والأولاد هم تلاميذها، فإذا تخلق الأب والأم أمام الأولاد بمحاسن الأخلاق وسلوك الدين تخرج أبناؤهم من هذا البيت أساتذة في الأخلاق والعادات الطيبة، وما جلس ابنك أو بنتك في مجتمع إلا أثنى ذلك المجتمع على بناتك وأولادك وعلى من علمهم ورباهم هذه التربية الحسنة.

فمن شاء ذلك فليجعل كتاب الله حلية أبنائه، وسنة رسول الله ﷺ قدوتهم، وتعاليم الدين الحنيف قبلتهم، وأخلاق السلف الصالح خير منهج ينتهجونه، وأفضل سبيل يسلكونه، فمن فعل بأبنائه ذلك نعم بهم صغاراً وأسعد بهم كباراً،

وكانوا له بعد الممات مصدر رحمة بين الأموات، وذكراً جميلاً بين الأحياء. ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

نسأل الله أن يلهمنا رشدناً، وأن يبارك لنا في أولادنا، وأن يردنا وآباءهم وأولاد المسلمين إلى الدين رداً جميلاً، وان يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



منزلة الزكاة في الإسلام

الحمد لله الذي جعل الزكاة طهارةً ونماءً، وزاد أهلها فضلاً وعطاءً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرع الزكاة وجعلها فرضاً لازماً على الأغنياء والموسرين، وحقاً معلوماً للفقراء والمحتاجين، وقال آمراً رسوله الكريم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وأشهد أن محمداً رسول الله اجتباه من الخلق مولاه، وعلى موائد كرمه رباه، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، فبين للناس ما نزل إليهم من الأحكام، وفصل ما أجمل القرآن، ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان، أما بعـد:

إخوة الإســلام:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله فاتقوا الله حق التقوى وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى والآجال تفنى وما عند الله خير وأبقى، ثم اعلموا رحمكم الله أن الإسلام دين الرحمة والتواصل بين أفراد المجتمع، ولذلك جعل الزكاة ركناً من أركانه، وقرر مشروعيتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فصارت معلومة من الدين بالضرورة، وبشر من يؤديها بإخلاص وسرية أنه يوم القيامة في ظل عرش رب البرية، ففي الصحيح أنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله: «**رجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**»، وجعلها سبباً من أسباب التمكين في الأرض، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

والزكاة في الإسلام أيها الأحبة الكرام معناها لغةً النماء والزيادة والخير والبركة، وحقيقتها شرعاً إخراج قدر معلوم من مال الأغنياء وصرفه إلى مستحقيه طبقاً لمصارفها الشرعية التي وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وإن كان المال ينقص بها في الظاهر لبعض الناس فحقيقتها عند الله أنها سبب لزيادة المال، ومضاعفته وحلول البركة فيه، فينتفع به المزكي خير انتفاع، ويستمتع به حسبما شرع الله لعباده من الطيبات، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ولذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي: «**ما نقص مالٌ من صدقة**»، وفضلاً عن ذلك فهي طهارة للقلب والمال، وصيانة للمجتمع، طهارة للقلب من الشح والاستعلاء، وصيانة للمجتمع من الخلل الذي ينشأ من العوز في جانب، والترف في جانب، ومن ثم فهي تأمين اجتماعي رباني للفرد والمجتمع جميعاً، تلكم الزكاة يا عباد الله.

فيا من أعطاكم الله النعمة وجعلكم في رغد من العيش وكفاكم شر الفقر وشدة المؤونة اعلموا رحمكم الله أنه من تمام النعمة ودوامها المبادرة بإخراج الزكاة إلى ذوي الحاجات لتعودوا بالخلف والثواب من فاطر الأرض والسماوات، لا سيما ونحن الآن على مشارف استقبال شهر رمضان، شهر الجود والخير والإحسان، والحق جل وعلا يقول في محكم القرآن: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

واعلموا رحمكم الله أن من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المزكي الذي يتأكد عليه الزكاة أن يكون طيب النفس بإخراجها فرحاً مسروراً بقبول الفقير لها فالحق جلَّ وعَلَا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] وليحذر أحدكم أن يكون كارهاً لإخراجها، واعلموا أن من الآداب كذلك أن يخرج المزكِّي من ماله أجلَّه لأن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً، وأجوده وأحبه إلى نفسه لينال البر من الله تأسياً بالسلف الصالح، فلقد روى البخاري ومسلم عن

أنس ﷺ قال: كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يشرب من ماء فيه طيب ، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ ، وإنَّ أحب مالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضمها يا رسول الله حيث أمرك الله، فقال رسول الله: بخ بخ ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة على أقاربه وبني عمه، فربح بيعه ونال البر من الله تعالى.

واعلموا رحمكم الله أن منع الزكاة وعدم إخراجها أو التهاون في ذلك هو خرق لسفينة النجاة في المجتمع وتعريضه للغرق والدخول في محن وبلايا قد تعصف بكيانه وتزلزل بنيانه وتهدم أركانه، لذلك توعد الله مانعي الزكاة بالعقوبة الشديدة حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

كما أن منع الزكاة وعدم إخراجها يحرم الأمة من بركات الغيث ونزوله، ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه: «**وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء**». بينما يجود الله عز وجل بالغيث والبركة على من أنفق في سبيله، فالحق جل وعلا يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرّة -أي أرض فيها حجارة سود- فتبع الماءَ فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء

بمسحاته -الفأس- فقال: يا عبد الله ما اسمك؟ فقال: فلان -الاسم الذي سمع في السحابة- فقال: يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ فقال: سمعت من السحاب الذي هذا ماؤه صوتاً يقول اسقِ حديقة فلان باسمك، فماذا تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأدخر فيها ثلثه» رواه مسلم. وصدق الله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فاتقوا الله يا عباد الله وأدّوا زكاة أموالكم إرضاءً لله وإبراءً للذمة ومساعدةً للفقراء والمحتاجين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعلنا في هذا الشهر العظيم من عتقائه من النار ومن المقبولين، أقول قولي هذا وأستغفر الله.

❊ ❊ ❊

أعطوا الأجير أجره

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المجزاة والسراج المنير الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور، أمّـا بعــد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وخاصة العامل أو الأجير، عملاً بقول البشير النذير ﷺ فيما رواه البيهقي: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**». ولقد رفع الإسلام من شأن العامل، وضمن له حقوقه، وحث الإسلام على العمل الشريف، وخاصة عمل الرجل بيده، وجعل ذلك نعمة تستوجب الشكر لله عز وجل، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٣٥]، ويقول الرسول ﷺ فيما رواه أحمد والبيهقي: «**أطيب الكسب عمل الرجل بيده**»، ويقول ﷺ: «**من بات كالًّا من عمل يده بات مغفوراً له**». والأجر على العمل أيها الأحبة هو من أهم الحقوق التي يحرص الإسلام على عدم المساس بها مادام العامل قد قام بعمله وأدى الواجب المطلوب منه، لأن التشريع الإسلامي الحنيف يقرر ضرورة أداء الأجر المتفق عليه للعامل في غير إجحاف بين الطرفين، وبدون ظلم أحدهما الآخر حيث أن المسؤولية مشتركة بينهما، فالعامل مسؤول عن أي تقصير في العمل أمام الله تعالى قبل أن يكون مسؤولاً أمام أي أحد من الناس، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣]، ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه

البخاري: «**والخادم – أي العامل- راعٍ في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته**»، وكذلك صاحب العمل مسؤول هو الآخر أمام الله يوم القيامة لقوله ﷺ فيما رواه البخاري: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**» ولقوله ﷺ أيضاً فيما رواه البخاري: «**إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيدكم**»، ومن ثم يجب عليكم الرفق بهم، والمعاملة الحسنة معهم، وأن يكون الأجر على قدر العمل لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود: ٨٥]، ومن ثم فإذا رضي العامل مضطراً بأجر أقل مما يستحقه وجب على رب العمل أن يعطيه ما يستحقه ولا يغبنه، ولا عبرة برضاه بالأجر القليل، فهو ذلك كمن اضطر إلى بيع سلعته بأقل من ثمنها الحقيقي لحاجته الشديدة، ولا بد من مراعاة ظروف المعيشة، ففي الحديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»، ومما يجب العلم به ومراعاته أن الأجر على العمل حق لا منة فيه، فكما يجب على العامل أن يؤدي العمل بإخلاص كما اشترط عليه صاحبه، يجب في المقابل على صاحب العمل أن يعطي العامل حقه في وقته بلا استعلاء ولا مماطلة، لأن مطل الغني ظلم كما في صحيح البخاري عن النبي ﷺ، بل صح عنه ﷺ أنه قال: «**ملعون من ظلم أجيراً أجرته**»، واللعن هو الطرد من رحمة الله، فالمسألة إذن خطيرة، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، والله تعالى يقول في حديثه القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**».

ولا ريب إخوة الإسلام أن من أخطر وأقبح أنواع الظلم ظلم الإنسان لنفسه، حيث يتعدى حدود الله تعالى بمخالفته أوامره وارتكاب نواهيه، ومن ثم قال أهل العلم: إن للظلم وجوهاً وأشكالاً، ومن الظلم أن يستعمل الإنسان عاملاً أو يستأجر أجيراً ثم لا يعطيه أجرته، وقد ورد في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه فقد خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره**».

فهذه تبعات لها خطرها في يوم العرض على رب الأرض والسماوات، ففي

الحديث الذي رواه أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها يقول النبي ﷺ: «**الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله: الإشـراك:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، **وديوان لا يتركه الله** -أي يطالب الله به العباد ولا يتركه-: **وهو ظلم العباد فيما بينهم**»، وفي الحديث الذي رواه أحمد ومسلم: «**لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»، «**وديوان لا يأبه الله به** أي لا يبالي **ظلم العباد فيما بينهم وبين الله فذلك إلى الله إن شاء عذب وإن شاء تجاوز عنه**»، فالديوان الذي لا يتركه الله تعالى هو ديوان المظالم بين الناس، ومما يوضح لنا ذلك من أحاديث رسول الله ﷺ ما رواه الحاكم وابن ماجه عن أبي أمامه ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والظلم فإن الله يقول يوم القيامة: وعزتي وجلالي لا يجيزني اليوم ظلم ثم ينادي منادي فيقول: أين فلان بن فلان، فيتبعه من الحسنات أمثال الجبال، فيشخص الناس إليها أبصارهم، ثم يقوم بين يدي الرحمن ثم يأمر المنادي ينادي من كان له تباعة أو ظلامة عند فلان فهلم، فيقوموا حتى يجتمعوا جميعاً بين يدي الرحمن، فيقول الرحمن: اقضوا عن عبدي، فيقولون: كيف نقضي عنه؟ فيقول: خذوا له من حسناته، فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة، وقد بقي من أصحاب الظلامات، فيقول: اقضوا عن عبدي، فيقولون: لم يبق له حسنة، فيقول: خذوا من سيئاتهم فاحملوا عليه، ثم تلا قوله سبحانه وتعالى:** ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ١٣]». وهذا الحديث يبين لنا أن التبعات وهي المظالم التي بين العباد كالأجور وغيرها من الحقوق أمرها جليل وشأنها خطير، لأنها تورث الفتن والحسـرات في يوم العرض على رب الأرض والسماوات، فلقد سمى الله يوم القيامة بيوم الحسـرة ويوم التغابن يعني يوم الخزي والندم لمن طغى وبغى وأكل حقوق الناس وظلم، أو تجبر على غيره، أو قصـر في حد ربه، ولذلك يلفت الرسول ﷺ النظر إلى هول المقام وضـرورة الخلاص من الظلامات والتبعات في الحياة قبل الممات، فيقول فيما رواه البخاري: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحللها منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، فإن كان**

له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل صالح أخذ من سيئاتهم فحملت عليه». وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه يقول النبي ﷺ: **«أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا متاع، قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وضرب هذا وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فحملت عليه ثم طرح في النار»**.

فاتقوا الله يا عباد الله وكونوا أهل عدل ورفق في من ولاكم الله أمرهم بحسن معاملتهم لهم ليتولى الله أمركم ويصلح أعمالكم، فالله تعالى يتولى الصالحين، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«من جاءته موعظة من الله في نفسه فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فمن قبلها بشكر كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة، ومن أعرض عنها كانت حجة عليه يزداد بها إثماً، ويزداد بها من الله بعداً»**.

نسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



في رحاب مولده ﷺ

الحمد لله رب العالمين، نحمدك اللهم حمد الشاكرين أن جعلتنا من عبادك الموحدين، ومن أمة خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، صاحب الحوض والشفاعة، والدرجة العالية الرفيعة، فشرفتنا وكرمتنا بذلك غاية تشريف وتكريم.

فاللهم أتمم نعمتك علينا واحشرنا اللهم في زمرة نبينا وتحت لواء حبيبنا، اللهم أوردنا حوضه، واسقنا اللهم بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شريك له، مجَّد نبينا محمداً ﷺ في عالم الأنبياء قبل مولده، وأخذ عليهم الميثاق بالإيمان به ونصرته قبل بعثته.

اسمع معي أخَ الإسلام إلى قول الله عز وجل في محكم القرآن: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ففي هذا الميثاق العظيم شهد الله رب العالمين على شهادة الأنبياء والمرسلين، تشريفاً لنبيه ﷺ وتكريماً.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المجزاة، والسراج المنير الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

إخوة الإســلام والإيمان:

لقد هلَّ علينا منذ أيام شهر ربيع الأول، وكلما هل هلال هذا الشهر المبارك فرحت النفوس المؤمنة، واستبشرت لقدومه لأنه شهر الذكريات والبركات، فهو

شهر ميلاد الهدى والنور، شهر ميلاد النبي المختار، الذي اختاره الله تعالى على حين فترة من الرسل، ليحمل رسالته إلى الناس كافة عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، ليكون للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فكان ميلاده ﷺ إيذاناً بطلوع فجر جديد مشرق بعد طول ظلام مهلك، وكان ميلاده ﷺ فاصلاً بين عهدين من عهود البشرية، عهد كان مليئاً بالظلم والطغيان والفساد والشرك والوثنية ووأد البنات، وعهد جديد يشع على البشرية بالنور والهدى والخير والرحمة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وروى أحمد عن أبي أمامة قال: «**قلت: يا نبي الله، ما كان أول أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام**». ومن ثَمَّ كان مولده ﷺ للدنيا نوراً ونعمة، وبعثته للعالمين هدى ورحمة، يقول ﷺ فيما رواه الطبراني: «**إنما أنا رحمة بعثني الله، ولا يتوفاني حتى يظهر دينه، ولي خمسة أسماء فأنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب أي الذي لا نبي بعده**»، ﷺ، فهو نبي آخر الزمان، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والإبهام**».

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد بعث الله نبيه المصطفى ﷺ من العرب فهو من سلالة إسماعيل عليه السلام، واختاره من خير الخلق أجمعين، فهو كما حدث بذلك عن نفسه في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: «**خيار من خيار من خيار**»، فكان مولدُهُ ﷺ إيذاناً بلم الشمل وتوحيد الشتات، والقضاء على الفوضى ومحو الفساد، ثم كان ﷺ البلسم الشافي الذي أنهض الإنسان من وهنه، وأقاله من عثرته، وخلصه من براثن الشيطان، وطهر الأرض من الأصنام والأوثان، ونظف القلوب من الأحقاد والأضغان، فأصبح التنافس بين الناس في الخير، والتعاون بينهم على

البر، والتفاضل بالتقوى، كل ذلك تحقق على يد سيدنا النبي ﷺ مع بداية دعوته إلى الله، بعد أن وحد بين أصحابه بالمؤاخاة، وعدل بين حقوقهم بالمساواة، وربط بين قلوبهم بالحب في الله ، فأصبح أعداء الأمس أحباء اليوم، والمنقسمون على أنفسهم يداً واحدة على من سواهم، وهي نتيجة طبيعية للمؤاخاة في الله، والعدل والمساواة، لذلك انتصر ﷺ على الشرك وأهله فمحاه، وارتفعت الأصوات تجأر بكلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأصبح لسان الحال يقول آنذاك: الله أكبر إن دين محمد أقوى وأقوم قيلاً.

فزالت العصبية عصبية الجنس واللون والمال، وأصبح الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي، إلا بالتقوى، يعبد الجميع رباً واحداً، وينتمون إلى أب واحد كما علمهم النبي ﷺ ذلك حيث قال: «**إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وافتخارها بآبائها إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، فكلكم بنو آدم وآدم من تراب**» أو كما قال ﷺ.

وعندما رنَّ هذا النداء في آذان الأغنياء والأقوياء؛ رفع القوي يد البطش عن الضعيف، وأعطى الغني حق الفقير، واعتصم الجميع بحبل الله المتين، وتذكروا نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وأصبح كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، فأمسى المجتمع القرشي حينئذٍ لا أثر فيه للتحاسد أو التباغض، بل الجميع عباد الله إخواناً، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ولا فضل لعربي على أعجمي إلَّا بالتقوى، وأحيوا الإسلام بين قلوبهم، فشع نور الإسلام ببركة جهدهم وإخلاصهم على العالمين، وانتشر ضياؤه في الخافقين، وبات العرب الذين كانوا لا يعرفون حكماً ولا قانوناً حكاماً وقادة للعالم آنذاك، وتولوا مقاليد الأمور، فدانت لهم الدنيا، وخضعت لهم الرقاب، وظلوا كذلك في صدر الإسلام قوة وعزة ومهابة في العالمين، حتى كان ما كان وتغير الحال.

إخوة الإســـلام:

فأنى لنا الآن بعزيمة كعزيمة سيدنا رسول الله ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً، نستعيد بها ما فُقِد من مجدنا، لترتفع هامة الأمة بين الأمم، ويزول

عنها هذا الضعف وهذا الوهن، لا سيما ونحن بصدد ذكرى ميلاد خير رسول لخير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

أيها الأحبــة في الله:

اعلموا وفَّقني الله وإياكم لما فيه رضاه أن خير ما نجدد به إيماننا، وأن خير ما نحيي به في أنفسنا ذكرى ميلاد نبينا ﷺ هو أن نحيا بالكتاب الذي جاءنا، ونتمسك بالسنة التي تركنا عليها، وأن نعاهد الله جميعاً ونحن مع ذكراه على إخلاص النية لله وأن نحكم بيننا شرع الله، وأن نعمل جاهدين على نصر ديننا، وتوحيد صفوفنا، لاسترداد مقدساتنا وأوطاننا، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو القوي العزيز. وهذا هو طريق الأمة إلى العزة والنصر، ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فإن خرجتم عنها سلط الله عليكم من عدوكم من يخيفكم، ولا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا**».

نسأل الله أن يردنا وجميع المسلمين رداً جميلاً وأن يقر أعيننا بعز الإسلام وبنصر المسلمين في كل مكان، وتحرر الأوطان المسلمة من أيدي الغزاة العاصين، وأن يختم لنا بالسعادة أجمعين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❊ ❊ ❊

حالة العَالَم قبل مولده ﷺ

الحمد لله رب العالمين، يا رب فرج كروبنا، استر عوراتنا، آمن روعاتنا، اغفر لنا ذنوبنا، اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، اللهم احشرنا في زمرة نبينا، وتحت لواء حبيبنا، اللهم أحيينا على سنته، وتوفَّنا على ملته، وأوردنا حوضه، واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، آمين. وأشهد أن لا إله إلَّا الله مجد نبينا محمداً من عالم الأنبياء قبل مولده، وأخذ عليهم العهد بالإيمان برسالته قبل بعثته، اسمع معي إلى ما قاله رب العزة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]، لتؤمنن به: أي بمحمد ﷺ، ولتنصرنه: أي محمد ﷺ، إذا أدركتم زمانه فآمنوا به وانصروه، وإذا لم تدركوا زمانه فوصُّوا أتباعكم أن يؤمنوا به وأن ينصروه، ثم قال بعد ذلك: ﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ شهد رب العالمين على شهادة الأنبياء والمرسلين تكريماً لنبيه ومصطفاه محمد ﷺ. وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المجزاة، والسراج المنير الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى صحابته أجمعين إلى يوم الدين. أمّا بعـد:

إخوة الإسـلام:

منذ أيام هلَّ علينا شهر ربيع الأول، وكلما هلَّ هلال هذا الشهر المبارك فرحت النفوس المؤمنة، واستبشرت لقدومه لأنه شهر الذكريات والبركات، فهو شهر ميلاد الهدى والنور، شهر ميلاد الحبيب محمد ﷺ الرسول المختار، الذي

اختاره الله تعالى على فترة من الرسل، ليحمل رسالته للناس كافة عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه   إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشـــقَّ لـه من اسمه ليجلّه   فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

إخوة الإســـلام:

يجدر بنا قبل الكلام عن ميلاد نبينا محمد ﷺ أن نلقي الضوء ولو بإيجاز بسيط على حالة العرب بصفة خاصة، والعالم بصفة عامة قبل ميلاده ﷺ، لنرى كيف أن الله تعالى ابتعث محمداً ﷺ في هذا الظرف الحالك ليخرج الدنيا كلها من الظلمات إلى النور. ومن هذا المنطلق كان ميلاد سيدنا محمد ﷺ إيذاناً بطلوع فجر مشرق بعد طول ظلام مهلك، وسوف نشير خلال هذا اللقاء إلى بعض الإرهاصات الخاصة بهذا الرسول العظيم، والتي كانت بمثابة التهيئة لاستقبال نوره وبركته ﷺ، ولم لا وقد كان ميلاده ﷺ فيصلاً بين عهدين من عهود البشرية، عهد كان مليئاً بالظلم والطغيان والشرك والضلال، وعهد جديد يشع نوره على البشرية بالهدى والنور والخير والرحمة، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

أيها الإخـــوة المسلمون:

إننا لو نظرنا إلى حالة العرب قبل مولده لوجدنا أنهم كانوا يعيشون في جاهلية وشرك، تنتشر فيهم الأمراض القلبية بشتى صورها، وكان من أخطر تلك الأمراض الشرك بالله إذ كانوا يعبدون أصناماً يصنعونها بأيديهم من الحجارة، وكان لكل قبيلة صنم يعبدونه ويضرعون إليه في الشدائد، ويستغيثون به في قضاء الحاجات، وكانوا يئدون بناتهم خشية العار، وكان للوأد عندهم صور مختلفة منها أنهم كانوا يحفرون للمرأة حفرة تلد على حافتها، فإن ولدت ولداً

استقبلوه، وإن ولدت بنتاً قذفوها في الحفرة وأهالوا عليها التراب، ومنها أنهم كانوا يتركون البنت حتى تبلغ السابعة من عمرها، ثم يأخذها أبوها في أحسن زي لها وقد حفر لها في الصحراء حفرة وغطاها بأعشاب، فيمرروها عليها فتسقط فيها ثم يهيل عليها التراب، وكان لا يبالي بصراخها ولا ببكائها من غلظة قلبه وشدة طبعه، ويعود وكأنها مصيبة وليست هبة وهبها الله إليه. ويصور لنا القرآن هذه الصورة البشعة فيقول: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

وكانوا يشربون الخمور، ويلعبون الميسر، وكانت الحروب بينهم تقام لأتفه الأسباب، إلى غير ذلك من العلل الخفية والأمراض الاجتماعية التي كانت منتشرة فيهم، ولم يكن هذا حال العرب وحدهم، بل كان العالم أجمع يتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض، فلا حرية ولا مساواة ولا تعاون ولا مؤاخاة، ولم يكن من بين العرب من يقر بالتوحيد لله غير القلب ممن طالعوا الكتب السماوية مثل بحيرا الراهب وورقة بن نوفل وقُسّ بن ساعدة الإيادي ومثلهم ممن طالعوا في الكتب ظهور نبي آخر الزمان في بلاد العرب، فكرهوا ما استحدثته قريش من عبادة الأصنام، ورفضوا الأصنام والأوثان كفكرة صحيحة للألوهية. وهكذا كان العالم قبل بعثته ﷺ يموج في الظلمة الحالكة، وفي أمس الحاجة إلى نور هديه ﷺ، وحول هذا المعنى يقول القائل:

الله أكبر إن نور محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكر الكتب السوالف عنده، طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

وأما عن الإرهاصات فكانت بمثابة تهيئة الجو لاستقبال هذا النور العظيم، وقد شملت جميع المراحل أثناء الحمل وعند الوضع وفي فترة الطفولة وفي زمن الصبا، نذكر منها في جاء في السِّيَر أن نور نبوته ﷺ رؤي في جبين والده عبد الله، وقد قيل لما أبصرت أم قتال رقيّة بنت نوفل أخت ورقة بنت نوفل نور النبوة في جبين عبد الله بن عبد المطلب، تمنَّت في الحال أن تكون هي أماً لذلك النبي،

فطلبته لنفسها، فأبى وانطلق مع أبيه عبد المطلب إلى بيت آمنة بنت وهب وكانت سيدة نساء قومها، وأفضلهم نسباً وموضعاً فتزوجها. ثم التقى عبد الله بن عبد المطلب بعد زواجه آمنة بأم قتال فلم تطلب منه شيئاً، فسألها: لماذا لم تطلبي مني اليوم ما كنت تطلبينه بالأمس؟ فتقول: فارقك النور الذي كان معك، فليس لي بك اليوم حاجة. فارقه نور محمد ﷺ حيث انتقل نطفةً إلى أمه آمنة.

ويروي ابن الجوزي عن أمه آمنة أنها قالت: لما حملت به ما وجدت له ثقلاً كما تجد النساء، إلا أني استكثرت رفع حيضتي فأتاني آتٍ وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملتِ؟ فكأني ما أدري. فقال: إنك حملتِ بسيد هذه الأمة ونبيها ﷺ . وقالت: ولدته جاثياً بركبتيه على الأرض رافعاً يديه إلى السماء، وأخذ قبضةً من الأرض بيده ثم هوى ساجداً. وروى الطبراني بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحدٌ سوءتي**».

تلك لمحة سريعة عن الفترة التي سبقت مولده، ولنا إن شاء الله لقاء مع حياته ﷺ لنأخذ منها الزاد النافع ليوم المعاد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

❋ ❋ ❋

التواضــع

الحمد لله الذي يحب من عباده المتواضعين ويكره المتكبرين، سبحانه يقول في حديثه القدسي: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي**»، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، المنفرد بالعظمة والإجلال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مظهر التواضع ومنبع الكمال، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هداهم الله، فكانوا هداة مهديين، وقادة متواضعين، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين. ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أمَّا بعــد:

فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣] وفي هذه الآية الكريمة يصف الله عباده الذين شرفهم بنسبهم إليه أنهم قوم متواضعون، يمشون على الأرض هوناً أي بسكينة ووقار وبغير تبختر ولا استكبار، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم يا عباد الله، لأن الإسلام دين خلق رفيع، يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويبعث في النفس مشاعر الفضيلة والبر والإحسان، وقد بين النبي ﷺ الغاية من بعثته فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». ولتحقيق ذلك دعا الإسلام أبناءه إلى التواضع ولين الجانب، مبيناً أن التواضع عنوان الإسلام، ودليل الإيمان، ورائد الخير والهدى، إلى دار النعيم والرضي، قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، وفي هذه الآية بيان بان الله تعالى أعد لعباده المتواضعين المتقين منزلة عظيمة في دار الخلد والنعيم ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] بينما يحشر الله عز وجل المتكبرين يوم القيامة كالذَّرِّ

يطؤهم الناس بأقدامهم إذلالاً واحتقاراً لهم، فمن مشى في الأرض وسعى فيها فساداً وعلواً واستكباراً فهو في أسفل سافلين، وله في الآخرة عذاب أليم، انظروا رحمكم الله إلى قارون عندما تكبر على عباد الله وتنكر لفضله سبحانه فجعله الله عبرة للمتكبرين، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١]، وروى الخمسة عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى تجعله في أعلى عليين، ومن تكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين**»، وروى مسلم عن عياض بن حماد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوصى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**». ولله درُّ من قال:

تواضع تكن كالنجم يحلو لناظره　　فوق سـطح الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه　　إلى طبقات الجـو وهو وضيع

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتواضع واللين، وبسط جناح الرحمة للمؤمنين، لأن ذلك من شأنه أن يثبت دعائم الأخوة فيما بينهم، ويوطد قواعد الأمن والاستقرار في مجتمعهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، فكان ﷺ على عظمة نفسه وسمو قدره مثلاً أعلى للتواضع، فكان يجالس الفقير، ويأكل مع الصغير، ويجيب دعوة البعيد على خبز الشعير، ويسلم على الصبيان ويداعبهم، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحمل متاعه، ويعين أهله، ويساعد الأرملة والمسكين، ويحمل الكل والضعيف، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، متواضع مع أهله وأصحابه ومن قدم عليه، روي عن قيس بن حازم أن رجلاً أتي به إلى النبي ﷺ فأصابته رعدة من هيبته، فقال له النبي ﷺ: «**هوِّن عليك يا أخي، فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكلك القديد بمكة**».

وبهذا التواضع واللين ألَّف النبي ﷺ حول دعوته القلوب فأحبته، والتف حوله القريب والبعيد، وقد أخبر الحق جلَّ وعلا عن ذلك فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ

ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان ﷺ يحث أصحابه على التواضع، ويرغبهم فيه، ويحذرهم من الكبر، ومن هديه في ذلك قوله فيما رواه الترمذي عن جابر: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم عني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون**».

إخوة الإسلام والإيمان:

إن الإنسان قد يحمله نسبه أحياناً وفي بعض المواطن على الكبر، لا سيما إن كان من كان من علية القوم ومن ذوي الحسب والنَّسب، فعلى الإنسان المسلم حين يشعر بشيء من هذا أن يخلص نفسه من ورطة الكبر وسوء عاقبته، وأن يعمل على استئصال جرثومته من نفسه، متأسياً في ذلك بالسلف الصالح، وما أكثر الآثار في ذلك، وما أعظمها، وأذكر منها على سبيل المثال ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خرج ذات يوم إلى المصلى ونادى الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ ثم قال: أيها الناس: ما أطيب ما كنت فيه وما أهنأه، لقد كنت أرعى الغنم لخالات لي من بني مخزوم فيقبض لي القبضة من التمر أو الزبيب، فأظل فيها طول يومي فرحاً مسروراً. فقام إليه عبد الرحمن بن عوف وقال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصّرت بنفسك، كيف تتحسر على هذا الدنيء الحقير وأنت أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين؟ فقال له عمر: ويحك يابن عوف، إني خلوت الليلة فحدثتني نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها قدرها وما كانت عليه.

وخرج المهلب بن أبي صفرة يوماً وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء، فنظر إليه مطرف بن عبد الله وقال: يا أبا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرف من أنا؟ فقال: بلى أعرفك، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة، ففيم الخيلاء وعلام

التكبر؟ ففَهِم المهلب وخلع حلته وألقى بها إلى خادمه.

إخوة الإســـلام والإيمان:

يقول الحسن البصري في وصف ابن آدم: مسكين ابن آدم، محتوم الأجل، مكتوم الأمل، مستور العلل، أسير جوعه، صريع شبعه، تؤذيه البقة، وتُمِيتُه الشرقة.

فاتقوا الله يا عباد الله وداووا علل قلوبكم قبل مداواتكم علل أجسامكم، فإنه لا سلامة في الآخرة إلَّا من أتى الله بقلب سليم، واقطعوا أسباب الكبر، واستعيضوا عنه بالتواضع واللين، فالتواضع عنوان الشرف، ودليل المروءة، ومظهر الشهامة، ورسول النعمة، ومفتاح الجنة، واعلموا رحمكم الله أنه من تواضع ازداد عزاً ورفعة، وكسب مهابة وجلالاً، ومن تكبر ازداد ذلاً وهواناً وضلالاً وخسراناً، يقول النبي ﷺ: «**بئس العبد عبدٌ تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سهى ونهى ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدأ والمنتهى**»، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي. وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قيل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»، يعني احتقارهم والتعالي عليهم.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من المتواضعين وأن يوفقنا دائماً لما يحبه ويرضاه، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



المعاملة في الإسلام وأثر الحلال والحرام

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، وأحل لنا الحلال، وحرم علينا الحرام، وأمرنا أن نعامل الناس برفق وأمانة وإحسان، نحمده سبحانه ونستغفره من جميع الذنوب والآثام، ونشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام، صلى الله وعلى آله وأصحابه الثقات الكرام، والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان، وسلم تسليماً كثيراً، **أما بعـد:**

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ذي الجلال، والالتزام بما أحل من الحلال، وأحذركم ونفسي من الكسب الحرام، أو أكل الحرام، أو التعامل مع أي مصدر من مصادر الحرام، لأن عاقبته بوار ونار وخسران، فللحرام آثار كثيرة، كلها شديدة وخَطِرة، ولذلك قال ﷺ في خطابه لكعب بن عجرة: «**يا كعب بن عجرة: إنه لا يدخل الجنة لحم أو دم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب الناس غاديان، فغادٍ في فكاك نفسه فمعتقها، وغادٍ فموبقها**» رواه ابن ماجة والترمذي، ولفظ الترمذي: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا وكانت النار أولى به**»، وأياً كان نوع هذا السحت فهو نار، ألم تسمعوا رحمكم الله على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النِّسَاء: ١٠].

ولنتأمل إخوة الإيمان في هذا النداء الإلهي الذي يخاطب الله عز وجل به عباده المؤمنين فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله عباده المؤمنين بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، يعني أن يأكلوا من الحلال الطيب، وأن

يشكروه على نعمه عليهم إن كانوا صادقين في عبوديتهم له، والله عزَّ وجَلَّ إذ يأمر عباده المؤمنين بالأكل من الحرام فإنه سبحانه يأمرهم بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، لأن أكل الحلال سبب في قبول الدعاء وصالح الأعمال، بينما أكل الحرام يرد الدعاء، ويحبط العمل مهما عظم ومهما كثر، وهذا ما بينه النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله حيث يقول ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنَّى يُستجاب لذلك**». وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قرأت عند رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فقام سعد بن أبي وقاص ﷺ فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال: «**يا سعد أطِب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليتعذب باللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به**»، وأي مال أو عقار في هذا الزمان يُجمع أو يُقام ويخلو من الحرام؟ إلَّا من رحم الله، ولقد ورد أن درهماً واحداً من الربا أشد من ستة وثلاثين زنية. نسأل الله تعالى السلامة.

إخوة الإســـلام والإيمان:

إن هذا الحديث الذي رواه أحمد رحمه الله يعني أن الله تعالى منزه عن كل نقص، متصف بصفات الكمال، ولا يتقرب إليه إلَّا بصالح الأعمال، ولا يقبل النفقة إلا إذا كانت من كسب طيب حلال، لأن الجنة طيبة خلقت للطيبين الذين يأكلون الحلال ويتعاملون بالحلال، أما الحرام فخبيث، إذا نبت منه لحم صار خبيثاً، لا يطهره إلَّا النار، ولهذا كان سلفنا الصالح يحترزون كل الاحتراز من الحرام ومما فيه شبهة بين الحلال والحرام، حتى كانت المرأة المسلمة في صدر الإسلام عندما يخرج زوجها في الصباح للتجارة والصناعة وغيرها سعياً إلى طلب

الرزق لها ولأولادها تقول له: اتق الله فينا ولا تطعمنا حراماً، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

إن قضية الحلال والحرام أيها الإخوة الكرام ليست قضية سهلة، وإنما هي من الخطورة بمكان، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الطبراني: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**».

ولذلك أوجب الإسلام الصدق والأمانة في التجارة والصناعة والمعاملة، وقرر أنها رأس مال التاجر والصانع يزيدان في ربح كل منهما، ويؤكدان ثقة الناس به، ويكونان سبباً في رواج تجارته وانتشار صناعته، ولقد مدح الرسول ﷺ التاجر الصدوق الأمين، وجعله في معية النبيين والصديقين، فقال ﷺ: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**» والحديث في الصحيح. وحذَّر التجار من أن يكونوا فجاراً، وذكرهم بموقفهم يوم القيامة، فقال حين خرج إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فناداهم: يا معشر التجار! فلما استجابوا له ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه قال: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً، إلَّا من اتقى الله وبر وصدق**»، وإنما وصفهم بهذا الوصف الذميم في هذا الموقف العظيم حتى لا يكون في أعمالهم الاحتكار والتدليس في المعاملة، وترويج السلع بالأيمان الكاذبة، فيجب على التاجر الصدق في حديثه، وأن يسدي النصيحة للمشتري، فيبين له ما قد يكون في المبيع من العيب لا يكتمه عنه. فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ مر على رجل وبين يديه صرة من حب، فأوحى الله إليه أن أدخل يدك فيه ففعل، فأحست يده الشريفة بللاً في باطن الصرة، فقال ﷺ: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: يا رسول الله أصابه المطر، قال: أفلا عزلت الرطب على حدة واليابس على حدا حتى يبتاع الناس ما يعرفون؟ «**من غشنا فليس منا**». وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام**»، وقال ﷺ: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار**». وقال ﷺ: «**لا يحل لأحد أن يبيع شيئاً إلا بيَّن ما فيه، ولا يحل لأحد يعلم ذلك إلَّا بيَّنه**».

وكما أن البائع مكلف باتباع هذه القواعد والسير عليها في بيعه، فكذلك المشتري مكلف بإقامة العدل في شرائه، فلا يحل له أن يغرر بالبائع أو يدلس عليه أو يبخسه سلعته ليأخذها منه بثمن أقل، أو يماطل البائع في دفع الثمن، أو يعيده له زائفاً أو مغشوشاً، وقصارى القول إن الشريعة الإسلامية تطلب من كل إنسان بائعاً أو مشترياً أن يكون سهلاً، سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى، ويجب أن يعامل صاحبه بما يجب أن يعامله به، فلا يغشه ولا يغبنه ولا يماطله ولا يغرر به أو يظلمه ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النِّسَاء: ٣٠].

ولقد تفاعل أصحاب رسول الله ﷺ مع هذا التوجيه العظيم، فلم يتركوا للقمة الحرام سبيلاً إلى جوفهم، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان لأبي بكر ﷺ غلام يخرج له الخراج، وكانا أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت قد تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلَّا أني خدعته فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه» رواه البخاري. ولله در عمر بن الخطاب ﷺ حيث يقول: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة من الوقوع في الحرام».

فاتقوا الله عباد الله وفتشوا -رحمكم الله- في كسبكم، واحذروا الحرام على عاقبة أمركم، والتزموا بشرع الله في كل أموركم، واحذروا من الأهواء والطمع، فإنكم قادمون على ربكم، ومسؤولون عن أموالكم أجمعتموها من الحلال أم من الحرام ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠].

نسأل الله أن يجعل رزقنا حلالاً طيباً، وأن يجعل عاقبة أمرنا يسراً، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

خطورة التكفير

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، البشير النذير، والسِّراج المنير، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان :١٠٢].

إخوة الإسـلام والإيمان:

إن الله جلَّت قدرته وعَلَا سلطانُه مَنَّ على هذه الأمة بأن جعلها أمةً وسطاً، أي أمة العدل والإجابة، وشرفها بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالوسطية في هذه الأمة سمة لازمة لمن استنار بهدي الحبيب المصطفى ﷺ، وشرفه الله تعالى بالانتساب إلى هذا الدين السمح الكامل العظيم، الذي أكمله الله تبارك وتعالى وتوَّج به الأديان، وقال عنه في محكم القرآن: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩] وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ٨٥] وبذلك تميز الإسلام عن سائر الأديان، من حيث الكمال والاعتدال والسماحة والتيسير، ورفع الحرج والمشقة عن كاهل الناس، وهذا يحسه ويلمسه من تفقه في هذا الدين العظيم، ووقف على حقيقته بفقه ونزاهة وإنصاف.

فما أعظم الإسلام، وما أيسره وأرحمه من منهج حياة للإنسان، فالقرآن ميسر

للذكر، والعقيدة ميسرة للفهم، والشريعة بتكاليفها ميسرة للتنفيذ والتطبيق، وليس فيها شيء على الإطلاق يتجاوز طاقة المكلفين بها، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة في أكثر من آية، انظروا رحمكم الله إلى قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وإلى قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧] كما علم القرآن الكريم المؤمنين أن يدعو ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وفي الصحيح أن الله تعالى استجاب لهم دعاءهم. أي دعاء الصحابة لما دعوا بهذا الدعاء، والمتأمل في كتاب الله تعالى يرى أن الله سبحانه يأمر بالخير لتحقيق السعادة لبني آدم، وينهى عن الشر بكل أشكاله، وعن الفاحشة بكل صورها، لما لها من ضرر على الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، وحذَّر سبحانه من الإفساد في الأرض بجميع صوره وأشكاله، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ولا شك أيها الإخوة الكرام أن من أعظم أنواع الإفساد وأشده ضرراً المغالاة في الدِّين، والحكم بالكفر على بعض المسلمين، فالتكفير فتنة عظيمة، أتت على الأمة بكثير من الشر والبلاء، وقد حذرنا الرسول ﷺ من الوقوع في هذه الفتنة النكراء، من ذلك ما ورد في الصحيحين عن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلَّا ردت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك**». ولهذا ينبغي على المسلم أن يتقي الله تعالى ويحذر من هذه الفتنة، التي فشت في هذا الزمان، ففي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو الذي ما ترك شيئاً يباعدنا عن الجنة ويقربنا من النار إلَّا حذّرنا منه، يقول ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»، فمتى أطلق الكفر على جماعة أو فرد فهذا يعني أنه مرتد عن الإسلام حلال الدم والمال. يفرق بينه وبين زوجته

ولا يُغَسَّل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، فالأمر جليل وخطير لأنها مصيبة في الدين أعاذنا الله وإياكم منها.

ولذلك عني العلماء سلفاً وخلفاً ببيان هذه الفتنة والتحذير من خطرها العظيم، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر أمر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلَّا ببرهان أوضح من شمس النهار».

فالذين يتجرؤون على تكفير بعض العلماء أو الأفراد بشبهة لا دليل عليها مؤولين بعض النصوص الشرعية على حسب أهوائهم لتؤيد رأيهم وانتصاراً لمذهبهم إنما يرتكبون إثماً عظيماً لمخالفتهم لشريعة الله تعالى وما أنزله على رسوله، والسُّنَّة النبوية حافلة بالأحاديث الكثيرة التي تدل على أنه من رمى أخاه بالكفر يكفر هو حقيقة إن لم يكن من رمي بالكفر كذلك، فلو كان ثمة تسعة وتسعون دليلاً على كفر أحد، ودليل واحد على إسلامه ينبغي للمفتي أن يعمل بذلك الواحد، لأن خطأه في صلاحه خير من خطئه في حدِّه وقصاصه، وذلك من منطلق القاعدة الشرعية التي أوصانا بها رسول الله ﷺ في قوله: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**».

كما لا يجوز التكفير بارتكاب المعاصي، وإن كانوا على خطر عظيم مع الإيمان والإقرار بالشهادتين، فقد ثبت في الصحيحين أن عصاة الموحِّدين يخرجون من النار بعد أن يعذبوا، ولو كانوا كفّاراً ما خرجوا من النار أبداً.

وانظر أخ الإسلام إلى حكم رسول الله ﷺ في قصة أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حِبِّه فيما رواه البخاري عن أبي ظبيان قال: «سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصحبنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلَّا الله، فَكَفَّ الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: أقتلته بعد أن قال لا إله إلَّا الله؟ قلت: كان متعوذاً» رواه البخاري. وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال له: «**أشققت على قلبه فتعلم أصادق أم كاذب؟**» قال أسامة: لا أقاتل أحداً

يشهد أن لا إله إلَّا الله. فيجب الحكم على ظاهر الشخص وليس على باطنه لأنه لا يجوز أن نتلمس أسراره لأن ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النِّساء: ٩٤].

وقد سئل الإمام علي رضي الله عنه عن المخالفين له من الفِرَق: أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قال: لا إنهم من الكفر فرُّوا، أمنافقون هم؟ فقال: لا إنَّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، فقيل: أي شيء هم؟ قال: قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا، فهؤلاء الخوارج رغم معصيتهم الظاهرة لا يجوز الحكم عليهم بالكفر فكيف بالمسلم الذي لا يتبنى فكرهم ولا ينكر معلوماً بالدين بالضرورة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: والذي ينبغي أن يميل المسلم إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلَّا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم، فالخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، فإن العقوبة إن وقعت يصعب رفعها بخلاف العفو، وهذا التحري محافظة على الحياة، وعدم المسارعة في التكفير حتى لا يحكم على أحد فيحكم عليه بالقتل. وعن المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «**أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لازمني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قالها**» رواه البخاري.

فمن تأمل هذا المعنى الواضح أن الكافر بعد أن قطع يده أعلن إسلامه وجب علينا تصديقه وعدم التعرض له مهما كان الأمر، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**» رواه البخاري.

فالمسلم الذي يصلي صلاتنا ويأكل ذبيحتنا له ذمة عندنا، فلا يجوز لمسلم أن يخفر ذمته بأي سبب من الأسباب غير الكفر البواح المصرح به، كما في الصحيح

عن النبي ﷺ، فهذه أحاديث نبوية شديدة لكل من يتجرأ على تكفير مسلم بلا مسوغ شرعي قاطع لا تأويل له ولا احتمال لغيره.

فاتقوا الله عباد الله، وإياكم والوقوع في مزالق التكفير. نسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



هدي النبي ﷺ في تربية الأولاد

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، واستخلفه في أرضه من بين العالمين، وأمد له في أثره بالذرية والبنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأولاد في الدنيا زينة ونعمة، والله عنده أجر عظيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أُوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله تعالى امتثالاً لقوله جلَّ وعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النِّسَاء: ١].

ثم اعلموا إخوة الإسلام والإيمان أن الله جلَّ وعَلَا جعل إنجاب الأولاد سنة من سننه لاستمرار الإنسان وعمارة الأرض، فلذلك حث الإسلام على الاهتمام بالأولاد ورعايتهم وتأديبهم على محاسن الخصال ومكارم الأخلاق، وأمرنا أن نقتدي في ذلك بهدي نبينا ﷺ في تربيته للأطفال، وفي رعايته للأولاد، وذلك من خلال ما أرساه لنا من قواعد وأصول وآداب، فعلينا أن نراعيها ونحن نتعامل مع أبنائنا، لأن الله تعالى قال: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ونحن إذا نظرنا إلى هدي رسول الله ﷺ في تربية الأطفال وتنشئتهم نجد أن الرسول ﷺ قد وضع في هذا الشأن أعظم مبادئ التربية وأقوم أساليبها سابقاً بذلك المضمار أساليب التربية الحديثة بأكثر من أربعة عشر قرناً، ونستطيع أن نبين هديه ﷺ في ذلك من أول مراحل التربية إذا كانت على منهاج النبوة. حيث أن من هديه إحاطة الطفل من صغره بالمحبة والحنان والرحمة حتى ينشأ، وهذه الصفات

تكون من أبرز ما يتصف به، فإذا نال الطفل حظه من المحبة والحنان والرحمة، نشأ قويم الأخلاق مهذب السلوك محباً للخير متأثراً به، بعيداً عن أساليب القسوة والغلظة، ليناً سهلاً في كل معاملاته، ينشر الرحمة والمحبة بين الناس، لأنه شب عليها وتشبع بها. وقديماً قال الشاعر:

ويُنَشَّأ ناشئ الفتيان مِنَّا   على ما كان عوَّده أبوه

إما إذا لم ينل الطفل حظه من المحبة والرحمة والحنان فإنه ينشأ قاسي القلب، غليظ الطبع، سيئ التعامل مع الناس. من أجل ذلك كان رسول الله ﷺ مع مكانته العالية يداعب الأطفال ويلاعبهم، بل كان يحملهم ويعانقهم ويقبلهم في حنان ورحمة ومحبة منقطعة النظير، ويجعل ذلك آية على تمكن الرحمة من قلب فاعله. يحدثنا في ذلك أبو هريرة فيقول في حديث رواه البخاري: «قبّل رسول الله ﷺ الحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: «**من لا يرحم لا يُرحم**»، وفي البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الآخر ثم يضمنا ويقول: اللَّهُمَّ ارحمهما فإني أرحمهما**»؟

هذا ومن هديه ﷺ في التربية مع الحب والعطف والحنان أخذ الطفل بالحزم إذا اقتضى الأمر ذلك، فإن رأى المربي منه اعوجاجاً قوّمه، وإن رأى منه خطأً أصلحه وبصره به، وأمره أن يقلع عنه، مبيناً له العلة حتى يستجيب الطفل ويتعلم وينشأ على الفضيلة، متأسِّياً المربي في ذلك برسول الله ﷺ، ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله أنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه، فقال رسول الله: «**كخ كخ ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**».

ولم تكن تربية الأطفال لديه ﷺ توجيهاً كلامياً فحسب، بل وتدريباً عملياً، ومن الشواهد ما روي في الصحيحين عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه أنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله

ﷺ: «**يا غلام سَمِّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك**، فما زالت تلك طعمتي بعد».

وما رواه أبو داود عن عبد الله بن عامر أنه قال: نادتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ عندنا في البيت فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ فقالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها الرسول ﷺ: «**أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**».

فالرسول ﷺ بهذا التوجيه الكريم يريد تعليم الآباء والأمهات والمربين تنشئة الأطفال وتعوديهم على حقيقة الصدق ليشبوا عليها لأنه كما تعلمون من شب على شيء شاب عليه، كما يرشد النبي ﷺ إلى تربية الأطفال من الصغر على التوحيد، ويرغب في ذلك ، ومن الشواهد ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ربَّى صغيراً حتى يقول لا إله إلَّا الله لم يحاسبه الله**»، وقوله ﷺ لابن عباس ﵄: «**إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**».

كما يأمرنا الرسول ﷺ أن ندرب أبناءنا من الصغر على شعائر الدين حتى ينشؤوا وقد تعودوا على أدائها، وصارت جزءاً من كيانهم، وغريزة من غرائزهم، فيقول في حديث رواه أبو داود بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﵁ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

إخوة الإسـلام:

إن حقوق الأبناء على الآباء كثيرة والمسؤولية عنها أمام الله عظيمة، فمن أراد النجاة لنفسه والخير والوفاء لأبنائه فليجعل كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قدوتهم، وتعاليم الدين الحنيف قبلتهم، وأخلاق السلف الصالح خير منهج ينتهجونه، وأفضل سبيل يسلكونه، فمن فعل بأبنائه ذلك نَعِمَ بهم صغاراً وأسعد بهم كباراً، وكانوا له بعد الممات مصدر رحمة بين الأموات، وذكراً جميلاً بين الأحياء. ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

نسأل الله أن يلهمنا رشدناً، وأن يبارك لنا في أولادنا، وأن يردنا وآباءهم وأولاد المسلمين إلى الدين رداً جميلاً، وان يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فَضْـل شهر شــعبان

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته، ورفع بعضهم فوق بعض درجات بحكمته، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له فاضل بين مخلوقاته بما في ذلك الإنسان والمكان والأشهر والليالي والأيام، واختص بعضها على بعض بمزيد من الفضل، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى، بعثه الله للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، واجزه اللَّهُمَّ عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته، وارض اللَّهُمَّ عن خلفائه الراشدين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] أما بعد:

أيها الأحبــة في الله:

لقد شاء الله تبارك وتعالى التفاضل بين مخلوقاته، فجعل هذا فاضلاً والآخر مفضولاً، وذلك لحكم جلية ولأسرار من الخلق خفية، لا يعلم منتهاها إلا الذي خلقها وسواها. فلقد خلق الله السماوات سبعاً واصطفى السابعة منها ففضلها على بقية السماوات واختارها بالقرب من عرشه، وجعلها محلاً لبيته المعمور، وخلق الله الأرَضين واصطفى من جميع بقاعها المساجد، واصطفى من المساجد المساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد النبي عليه الصلاة والسلام والمسجد الأقصى، أسأل الله أن يطهره من دنس اليهود.

وخلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة، واصطفى من أولي العزم حبيبه محمداً

ففضله على جميع خلقه ﷺ، وخلق الله عز وجل الشهور وفضل بعضها على بعض لما فيها من مزايا القبول والكرم والامتنان وعوائد الفضل والإحسان، لنكثر فيها من الطاعات والأعمال الصالحات، ومن بين الشهور المفضلة التي حظيت بنزول الرحمات وقبول الدعوات شهر شعبان الذي ترفع فيه الأعمال لرب العالمين، ويتشعب فيه خير كثير للمؤمنين، فهو شهر نفحات وبركات، وشهر عامر بالذكريات، ففيه تحويل القبلة، وفيه غزوة بدر الصغرى، لذلك كان النبي ﷺ يكثر فيه من الصيام، لينال من الله غاية الإكرام، فقد روى النسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «**ذاك شهر يغفل الناس فيه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب ان يرفع عملي وأنا صائم**». وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان –أي صوم تطوع– فإنه كان يصوم شعبان إلَّا قليلاً».

أيها الأحبــة في الله:

اعلموا وفَّقني الله وإياكم لما فيه رضاه أن لله في أيام دهركم نفحات ينفحكم فيها لتنالوا الخير وتحظوا بالمأمول، وله سبحانه وتعالى فيوضات يفيض بها على أنفسكم فتصبح راضية مرضية، وعلى قلوبكم فتمتلئ بالأنوار الربانية، وعلى عقولكم فتدرك عظمة الذات العلية، وعلى جوارحكم فتنشط للطاعة بكرةً وعشية، وشهر شعبان بركاته مشهورة، وخيراته موفورة، والتوبة فيه من أعظم الغنائم الصالحة، والطاعة فيه من أكبر المتاجر الرابحة، جعله الله مضمار الزمان، وضمن فيه للتائبين الأمان، من عوَّد فيه نفسه على الاجتهاد، فاز في رمضان بحسن الاعتياد، وخرج منه بخير زاد، وهكذا كان سلف هذه الأمة يا عباد الله.

فعن أنس ﷺ أنه قال: «كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبُّوا على المصاحف فقرؤوها وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان».

فعلى المسلم أن يعد نفسه في شعبان بكثرة الصيام والصلاة حتى يأتي إليه رمضان وهو مشتاق إليه فيحسن صيامه وقيامه، ولا يثقل ذلك عليه.

والمسلم الكيِّس هو الذي يغتنم مثل هذه الأوقات فيعمرها بالطاعات ويكثر من الصالحات، ويحاسب نفسه أولاً بأول في الحياة قبل الممات، ولا يتمنى رحمة الله بغير عمل لأن ذلك دليل على قلة الحياء من الله، فالله عزَّ وجل يقول في حديثه القدسي: «**ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل علي بطاعتي**».

ولله دَرُّ أحد السلف حين يقول: من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف يوم القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت خساراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحسبنا في هذا المقام أيها الحبة الكرام قول ربنا ذي الجلال والإكرام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

فاتقوا الله عباد الله واستبقوا الخيرات لعلكم تفلحون، واستقبلوا أيام الله تعالى استقبالاً يليق بجلالها وفضلها، وإياكم والغفلة لأن عاقبتها ندم وحسرة، وقد سمى الله يوم القيامة بيوم الحسرة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩]، وها هو معلم الخير ﷺ يقول لأصحابه يوماً: «**أيريد كلكم أن يدخل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قصِّروا الأمل واستحيوا من الله حق الحياء، قالوا: يا رسول الله كلنا يستحي من الله حق الحياء، قال: ليس ذلك الحياء من الله، ولكن الحياء من الله أن تذكروا القبر والبلى، وتحفظوا الجوف وما وعى، والرأس وما حوى، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، فذلك استحياء العبد من الله حق الحياء، وبه ينال ولاية الله في الآخرة**».

فسارعوا رحمكم الله لفعل الخيرات وانتهزوا كل فرصة من أعمال البر قبل الفوات: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبحديثه نبيه المصطفى الكريم، وأجارني وإياكم من عذاب يوم عظيم، وختم لي وإياكم بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



ليلة النصف من شعبان وتحويل القبلة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له بيده مقاليد السماوات والأرض، ومصائر كافة الخلق، من اتقاه وقاه، ومن توكل عليه كفاه، وجعل الجنة مثواه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، اتقى الناس قلباً، وأشدهم لله طاعة وحباً، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وارض اللَّهُمَّ تبارك وتعالى عن خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فإنها جماع الخيرات وحصون البركات، وأكثر خصال المدح ذكراً في كتاب الأرض والسماوات، ووصية الله تعالى في الأولين والآخرين، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ١٣١]، فهي دعوة الأنبياء وشعار الأولياء، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتقيائه وأوليائه، وأن يتغمدنا في الحياة وبعد الممات في رحمته ومغفرته وكرمه وعطائه، فإنه تعالى ولي ذلك ومولاه.

أيها الأحبـــة في الله:

لقد أشرنا في الخطبة الماضية إلى تفاضل الله عز وجل بين مخلوقاته بما في ذلك الإنسان والمكان والأشهر والليالي والأيام، وقلنا إن من بين الشهور التي حظيت من الله عز وجل بالتفضيل والقبول شهر شعبان الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله،

وقلنا بأنه شهر رحمة ونعمات، وأنه شهر عامر بالذكريات، وأن من أبرز ذكرياته العظيمة تحويل القبلة في ليلة النصف من شعبان، واستقلال المسلمين بقبلتهم عن اليهود والنصارى، وتحويل وجهتهم إلى بيت الله الحرام، قبلة أبي الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، فلقد كان النبي ﷺ قبل هجرته يتجه بصلاته إلى بيت المقدس طاعة لربه، واستصحاباً لما كان عليه الأنبياء من قبله، لحكمة أرادها الله، ثم امتلأت نفسه ﷺ بأمنية غالية كثيراً ما تضرع بها إلى الله تبارك وتعالى أن يحققها له، فكان ينتهي من صلاته ويطيل النظر في السماء متوجهاً إلى الله بقلبه آملاً أن يجعل الله قبلته إلى البيت الحرام، وظل النبي ﷺ على هذا الحال بعد هجرته ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، واليهود يقولون يوشك محمد أن يتبع قبلتنا، وإذا بالأمين جبريل ينزل على الحبيب المصطفى من قبل الرب الجليل بقرآن يتلى على مر الزمن يلبي للنبي ﷺ أمنيته، ويحسم قضيته، وينهي تبعيته على قلبه ﷺ بقوله سبحانه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٤] فكان ذلك بمثابة بدء مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام، وكان ذلك في ليلة النصف من شعبان كما جزم به صاحب الروضة وأكده الواقدي، ومن ثم فهي ليلة عظيمة مباركة للإسلام والمسلمين، ولو لم يكن لليلة النصف من شعبان فضلاً إلَّا تحويل القبلة لكفاها فضلاً وشرفاً، وكيف لا وهي ليلة تحقق للنبي ﷺ فيها أمل، واستجيب له فيها دعاء، وهي ليلة مغفرة ورحمة، كما أخبر بذلك الصادق الأمين ﷺ في صحيح ابن حبان والطبراني وفي صحيح الترغيب الذي صححه الألباني عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**»، ولقد كان الرسول يقول لأصحابه الكرام : «**هذه ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها للمستغفرين**»، وهناك أيها الأحبة في الله أصناف شتى من العصاة، لا ينظر الله تعالى إليهم في هذه الليلة التي تسع مغفرته فيها كل مستغفر، فالله تعالى لا ينظر في ليلة النصف من شعبان إلى مشرك، ولا إلى مسبل، ولا إلى مدمن خمر، ولا إلى

مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى عاق لوالديه، وما أمرنا في أن ننظر في هذه الأصناف الستة خلال لقائنا هذا إن شاء الله تعالى لنتوقها كما قال الشاعر:

عرفت الشَّر لا للشَّرِّ لكن لتوقيه   فمن لم يعرف الشَّرَّ من الناس يقع فيه

وأول هذه الأصناف الشرك: والشِّرك شِركان: شرك جلي وشرك خفي، ونعوذ بالله من الشرك في كل صورة، والشرك الجلي أن يعبد غير الله وهو خالق كل شيء سبحانه، والشرك الجلي لا تتسع له المغفرة: «**يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**» فمع أن ربك واسع المغفرة فهو القائل في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، وهو القائل في حديثه القدسي: «**يابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**». أما الشرك الخفي فهو الرياء، ومثال ذلك أن ينهض عبد من عباد الله تعالى بقول أو عمل أو بطاعة لا يلتمس بها رضوان الله، والنبي ﷺ سمى ذلك الرياء بالشرك الأصغر، وبين أنه أخف من دبيب النمل في ظلال الليل، وأمرنا أن نتوقاه تماماً، وأرشدنا أن نتضرع إلى الله قائلين: اللَّهُمَّ نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه.

أما المسبل فهو الذي يطيل إزاره أو ثيابه تكبراً، وقد توعَّد النبي ﷺ من اتصف بهذه الصفة ألا يجد رائحة الجنة فقال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً، فبيّن ﷺ أن الكبر لا علاقة له بالمظهر؛ الْبِس الحسن ما شئت وكُلْ ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ثم قال: إن الله جميل يحب الجمال من عباده، والكبر بطر الحق وغمط الناس، أي عدم الرضى بالحق واحتقار الناس.

وكذلك مدمن الخمر، لا تتسع له مغفرة الله في ليلة النصف من شعبان لأنه يشرب أم الخبائث، يعاقر الخمر التي تعصف بعقله ولا تبقي شيئاً من آدميته، وهي كبيرة من الكبائر.

وكذلك لا تتسع المغفرة لمشاحن، فإن الله عز وجل تعرض عليه الأعمال كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلَّا عبداً بينه وبين أخيه خصومة، فيقول: **أنظروا** –أي اتركوا– **هذين حتى يصطلحا**. كما في صحيح البخاري.

وكذلك قاطع الرحم فالله تعالى يقول في حديثه القدسي: «**أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»، ومن أبشع قطيعة الرحم عقوق الوالدين، فإن للوالدين على الأبناء حقوق مقدسة، حتى لو كانا مشركين، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [لقمان: ١٥] وتلك هي العلاقة في الجانب الفكري إذا كانا مشركين لكن العلاقة في أسلوب المعاملة يحددها قول الله تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ ، أما الصداقة التي تعني الإنفاق في الدوافع والغايات والخطوات فقد أرشد إليها ربنا بقوله: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥] وهذا غيض من فيض ليلة النصف من شعبان، فهي ليلة تحقق للنبي فيها أمل واستجيب للنبي فيها رجاء، وتحولت قبلته من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام أشرف بيوت الله، وقرت بذلك عين رسول الله ﷺ في عبادة مولاه، وهي ليلة يغفر الله فيها للمستغفرين وينظر فيها إلى الخلق أجمعين، ولكنه لا ينظر إلى مشرك أو مشاحن ولا مسبل أي متكبر يتبختر ويمشي على الأرض مشية الخيلاء والعجب، ولا مشاحن ولا قاطع رحم ولا عاق لوالديه.

نسأل الله أن يطهر قلوبنا وأنماط سلوكنا من ذلك كله، وأن يوفقنا في هذه الأيام الطيبة المباركة إلى حسن عبادته وطريق محبته ورضاه، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

رعاية الإسلام للمسلمين

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هو هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إخـــوة الإيمان:

لقد مضت سنة الله عز وجل في الإنسان أن جعله سبحانه وتعالى يمر بمراحل متعددة في رحلته الدنيوية، فيبدأ وليداً ضعيفاً، ثم شاباً قوياً، وأخيراً شيخاً ضعيفاً، وصور القرآن لنا ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج: ٥] أي العمر الذي لا يحب أن يعيش إليه لأنه يهرم ويخرف ويصير كلاًّ على من حوله، ومن رحمة الإسلام ورعايته للإنسان أنه عني به من نعومته أظفاره وحتى مماته، وخَصَّه بالمزيد من العناية والمزيد من الرعاية في الشيخوخة التي هي آخر مرحلة من مراحل حياته، وجعل هذه المرحلة مرحلة تكريم وعناية، وأوصى أهلها بمزيد

عناية ورعاية وتوقير وتواضع، ذلك لأن صاحب هذه المرحلة يتصف بالضعف والمشاعر الحساسة والحاجة للآخرين لخدمته، والقيام ببعض شؤونه وحاجاته، لما يلاقيه من جهد شديد ومعاناة دائمة في هذه الفترة من العمر، ولذا حث الإسلام الناس على البر بآبائهم والإحسان إليهم وحذر من إهمالهم وجعل ذلك من العقوق الذي هو من كبائر الذنوب التي نهى الله عنها وتوعد عليها بالعقاب الشديد في الدنيا والآخرة، ورسم القرآن الكريم المنهج الأسمى في معاملة الوالدين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فهذا أمر من الله جلَّ وعلا في صورة القضاء ألا تعبدوا إلا إياه وأن نحسن إلى الوالدين إحساناً، وخصوصاً إذا كبرا أو كبر أحدهما، وخص الله عز وجل حالة الكبر بالذات لأنها حينئذٍ تكون أحوج إلى البر والإحسان والقيام بحقوقها لضعفهما وأمرنا ألا نسمعهما أدنى مراتب القول السيئ وهي كلمة أف التي تدل على الضيف أو الضجر منهما أو من أحدهما، وأن تقول لهما قولاً ليناً، وأن نخفض لهما الجناح وأن ندعو لهما في حياتهما وبعدم مماتهما بالرحمة لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأمر الإسلام ببر الوالدين بكل ما تصل إليه يد الابن كإطعامهما وكسوتهما وعلاج مريضهما ودفع الأذى عنهما وألا يؤثر عليهما مالاً ولا ولداً، ولقد أورد الإمام الزمخشري في تفسيره أن ولداً اشتكى إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به النبي ﷺ فإذا به شيخ كبير يتوكأ على عصاه، فسأله الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله إنه كان ضعيفاً وأنا قوي وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، وهو يبخل علي بماله، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**ما من حجر ولا مدر سمع هذا إلَّا وبكى، ثم قال للابن: أنت ومالك لأبيك، أنت ومالك لأبيك، أنت ومالك لأبيك**».

والمتأمل في تعاليم هذا الدين العظيم يرى أن الإسلام عني بالإنسان بصفة عامة لأنه مخلوق كريم على الله، خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته

وقال فيه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويرى أن الإسلام تزداد رعايته للإنسان كلما أَسَنَّ وكَبِر وضَعُف؛ لأن المجتمع المسلم مجتمع متماسك متراحم، والتكافل صفة ملموسة فيه لا تفتك عنه، فعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**» والحديث رواه مسلم.

فالعناية بالشيخ المسنّ أيها الأحبة الكرام من جملة آداب الإسلام التي حث عليها الشارع، وفي ذلك يقول ﷺ : «**ليس مِنّا من لم يجلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»، وقال ﷺ فيما رواه الإمام الترمذي: «**ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلَّا قيض الله له من يكرمه عند سنه**»، ومن الجميل أن نلاحظ أن مناط العمل في هذا الحديث هو الشيخوخة وكبر السن، فالمرء يكرم غالباً لما له من فضل علم أو فضل سبق أو دين أو أبوة أو رحم أو غيرها، ولكن الإكرام هنا للشيخوخة فقط، وهذا من سماحة الإسلام ورحمته بالإنسان، فقد ورد أن عمر بن الخطاب أكرم يهودياً شيخاً لسنه، ولم يثنه عن إكرامه أنه غير مسلم، بل وجعل له راتباً من بيت المال، ومن الجميل كذلك من ثواب هذا الحديث أن العامل به سيحصّل عاقبة معروفه وهو في نفس السن والحال التي رأى عليها شيخاً وأكرمه، فحين يكون شيخاً كبيراً في أشد الحاجة إلى الإكرام يجد من يكرمه وهو حي يرزق يسمع ويرى ويدرك أن وعد الله حق، فضلاً عن ثواب الآخرة الذي يدِّخره له الله ويردُّه عليه ولكن بعد أن يباركه ويثمره، والبركة هنا لا شك واردة مع الكِبَر، فالنبي ﷺ يقول: «**البركة مع أكابركم**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**ما من مسلم يشيب شيبةً في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة**»، فالشيب هو الوقار الذي رآه إبراهيم عليه السلام أول من رآه، فقال: ربي ما هذا؟ فقال: وقارٌ يا إبراهيم، فقال: ربي زدني وقاراً. وما يلبث الإنسان أن يأخذ من الكبر حتى يحتاج إلى مسيس الخدمة، ويشعر بالغربة، ويتأثر بأدنى كلمة لأنه يقضي مرحلة حرجة ولا يدري كيف القدوم على الله مهما كان مقامه، ولهذا قال الله سبحانه في مقام

الإحسان إلى الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، ولا تظن عاقلاً بارّاً يتضـرر من خدمة أبويه أو يهمل واجباتهما وقد أسنّا وأضعفتهما الشيخوخة، وهو يعلم أن صبره عليهما ومشقته في خدمتهما حسنات من فوقها حسنات يباركها رضاهما عليه، ويضاعفهما دعاؤهما له.

أسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه، كما نسأله حسن الخاتمة والوفاة على الإيمان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الكلمة الطيبة من الإسلام

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأظهر البرهان، وحدد الحدود وبين الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان علمه البيان، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وأنعم عليه بنعمة السمع والبصر والفؤاد واللسان، وحذره من استعمالها في الحرام، حيث قال سبحانه في محكم القرآن: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨]، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، جمله الله تبارك وتعالى بأعظم الأخلاق، فكان خلقه القرآن، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الذين أسسوا دينهم على تقوى من الله ورضوان، فرضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] أما بعد:

إخوة الإسلام والإيمان:

يقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

إخوة الإسلام والإيمان:

في هذا النص القرآني يبين الحق تبارك وتعالى الفروق الكبيرة والعظيمة بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، وأن الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة التي تثمر

النبت الطيب النافع المفيد، ككلمة التوحيد (**لا إله إلَّا الله محمد رسول الله**) التي تثمر أعمالاً صالحة كل حين طالما يعمل بمقتضاها، والأعمال الصالحة الناتجة عنها تُرفع إلى ربه وتُسجَّل في صحيفة عمله، كما يشبّه سبحانه وتعالى الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة التي تشبه في نباتها الحنظل المر والضار، فهي لا خير فيها ولا فروع لها في السماء، أي لا ثبات لها ولا تثمر إلا ما فيه مرارة وسوء طعم وعدم بركة، كما يضرب سبحانه وتعالى في هذا السياق الأمثال للناس مؤمنهم وكافرهم لعلهم يتذكرون، أي رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات ويتجنبوا الخبائث والمنكرات، فينجوا من عذاب الله وعقابه وسخطه، ومن ثَمَّ عني الإسلام بكل كلمة ينطقها اللسان، بل ورتب عليها النجاة أو الهلاك، كما رتبه على العمل. وقد تتابعت أقوال رسول الله ﷺ وأقوال السَّلف الكرام والحكماء من أهل الإسلام تدعو إلى ضبط اللسان، وحسبنا في هذا المقام أيها الأحبة الكرام أن النبي عليه الصلاة والسلام جعل ملاك الأمر كله في ضبط اللسان، وإليكم الشاهد:

روى الترمذي وغيره بإسناد حسن صحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: **لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلاً**، ثم قال: **ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا:** ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثم قال: **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه ثم قال: **كُفَّ عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس**

في النار على وجوهم -أو قال على مناخيرهم- **إلَّا حصائد ألسنتهم**». والمراد بحصاد الألسنة أيها الأحبة في الله هو الكلام المحرم وعقوباته، وهو ما يهذي به اللسان ويحصيه الملكان ويكتبانه على العبد، حيث ينادى من قبل الرب سبحانه وتعالى من قبل ملك الملوك في ساحة العرض يوم القيامة: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] أي: اقرأ كتابك يا عبدي على مهل، فهل ترى فيه حرفاً غير ما كان، لما قرأت ولم تنكر قراءته، أقررت إقرار من عرف الأشياء عرفاناً، نادى الجليل خذوه يا ملائكتي، وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشاناً، المشركون غداً في النار يلتهبوا، والمؤمنون بدار الخلد سُكّاناً.

إخوة الإسـلام والإيمان:

إن العبد ليزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد ما زرع يوم القيامة، فمن زرع الخير من قول أو عمل حصد الخير والكرامة، ومن زرع الشر من قول أو عمل حصد الشر والندامة.

غداً توفى النفوس مــا عملت ويـحصـد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحســنوا لأنفسهم وإن أســاؤوا فبئس ما صنعوا

وقد حذرنا المولى جلَّ وعلا من خطر اللسان فقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: ١٦-١٨] أي ملكان عن اليمين وعن الشمال يسجلان كل ما يلفظه اللسان، ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ : «**أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفم والفرج**»، وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وفخذيه أضمن له الجنة**»، وكذلك حذَّرنا النبي ﷺ من اللسان كل الحذر، فقال فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**».

فبقدر تنزه المسلم عن اللغو وسفاسف الأمور تكون نجاته وتكون درجته

عند ربه يوم القيامة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٤].

وانظروا أيها الأحبة في الله إلى هذا الحديث الذي رواه الترمذي عن أنس حيث يقول: توفي رجل فقال رجل آخر ورسول الله ﷺ يسمع: أبشر بالجنة، فقال ﷺ: «**أولا تدري لعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه**».

ولذلك ينبغي على المسلم أن يتجنب اللغو وأن يعرض عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ليكون متصفاً بصفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وأن يعوّد نفسه ولسانه التعبير الحسن عما يدور في نفسه لصديقه أو لعدوه، وهذا هو الأدب الحسن الذي أمر الله تعالى به عباده في قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وإليكم أيها الأحبة الكرام هذا الشاهد من سنة النبي عليه الصلاة والسلام: روى أبو داود في سننه عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: «**بينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه وقع رجل في أبي بكر، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر لنفسه، فقام رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أوجدت عليّ يا رسول الله؟ قال: لا ولكن نزل ملك من السماء يكذبه فلما انتصرت لنفسك ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان**». ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحترزون من خطر اللسان كل الاحتراز، روى مالك عن يزيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمسك لسانه، فقال عمر: مه يا أبا بكر، فقال أبو بكر: هذا الذي أوردني الموارد. وقال ابن يزيد رضي الله عنه: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما آخذ بلسان نفسه وهو يقول: ويحك قل خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلم. فاتق الله في نفسك يا أخ الإيمان واعلم أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالكلمة الطيبة أو الصمت، حيث يقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجه:

«كُلُّ كلام ابن آدم عليه إلَّا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله تعالى».
ومسك الختام في هذا المقام قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تكثر الكلام بغير ذكر الله تعالى، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس عن الله ذي القلب القاسي**».

أسأل الله أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

إصـــلاح ذات البين

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وحثنا على مكارم الأخلاق وإصلاح ذات البين، ووجهنا إلى أن نعامل الناس بالإحسان، وأن تكون علاقتنا بهم علاقة رحمة ومحبة ومودة، متمثلين قوله سبحانه وتعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شرع لعباده في الإسلام من الآداب والنظم وحسن المعاملة ما يكفل لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة حيث ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث رحمة للعالمين والهادي إلى صراط الله المستقيم، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين، ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته وعدم مخالفة أمره ومعصيته، فلله در من قال:

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى   تجرد عرياناً ولو كان كاسـيا

ثم اعلموا رحمكم الله وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أن من أهم الأسس التي يربي الإسلام عليها أبناءه لترويضهم على ضبط أنفسهم وتدريبهم على قيادتها، والإمساك بزمامها وكبح عواطفها، وكفكفة انفعالاتها، لا سيما عند الحاجة والخصومة إذ يرسم الإسلام أقوم علاج للنفس إزاء تلك الأمور التي أشرنا إليها، وذلك بالتنبيه إلى القصد والاعتدال عند الغضب، ثم إلى الإحسان في مقابلة الإساءة، وإلى العفو في مقابلة الظلم، وإلى الوصل في مقابلة القطيعة، مرغباً في كل ذلك بما هو عند الله خير من الدنيا وما فيها، حيث يقول القرآن:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٣-١٣٤].

ولقد أرسى الإسلام دعائم هذا المنهج الحكيم في آيات بينات من كتاب رب العالمين منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فُصِّلت: ٣٤]، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب: إنك ما عاقبت من عصى الله فيك يعني بالإساءة إليك بمثل أن تطيع الله فيه يعني بالإحسان إليه، فإنك إن قابلت الإساءة بالإحسان وأحسنت إلى من أساء إليك قاده الإحسان إلى مصافتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كما قال الله: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ ولا شكَّ أن هذا الإحسان الذي يقدمه المرء في مقابلة الإساءة هو أدعى لصفاء القلب وذهاب الحق وجلب المحبة ودفع المضرة وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وذلك الإصلاح بين المتخاصمين.

أيها الإخوة الكرام من الأمور التي هي من الضرورة بمكان، ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام مما رواه الترمذي في صحيحه: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فغن فساد ذات البين هي الحالقة، ولا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»، وهذا الحديث الذي رواه الترمذي في صحيحه أيها المسلمون دليل على أهمية الإصلاح بين المتخاصمين، ونبذ الفرقة التي بينهم، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ سماها الحالقة، أي كأنها مصيبة عظيمة تحل بالمتخاصمين، وتجعل بينهم الآلام الباعثة على عدم السعادة والطمأنينة، وفي معرض اهتمام الرسول ﷺ بإصلاح ذات البين يقول لأبي أيوب الأنصاري فيما رواه الطبراني: «**يا أبا أيوب ألا أدلّك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا أو تفاسدوا**»، لأن هذا التباغض أيها الإخوة الكرام يجعل المتنافرين أو المتباغضين في بُعْدٍ عن آداب الإسلام جاحدين فضله منكرين لتعاليمه السمحة، ويا لها من مصيبة، ولذا جاءت توجيهات الله تعالى لنبيه ﷺ في القرآن الكريم في ميدان التعامل مع الآخرين أن يكون سمحاً

كريماً آخذاً بالمعروف متجاوزاً عن إساءة الجاهلين، حيث أنزل الله عزَّ وجَلّ على سيدنا النبي ﷺ هذه الآيات الكريمة: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ولما سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال: حتى أسأل العالم، ثم أتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. فجمعت هذه الآية جل مكارم الأخلاق ودعائم الإصلاح. وبهذا الأدب الإلهي العالي ألَّف الرسول ﷺ حول دعوته القلوب مما جعل أصحابه يفدونها بأعز ما يملكون، وذلك لحسن خلقه وعظم حلمه وكمال إحسانه وإصلاحه ﷺ بين الناس. ولذلك كان الرسول ﷺ يصلح بين أصحابه، ويوجه بهديه الشريف كل أفراد المجتمع إلى الخير، ويحث الناس على الصلاح في كل مناحي الحياة الاجتماعية والأسرية والاقتصادية، ومن ثم كان ﷺ نبراساً لكل داعية ومصلح، ومن الشواهد ما أخرجه البخاري في صحيحه عن كعب بن مالك ﵁ أنه كان له على عبد الله الأسلمي دَيْنٌ فلقيه فلزمه، فتكلما حتى ارتفع صوتهما، فمر النبي ﷺ بهما فقال: يا كعب وأشار بيده كأنه يقول النصف، فأخذ نصف ما عليه وترك نصفه، وهذا صُلْحُ عَمَلٍ أجراه الرسول ﷺ بين الصحابيين الكريمين رضي الله عنهما، وقد سماه الفقهاء صلح الحطيطة، لأن النبي ﷺ أمر صاحب الدَّين أن يحط ويتنازل عن نصف الدين، ثم أمر الآخر وهو المدين أن يقوم بأداء النصف الباقي حالاً، وهذا تشريع من النبي ﷺ قصد به إنهاء الخصومة ونشر المحبة بين أفراد المجتمع عن طريق الصلح، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤].

واعلموا أيها المسلمون الكرام أن السماحة في التعامل والتيسير على المعسر من صالح الأعمال التي دعا النبي ﷺ لأهلها بالرحمة، فقال ﷺ: «**رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إلى اقتضى**» رواه البخاري. وإن الله ليبغض اللدد في الخصومات أي الذي يكثر من الجدال بغير حق لأكل أموال الناس بالباطل.

فاتقوا الله عباد الله وتخلقوا بأخلاق القرآن وهدي النبي ﷺ، وحسبنا في هذا المقام ما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من المحسنين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

❊ ❊ ❊

الإخلاص أساس القبول والنجاح

الحمد لله الذي يؤيد بنصره المؤمنين، ويرفع أقدار العاملين المخلصين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له جعل الإخلاص لوجهه الكريم سبيل النجاة ومسلك الصالحين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إمام المتقين وقدوة المخلصين، عبد الله تعالى مخلصاً له الدين حتى أتاه من ربه اليقين، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢]. أما بعد:

أيها الأحبـة الكرام:

حديثي إليكم في هذا اللقاء بمشيئة الله تعالى حول صفة من أجل الصفات التي يجب على كل مسلم أن يتصف بها، وأن يتحلى بها في عاداته وفي عباداته وفي معاملاته، ألا وهي صفة الإخلاص لله رب العالمين، واعلموا جعلني وإياكم من المخلصين أن الإخلاص خلق إيماني عظيم، وهو من صفات أهل الصدق واليقين، لأنه أصل العبادة وجوهرها، وأساس الطاعة ولبها، لا تقوم العبادة إلَّا عليه، ولا تتم مقاصد الدين الحنيف إلَّا به، فلا قيمة لعمل مهما كان كثيراً، ولا وزن لخير مهما كان كثيراً ما لم يصحبه الإخلاص، وتتقدمه النية الطيبة، فالله تعال لا ينظر إلى قلة الأعمال وكثرتها، وإنما ينظر إلى النية الطيبة فيها، وإخلاصها لله.

ولذلك أمر الله تعالى به رسوله ﷺ فقال عزَّ من قائل: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وأمر به عباده المؤمنين، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

ولقد ورد في معنى الإخلاص أقوال كثيرة، منها أن الإخلاص هو صدق النية مع الله تعالى، وفي الصحيحين: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما**

نوى»، ومن الشواهد على ذلك ما رواه النسائي عن شداد ﷺ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله بايعني على الجهاد والهجرة، فبايعه النبي ﷺ على الجهاد والهجرة، وأوصى به بعض أصحابه، فكانت أول غزوة غزاها مع الرسول غنم المسلمون، وقسم النبي ﷺ له نصيباً من الغنيمة ودفع به إليه، فقال الرجل: يا رسول الله ما على هذا بايعتك، ولكن بايعتك على أن أُرمى بسهم هاهنا –وأشار إلى حلقه– وأموت فأدخل الجنة، فقال له النبي ﷺ: إن تصدق الله يصدقك. فما لبثوا قليلاً ونهضوا لقتال العدو، فجيء به محمولاً إلى رسول الله ﷺ قد أصابه سهم في حلقه وفي المكان الذي أشار إليه بإصبعه، فقال النبي ﷺ: ها هو الرجل؟ قالوا: نعم هو يا رسول الله، فقال: **لقد صدق الله فصدقه الله**، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته التي عليه، وقدمه وصلى عليه. وكان مما علم من دعاء النبي ﷺ له في صلاته: «**اللَّهُمَّ هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**». وقيل: الإخلاص أن تكون حركة العبد وسكونه لله، ولا يتم الإيمان إلَّا بذلك، ومن الشواهد ما رواه أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «**من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان**». وقيل: الإخلاص نور يقذفه الله في القلب، وهو سر بين العبد وبين الرب، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا إنسان فيعرفه، وكلما كان العمل بعيداً عن الرياء والسمعة كان محفوفاً بالإخلاص، ومقبولاً عند الله تعالى، ففي الصحيح أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

أما لو خالط العمل الرياءُ أو حبُّ السمعة فإنه عمل مردود على صاحبه، وغير مقبول عند الله تعالى، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وطلب به رضاه، ومن الشواهد ما رواه الترمذي عن أبي سعيد بن أبي فضالة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشِّرك**». ومن ثَمَّ فالإخلاص أيها الإخوة الكرام خلق

إيماني عظيم، وهو من صفات أهل الصدق واليقين الذين صدقوا في الدين نيةً وقولاً وعملاً، وهو أساس القبول والنجاح في جميع الأعمال، فإذا خلصت النية في عمل من الأعمال صلح هذا العمل، ونال صاحبه من الله القبول والثواب، أما لو فسدت النية في عمل، وتخلل هذا العمل الرياء أو حب السمعة فهو كما قلنا مردود على صاحبه وغير مقبول عند الله أياً كان هذا العمل.

فالصلاة مثلاً إذا فقدت روح الإخلاص لا خير فيها ولا ثواب عليها، إذ ليست العبرة بعدد ما يصليه المسلم من ركعات أو بكثرة التسبيحات، وإنما العبرة بإخلاصها لله، وهذا بين وواضح في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٦] . قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه المصلي الذي إن صلاها لا يرجو لها ثواباً، وإن تركها لا يخشى عليها عقاباً، فبفقدانها روح الإخلاص فقد صاحبها الثواب والأجر، وحَلَّ عليه من الله تعالى السخط والويل.

وكذلك الزكاة ما لم تصدر عن قلب يعطي لله بإخلاص وتواضع بغير من ولا أذى فهي عمل باطل، حيث قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وكذلك الصدقة لا يعتد بها الإسلام إلا إذا خلصت لله وحده على نحو ما وصف القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩].

وكذلك الجهاد، وهو ذروة سنام الإسلام لا يكون مقبولاً عند الله إلا إذا خلصت به النية، وقصد به وجه الله تعالى في إعلاء كلمته، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**إنَّ أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال فلان جريء، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم**

وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك أنفقت ليقال هو جواد وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «**هؤلاء أول من تسعر بهم النار يوم القيامة**».

فاحذر يا أخ الإسلام من الرياء وشوائبه، واعلم أنه شرك خفي يحبط الأجر ويفسد العمل مهما عظم ومهما كبر، وحسبك قول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**يكفيك العمل القليل**»، واعلم أن الله تعالى يحب من عبده الإخلاص في القول والعمل والتعامل ويعطي الجزاء الأوفى لمن أخلص نيته وأخلص قوله وأخلص عمله لوجه الله حتى ولو كان عملاً دنيوياً بحتاً، ولذلك يقول الرسول ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**يا سعد إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تضعها في في امرأتك**»، فالمسلم إذا أسلم وجهه لله، وأخلص عمله ونيته لله، فإن حركاته وسكناته تحتسب له خطوات نحو مرضاة الله، فالله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. نسأل الله جلَّ وعَلَا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والتعامل، وأن يتوفنا مخلصين.

إخوة الإسـلام:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحاكم: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض**». وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه، وجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فَضْـل تلاوة القرآن وتعلمه

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى للعالمين، وجعل قلوب المؤمنين بذكره وتلاوته مطمئنة، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له مطلع على خلقه، فلا يخفى عليه شيء مما أظهره العبد وما أكنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المخلوقات من ملك وإنس وجنة، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وبكثرة تلاوة القرآن، مع التدبر والتفكر وتعلمه وتعليمه، فغنه كتاب الدين والدنيا، ودستور العلم والعمل، يوافي البشر بكل ما يحتاجون إليه في قضايا العقيدة وكمال العبادة ومكارم الأخلاق ومناهج السلوك فهو روح تحيا به النفوس، ونور تستضيء به الأبصار والبصائر والقلوب، فالحق تبارك وتعالى يقول مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى: ٥٢] وفضلاً عن ذلك أيها المسلمون الكرام فإن تلاوة القرآن وتدبره والعمل به من أعظم العبادات التي تقرب العبد من خالقه سبحانه وتعالى، وتفتح له باب الترقي في درجات الإيمان حيث يقول الله تبارك وتعالى في محكم القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]، ومن ثم فمن أراد لنفسه أن يكون من خير العباد، وان تكون منزلته من أعلى المنازل، ودرجته من أعلى الدرجات، عليه بأفضل العمال ألا وهو تعلم القرآن وتعليمه، فالرسول ﷺ يقول فيما رواه البخاري في صحيحه وأبو داود في سننه: «خيركم

من تعلم القرآن وعلّمه»، ويقول ﷺ: «**فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة**»، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حُلَّتان تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما للقرآن**».

فهنيئاً لمن علم ولده كتاب الله لأنه الكتاب الذي يُتعبد بتلاوته حق التلاوة، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١]، وحق تلاوته هو فهم أسراره، وفقه حكمه وتشريعه وتدبر معانيه والعمل بما فيه. وفي السنة النبوية توجيهات نبوية كثيرة ترغب المسلم وتحثه على تلاوة القرآن في كل الأوقات، ليستكثر بتلاوته من الحسنات، منها ما رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**».

وفي فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في بيت من بيوت الرحمن يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**».

وهذه الأحاديث أيها الأحبة الكرام قليل من كثير مما ورد في فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، فالحرف بعشر حسنات، إنها والله أجور كثيرة لأعمال يسيرة، فالمغبون من فرط فيه، والخاسر من فاته هذا الربح، حيث لا يمكن تلافيه، وهذه الفضائل شاملة وعامة لجميع القرآن الكريم، وقد ورد في السنة تخصيص لسور وآيات لها فضائل خاصة، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر سورة الرحمن التي ابتدأها الله تعالى بذكر اسمه الجليل الدال على كمال رحمته بعباده، ثم أعقبه ببيان خلق الإنسان وتعليمه وذكر ما في الكون من دلائل نعمه سبحانه. قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا

وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرَّحمن: ١-١٣].

إخوة الإســلام والإيمان:

إن لهذه السورة وَقْعٌ عظيم على الجن والإنس ، فقد جاء قيس بن عاصم إلى النبي ﷺ ليرى ويسمع ما تحدث به العرب عن هذا القرآن النازل على محمد ﷺ قال قيس: اتل يا محمد علي مما أنزل عليك، فقرأ عليه (**سورة الرَّحمن**)، فقال قيس: أعدها، وأعادها ثلاثاً، فقال قيس: والله إن له طلاوة، وإن عليه حلاوة، وأسفله لمغدق، وأعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله. وروي أن النبي ﷺ قام يصلي الصبح في نخلة فقرأ (**سورة الرَّحمن**)، ومر عليه نفر من الجن فآمنوا به، وفي الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم (**سورة الرَّحمن**) من أولها إلى آخرها، فسكنوا، فقال: «**قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله:** ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ **قالوا: ولا بشيء من نِعَمِك ربنا نكذبك فلك الحمد**». ومن هنا يستحب ترديد ذلك عند الاستماع إلى هذه الآية الكريمة التي جمع الله في الخطاب فيها بين الإنس والجن عندما خاطبهما بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وإننا لنقرأ بين آيات السورة آية تكررت إحدى وثلاثين مرة وهي: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ والآلاء هي النِّعَم، والمعنى: بأي نعم ربكما يا إنس ويا جن تكذبان وتجحدان؟

ولعل السبب في تكرارها هو تقرير النعمة، وتأكيد التذكير بها، واتخاذ الحجة على الثقلين الجن والإنس، ففصل في كل مرة سبحانه بهذه الآية بين نعمتين أو أكثر من نعمائه على خلقه، والآية في كل مرة تقرّع المكذبين على نكرانهم وجحودهم نعمةً من نِعَمِ الله في الآية التي سبقتها، وفي هذه السورة يبين الله تعالى صفات الملك والقدرة وصفات الإنعام والرحمة، فقد افتتحت باسم الرحمن من بين أسماء الله الحسنى ليعلم العباد أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه، فهو يعامل

عباده بالرحمة الواسعة.

إخوة الإسـلام والإيمان:

ما أعظم القرآن، فإن من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل كثرة تلاوة القرآن واستماعه بتدبر وتفكر وتفهم، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم وتربوا عليه، ولذلك قال خبَّاب بن الأرت ﷺ لرجل: تقرب إلى الله تعالى ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه. وقال عثمان بن عفان ﷺ: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم. وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: من أحب القرآن أحب الله ورسوله، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، ولا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم، وغاية مطلوبهم. وقال بعض السَّلَف: إن أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر قدر القرآن عندك. وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ثم اشـتغل عنه، فرأى في المنـام قائلاً يقول له: «إذا كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي، أما تأملت ما فيه من خطابي».

فاتقوا الله عباد الله، واقتدوا رحمكم الله بهؤلاء الأخيار، واتبعوا طريقهم تلحقوا بالبررة الأطهار، وأقبلوا على القرآن واقرؤوه في ساعات الليل والنهار، فذلك يقرِّبكم إلى العزيز الغفار، فإن الأعمار تطوى سـريعاً كأنها ساعة من نهار.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا تلاوة كتابه على الوجه الذي يرضيه عنا، وأن يهدينا به سبل السلام، وأن يرفع لنا به الدرجات، وأن يكفر عنا به السيئات، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من آيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.



الدروس المستفادة من الحج

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عِمْرَان: ٩٧]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل: «**إنَّ الله قد كتب عليكم الحج فحجوا قبل أن لا تحجوا**»، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبــاد الله:

إن المؤمن يقضي عمراً طويلاً في أمور معاشه العاجل، وقد آن له أن يهتم بتقديم شيء لمصيره الآجل، وليس كالحج والعمرة والذكر والتلبية والدعاء وسيلة إلى التقرب من حضرة ذي الجلال والإكرام، خاصةً إذا كانت هذه المناسك تؤدى في أطهر بقعة على ظهر الأرض، وبجوار البيت الحرام، والمسلم قد أسلم وجهه لله وهو محسن، وأسلم كل أموره لله، وعلم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وتذكر قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وتذكروا أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر: ٦٠]، لقد تجرد العبد من بهجة الدنيا وزينتها من السلبيات والمعاصي، وأعلن توبته في بيت الله الحرام، بعد أن ناداه الله، فقال جلَّ شأنه: ﴿ **قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣].

أيها الإخــوة المؤمنون:

إن الحج بيعة لله ولرسوله، خاصة أن الحاج قد علم حديث رسول الله ﷺ: «**من حَجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»، وإنَّ الإسلام قد فرض على الحاج تجرِبَةً تربوية لا يتعرض لمثلها مدة حياته أبداً، ذلك أنه يفرض

على سلوك المؤمن رقابة صارمة، لا تفوّت له أدنى مخالفة، بل إنها لتحاسبه حساباً عسيراً على كل ما يرتكب من مخالفات ولو كانت يسيرة، وقد حددت الآية القرآنية المحظورة على الحاج في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهذه المحظورات قد يستوجب فعلها فرض عقوبة على مرتكبيها، من صدقة أو صيام أو نسك، والعظيم في هذا الشأن أن ذلك يتم ضبطه بواسطة المؤمن نفسه، لا بواسطة سلطة دينية أو دنيوية، وهكذا يُنَصِّب الإسلامُ من المؤمن رقيباً على نفسه يحاسبها ويضبط أهواءها، ويقرر عقوبتها، فالعبد في وقت واحد متهم وقاض ومنفذ، والله هو المطلع عليه في ذلك، ينظر تصرفاته ويسجل نزاهة عمله وفي ذلك أعظم تربية لضميره، وهذا هو الإحسان الذي أراده النبي ﷺ في قوله: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٤-١٥]، فإذا ما عاد الحجيج إلى بلادهم عادوا كيوم ولدتهم أمهاتهم، وتسارعوا في أعمال الخير إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

أيها الإخوة المسلمون الكرام:

ولعل من أبرز الدروس المستفادة من أداء فريضة الحج انه يمثل أصدق صورة لوحدة الأمة الإسلامية التي تقوم على توحيد الله، ومن أفضل ثمارها أنها تمهد لحل جذري لمشاكل الأمة على اختلاف أوطانها وألوانها وألسنتها، حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ولأن هذه الوحدة قامت على أسس من أهمها توحيد الله، والاعتصام بحبله المتين، وليس من الممكن أن تجتمع الأمة على باطل أو ضلال، بل ينبغي أن يكون اجتماعهم على الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإذا توافر للوحدة الإسلامية الدستور الذي تلتقي عنده القلوب، وتلتقي الأهواء، فقد سلم بناؤها ووضح منهاجها، قال جلّ شأنه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عِمْرَان].

أيها الإخـوة المسلمون:

إن مؤتمر الحج العالمي يجسم ما قاله النبي ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، كما تتجلى قوة المسلمين في قوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وهذا الأمر يُعَدُّ الأساس الأول في مقومات الوحدة في نظر الإسلام. ولعلَّ من أهم ثمرات الحج التعاون على البر والتقوى والتراحم فيما بيننا، وأن يكون المسلم في حاجة أخيه، حتى يكون الله في حاجته، وأن يفرج كل كرب عن إخوانه حتى يفرج الله عنه كل كرب، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٧١]، ولعل الحجيج تعلموا واستفادوا من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**»، يقول أبو سعيد رضي الله عنه: فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا لا حق لأحد منا في فضل، ومن أجل ذلك يعلم الإسلام أبناءه أن واجب الفرد منه أن يعمل من أجل المجموع ولا يعيش لذاته.

أيها الإخوة المسلمون الكرام:

لقد شرف الله الأمة وخاصة حجاج بيته الحرام الذي اجتمعوا في أطهر بقعة من بقاع الأرض وهم يرددون التلبية، وتردد معهم الأودية والجبال: لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

أيها الإخوة المسلمون الكرام:

إن من أهم الدروس المستفادة من الحج إلى بيت الله الحرام المساواة بين جميع

الناس، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح، فها هو الحجيج يرتدون ملابس الإحرام، لا تعرف الغني أو الفقير منهم، لأن الكل تجردوا من كل شيء، إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، ولذلك أخبرنا الله عن أصل الخليقة فقال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولقد أخبرنا النبي ﷺ فقال: «**الناس بنو آدم، وآدم من تراب**»، ولقد منع الإسلام التفرقة على أساس المال أو الجاه أو القوة، فكل هذه أعراض زائلة لأنها من مادة الدنيا، والدنيا كلها إلى فناء، وإنما يتفاضل الناس على أساس المعاني الباقية والقيم الخالدة، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، ولإقرار مبدأ التكافل والمساواة في أسمى صورها حين أعلن سيدُنا النبي ﷺ كلمته الخالدة: «**ذِمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم**» وقال ﷺ أيضاً: «**ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح**»، ولقد بشَّر النبي ﷺ الحجَّاج بقوله: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

* * *

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

الحمد لله الذي أكمل هذه الأمة شرائع الإسلام، وفرض على المستطيع منهم حج بيته الحرام، فقال جل وعلا في محكم القرآن: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ووعد من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق بأن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه نقياً من الآثام، وذلك هو الحج المبرور الذي لم يجعل الله له جزاءً إلا الجنة دار السلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفضل من طاف بالبيت الحرام، معظِّماً لشعائر الله العظام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى التابعين لهم بإحسان، ما تعاقبت الليالي والأيام وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

اتقوا الله يا عباد الله، واحمدوه أن أكمل لكم الدين، وأتم عليكم النعمة، ورضي لكم الإسلام ديناً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً.

أيها المسلمون الكـرام:

في هذه الأيام الطيبة المباركة أخذت وفود الرحمن تتجه إلى أعز بقعة من بقاع الأرض، إلى مكة المكرمة، استجابةً لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والتي دعا بمثلها سيدنا محمد ﷺ، إنها لدعوةٌ كريمة لأداء فريضة من فرائض الإسلام، وصدق الله تعالى إذ يقول في محكم القرآن: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٢٦-٢٨]، وها نحن نرى وفود الرحمن يتوجهون في صورة مشرقة إلى بيت الله الحرام، هذا البيت العتيق الذي رفع قواعده خليل الرحمن إبراهيم وولده

إسماعيل عليهما السلام، وإلى جواره وفي رحابه ولد حبيب الله وخاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ. وهذا البيت المبارك باركه الله تعالى، وجعله مثابةً للناس وأمنا، حيث قال الله جل شأنه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾ [آل عِمْرَان: ٩٦-٩٧]. هذا البيت العظيم الذي ضاعف الله تعالى أجر العبادة فيه أضعافاً كثيرة، وجعل الصلاة فيه بمئة ألف صلاة، روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه**». وروى الطبراني عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ أن داود عليه السلام قال: «يا إلهي ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك؟ قال: إن لكل زائر حقاً على المزور يا داود، لهم عليَّ أن أعافيهم في الدنيا، وأن أغفر لهم إذا لقيتهم».

والحجُّ رحلة إيمانية كريمة مباركة، تغفر فيها الذنوب، وتمحى فيها العيوب، وتطمئن فيها القلوب، إنها رحلة تسكب فيها العبرات، وتستجاب فيها الدعوات، وتتجلى فيها الرحمات، ويرجع أصحابها برضى ومغفرة رب الأرض والسماوات، وقد طهروا من كل ذنب وعيب كيوم ولدتهم الأمهات، تلكم هي رحلة الحج لبيت الله الحرام يا عباد الله. فهو ركن عظيم من أركان الإسلام والبيت دعامته، يقول النبي ﷺ فيما رواه ابن جريج بإسناد حسن: «**هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة**»، وصح عنه ﷺ أن الذي يموت في الحج يبعث يوم القيامة ملبِّياً، وهو كالشهيد من حيث الأجر والثواب، وكذلك النفقة في الحج كالنفقة في الجهاد الدرهم بسبع مئة ضعف، وهذا ما رواه أحمد. وقد قال سيدنا النبي ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة**».

وعلى المسلم أن يتحرى المال الحلال لحجِّه، فلا يذهب إلى الحجِّ بمال كسبه

من حرام، أو مال خالطه ربا، لما ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، قال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟**». كما قال ﷺ وروى البيهقي مرسلاً عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللَّهُمَّ لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك، زادُك حلال، ونفقتُك حلال، وحجك مأجور غير مأزور. وإذا خرج الحاج بنفقة خبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللَّهُمَّ لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور**». ومن هنا يرى الإمام أحمد رحمه الله أن الحج بالمال الحرام لا يجزئ عن صاحبه، ولذلك ينعي الشاعر هؤلاء الذين يؤدون الفريضة من مال فيه أثر من دنس أو شبهته فيقول:

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل الله إلا كل صافيةٍ فما كل مَنْ حج بيت الله مبرور

وعلى كل حاج أن يقصد بحجه وجه الله، فلا يقصد فسحة أو سمعة أو مفاخرة بعدد حجاته أو عمراته، فذلك يفسد الحج ويحبط الأجر لأنه شرك خفي في العبادة يتنافى مع إخلاصها لله عز وجل، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة: ٥]. وفي الصحيحين عن عمر ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**». فإخلاص العمل لله شرط لقبول هذا العمل، سواء في الحج أو غيره من هذه الأعمال والعبادات لقول الله عز وجل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، ولتمام نعمة الله تعالى

ومغفرته لمن خرج يؤم بيت الله الحرام قاصداً الحج والعمرة أن يلتزم بها أمر الله في كتابه من آداب وتقوى، حيث قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والرَّفَث هو الجماع ودواعيه، والفسوق هو إتيان المعاصي صغرت أم كبرت، والجدال هو النقاش والمشادة في الكلام حتى يغضب الرجل صاحبه، وفي ذلك مخالفة لأمر الله تعالى، وحرمان من رحمته ومغفرته ورضاه، فلقد روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: «**من حَجَّ ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**». وعن جابر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه**».

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يوفِّق الحجيج من المسلمين رجلاً ونساءً شيوخاً وشباباً إلى حج مبرور وذنب مغفور وأن يرزقنا جميعاً حج بيته الحرام لنكون ضمن وفده الكرام، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

إخــوة الإيمان:

لقد روى الإمامان النسائي والترمذي بإسناد صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحجَّاج والعمّار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

وتعاونوا على البر والتقوى

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له أمرنا بالاعتصام بحبله، وألف بين قلوبنا لفضله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل أنبيائه وخاتم رسله، دعا الناس جميعاً إلى تقوى الله، وأقام أمته على روح الأخوة والمحبة، والتعاون على البر والتقوى. اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إخوة الإســلام والإيمان:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم وإياي على طاعته، وعدم مخالفة أمره عملاً بقوله سبحانه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨] وقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

والمتأمل في هذه الآية يرى فيها من البيان ما يدل على أن الإنسان اجتماعي بفطرته، يصعب عليه أن يعيش منعزلاً عن غيره من بني جنسه، ومن فضل الله علينا نحن المسلمين، أن المجتمع المسلم بصفة خاصة مجتمع مفتوح بعضه على بعض، لأن الإسلام ربط بين أبنائه برابطة العقيدة، وهي أقوى رابطة لا يمكن أن تنفصل إذا ما تمسك المسلمون بمبادئ تلك العقيدة التي يجب أن تقوم عليها أخوتهم وعلاقاتهم. ليتحقق بينهم التعاون الذي أمر الله سبحانه وتعالى به في كتابه حيث قال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] .

ولقد شرع الإسلام آداباً وحقوقاً تتخلل هذه العلاقة التي تقوم على الأخوة والمحبة والتعاون على البر والتقوى، لتقوِّيها وتنمِّيها، ومن بين هذه الحقوق والآداب التي شرعها الإسلام: : آداب التناصر بين المسلم وأخيه المسلم على أساس من الحق والعدل، وبعيداً عن التعصب والتحزب، وهذا ما أرشدنا إليه ﷺ بقوله فيما رواه البخاري: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره**».

وكذلك من الآداب التي شرعها الله لتوطيد علاقة المسلمين فيما بينهم وتعاونهم على البر والتقوى آداب الموالاة لله ولرسوله وللمؤمنين، على نحو ما وضحه القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وكذلك من الآداب التي شرعها الإسلام لتحقيق هذا الأمر الهام : آداب التواصل بين المسلم وأخيه المسلم، وهذا التواصل له حالة من الأهمية العظمى في حياة الأمة، لأنه يقوي روابط الأخوة والمودة والمحبة بين المسلمين، وبه يتم التعاون بينهم على البر والتقوى وبه يرتقوا إلى المستوى الإيماني الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله فيما رواه البخاري عن النعمان بن بشير ﵁ حيث قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدناه يعرض صوراً تعاونية لها قيمة في حياتنا، وذلك لتوطيد نفوسنا على أن الحياة لا تستقر إلا بالتعاون، فهكذا القرآن الكريم يحدثنا عن ذي القرنين فيذكر لنا أن الله قد مكن له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وتوافر له القدرة والسلطة والنفوذ ما لم يتوافر لغيره، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا

﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف: ٨٣-٨٤] ومع هذا التمكين فإنه لم يستغنِ عن معونة غيره عندما أراد أن يبني سداً ليحجز جور يأجوج ومأجوج واعتداءاتهم على الناس، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ٩٣-٩٥] فماذا كانت نتيجة هذا التعاون؟ كانت نتيجته هو إقامة سد منيع لا يستطيع المهاجم أن يَفُلَّه ولا أن يجد فيه خرقاً، كما يقول سبحانه: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف: ٩٧].

أيها المؤمنـون:

ويعرض القرآن الكريم صوراً أخرى من التعاون تتعلق برسولين من رسل الله تعالى هما موسى وهارون عليهما السلام، فمع أن موسى رسول من عند الله لكن لم يتردد في طلب المعونة من الله حتى يستطيع أداء رسالته فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٥-٣٢].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التواضع والتعاون على البر والتقوى وهو يقوم ببناء مسجده المبارك حيث كان ينقل التراب مع أصحابه بيده، ويختلط التراب بعرقه الشريف الذي يسيل على وجهه، وهو يكد ويعمل معهم في بناء المسجد النبوي المبارك، ويرى الصحابة ذلك التعاون من رائدهم وقائدهم فينشطون ويكدون ويعملون، وينظر الرسول ﷺ إلى أصحابه من حوله وهم يعملون على بناء مسجده بروح التعاون والأخوة والمحبة، فينشرح صدره وتُرى الابتسامة على وجهه، ويتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لهم فيقول: «**اللَّهُمَّ لا عيش إلَّا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**». فهؤلاء هم الذين كانت تربطهم جميعاً رابطة الأخوة والحب في الله، والتعاون على البر والتقوى كما أمر الله تعالى، فكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فما أحوج المسلمين الآن إلى أن يتأسَّوا بسلفهم الكرام، ويحافظوا على هذه القيم، ويرتقوا بأنفسهم إلى هذا المقام، مقام المحبة والأخوة الحقة، والتعاون على البر والتقوى، فيا له من مقام عظيم عند رب العالمين، فضلاً عما يحدثه في الأُمَّة من عزة وقوة، وحسبنا في هذا المقام ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من عباد الله أناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله، قيل: يا رسول الله خبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها، والله إن وجههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا قول الله تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المتحابين المتعاونين وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

❋ ❋ ❋

خطبة عيد الأضحى

الحمد لله الذي جعل أعياد المسلمين مسرةً للقلوب وانشراحاً للصدور وإنهاءً للخصومات والأحقاد.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد،

الله أكبر ما شدت رحال الحجَّاج إلى بيت الله الحرام قبلة المسلمين ودعامة الإسلام، الله أكبرُ ما طافوا بالكعبة وسَعَوا بين الصفا والمروة معظمين لشعائر الله العظام، الله أكبر ما ساروا إلى مسجد سيد الأنام فحيوا بيت الله بالصلاة وسلموا على الحبيب ﷺ وصاحبيه الكرام، الله أكبر ما وقفوا على عرفات في موقف مهيب عظيم يذكر الناس بيوم العرض على رب العالمين، الله أكبر ما أفاضوا إلى المشعر الحرام ووقفوا عنده وهم ذاكرين شاكرين لله رب العالمين، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أحمده سبحانه وتعالى، وأشهد أن لا إله إلَّا الله هو الملك العظيم الأكبر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الشافع المشفَّع في المحشر، صلى الله عليه وعلى آله والَّذين أذهب الله عنهم الرجس وطَهَّر، وارضَ اللَّهُمَّ عن خلفائه الراشدين وعن أصحابه الطيبين الطاهرين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّسَاء: ١] وبعد:

أيها الإخوة الكـرام:

هذا يوم عيدكم قد وافاكم في صبيحة يوم مبارك، إنه يوم من أيام الله المباركة، إنه يوم المحبة والألفة، يوم التسامح والعطف، يوم التزاور والتراحم، إنه يوم من أعظم الأيام عند الله، يوم تتلاقى فيه مشاعر المسلمين على الطاعة والمحبة لله رب

العالمين، ويتسامى فيه تعاطف الأغنياء مع الفقراء والمساكين، يومٌ يقف فيه الحجاج بالأماكن المقدسة، يهللون ويكبرون عند رمي الجمرات فرحين مستبشرين، ويشاركهم المسلمون بالتكبير عقب الصلوات. الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد

أيها الأحباب الكـرام:

بالأمس كان الحجاج يقفون في أعظم مشهد على جبل عرفات، حيث كان موقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وقفوا متجردين من كل ما يربطهم بالدنيا وملذاتها، يلبي منهم من يلبي، ويهلل منهم من يهلل ، ويكبر منهم من يكبر، الكل في خشوع وخضوه، الكل هائم في ذكر الله ومناجاته، يبتغون رحمته ويرجون مغفرته ورضاه، هذا اليوم الذي نحن فيه يوم فضل وعيد جليل، إنه يوم الحج الأكبر الذي تقع فيه أكثر أعمال الحج. ولذلك يقول ﷺ فيما رواه أبو داود: «**يوم الحج الأكبر يوم النحر**». إنه يوم من أعظم أيام الدهر، يوم يجتمع فيه الحجاج بمنى يستكملون مناسك الحج، ويتقربون إلى الله بالعجِّ والثَّجِّ وينحرون الهدايا ويشاركهم المسلمون تلك المشاعر المباركة في كل مكان بذبح الضحايا إحياءً لسنة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وإظهاراً للتضحية والفداء في سبيل الحق والهدى، ورمزاً لما يقتضيه الواجب بين المسلمين من تكاتف وتعاطف واتحاد الأمة على المحبة والمودة. ولهذا كان السلف الصالح يتصافحون يوم العيد، ويهنئون بعضهم بعضاً ويتزاورون فيما بينهم، ويصلون في هذا اليوم العظيم أرحامهم يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا، حسبهم قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقال: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أَصِلَ من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: لمن؟ قالت: فذلك لكِ، ثم قال ﷺ: اقرؤوا إن شئتم:** ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]». وقال عزَّ وجَلَّ في حديثه القدسي: «**أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرَّحِم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**».

فاحرصوا رحمكم الله في هذه الأيام الطيبة المباركة على صلة الأرحام، ونبذ القطيعة والخصام، لأنها أيام فرح وسرور ووصال، وإياكم والهجران لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الشيخان: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهم الذي يبدأ بالسلام، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**». وهذا اليوم الذي نحن فيه أيها الأحبة في الله هو يوم التواصل والصفاء، يوم الحب والوفاء، يوم البذل والعطاء، إنه ليوم كريم وشانه عظيم، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في يوم النحر أي في مثل هذا اليوم عام حجة الوداع فقال: «**أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: اللَّهُمَّ قد بلغت، فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**». قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته ﷺ.

ووالله إنها لوصية غالية يدعونا فيها النبي ﷺ إلى المحافظة على الدماء والأعراض والأموال، وهذا هو منهج الإسلام ودعوته الصادقة لنشر الأمن والأمان والسلم والسلام بين ربوع الأنام في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة. فما أهنأ العيد لو بَرَّ كلٌّ مِنَّا بأمه وأبيه، وأحسن إلى صاحبته وبنيه، ما أهنأه لو سعينا فيه لصلة الأرحام، ومواساة الأيتام، والعطف على الفقراء والمساكين، والبر بذوي القربى والمحتاجين، وتباعدنا عن الشقاق والنفاق، واتحدنا حول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكنا عباد الله إخوانا يعاون بعضنا بعضا، وكان فرحنا ومرحنا بعيدنا في حدود ما شرع الله لنا، فليس العيد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن خاف يوم الوعيد، وفي الحديث: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**».

فاعلموا رحمكم الله أن مما يجب علينا خلال أيام عيدنا ألا تشغلنا فرحتنا

وفرحنا بعيدنا وتزاورنا لبعضنا البعض عما شرعه الله لنا من العبادة طلباً لمرضاته، واستعداداً للقائه في أي لحظة من لحظات العمر، فالمرء لا يدري متى الأجل، ففي كُلِّ نفس يتنفسه الإنسان يدنيه من أجله، ويباعده عن أهله، فكم من أناس كانوا معنا في أعياد سابقة ورحلوا عنا وأضحوا رهناء أعمالهم بين الثرى، نسأل الله لنا ولهم الرحمة والمغفرة.

إخــوة الإيمان:

روى الإمام البخاري عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فلنتق الله في كل أمورنا، ولنتذكر في الأعياد حدود ربنا فلا نتعداها حتى نكون عند الله عز وجل في هذا اليوم العظيم من الراشدين الفائزين، وفقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه، وختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الغيبة من اللغو المحرّم

الحمد لله الذي أكمل الدين وأظهر البرهان وحدد الحدود بين الأحكام، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له خلق الإنسان وعلمه البيان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وأنعم عليه نعمة السمع والبصر والفؤاد واللسان، وحذر من استعمالها في الحرام، حيث قال سبحانه في محكم القرآن: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، جمله الله تبارك وتعالى بأعظم الأخلاق، فكان خلقه القرآن صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الذين أسسوا دينهم على تقوى من الله ورضوان، وبعد أيها الإخوة الكرام:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن صفة الإعراض عن اللغو باللسان كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣]، وقلنا بأن للسان مزالق، والمرء مؤاخذ بذلك، قال الله تعالى: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨]، وقال النبي ﷺ مبيناً خطر اللسان على بني الإنسان في حديث رواه أحمد والترمذي: «**أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج**»، وفي سياق حديثه ﷺ لمعاذ حين قال: يا نبي الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال له: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم** -أو قال على مناخيرهم- **إلَّا حصائد ألسنتهم؟**» وبيَّنا أن حصائد الألسنة هو ما يزرعه الإنسان في حياته من قول الخير أو الشر، فمن زرع الخير من القول حصد الخير والكرامة يوم القيامة، ومن زرع الشر من القول حصد الشر والندامة يوم القيامة، قال الله جل وعلا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وحديثي إليكم اليوم أيها الإخوة الكرام يدور حول أنواع من اللغو الذي حرمه الإسلام لكونه من حصائد الألسنة التي تكب الناس على وجوههم في النار يوم القيامة ألا وهي الغيبة.

والغيبة أيها الإخوة هي ذكر المسلم أخاه المسلم في غيبته بما يكره، وهي من الكبائر التي حرمها الإسلام ونفَّر منها أشد تنفير، حتى صوّرها عند النهي عنها بما تشمئز منه النفوس وتأباه الطِّباع فقال: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ ﴾ [الحجرات: ١٢] وهذا أوضح دليل على بشاعتها وسوء أمرها في المجتمعات وفي محيط الأسر والجماعات؛ لما يترتب عليها من عداوات وبغضاء وإثارة نار الفتنة والشحناء بين الناس، قال ﷺ في حديث رواه مسلم: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**» وهذا مما حرمه الإسلام تحريماً شديداً، ومن أقوال النبي ﷺ في ذلك في خطبة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»، وقوله ﷺ فيما رواه الترمذي: «**كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»، وحسبُنا في ذلك أيها الإخوة الكرام ما رواه أبو داود عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**لمَّا عُرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»، إنه لمشهد رهيب تقشعر منه الأبدان، قوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم كالمجانين، فما جلب عليهم هذا الكرب الذي هم فيه؟ إنه اللسان، إنه اللغو الحرام، إنها الغيبة التي نفر منها القرآن أشد تنفير، وحذر منها رسول الله ﷺ، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**».

أيها الإخوة: لقد حذَّر النبي من الغيبة أشد تحذير، وضرب لأصحابه الأمثال

عندما وقع بعضهم فيها، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله حسبك من صَفِيَّة كذا وكذا -تعني أنها قصيرة- فقال النبي ﷺ: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»، يعني لغيَّرته. وذكر الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة «أنَّ ماعزاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني زنيت، فأعرض عنه، حتى قالها أربعاً، فلما كان في الخامسة قال: زنيت؟ قال: نعم، قال: وتدري ما الزنى؟ قال: نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرَّجُل من زوجته حلالاً، قال: ما تريد إلى هذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني، فقال رسول الله: أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والعصا في البئر؟ قال: نعم يا رسول الله، فأمر به فرجم، فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما للآخر: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رَجْمَ الكلب، ثم سار بهم النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، قالا: غفر الله لك يا رسول الله، وهل يؤكل هذا؟ قال: فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها» أو كما قال ﷺ.

فالغيبة أيها الإخوة الكرام من اللغو الحرام الذي حرمه الإسلام بإجماع العلماء، ولا يستثنى منها إلَّا ما رجحت به المصلحة كما في الجرح والتعديل والنصيحة، كقول النبي ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر فقال: ائذنوا له بئس أخو العشيرة، وكقوله لفاطمة بنت قيس لما خطبها معاوية وأبو الجهم، واستشارت النبي ﷺ فقال لها: أما معاوية فصعلوك -يعني رجل لا مال له- وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه -يعني رجل يضرب نساءه بعصاه-، فما جرى مجرى ذلك فهو مباح لأن المستشار مؤتمن، وغير ذلك حرام منهيٌّ عنه، وحسبُنا أن الله شبهها في القرآن بأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان الميت، فقال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، وهذه إشارة إلى ضرورة الخوف من الله وعدم الوقوع في هذا الجرم العظيم، وإلى ضرورة المبادرة بالتوبة إلى الله إذا ما وقع الإنسان في شيء من ذلك، وأن الله تعالى

تواب على من تاب، رحيم على من رجع إليه وأناب.

فاتقوا الله إخوة الإيمان واحفظوا ألسنتكم عن كل لغو حرام، وتوبوا إليه من كل قول أو عمل يخالف دين الإسلام، واعلموا أن من شروط التوبة من الغيبة أن يتحلل المغتاب ممن اغتابه إن لم يكن فيه ضرر عليه، وإلَّا دعا له بالخير وذكره كذلك بالخير في المجلس الذي اغتابه فيه، واعلموا أنه يحرم الجلوس في مجالس الغيبة إلا إذا دَفَعَ الحاضر ورَدَّ الغِيْبَة عن أخيه الغائب وذلك عند الله عظيم، يقول النبي ﷺ في حديث رواه الترمذي: «**من رَدَّ عن عرض أخيه بالغيب رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»، وإلَّا وجب عليه الإعراض عن المجلس لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وهذا أسلم للمرء ودينه، والأول أقوى في الإيمان وأعظم في الثواب لقول النبي ﷺ في حديث رواه أحمد وأبو داود: «**من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله.

❊ ❊ ❊

النظافة من الإيمان

الحمد لله الذي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر الفسوق والعصيان وجعلنا من الراشدين، وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، واستخلفه في أرضه من بين العالمين، وأمد له في أثره بالذرية والبنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربُّه جلَّ وعلا لخير أمة أخرجت الناس بخير دين، وكان من حكمته وتوجيهاته لأمته أن يعملوا جاهدين على أن يكونوا أصحاء الأجسام، أقوياء البنية، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث رواه مسلم: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن العبد ما أعطي بعد اليقين خيراً من عافيته**»، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى، والآجال تفنى، وما عند الله خير وأبقى، ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه أن أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان بعد الإيمان هي نعمة الصحة والعافية، والمؤمن إذا أعطي عقلاً سليماً في جسم سليم طابت حياته، وعاش سعيداً هنيئاً، وكان عضواً نافعاً لنفسه ولمجتمعه، محبوباً عند ربه، لا سيما إذا حافظ على نعمة الصحة والعافية بالبعد عن المعاصي وهو في زمن الشباب والقوة، واغتنم ذلك الزمن فيما يعود عليه بالنفع والخير في دنياه وأخراه، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس أولها شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**»، ولنا في سلفنا الصالح المثل الأعلى، ففي زمن التابعين رؤي رجل من الأولين وهو في الثمانين يَثِب على فَرَس في إحدى الغزوات بقوة ملفتة، فسئل عن

سر ذلك فقال: أعضاؤنا حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله لنا في الكبر. وفي الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

ولقد نظَّم الدين لقوة الأجسام منهجاً رشيداً، وحث على اتباع هذا المنهج لتحقق من خلاله المحافظة على صحة الأبدان وعافيتها، وجعل وسيلة ذلك النظافة، وشرع للإنسان سبل تحقيقها، فجعل طهارة الجسم التامة أساساً لا بد منه لكل صلاة، وجعل الصلاة واجبةً خمس مرات كل يوم، وكلف المسلم أن يغسل جسمه غسلاً جيداً في أحيان كثيرة، وتلك هي الطهارة الكبرى. وفي الأحوال المعتادة اكتفى بغسل الأعضاء والأطراف التي تتعرض لغبار الجو وتتفاعل مع شتى الأشغال، وجعل ذلك فرضاً لا تقبل الصلاة إلا به، حيث قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦] وهذا طهور الوضوء، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث رواه مسلم والترمذي: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك**».

وهكذا يحثنا الرسول ﷺ على الطهارة بنوعيها، ويبين لنا أنها مفتاح الطريق إلى الصلاة، ثم يبين لنا أن أمته تعرف يوم القيامة بين الأمم على كثرتها بهذا النوع من النظافة، فيقول في حديث رواه الحاكم ومسلم: «**إن أمتي يرون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**».

ويرشدنا إلى أن الوضوء وهو طهارة ونظافة طريقة إلى تكفير الذنوب ومحو الخطايا فيقول: «**ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا: بلى، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**» رواه مالك ومسلم والترمذي.

وقد حث الإسلام كذلك على نظافة الأيدي والأفواه عند الطعام للتخلص مما يلحق بها من أوساخ وأدران، وذلك بالوضوء حيث يقول النبي ﷺ في حديث

رواه أبو داود: «**بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده**»، وهو بالمعنى العضوي غسل اليدين والفم ذلك لأن بقايا الطعام بالأفواه بين الأسنان تنبعث منها رائحة كريهة فتفسد الطعام وتبعد الملائكة وتنفر الناس.

وعناية الإسلام بتطهير الفم وتخليل الأسنان وتنقية ما بينها لا نظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة، لأن قذارة الأسنان وإهمالها يولد أنواعاً من الأمراض في كثير من أجهزة الجسم، ولهذا اقترنت نظافة الوضوء ونظافة الطعام في هدي رسول الله ﷺ في حديث واحد روى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «**خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: حبذا المتخللون من أمتي، قالوا: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: المتخللون في الوضوء والمتخللون من الطعام**»، أمَّا تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع وأما تخليل الأسنان فمن الطعام إنه ليس شيء أشد على الملكين من ما بين أسنان صاحبيهما طعاماً وهو قائم يصلي، وما أجمل السواك من منظف ومطهر للفم، شهد لقيمته الأطباء وأمر به الرسول ﷺ فقال: «**تسوَّكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ما جاءني جبريل إلا وأوصاني بالسواك حتى خشيت أن يفرض على أمتي**»، وفضلاً عن ذلك أيها الأحبة الكرام فإن الإسلام دين يحث على النظافة والزينة والعناية بالمظهر من تنظيف الشعر وتسريحه، وأن يرتدي المسلم أفضل الثياب من غير فخر ولا اختيال، لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وتلك سنة نبينا محمد ﷺ، روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ مربوعاً، وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت أحسن منه قط**».

وقد امتد هذا التطهر والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطرقاتهم، لأن الإسلام ينبه إلى تخلية البيوت من الفضلات والقمامات حتى لا تكون بؤرة للحشرات ومرتعاً للعلل والأمراض.

وكان اليهود في المدينة المنورة عليها وعلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام يفرطون في هذا الواجب، فحذر الرسول ﷺ عن التشبُّه بهم. روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم**

يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم لا تتشبهوا باليهود».

ولقد جعل الإسلام إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان وجعل أجر هذا العمل الجليل مرة كأجر صلاة ومرة كأجر صدقة، وفي الحديث: «**حملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة**». وفي حديث للبخاري: «**وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة**».

فاتقوا الله إخوة الإسلام واهتموا بنظافة قلوبكم وبيوتكم وأبدانكم وطرقاتكم حتى تحافظوا على سلامة دينكم وتُحيوا بذلك سنة نبيكم. فالنبي ﷺ يقول في الحديث الشريف: «**تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة**».

وفَّقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



آداب الحياة الزوجية

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له أرشدنا إلى الحق بالآيات البينات، وأبان لنا الحقوق والواجبات، لكل من الأزواج والزوجات، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله المؤيد بالمعجزات الظاهرات، والآيات الباهرات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الثقات والعدول التقاة، ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسماوات، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، وتخلقوا بأخلاق الإسلام، وتأدبوا بآدابه العظام، واعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما فيه رضاه أن هذا الدين الإسلامي العظيم الذي ارتضاه الله منهج حياة للعالمين عني بالأسرة عناية عظيمة، ووضع لها في ميزانه أسساً ونظماً كريمة، جاء بها القرآن، وبينتها سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا لأن الإسلام يرى أن الأسرة هي قوام الأمة وأساس بنائها، ومن أجل ذلك شرع الزواج وحث عليه، وأمر الرجل أن يختار من تشاركه الحياة، وأمر المرأة هي الأخرى أن تختار من يشاركها الحياة، وجعل الميزان المعتبر لذلك الاختيار هو الصلاح والدين، حيث قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿ **وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ** ﴾ [النور: ٣٢] وفي الحديث: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

وتحقيقاً لإقامة الحياة الزوجية السعيدة أحاط الإسلام هذه العلاقة المقدسة

بسياج من الآداب الكريمة والتوجيهات الحكيمة، مبيناً من خلالها حقوق كل من الزوجين على الآخر حتى يلتزماها ويسيرا عليها، فتتكون بذلك أسرة صالحة ترفرف عليها السعادة والاستقرار والأمن، فيمد المجتمع بلبنات صالحة تكون عماده المكين في بناء دولته، وإقامة نهضته على أساس من الدين والإيمان، فالرجل في الإسلام له وعليه، والمرأة لها عليها ، حيث يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: «**الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**».

وبهذا التوجيه النبيل وضع الإسلام من الآداب والنظم ما به تكون الحياة الهادئة المستقرة التي يرفرف عليها الحب، ويظللها الوئام إذا فهم كل من الزوجين ما له وما عليه من حقوق، وحلق كل منهما في إطار مملكته التي حددها له الشارع الحكيم، وبين وأكد من خلالها أن الرجل مقدم على المرأة، وله عليها مزية حيث تبعته أكبر وحمله أشد، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾[النِّسَاء: ٣٤]. فبهذه الخواص التي أشارت إليها الآية الكريمة جعل الله الرجل قواماً على الأسرة، أي رئيساً عليها، ورئاسته عليها ليست رئاسة استعباد واستبداد أو تسخير وإنما هي رئاسة مسؤولية ورعاية وتوجيه، أعطاها الله عز وجل الرجل بحكم تكوينه الطبيعي ومقدرته على الكد والسعي ورجاحة عقله وسخاء يده وكمال دينه. ولقد وعى التاريخ أن أسماء بنت يزيد أتت النبي ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النِّسَاء إليك إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنِّسَاء كافة فآمنا بك وصدقناك، وإنا معشر النِّسَاء مقصورات قواعد بيوتكم وحاصلات أولادكم، وأنتم معشر الرجال فضّلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجمائز وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا ثيابكم، وربينا أولادكم، أفنشارككم هذا الخير والأجر؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقد علاه

البشر ثم قال: هل سمعتم مسألةً قط أعظمن مسألتها في دينها؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأةً تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت إليها رسول الله ﷺ وقال: «**افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النِّسَاء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها مرافقته يعدل ذلك كله**»، ولذا فإن من واجب المرأة تجاه ابنتها أن توصيها بحسن تبعلها لزوجها لتنال رضى ربها، ففي الحديث: «**أيما امرأة باتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**»، وفي الحديث أيضاً: «**إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت**». ولقد أوصت أم حكيمة ابنتها عند زفافها بقولها: أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلّفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فاحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً: كوني له أرضاً يكن لك سماءً، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وعليك بالقناعة وحسن السمع والطاعة، وبالتفقد لمواضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا تشم منك إلا أطيب ريح، وعليك بالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن شدة الجوع ملهية، وتنغيص النوم مغضبة، وعليك بالاحتراس لماله وجسمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير، ولا تعص له أمراً، ولا تفشِ له سراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً، وكوني أشد ما تكوني له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً.

هذا ولقد أوصى الإسلام الرجل أن يكون معها حسن العشرة، طيب الخلق، كريم المعاملة، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النِّسَاء: ١٩]. ويبين الرسول ﷺ أن حسن معاشرة الزوجة من كمال الإيمان، ويرشد إلى ذلك بقوله فيما رواه الترمذي: «**إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله**»، ولم يكن أحد ألطف ولا أخير بأهله من رسول الله، فهو القائل ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» رواه الترمذي.

فاتقوا الله عباد الله، وتمسكوا بالسنن القويمة الشرعية، وحافظوا على الآداب والحقوق الزوجية، واستوصوا بأهليكم خيراً، وضعوا دائماً نصب أعينكم قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم: ٢١].

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه، وأن يجنبنا مناهيه، وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

فَضل الجمعة والجماعة

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده، وعنت الوجوه لعظمته ومجده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وجعلها رأس العبادات وعماد الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل العابدين، وإمام المخلصين، وسيد الخاشعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم وإياي على طاعته ، والإخلاص في عبادته، فاتقوا الله وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة، فإنكم للعبادة خلقتم، وبها أمرتم، فالحق تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويقول في حديثه القدسي: «**يا عبادي إني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم لأمر عجزت عنه، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً وتذكروني كثيراً وتسبحوني بكرة وأصيلاً**»، ولما للصلاة في الإسلام من منزلة لا تعدلها منزلة جعلها الله تعالى على رأس سائر العبادات التي شرعها لعباده، وجعلها سكينة النفس وطهارة الروح، فهي الصلة الحقيقية بين العبد وبين ربه، وهي معراج النفوس إلى الله، ومظهر الذل والخضوع بين يديه سبحانه وتعالى، وللصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي الحديث الذي رواه الطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ يقول النبي ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»، وهي أول ما أوجبه الله من العبادات، تولى إيجابها بمخاطبة رسول الله ﷺ من غير وساطة ومن فوق سبع سماوات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، ففي الحديث الذي رواه

الطبراني يقول النبي ﷺ: «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»، وهي واجبة على المسلم ما دامت روحه في جسده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

إخوة الإســــلام والإيمان:

لقد عُني الإسلام بالصلاة عناية كبرى لما تضمنته من الأسرار النفسية والحكم الخلقية والفوائد الاجتماعية التي لا تعد ولا تحصى، والتي يكسبها المسلم من أداء الصلوات الخمس كل يوم، يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأحمد: «**إذا قام أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه**»، والمناجاة هي مخاطبة الله تعالى مباشرة، فهي تشعر الإنسان بوجود الله وجوداً حقيقياً، وأنه قريب منه يسمع دعاءه ويلبي نداءه ويستجيب له، وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولأن استعاذني لأعيذنه**».

واعلموا يا عباد الله أن المحافظة على الصلوات الخمس وأدائها في جماعة في بيت من بيوت الله تعالى تجعل المسلم دائم الاتصال بربه، وترفع درجاته في الملأ الأعلى، وتحط عنه سيئاته وخطاياه، ويكون من أهل الجنة، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**».

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**». إنها ركن الإسلام الأهم، ومظهره الأتم، ودليل سلوك المرء في دينه واستقامته في دنياه، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩-١١].

وإذا كان الاهتمام بالصلوات الخمس والمحافظة عليها يجعل المسلم من أهل الجنة فتقوى عزيمته وتشتد إرادته ويمضي إلى غايته دون تردد أو ضعف مهما اعترضته المصاعب والعقبات، فالصلاة بعمومها نور وبرهان ونجاة كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وأمَّا عن صلاة الجمعة فهي الميزان الدقيق لتذكير المسلمين بدينهم الذي جاء بهذه العبادة السامية التي اختصهم الله بها دون سائر الأمم، فيوم الجمعة هو سيد الأيام وأعظمها، اختصه الله بخصائص كثيرة لا توجد في غيره من الأيام، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**نحن الآخرون الأولون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد**»، وقد أوجب الله تعالى على المسلمين صلاة الجمعة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. ويقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد وابن ماجه: «**إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، وفيه خمس خلال: فيه خلق آدم وفيه أهبط الله آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبدُ شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة**»، فهو أفضل الأيام عدا يوم عرفة باتفاق أهل العلم.

ولا ريب أن تجمع المسلمين لصلاة الجمعة بهذه الصورة البديعة وبهذا المشهد الرائع إنما هو بمثابة إعلان عام ومظهر فريد لوحدة المسلمين وقوتهم وتجمعهم تحت هدف واحد وقلب واحد أمام أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر، وهذا لا شك من الفوائد العظيمة والأهداف السامية لصلاة الجمعة.

ولقد ثبتت فرضية صلاة الجمعة بالكتاب والسنة، وحذر النبي ﷺ من التهاون بها فقال: «**من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه**» أي أبعده عن رحمته، والحديث رواه الأربعة. وقال فيما رواه مسلم: «**لينتهين أقوام عن تركهم**

الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين».

ومن آداب صلاة الجمعة تأكيداً الاغتسال له لقول النبي ﷺ: «**غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم**»، والطيب كذلك.

وعلى المسلم أن يأتي إلى صلاة الجمعة بسكينة ووقار، ويتلو ما يتيسر له من القرآن ولا سيما سورة الكهف، لقول النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**» أخرجه البيهقي. ويُستحب الدعاء وكثرة الصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة ويومها، فلقد روى البخاري ومسلم عن أوس بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرِمْت** -أي بليت- **فقال: إن الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

إخوة الإسـلام والإيمان:

ومن السنة التبكير إلى المسجد يوم الجمعة، وينبغي أن يتقدم المسلم في المكان كما تقدم في الزمان، فقد يأتي بعض المحسنين من المحبين للخير يأتون مبكرين لكنهم يجلسون في مؤخرة المسجد ويصلون في آخر الصفوف، وهذا خلاف للسنة، فمن السنة أن يتقدموا ويكملوا الصف الأول فالأول، فقد قال الصادق المصدوق: «**تقدموا وائتموا بي، وليأتمَّ بكم من وراءكم، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**» والحديث رواه مسلم. وعند البخاري: «**إذا كان يوم الجمعة كان على أبواب المساجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجلسوا يستمعون الذكر**».

فينبغي للمسلم أن يخرج من بيته مبكراً ناوياً زيارة مولاه في بيته ليحوز ثواب الخطى في ذهابه ورجوعه، ويأخذ مكانه في الصف حافظاً أعضاءه من اللغو واللهو، وحافظاً قلبه من الاشتغال بدنياه، ولا يؤذي المسلمين بتخطي رقابهم.

فاتقوا الله عباد الله وعليكم بملازمة الأعمال الصالحة، واحرصوا على إقامة الجمعة والجماعة، وأخلصوا لله في العبادة والطاعة، وأكثروا في هذا اليوم العظيم

من الصلاة والتسليم على نبيكم الكريم، لتكونوا من الفائزين.

وفقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



دقة التخطيط وحكمة التنظيم
في مراسم الهجرة المباركة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المؤمنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، الرحمة المهداة والنعمة المجزاة والسراج المنير الذي أرسله الله تعالى للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

أيها الإخوة الكرام:

تحدثنا في خُطُب عن هجرة الحبيب المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة فراراً بدعوته بعد أن أجمعت قريش على قتله ﷺ، وبعد أن ظل ثلاثة عشر عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام والأوثان، لقي خلال هذه الأعوام هو وأصحابه الكرام من العنت والتكذيب والحصار الشديد ما يتجاوز الاحتمال، حتى أجبروا على أكل ورق الشجر، وضربوا المثل الأعلى الصبر والثبات على المبدأ من أجل نشر الحق، وإعلاء كلمة دين الله في الأرض واليوم بمشيئة الله تعالى نقف وقفة مع جانب من جوانب تلك الهجرة المباركة لنرى دقة التخطيط وحكمة التنظيم من رسول الله ﷺ في مراسم تلك الهجرة العظيمة، التي كانت فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، فبالهجرة تكونت الدولة المؤمنة المجاهدة التي استطاع رجالها أن يعودوا بعد ثماني سنوات إلى مكة فاتحين، بعد أن خرجوا منها مضطهدين متسللين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

إخـــوة الإيمان:

لقد كان مما ذكرناه أن قريشاً لما رأت موكب الهجرة المتتابع بأصحاب النبي ﷺ أدركت أن رسول الله ﷺ لاحق بأصحابه لا محالة، إن لم يكن اليوم فغداً،

فاجتمعوا في دار الندوة وأصدروا القرار النهائي للتخلص من رأس الأمر وصاحب الدعوة وهو الرسول ﷺ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا القرآن الأثيم والمكر المبين من هؤلاء الفجار وذلك في قول الله تعالى لنبيه ومصطفاه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وكان ولا بد من مواجهة هذا المكر وهذا الكيد بكيد أعلى منه يمحقه محقاً، فجاء الأمر الإلهي بالهجرة للنبي ﷺ في أدق وقت وأذن الله له بالخروج من مكة إلى دار هجرته المباركة ويبدأ النبي ﷺ يتخذ الأسباب ويخطط وينظم الأمور لهجرته خير تنظيم، ضارباً بذلك المثل الأعلى لرجل الدين والدولة والقيادة والدعوة، وأول ما نلحظه هنا من جانب النبي ﷺ في الأخذ بالأسباب والتخطيط السليم هو أن قرار الهجرة اتخذ من جانب الرسول في سرية بالغة، وتكتم شديد وحذر تام، إذ لم يُعْلِم الرسول ﷺ بهذا الأمر الخطير إلَّا أبا بكر والأشخاص الذين تربطهم صلات وأعمال بالهجرة حسب الخطة، ولزمت السرية التامة كل أحداث الهجرة، فالرسول يخرج من بيته في وقت غير مألوف، ويسلك طريقاً غير مألوفة، ويخدع من يحاصرون داره، فيأمر علياً أن ينام على فراشه ويتسجى ببردته الحضرمية المعروفة، ثم يتجه إلى دار أبي بكر ويخرجان من خوخة في ظهر الدار، ويختار غار ثور جهة اليمن بينما الوجهة المدينة، ويتولى عبد الله بن أبي بكر الصديق مهمة تتبع الأخبار بمكة، فهو يستمع لما يقوله الناس وفي المساء يبلغ النبي ﷺ بما يدور في مكة وما تتجه إليه قريش في مخططاتها تجاه هجرة الرسول ﷺ، وأما عامر بن هبيرة مولى أبي بكر وراعي غنمه فإنه يروح بالأغنام على الغار للاستفادة من لبنها ولحمها فعليه بذلك مهمة التموين، ثم مهمة أخرى لهم وهي مهمة التمويه بأغنامه على آثار أقدام عبد الله وأسماء حتى لا تظهر ويتبعهم من يتعقبون الأثر، وأما أسماء بنت أبي بكر فكانت تقوم بإعداد الطعام للرسول ﷺ وصاحبه في الغار، وهو دور عظيم يعبر عن مشاركة المرأة المسلمة في أعباء تلك الرسالة العظيمة، وهكذا وزع الرسول ﷺ المسؤولية بهذه الدقة، ووضع كل شخص في مكانه المناسب ليؤدي مهمته في احتياط وحذر وتعقل،

وبذلك يتضح لنا إخوة الإسلام أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروساً دراسة دقيقة، بحيث لم يترك الرسول ﷺ ثغرة لعدوٍّ ينفذ منها، ولقد بلغ الاحتياط مداه في كل شيء، فالطريق التي سار فيها الركب لم تكن مألوفة، ثم الاستعانة بدليل خبير بالصحراء، وثم تدبير كل ما تحتاج إليه الرحلة تدبيراً محكماً قبلها، فهل قصَّر الرسول ﷺ في أمر من الأمور وترك شيئاً غير مدروس؟ لا، إنه أخذ بكافة الاستعدادات التي في استطاعته وقدرته، ثم اتجه إلى الله تعالى بعد هذا الإعداد بطلب الرعاية والإمداد وهو على ثقة عالية في الله وفي نصر الله، وقد تجلت هذه المعاني العظيمة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

إخــوة الإيمان:

إن هذه الهجرة تعلمنا أن صاحب العقيدة راحته الكبرى أن يجد الأمن والأمان لعقيدته، فوطنه ليس بلداً خاصاً أو بقعة معينة، ولكن حيث تعز عقيدته فهو الوطن والسكن والحمى والأهل، لأن الله عز وجل جعل العقيدة أرفع خصائص الإنسان، وبها استحق التكريم من رب العالمين، فأمرُ العقيدة عظيم لا يحتمل المساومة، وثمن الثبات عليها كبير لا يحتمله إلَّا الرجال، لأنها ترجح في نفس المؤمن على كل شيء، وهي أمانة لا يؤتمن عليها إلا من ضحى في سبيلها وهذا ما فهمه المهاجرون وبايعوا على أساسه رسول الله، فخرجوا مهاجرين تاركين ديارهم وأموالهم لا يتطلعون إلا إلى رضوان الله تعالى والدار الآخرة، وضربوا المثل الأعلى للتضحية بالغالي والنفيس من أجل هذا الدين في حياة نبيهم ﷺ وبعد وفاته ونورد هنا ولو نموذجاً واحداً من هذا الرعيل الذي رباه محمد ﷺ على العقيدة الصحيحة لنرى معاً كيف سادوا الدنيا، ونالوا احترام العالم بصدق إيمانهم وقوة عقيدتهم. روى الحافظ ابن عساكر في ترجمته أن عبد الله بن

خزامة السهمي أحد أصحاب النبي ﷺ أَسَرَتْهُ الروم فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال: لو أعطيتني جميع ما تملكه وما يملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت، فقال: إذن أقتلك، قال: أنت وذاك، قال -أي الراوي- فأمر به فصُلب، وأمر الرماة فرموه حتى سال الدَّمُ من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدر وفي رواية بكرة من نحاس فأحميت وجاؤوا بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى في القدر فبكى، فطمع فيه ودعاه فقال: إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذا القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تُعَذَّب هذا العذاب في الله، وفي رواية أنه سحبه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل فقال: أما أنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك فيّ، فقال الملك: فقبِّل رأسي وأنا أطلقك، قال: تطلق جميع أسرى المسلمين؟ فقال: نعم، فقبَّل رأسه فأطلق جميع أسرى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن خزامة، وأنا أبدأ فقام عمر فقبل رأسه رضي الله عنهما.

هذا هو رجل العقيدة والإيمان والمبدأ لم يقبل أن تكون عقيدته موضع مساومة، ليست صفة قابلة للأخذ والرد بل هي أغلى وأعز من كل هذا لذلك قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩].

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان وأن يتوفَّنا مؤمنين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

شكر الله سبحانه وتعالى

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأعزنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وأسبغ علينا نعمه ظاهره وباطنة وهو اللطيف الخبير. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له جعل الشكر على الجميل نعمة من نعمه العظيمة سواء كان قولاً باللسان أو عملاً بالجوارح والأركان أو نيَّةً بالقلب والضمير فهو العليم بذات الصدور. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خير من قام بما يقتضيه حق الشكر خير قيام، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسان. أما بعد:

عبـاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله وأطيعوه، وأخلصوا لله العبادة ووحدوه، واشكروه على نعمه التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، فهو سبحانه المنعم المتفضل عليكم بالنعم، وقد أمركم سبحانه بالشكر ووعدكم بالمزيد من الفضل فقال جل شأنه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. واعلموا رحمكم الله أن شكر الله تبارك وتعالى يتجلى في شهوده في نعمه ومعرفته في آلائه، كما يتجلى في حبه وحمده والثناء عليه، ولا يتحقق الشكر إلا إذا صرف المرء نعم الله فيما ينفعه وينفع غيره من الناس، وما أكثر نعم الله تبارك وتعالى على عباده، فالصحة والمال والجاه كلها نعم من الله، ولا تصان هذه النعم إلَّا بصرفها فيما ينفع دون أن يبدد الإنسان شيئاً منها فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه، وفضلاً عن ذلك فهو مسؤول عنها بين يدي الله يوم القيامة، والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[التكاثر: ٨]، والرسول ﷺ يقول: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع...**» وهذه النِّعم قليلٌ من كثير من نعم الله الكثيرة المستوجبة للشكر والجديرة بالثناء والحمد،

والتي منها على سبيل المثال نعمة الوجود والخلق، والإمداد بوسائل المعرفة من السمع والبصر والعقل والبيان، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، ومنها نعمة الغذاء التي بها قوام الإنسان، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٣٣-٣٥].

ويقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

ونعمة الماء والهواء والليل والنهار، كلها من جلائل نعم الله سبحانه، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

ولو ذهبنا إخوة الإسلام نتقصى نعم الله الظاهرة والباطنة لطال بنا الحديث، وإن العقل ليعجز عن وصف نعمة من نعم الله والإحاطة بها، فضلاً عن الإحاطة بأنعم الله وآلائه كلها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

وشكر الله أيها الأحبة في الله نوع من الاعتراف بالجميل، وأداء الحق لمستحقه، وهو أكبر الواجبات لأنه سبحانه وتعالى هو المختص بجلال النعم، وشكره عليها استدامة لها واستزادة منها، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

ولهذا كان الشكر دافعاً للبلاء، ومانعاً للعذاب، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٧]، والله غني عن الناس، فهو لا ينتفع بشكر من يشكر، ولا يُضِرُّه كُفْرُ من يكفر، وإنما تعود فائدة الشكر ومنفعته على الإنسان الشاكر، ولذا يقول الحق جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ويقول سبحانه في حديث قدسي رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلَّا كما ينقص المخيط إذا دخل اليم**»، فالله سبحانه هو الغني الحميد المحمود على كل حال في السَّراء والضراء، وإذا كان بعض الناس تطغيهم النعم فيغفلون عن شكرها وحمد الله عليها، فواجب المؤمن ألا يغيب عنه أداء الشكر لخالقه ورازقه والمنعم عليه، فمن أخلاق المؤمن دوام الشكر لربه، وقد علمنا القرآن الكريم ذلك حين ضرب لنا أمثلة متعددة للشاكرين والقانطين، منها ما أخبر به عن سيدنا سليمان عليه السلام حين وجد عرش بلقيس أمامه قبل أن يرتد إليه طرفه فقال عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. وأهل سبأ لما بَطَروا النعمة والعيش الرغيد والأماكن الآمنة مزَّقهم الله كلَّ ممزق وفرقهم في البلاد، وجعلهم آيات وعِبَراً، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وقد حظيت السنة بكثير من أمثلة الشكر، منها ما روي عن عطاء ﷺ أنه قال: «دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: أخبرينا عن عجيب ما رأيتِ من شأن رسول الله ﷺ، فقالت: وأي شأنه لم يكن عجباً؟ أتاني ليلةً فدخل معي في فراشي –أو قالت لحافي– حتى مسَّ جلدي جلده ثم قال: يا بنت أبي بكر، ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت: إني أحب قربك لكن أؤثر هواك ، فأذنت له، فقام إلى قربة فتوضأ، فلم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى نزلت دموعه على صدره،

ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع فبكى، فلم يزل كذلك يبكي حتى أذن بلال بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **أفلا أكون عبداً شكوراً**، ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله علي هذه الآية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩٠] وَيْلٌ لمن قرأها ولم يتدبرها».

وعنه أنه ﷺ قال: «**يُنادى يوم القيامة: لينعم الحامدون على كل حال، فتقوم زمرة وينصب لهم لواء فيدخلون الجنة، قيل: ومن الحامدون؟ قال: الذين يشكرون الله على كل حال**». وقال ابن مسعود ﷺ: الشكر نصف الإيمان.

واعلموا إخوة الإيمان أن الشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فشكر القلب هو قصد الخير وإضماره لكافة الخلق، وشكر اللسان هو إظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وشكر الجوارح استعمالها في طاعة الله تعالى والبعد عن الاستعانة بها على المعصية، وهكذا إذا استعمل المؤمن جوارحه فيما خلقت له كان ذلك شاكراً لله، والله تعالى يحب الشاكرين. ومن شكر الله تعالى شكر الناس، ولهذا يقول النبي ﷺ فيما رواه أحمد عن الأشعث بن قيس: «**إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس**»، وروي أن وفد قدم على عمر بن عبد العزيز فقام شاب يتكلم فقال عمر: كبِّر كبِّر، فقال الشاب: يا أمير المؤمنين لو كانت الأمور بالسن لكان في المسلمين من هو أسنّ منك، فقال: تكلم يا غلام، فقال: لسنا وفد رغبة ولا وفد رهبة، أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك، وأما الرهبة فأَمِنَّا منها بعدلك، وإنما نحن وفد شكر جئناك نشكرك باللسان. وانصرف.

إخـــوة الإيمان:

روى الترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله لا شاكراً ولا صابراً؛ من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً**». وعنه

أنه ﷺ قال: «**عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك**».

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من الحامدين الشاكرين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الأعمال التي ينتفع بها الميت

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدمت وأخرت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم البعث والنشور. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]. أما بعد أيها الكرام:

فالحق جل وعلا يقول في محكم القرآن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك: ١-٢] وهذه الآيات الكريمات تشير بوضوح إلى أن الله سبحانه وتعالى خلقنا من العدم، وأوجدنا في هذه الدنيا وأسبغ علينا من النعم، وجعل ذلك ابتلاءً واختباراً ليظهر المحسن في عمله فيجزى على إحسانه، ويظهر المسيء في عمله فيجزى على إساءته تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ [النجم: ٣١]. ومن ثَمّ فالدنيا ليست بدار متاع ولا بدار قرار إنما هي دار عمل وابتلاء واختبار، وإن بدا منها لبعض أهلها متاع فإنما هو كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آلأ عمران: ١٨٥] أي متاع عارض يغتر به المغترون ويتلهى به الغافلون، بينما الفطناء والعقلاء ليسوا كذلك، بل لسان حالهم يقول كما قال الرسول ﷺ: «**ما لي وللدنيا..**».

روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**نام رسول الله ﷺ على حصير فقام ﷺ وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، يعني فراشاً ليناً، تنام عليه؟ فقال ﷺ: ما لي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا إلا كراكب**

استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»، وهكذا حال الأنبياء والصالحين.

انظر يا أخ الإيمان إلى نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلقد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين حيث ساس له قيادة الإنس والجن والوحش والطير، وسخر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، ثم أعظم الله سبحانه عليه النعمة، وأجزل له المنة، فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [ص: ٣٩] فلم يعتبر ذلك سليمان عليه السلام نعمة يركن إليها، أو مرتبة يعتمد عليها، أو منزلة يطمئن بها على نفسه، بل خاف أن يكون ما وهبه الله له من النعم استدراجاً من حيث لا يعلم فقال: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [النمل: ٤٠]، فالأمر شيء عظيم لا يحتمله إلا المتقون، لذلك وضع الله الدنيا والآخرة أمام الناس في كفتين متقابلتين مبيناً حال كل منهما، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وأبان لهم ذلك أيضاً في مشهد آخر صور لهم فيه الدنيا والآخرة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

نعم والله يا عباد الله إن الآية تصور لنا مشهد الحياة الدنيا الذاهبة التي لا خلود فيها ولا بقاء، بل سرعة وزوال وفناء وترحال، فهي ما أن تحضر حتى تزول. ولله در من قال:

لا تركنن إلى الدنيـــا وما فيها فالموت لا شـــك يفنينا ويفنيها

واعمل لدار غد رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشـيها

قصـورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيهـا

ومن قال:

إنما الدنيـــــا كأحلام نائم ومــــا خير لا يكون بدائم

وتأمل إذا ما نلت الأمن لــذة وأفتيتهــا هل أنت إلا كحاكم

ولذلك ليست الحياة الدنيا ميزاناً يقدر به الناس مهما علا قدرهم فيها من جاه أو سلطان إنما الميزان الحقيقي هو القيم الباقية التي تستحق الاهتمام، والتي منها الباقيات الصالحات من الأقوال والأعمال والعبادات كالحج والصوم والصلاة والزكاة، وجميع أعمال الخير التي بها تُستجلب الحسنات وتُرفع الدرجات، ولهذا أرشدنا رسولنا ﷺ إلى باقيات خالدات يستمر أجرها وثوابها حتى بعد الممات، فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

وقال ﷺ فيما رواه البيهقي في شعب الإيمان: «**سبعة يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته**»، وهذا غيض من فيض ما أرشدنا إليه الحبيب المصطفى. فهذه الباقيات الصالحات نافعات لك يا عبد الله في دنياك وفي أخراك، أما في الدنيا فإن ثمار صلاحك سوف تجدها في إكرام الله لك وتيسير أمرك، فالجزاء من جنس العمل، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]، بل إن أثر صلاحك يمتد إلى أولادك من بعدك، وتأمل يا أخ الإسلام كيف أن الله سبحانه سخر موسى والخضر عليهما السلام في قرية بخيلة لإقامة جدار تحته كنز ليتيمين ليحفظه لهما، وإن ذلك كان بسبب صلاح والدهما، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢]. قال العلامة ابن كثير رحمه الله: فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته. وعند خروج العبد من الدنيا فإن الباقيات الصالحات هي التي تؤنس صاحبها في وحشته ووحدته وغربته وليس غيرها، يقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**إذا مات ابن آدم تبعه ثلاث: أهله**

وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»، وكأنه يقال له بلسان الحال: رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك وللحساب عرضوك ولو بقول معك ما نفعوك. يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤].

انظروا إخوة الإسلام إلى هارون الرشيد عندما حضرته الوفاة قال لإخوانه من حوله: أريد أن أرى قبري، فحملوه إلى فبره فنظرها دون إلى القبر: ويلي، ثم التفت إلى الناس من حوله وقال: ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه. ثم رفع رأسه إلى السماء وقد استغرق في البكاء وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه. وحسبنا في هذا المقام يا إخوة الإسلام ما روي عن قيس ﷺ حيث قال: قلت: يا رسول الله عظنا موعظةً ننتفع بها، فقال: «**يا قيس إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاباً، ولا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان يتيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، وتسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تستأنس إلا به، وإن كان موحشاً لم تستوحش إلا منه وهو عملك**».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا دائماً لعمل الخيرات في الحياة وقبل الممات، وأن يثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام، وأن يمن علينا جميعاً بحسن الختام، وأن يخرجنا جميعاً من دار الفناء إلى دار العز والبقاء بسلام وأمان ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

حُسن الظن بالله سبحانه وتعالى

الحمد لله الذي أمر عباده المؤمنين بكثرة ذكره وتسبيحه، وحثهم على شكره وحسن الظن به، ونهاهم عن الغفلة لأن عاقبتها ندم وحسرة، ففي الحديث: «**ما من ساعة تمر على ابن آدم لم يذكر الله فيها إلا ندم عليها يوم القيامة**»، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يذكر من ذكره، ويزيد من شكره، فهو القائل عز من قائل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل الذاكرين وأخلص الموحدين لله رب العالمين، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] أمَّا بعد:

عبـاد الله:

يقول الله جلَّ وعلا في كتابه الكريم آمراً عباده المؤمنين بكثرة ذكره وتسبيحه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وللذكر أيها الأحبة في الله آثاراً إيمانية كريمة يطول شرحها، وأحوالاً زكية لا يمكن استقصاؤها، وفوائد دنيوية وأخروية لا يقدر قدرها، ولقد ذكر العلامة ابن القيم مئة فائدة للذكر، وهذا غيض من فيض مما جاء في سنة النبي ﷺ حول الذكر وفضله، ومنها على سبيل المثال قوله فيما رواه البخاري ومسلم: «**من قال لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم وليلة مئة مرة كانت له عدل عتق عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد**

بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، ومن قال سبحان الله وبحمده مئة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مذل زبد البحر». والحديث متفق عليه.

وفي هذه الآية التي ذكرناها آنفاً يأمر الله عباده المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً، ويسبحوه بكرةً وأصيلاً، ليفوزوا برحمته، ويغتنموا فضله، ويتجنبوا غضبه، وإنه لشرف عظيم للمؤمنين ونعمة كبيرة على العباد الذاكرين أن يذكرهم الله بالخير في الملأ الأعلى، ويصلي عليهم وملائكته ليخرجهم من ظلمات الشرك والضلال والجهل إلى نور الإيمان والعلم والعمل الصالح، وإلى حسن الظن به والقرب منه، لا سيما والله جل وعلا يحثنا على ذلك في أحاديث قدسية عظيمة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله سبحانه وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**». قال ابن القيم رحمه الله تعالى: لو لم يكن في الذِّكْر إلَّا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وتشريفاً. وحسبنا قول القائل حول معنى هذا الحديث العظيم:

إني مع العبد الذي هو ذاكري ... وتحركت بي مخلصاً شفتاه

إني أقدس من يقدسني ... ومن يرعى عهودي دائماً أرعاه

وإذا أتى يمشي إليّ فإنني ... آتي إليه مهرولاً ألقاه

لا عز إلا للمطيع، ومن عصى ... في هوة الإذلال ما أرداه

وهذا الحديث أيها الإخوة الكرام من أحاديث الرجاء العظيمة التي تحثُّ المسلم على حسن الظن بالله تعالى والإكثار من ذكره، ويبين لنا الحديث مدى قرب الله من عبده إذا تقرب إليه العبد بأنواع الطاعات، وأن الله تعالى يعامل العبد على حسن ظنه به، ويفعل به ما يتوقعه منه، ولذلك جاء في بعض طرق هذا الحديث: «**أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»، وما أجمل قول القائل:

وإني لأرجو الله حتى كأنني ... أرى بجميل الظن ما الله صانع

إخوة الإسـلام والإيمان:

لقد دخل النبي ﷺ على رجل وهو في النزع الأخير فقال: «**كيف تجدك؟ فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي، فقال** ﷺ: **ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا، وأمّنه مما يخاف**» رواه الترمذي وغيره، وقال النووي إسناده جيد.

ويدخل في الذِّكر كل قول فيه قربة إلى الله كالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وقراءة القرآن داخل الصلاة وخارجها والاستغفار ودراسة العلوم الشرعية والأحاديث النبوية، فما شرعت الشرائع إلا لإقامة ذكر الله عز وجل؛ ولهذا علَّق الله الفلاح بالإكثار منه فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وأخبر بخسران من لها عنه فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]. وأخبر سبحانه أن الذِّكْر أكبرُ من كل شيء فقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ولا عجب فهو المقصود بالطاعات كلها، ولذلك ختم الله به صيام رمضان فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وختم به الصلاة فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة : ٢٠٠] وبدأ به صلاة الجمعة وختمها به فقال سبحانه: { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الجمعة: ٩]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقرن به الجهاد وحث عليه عند ملاقاة الأعداء ومكافحتهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] أي وأحسنوا الظن بربكم وكونوا على يقين من نصر الله لكم، فهو القائل سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، و: ﴿وَٱلَّذِينَ

﴿ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٨]. روى الطبراني عن ابن مسعود ﷺ قال: «**والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه وذلك أن الخير في يده**».

فما أعظم حسن الظن بالله يا عباد الله، والإكثار من ذكره وتسبيحه، لا سيما وأن الله يباهي بالذاكرين ملائكته، ففي صحيح مسلم من حديث معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: آلله ما أجلسكم غير ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما أني لم أستحلفكم تهمةً لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**». وفي الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ لله ملائكةً يطوفون في الطرقات يتلمسون أهل الذِّكْر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله قالوا: هلمُّوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأكثر تحميداً وتمجيداً وتسبيحاً، قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد حرصاً عليها وأشد طلباً لها وأشد رغبةً فيها، قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، قال: وهل رأوها؟ قالوا: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة، قال: أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى جليسهم**». ولذا فإن الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا شغله شيء عن ذكر الله أشفق على دينه وفتش في إيمانه، وشق ذلك عليه. روى مسلم عن حنظلة بن الربيع الأسدي قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والأهل، ونسينا كثيراً، قال أبو

بكر: أنا ألقى مثل ذلك، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك وتذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والأهل ونسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي من الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة**».

فاللَّهُمَّ ألهمنا ما ألهمت به عبادك الصالحين، وأيقظنا من رقدة الغافلين، واجعلنا لك دائماً ذاكرين، ولنعمك شاكرين، وبقضائك راضين، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

ولذلك حث النبي ﷺ على الجلوس في مجالس الذكر وشبهها برياض الجنة، فقال فيما رواه الترمذي عن أنس: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلق الذكر**»، وقال ﷺ فيما رواه أبو داود: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون فيه إلَّا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة**».

فاتقوا الله إخوة الإيمان، وأكثروا من ذكر الله وإدامة الجلوس مع الذاكرين لتنالوا محبة رب العالمين، فالحق تبارك وتعالى يقول لنبيه الكريم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أسأل الله العلي الكريم أن يسدد أقوالنا وأفعالنا، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين. بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وغفر لي ولكم ولسائر المسلمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الطلاق وأثره

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرُّوم: ٢١] وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، أرشدنا إلى الخير والسعادة بالآيات والبينات، وأبان لنا الحقوق والواجبات، لكل من الأزواج والزوجات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة التقاة والعدول الثقات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض على رب الأرض والسماوات، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النِّسَاء: ١]، واذكروا وقوفكم بين يديه عزَّ وجَلّ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

إخوة الإسلام والإيمان:

إن المتأمل في تعاليم الدين الإسلامي العظيم يرى بوضوح أنه عني بالأسرة عناية عظيمة، ووضع لها في ميزانه أسساً ونظماً كريمة، جاء بها القرآن وفصلتها سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا لأن الإسلام يرى أن الأسرة هي قوام الأمة، وأساس بنائها، ومن ثم شرع الإسلام الزواج وحث عليه ليتم به دوام النسل وحفظ النوع على أسس وضوابط حددها الشرع، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر قول الله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴾ [النِّسَاء: ٣٤]، فلقد وضع

الإسلام للأسرة من النظم ما به تكون الحياة الهادئة المستمرة التي يرفرف عليها الحب، ويظللها الوئام إذا فهم كل من الزوجين ما له وما عليه، وحلق في إطار مملكته التي حددها له الشارع الحكيم، وبين وأكد من خلالها أن الرجل قوام على المرأة وله عليها مزية، حيث تبعته أكبر، وحمله أشد بحكم تكوينه الطبيعي ومقدرته الكد والسعي، ورجاحة عقله وكمال دينه وسخاء يده، وفي هذا يقول الحق جلا وعلا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النِّسَاء: ٣٤]، وعلى أساس ذلك فإن راقبت المرأة ربها، ووفت بحق زوجها، وصبرت معه، وأطاعته في غير معصية الله كان لها على ذلك من الله عز وجل الجزاء الأوفى، فلقد روى الإمام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئتِ**».

هذا والقرآن الكريم يأمر الرجال بحسن معاشرة النِّسَاء والصبر عليهن، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النِّسَاء: ١٩]، وبذلك يأمر الرسول ﷺ أيضاً فيقول فيما رواه مسلم: «**لا يفرك مؤمن مؤمنةً، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**»، ولقد بين النبي عليه الصلاة والسلام أن حسن معاشرة الزوجة واللطف مع الأهل من كمال الإيمان، فيقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وألطفهم بأهله**».

ولا شك أيها الأحبّة أن حسن المعاشرة والوفاق بين الزوجين والاستقرار الأسري ينشئ أبناءً مستقيمي الفهم، معتدلي المزاج، وأن التعاون بين الزوج والزوجة لمجابهة مصاعب الحياة يربي أفراد الأسرة على التعاون داخلها، ومعاونة الناس خارجها، وحل المشكلات الطارئة على البيت بصورة هادئة وعاقلة وبنَّاءة وإيجابية يعمل على تخريج الأفراد من هذا البيت ينفعون ولا يضرون، يبنون ولا يهدمون، وهم من الضياع والانحراف آمنون، أما إذا دَبَّ الخلاف والشقاق بين

الزوجين فهو خطر عظيم، وأمر جلل، لأنه ينعكس سلباً على أفراد الأسرة والمجتمع، خاصة إذا وصل الأمر إلى طلب الطلاق، والطلاق تهلكة، وهو أبغض الحلال عند الله تعالى، وهو الدواء المر الذي لا يجوز أن يؤخذ به إلَّا بعد استنفاذ كل السبل التي تصلح بين الزوجين، والتي قدرها القرآن الكريم والشرع الحنيف كقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٢٨]، وكقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٣٥].

أيها الإخـــوة:

إن التعجُّل في أمر الطلاق من أسباب الفتن وتفكك الأسر، وتشتت الأهل والأولاد، وهو الظلم بعينه، والجهل بدين الله عزَّ وجَلّ، وهو نفور من مواطن الألفة والمودة والمحبة، ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود: «**ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق**» رواه أبو داود، ويخبر النبي ﷺ عن رجل تجاوز الحد في الطلاق فيقول فيما رواه ابن حبان: «**ما بال أحدكم يلعب بحدود الله يقول: قد طلقت، قد راجعت**».

ويحذر المرأة من طلب الطلاق في غير ما بأس، فيقول ﷺ: «**أيّما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»، رواه أبو داود، وفي الصحيحين: «**أيما امرأة دعاها زوجها إلى فراشه فأبت باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح**»، وكثيراً ما يحدث ذلك بسبب وساوس الشيطان وضعف الإيمان، والجهل بتعاليم الإسلام، وفي هذا المقام ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: «**إنَّ إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منهم منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت**»، لماذا؟ لأنه شتت أسرة بكاملها، وقد ينحرف الأبناء ويضيعون، فالطلاق أثره عظيم، ووباله وخيم على الفرد والأسرة والمجتمع،

فاتَّقِ الله أيتها الزوجة، ولا تطالبي زوجك بالطلاق، فإنه الضياع، واصبري تؤجري، واتقِ الله أيها الزوج ولا تتسرع في النطق بالطلاق، فإنه الخسران، واسمع نصائح الدين والإيمان، وتأمل قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»، ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تكونوا أعوان الشيطان على تدمير أسركم ومجتمعكم، بل كونوا عباد الله إخواناً فيما بينكم ييسر الله أمركم، ويصلح أحوالكم، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

وفَّقنا الله تعالى لمراضيه، وجنبنا مناهيه، وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

«الدّين المعــاملة»

الحمد لله الذي حثَّنا على مكارم الأخلاق، ووجهنا إلى أن نعامل الناس بالإحسان والعفو والحلم، وأن تكون علاقتنا بهم علاقة رحمة ومحبة ومودة، متمثلين قوله سبحانه وتعالى لنبيه ومُصْطفاه: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شرع لعباده من المعاملات والنظم ما يكفل لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة، حيث ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، والهادي إلى صراط الله المستقيم، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبــاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه أن من أهم الأسس التي يربي الإسلام عليها أبناءه لترويضهم على ضبط أنفسهم، وتدريبهم على قيادتها، والإمساك بزمامها وكبح عواطفها وكفكفة انفعالاتها لا سيما عند الغضب واللجاجة والخصومة، إذ يرسم الإسلام أقوم علاج للنفس نحو هذا كله، وذلك بتوجيه المسلم إلى الإحسان في مقابلة الإساءة، وإلى العفو في مقابلة المظلمة، وإلى الوصل في مقابلة القطيعة، مرغباً في ذلك بما هو أسمى وأعظم عند الله سبحانه من الدنيا وما فيها، وفي هذا يقول الحق سبحانه:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٣-١٣٤]. ومن ثَمَّ فإن هذه الأسس التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها وأمر بالمسارعة إليها من فضائل المعاملات

التي تشد العلائق بعد تفكك، وتعيد الصلات بعد تمزق، وتبين معدن صاحبها، فإذا هو في نظر خصمه القمة التي يتمنى أن يربو إليها، ويأمل أن يعيش في فلكها، وفي رفقتها ليكون من المحسنين، وليحظى بمحبة الله رب العالمين.

ولقد أرسى الإسلام دعائم هذا النهج الحكيم في ميدان التعامل مع الناس في آيات بينات من كتاب رب العالمين منها قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فُصِّلت: ٣٤]. وهذه الآية العظيمة يا أخ الإيمان تعني أن من أساء إليك بسوء معاملته لك تدفعه عن نفسك بحسن معاملتك له، وفي هذا يقول عمر ﷺ: إنك ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، لأنك إذا قابلت الإساءة بالإحسان، وأحسنت إلى من أساء إليك قاده الإحسان إلى معافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كما قال الله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ يعني كأنه قريب إليك من الشفقة عليك، وهذا الخلق العظيم الذي دعا إليه القرآن الكريم وحث من خلاله المسلم على حسن المعاملة مع الآخرين، ومقابلة الإساءة بالإحسان أدعى لصفاء القلب، وذهاب الحقد، وجلب المحبة، ودفع المضرة.

فإحسان المسلم إلى أخيه المسلم في معاملته أصلٌ ثابت أمرنا به ديننا الحنيف، وكذلك نصرته له في مظلمته، وإعانته له عند الحاجة ومحبته له كل ذلك مما حث عليه الدين، فالدين المعاملة هو المعنى الشامل لكل ما جاء به الإسلام من معاملات يضبط بها حركة المجتمع كله. انظر أخ الإسلام إلى قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فمن يقرأ هذه الآية بتدبر يتبين له أنه أمام منهج رباني خالد، يبين الله تعالى من خلاله للمؤمنين أنهم لا يبلغون منزلة الصالحين في الجنة بطول صلاة وكثرة صيام وأذكار فقط بل إن الذين

يبلغون منازل العلا من أهل الدرجات هم أولئك الذين حسنت أخلاقهم ومعاملتهم مع العباد، فيلقون الله عز وجل بأطيب سيرة في الناس، فإن أساؤوا معاملة الناس فقد أضاعوا على أنفسهم الخير الكثير، وخسروا ما قدموا لأنفسهم من قبل، فصاروا من المفلسين وهم في ساعة العرض على الله رب العالمين، ومن الشواهد قول الرسول ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» رواه مسلم في صحيحه.

ومن هنا علينا أن ندرك أن الجنة ليست بالآمال، وإنما هي بالأعمال، وأفضلها حسن المعاملة مع الناس، فقد ذُكر للنبي ﷺ امرأة تصوم النهار فلا تفطر وتقوم الليل فلا تنام ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «**هي في النار**» رواه أحمد. ومعنى ذلك أن منازل الأبرار في الآخرة للذين أحسنوا المعاملة، وليس هذا تقليل من شأن الصلاة والصيام والذكر والطاعة والتهجد، ولكن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلَّا بعداً، وقال النبي ﷺ: «**من كان ليناً هيناً سهلاً حرمه الله على النار**» رواه البيهقي. وصح عنه أنه ﷺ قال: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطَّئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون**».

ولذلك جاءت توجيهات الله تعالى لنبيه ﷺ في القرآن الكريم بأن يكون سمحاً كريماً آخذاً بالمعروف متصفاً بالعفو متجاوزاً عن إساءة الجاهلين، حيث قال الله عزَّ وجَلَّ له: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ولَمَّا نزلت عليه هذه الآية الكريمة سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها، فقال: حتى أسأل العالم، ثم أتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك بأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. فجمعت هذه الآية جل مكارم الأخلاق. وبهذا الأدب الإلهي العالي ألف الرسول ﷺ حول دعوته القلوب، وجعل أصحابه يفدونها بأعز ما يملكون، وذلك لحسن خلقه وعظم حلمه وكمال

إحسانه وعفوه، فكثيراً ما كان يستغضب ﷺ فما يجاوز حدود التكرم بالعفو عمن استغضبه، إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله تعالى، وسيرته ﷺ تفيض إشـراقاً بمواقف العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان والإكرام، ومن الشواهد في هذا المقام ما رواه البزار وغيره أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب شيئاً فأعطاه ثم قال له: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: لا أحسنت ولا أجملت، فغضب المسلمون وأرادوا أن يهموا به، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئاً، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبي: إنك قلت ما قلت ، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم ، فقال: نعم، فلما كان الغد جاء فقال النبي لأصحابه: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال رسول الله ﷺ: إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل له ناقة شـردت عليه، فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها فقال لهم: خلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحله واستوى عليها، ولو أني تركتم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار. وبهذا العفو والكرم والعطاء استطاع الرسول ﷺ أن يرضي الأعرابي ويسمع أصحابه منه الثناء، ويُرسي دعائم العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان وحسن المعاملة في نفوس أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

فلنتَّقِ الله إخوة الإسلام، ولنتعامل بخلق الدين والإيمان، ونعفو ونصفح فيما بيننا، وليقابل كل منا إساءة أخيه بالإحسان إليه، والعفو عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً طاعةً لربنا، وتأسياً برسولنا ﷺ، فالله عز وجل يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، والنبي ﷺ يقول فيما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: **«ألا أنبئكم بما يشـرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله،**

قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك».

نسأل الله أن يجنبنا مناهيه، وأن يوفقنا لمراضيه، وأن يجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين ، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول لنبيه الكريم: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩] فنسأل الله جلَّ وعَلَا أن يجعلنا بهدي نبينا مهتدين، وبسنته مستمسكين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



تقوى الله وحُسْن الخلق

الحمد لله الذي أمر عباده باتباع الفضائل، واجتناب الرذائل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حث على التخلق بالأخلاق الحسنة الجميلة، ونهى عن الأخلاق السيئة الذميمة، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أدبه ربه فأحسن تأديبه، وهذبه فأكمل تهذيبه، وأثنى عليه في كتابه الكريم، فقال عزَّ من قائل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تأدب بأدبهم، وتخلق بأخلاقهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والتأسي بمكارم أخلاق رسول الله ﷺ، لأن مكارم الأخلاق هي عنوان الإسلام، ومظهر الإيمان، ودليل الإحسان، وبمكارم الأخلاق تسمو الأمم، وترتفع مكانتها، وتزدهر حضارتها، ولا ريب أن التأسِّي بأخلاق رسول الله ﷺ شرف لا يطاوله شرف، فقد كان ﷺ خلقه القرآن، وبلغ ﷺ من كمال الأخلاق وجمال الخلقة قدراً يصعب وصفه، ويتعذر بيانه، مما جعل حسان بن ثابت رضي الله عنه في نعته له ﷺ يقول:

وأجمل منك لم تر قـــطّ عيني ... وأكمل منـــك لم تلد النِّسَـــاء

خلقت مـــبرّأً من كلِّ عيب ... كأنك قـــد خلقت كما تشـــاء

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه في جمال خلقته ﷺ وكمال خلقه: «**ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحةً قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لي في شيء فعلتُه لم فعلتَه؟ ولا لشيء تركتُه لم تركتَه؟**» وفي ذلك من البيان ما يدل على سمو مكارمه وحسن خلقه ﷺ.

ولقد كان دائماً حسن الخلق هو هدف الرسالة النبوية الكريمة، وأساس الدعوة الإسلامية الرحيمة، وهو عدة الفلاح والنجاح في كل شيء، وفي كل شأن من شؤون الحياة.

ولا عجب في ذلك فإن الإنسان إذا تخلق بالأخلاق الفاضلة أمكنه أن يقود النفوس الجامحة ويسترق القلوب النافرة، ويهذب الطباع القاسية، وبذلك يعم السلام، ويسود الوئام، وتتقدم الأمة إلى الأمام. ولذلك كان من أهم ما عُني به النبي عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الإسلام هو حسن الخلق، وهذا ما عبر عنه ﷺ بقوله فيما رواه البيهقي في السنن الكبرى: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، ولما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**». ولقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى حسن الخلق بقوله وفعله، وضرب لنا المثل الأعلى على ذلك لما يترتب عليه من ارتباط القلوب وائتلاف النفوس، والتعاون على فعل الخيرات بين الأفراد والجماعات، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم إنما تسعوهم بأخلاقكم**».

أمَّا إذا شاعت في أية أمة الأخلاقُ الذميمة، والعادات القبيحة، كان ذلك إيذاناً بتفكك وحدتها، وذهاب عزتها، وزوال قوتها، بل تصبح عِبْرَةً في الوجود، يتحكم فيها عدوُّها على حساب دينها وعزها، وقد يسومها من الله خسف أو بلاء فتتعرض للدمار أو الفناء، ولذلك قال القائل:

وإذا أصيب القـوم في أخلاقهم ... فأقم عليهـــم مأتماً وعويـــلا

وقال الشاعر:

إنما الأخـلاق الأمم ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]. ومن ثَمَّ فكرامة الأمة ورقيها وحضارتها وأمنها وسلامها ليس ذلك كله إلا في اتباع الأخلاق الكريمة، والآداب القويمة التي جاء بها دين الإسلام، ودعا إليها رسوله ﷺ ، فهو الذي

يقول فيه مولاه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وبهذه الرحمة المهداة والخلق الحسن ألّف الرسول ﷺ حول دعوته القلوب، وجعل أصحابه يفدونها بأرواحهم وبأعز ما يملكون، بخلقه الكريم، وبحلمه وعفوه، وكثيراً ما كان يستغضب غير أنه ما تجاوز حدود التكرم والإغضاء، لم ينتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله فيغضب لله تعالى، وسيرته ﷺ تفيض إشراقاً بمواقف العفو ومقابلة الإساءة بالكرم والإحسان، ومن الشواهد في هذا المقام ما رواه البزار وغيره أنّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب شيئاً فأعطاه ثم قال له: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: لا أحسنت ولا أجملت، فغضب المسلمون وأرادوا أن يهموا به، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئاً، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبي: إنك قلت ما قلت ، وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم ، فقال: نعم، فلما كان الغد جاء فقال النبي لأصحابه: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال رسول الله ﷺ: إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها فقال لهم: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحله واستوى عليها، ولو أني تركتم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار. وبهذا العفو والكرم والعطاء استطاع الرسول ﷺ أن يرضي الأعرابي ويسمع أصحابه منه الثناء، ويُرسي دعائم العفو ومقابلة الإساءة بالإحسان وحسن المعاملة في نفوس أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

إخوة الإســلام والإيمان:

حسن الخلق كلمة جامعة لكل معاني الخير والفضيلة والصفات الجميلة التي يحبها الله ورسوله، يقول في تفسيرها عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: حُسْنُ الخلق هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. ويقول علي ﷺ: يا عجباً

لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً، لقد كان له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاة.

فاتقوا الله إخوة الإسلام، وتحلوا بمكارم الأخلاق، وروضوا أنفسكم عليها، ففيها عزتكم في الدنيا، وسعادتكم في الآخرة، ولها يرجع ميزان العبد يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وبها ينال العبد شرف القرب من رسول الله ﷺ يوم القيامة. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون**».

فنسأل الله جلَّ وعَلَا أن يجعلنا بهدي رسول الله ﷺ مهتدين، وبأخلاقه مقتدين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

فضل ليلة القدر

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته، ورفع بعضهم فوق بعض درجات بحكمته، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له فاضل بين الشهور والأيام والليالي والساعات، واختص بعضها بالمزيد من الفضل على سائر الأوقات. وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله، شرَّفه ربه جَلَّ وعلا بكتابه الكريم، وأنزله عليه في ليلة مباركة اختصها بالمزيد من الذكر والفضل والشرف والتكريم، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين، ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢]. أما بعد:

إخـــوة الإيمان:

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن فاضل بين مخلوقاته بما في ذلك الإنسان والمكان والزمان، ففضل الرسل عليهم الصلاة والسلام على سائر البشر، ثم فضل بعضهم على بعض: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وفضَّل المساجد على سائر بقاع الأرض، ثم فضّل بعض المساجد على بعض، ففضّل المسجد الحرام ومسجد النبي عليه الصلاة والسلام والمسجد الأقصى على سائر المسجد، وفضّل الأشهر الحرم ورمضان على سائر شهور العام، وفضّل يوم الجمعة على سائر الأيام، وفضَّل ليلة القدر على سائر الليالي، وجعلها ليلةً فريدة على الدهر، خالدة الذكر، والحديث على هذه الليلة المباركة يشدنا إلى مكة المكرمة، يشدنا إلى الليل الخاشع الساكن في غار حراء، حيث كان يتحنَّث فيه الرسول ﷺ الليالي ذوات العدد الطوال قبل البعثة يستلهم ربه الرشد ويرجوه الهدى، إلى أن نزل عليه في هذا المكان الطيب الطاهر أمين السماء جبريل عليه السلام، في ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان،

يقول ربنا ذو الجلال والإكرام: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١-٥].

أيها الأحبَّة الكرام:

لقد نزل القرآن الكريم في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملةً واحدة، ثم ابتدأ نزوله كذلك في هذه الليلة المباركة على الرسول، ثم تتابع نزوله بعد ذلك منجماً ومفرقاً على حسب الظروف والأحوال، قال تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ومن فرط شعور النبي ﷺ بحلاوة القرآن كان يحرك به لسانه مستعجلاً قراءته حتى نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وكما تولى الله عز وجل بيانه لرسوله ﷺ تولى حفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

إخــوة الإيمان:

وهكذا إخوة الإيمان تنزل القرآن الكريم، أول ما تنزل على النبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء ، في ليلة عظيمة من ليالي شهر رمضان، وصفها الله تعالى بأنها ليلة مباركة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الدخان: ٣-٦].

وصفها الله بأنها ليلة عظيمة القدر والشرف، شرفها الله تعالى بنزول القرآن الكريم فيها، حيث قال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: ١]، قال الضحاك: لا يقضي الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسَّلامة، لذا حثَّ النبي ﷺ الأمة على قيام هذه الليلة المباركة، تخليداً لذكراها والتماساً لرحمة الله فيها، وبشر قوّامها بالمغفرة الشاملة، فقال فيما رواه البخاري وغيره : «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»، فمن شرف هذه الليالي العشر أن ليلة القدر التي هي في أوتارها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ومن ثَمّ

كان ﷺ حَفِيَّاً بمعرفتها وتحديدها لأمته حتى لا يفوتهم شرف قيامها ونوال ثوابها، فقد ثبت أنه ﷺ اعتكف العشر الأوائل يلتمسها ثم الأواسط، ثم ألهمه الله تعالى أنها في العشر الأواخر، فكان ﷺ يعتكفها حتى توفاه الله، روى ذلك البخاري ومسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تحروا ليلة القدر في الوتر من الشعر الأواخر من رمضان، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عما تدعو به إن أدركتها، فقال لها: «**قولي اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني**».
والمشهور أيها الأحبة أنها ليلة سبع وعشرين، وهذا ما عليه جمع كثير من الصحابة وغيرهم، فكان أبيّ بن كعب يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين، وقيل له: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ فقال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ: «**إن الشمس تطلع يومئذٍ لا شعاع لها**» رواه مسلم.

ولقد أخفى الله تعالى هذه الليلة في العشر الأواخر؛ لكي لا نتواكل ونترك قيام الليل، وننصرف إلى الانتظار لوقتها إذا كانت محددة في ليلة بعينها، فيفوتنا بذلك الثواب الجزيل، والخير الكثير كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وفي الحديث: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام**»، وإذا كانت ليلة القدر قد نالت هذا الشرف لنزول القرآن الكريم فيها، فكيف بمن تنزل القرآن لأجلهم، واحتوته صدورهم، وتخلقوا به في أقوالهم وأفعالهم وجعلوه دستوراً لهم في شؤون حياتهم ودينهم.

إن التاريخ يحدثنا أن أمة الإسلام عزت وانتصرت يوم اعتزت بالقرآن واتخذته إمامها ولاذت به، وحكمته فيما بينها، ففي عصر الخلفاء الراشدين وفي خلافة الأمويين، والعصر الذهبي من خلافة العباسيين، حين كان للقرآن الكريم في القلوب مكانة، وكان له في سلوك الناس وتصرفاتهم سلطانه، كانت الدولة الإسلامية عزيزة الأركان متينة البنيان، تخطب الدنيا ودها وترجو رغدها، وتخشى بأسها، وتأمل خيرها، ويوم أن نأت الأمة عن مصدر عزها، والتمست

الهدى في غير كتاب ربها، واستحدثت دساتير لها من صنع البشر، وتركت دستور رب القوى والقدر، وأوردها الله موارد الردى، وأحلها دار البوار، وصدق فيها قول نبيها ﷺ فيما رواه الترمذي حيث قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقالوا: أومن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليلقين في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**».

إخـــوة الإيمان:

إنَّ القرآن الكريم الذي صنع بالأمس الأبطال وربَّى الرجال وأقام حضارة ليهيب بنا ونحن في شهر القرآن أن نعود إليه، وأن ننهل من ورده، وأن نلتمس وسائل النصر في رياضه، فإنه صمام الأمان لنا، وللأجيال المتعاقبة من بعدنا. وإذا كان قد أتى على الأمة الإسلامية حينٌ من الدهر انحرفت فيه عن تعاليم قرآنها، وحل بها من الذل والانكسار ما حل بها، فإنها اليوم بعون الله تعالى قادرة على حسن توجيه سلوكها إذا ما عادت إلى الله، واصطلحت معه، وتمسكت بكتابه. وهي على يقين بأن بقاءها وقوتها وعزها ومجدها إنما هو في تمسكها بكتاب ربها واتباع هديه، فهو المنقذ من الحيرة، والمخرج من الضلالة، والهادي إلى الرشاد، وإلى طريق السعادة. فلقد روى البخاري ومسلم عن الحارث الأعور عن علي كرم الله وجهه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن اتبع الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه**».

فيا إخوة الإسلام:

اتقوا الله وعوِّدوا إلى القرآن في شهر القرآن، واسألوا الله تعالى القبول والتوبة

والغفران، وجدّوا في الطاعة، واجتهدوا في تحري هذه الليلة المباركة، فإن أيامكم هذه أيام خير وبركة، يقول النبي ﷺ: «**إن هذا الشهر قد جاءكم وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حُرم، ولا يُحرم خيرها إلّا محروم**».

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا في هذه الأيام الطيبة المباركة لصالح الأعمال، وأن يتقبل منا صيامنا وقيامنا، وأن يعتق رقابنا ورقاب أبنائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا من النار، وأن يجعلنا جميعاً من المقبولين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

إخــوة الإيمان:

وإذا كانت ليلة القدر هي الليلة التي شرفها الله تعالى بنزول القرآن الكريم فيها، ووعد قوّامها بالمغفرة الشاملة، فإن حقاً على المسلمين أن يغتنموا لحظاتها، وأن يتحروا ميقاتها، تأسياً بنبيهم الكريم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله**».

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا في هذه الأيام الطيبة المباركة لما يحبه ويرضى، وأن يجعلنا فيه من المقبولين. أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



عناية الإسلام بالصحة

الحمد لله الذي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وجعلنا من الراشدين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له خلق الإنسان في أحسن تقويم، واستخلفه في أرضه من بين العالمين، وأمدّ له في أثره بالذرية والبنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه جلَّ وعلا بالحكمة والموعظة الحسنة لخير أمة أخرجت للناس بخير دين، فكان من حكمته وتوجيهاته لأمته أن يعملوا جاهدين على أن يكونوا أصحاء الأجسام، أقوياء البنية، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث رواه مسلم: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن العبد ما أعطي بعد اليقين خيراً من عافيته**» أو كما قال ﷺ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

عبـــاد الله:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، فاتقوا الله حق التقوى، وتذكروا دائماً أن الأعمار تطوى، والآجال تفنى، وما عند الله خير وأبقى، ثم اعلموا رحمكم الله ووفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه أن أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان بعد الإيمان هي نعمة الصحة والعافية، والمؤمن إذا أعطي عقلاً سليماً في جسم سليم طابت حياته، وعاش سعيداً هنيئاً، وكان عضواً نافعاً لنفسه ولمجتمعه، محبوباً عند ربه، لا سيما إذا حافظ على نعمة الصحة والعافية بالبعد عن المعاصي وهو في زمن الشباب والقوة، واغتنم ذلك الزمن فيما يعود عليه بالنفع والخير في دنياه وأخراه، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس أولها شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**»، ولنا في سلفنا الصالح المثل الأعلى، ففي زمن التابعين رؤي رجل من

الأولين وهو في الثمانين يثب على الفرس في إحدى الغزوات بقوة ملفتة، فسئل عن سر ذلك فقال: أعضاؤنا حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله لنا في الكبر. وفي الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

وحرصاً من جانب الإسلام على المحافظة على صحة الأبدان وقوة الأجسام حرم الإسلام على المسلم كل ما يترتب على تناوله أو تعاطيه أو فعله إضرار بالجسم أو النفس أو العقل، ولذلك حرم المخدرات والمسكرات والمفترات بكل أنواعها، وقد حرص الإسلام على العلاج الوقائي تحسباً لعد إصابة الإنسان بالأمراض والأوجاع قبل وقوعها، فالوقاية خير من العلاج، ثم جاء الأمر الإلهي بتجنب الإسراف في الطعام والشراب لأن المعدة بيت الداء، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وأرشد الرسول ﷺ إلى التوسط في الطعام، وجمع الطب الوقائي لصحة الإنسان في كلمات يسيرة، حيث قال ﷺ فيما رواه الترمذي: «**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أُكيلاتٍ يُقِمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشاربه وثلث لنَفسه**» أو كما قال ﷺ ، وأمر ﷺ بالأخذ بالأسباب لتجنب الأمراض المعدية حفاظاً على الصحة، وحماية لها، ولو كان ذلك بالفرار، فقال فيما رواه البخاري: «**فِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد**».

ولقد نظم الدين لصحة الأبدان منهجاً رشيداً وحث على اتباع هذا المنهج لتتحقق من خلاله المحافظة على صحة الأبدان وعافيتها، وجعل من وسائل ذلك النظافة، وشرع للإنسان سبل تحقيقها، فجعل طهارة الجسم التامة أساساً لا بد منه لكل صلاة، وجعل الصلاة واجبةً خمس مرات كل يوم، وكلف المسلم أن يغسل جسمه غسلاً جيداً في أحيان كثيرة، لا سيما غُسْل يوم الجمعة حيث قال ﷺ: «**غُسْل يوم الجمعة واجب على كل محتلم**»، وقال ﷺ: «**حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده**» رواه البخاري.

وفي الأحوال المعتادة اكتفى بغسل الأعضاء والأطراف التي تتعرض لغبار الجو وتتفاعل مع شتى الأشغال والتي يكثر الجسم إفرازاته منها، وجعل ذلك

فرضاً لا تقبل الصلاة إلا به، حيث قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦]، وهذا طهور الوضوء، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث رواه مسلم والترمذي: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك**». وهكذا يحثنا الرسول ﷺ على الطهارة بنوعيها، ويبين لنا أنها الطريقة إلى الصلاة المسنونة والمفروضة ليقف المسلم بين يدي الله في أكمل وضاءة وأحسن زينة، ثم يبين لنا عليه الصلاة والسلام أن أمته تعرف يوم القيامة بين الأمم على كثرتها بهذا النوع من الطهارة والنظافة، فيقول فيما رواه الحاكم ومسلم: «**إن أمتي يرون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**». وكان أبو هريرة بعد أن سمع هذا الحديث يطيل غسل رجليه إلى نصف ساقيه. ويرشدنا إلى أن الوضوء وهو طهارة ونظافة طريقة إلى تكفير الذنوب ومحو الخطايا فيقول فيما رواه مالك ومسلم والترمذي: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا: بلى، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**». ويرغبنا في السواك أعظم ترغيب، فقال فيما رواه البخاري: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**».

إخـــوة الإسلام:

إن الإسلام دين يحث على النظافة والزينة والعناية بالمظهر من تنظيف الشعر وتسريحه، وأن يرتدي المسلم أفضل الثياب من غير فخر ولا اختيال، لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وتلك سنة نبينا محمد ﷺ، روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ مربوعاً، وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت أحسن منه قط**».

وقد امتد هذا التطهر والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطرقاتهم، لأن الإسلام ينبه إلى تخلية البيوت من الفضلات والقمامات حتى لا تكون بؤرةً

للحشرات ومرتعاً للعلل والأمراض حفاظاً على صحة الإنسان وسلامته من الأمراض والأسقام.

وقد عني ديننا الحنيف بالنظافة العامة وأيضاً النظافة الخاصة عنايةً فائقة، فاهتم بنظافة البيئة التي يعيش فيها الإنسان كالبيت والساحة إلى غير ذلك،

وكان اليهود في المدينة المنورة عليها وعلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام يفرطون في هذا الواجب، فحذر الرسول ﷺ عن التشبه بهم. روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم لا تتشبهوا باليهود**».

وحث على الزراعة التي لها شأن كبير في تنقية البيئة فقال ﷺ : «**إذا قامت القيامة وفي يدك فسيلة فاغرسها**».

ولقد جعل الإسلام إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان وجعل أجر هذا العمل الجليل مرة كأجر صلاة ومرة كأجر صدقة، وفي الحديث: «**حملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة**». وفي حديث للبخاري: «**وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة**».

فاتقوا الله إخوة الإسلام والإيمان واهتموا بنظافة قلوبكم وبيوتكم وأبدانكم وطرقاتكم حتى تحافظوا على سلامة أجسادكم وتُحيوا بذلك سنن نبيكم. فالنبي ﷺ يقول في الحديث الشريف: «**النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة**».

وفَّقنا الله لمراضيه وجنبنا مناهيه وجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



النبي ﷺ زوجاً وأباً

الحمد لله رب العالمين، نحمدك اللَّهُمَّ حمد الشاكرين أن جعلتنا من أمة سيد المرسلين وخاتم النبيين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبدك ورسولك وصفيك وحبيبك أرسلته بالهدى ودين الحق، وحليته بأعظم الأخلاق وأكرم الصفات، وعلمته ما لم يكن يعلم، وكان فضلك عليه عظيماً، فكان ﷺ كريماً في حداثته، وتاجراً أميناً قنوعاً في شبيبته، وزوجاً وفياً مخلصاً في عشرته، ووالداً عطوفاً على ذريته، ورسولاً رحيماً بأمته، فاللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين ومن سلك طريقهم بإحسان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢]، ثم أما بعد:

أيها الأحبــة الكرام:

فإن الحديث موصول بمشيئة الله حول الرحمة المهداة، والنعمة المزجاة، الذي أنقذ البشرية من الضلال والردى، وأخذ بأيديهم إلى طريق النور والهدى، إنه سيدنا الرسول العظيم والنبي الكريم محمد بن عبد الله الذي اجتباه مولاه، وعلى موائد كرمه ربَّاه، فبلغ ﷺ من عظيم الأخلاق وجميل الصفات مبلغاً لم يبلغه أحد من الخلق سواه، وكيف لا وهو الذي خاطبه الله جَلّ في علاه بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وفي ذلك يقول سعد بن هشام رضي الله عنه وأرضاه: دخلت على عائشة رضي الله عنها أسألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «**كان خُلُقه القرآن**»، ومن ثَمَّ كان يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، ويقابل الناس بالكلمة الطيبة والمعاملة الرقيقة، فإذا بالعدو يتحول إلى حبيب، وإذا البعيد يتحول إلى قريب، ومن الشواهد على ذلك قول أنس: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه

جذبة شديدة فنظرت إلى عنق رسول الله ﷺ وقد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ﷺ ثم أمر له بعطاء، وفي رواية أخرى قال: احمل لي على بعري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي ﷺ ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده.

فكان مِثْل هذا الرفق وحسن الخلق من النبي ﷺ سبباً في دخول الكثير الإسلام، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩].

ولقد أشاد كاتب قصة الحضارة في كتابه إلى عظيم أثر النبي ﷺ في المجتمع العربي والكرة الأرضية كلها، فقال: وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر على الناس قلنا إن محمداً من أعظم عظماء التاريخ، لقد أخذ على نفسه -أي النبي ﷺ- أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي للأمم والشعوب، ونجح في ذلك نجاحاً لم يدانه أي مصلح آخر في التاريخ كله.

إخوة الإسلام والإيمان:

إن سيرة رسول الله ﷺ هي أروع ما عرف الناس من سيرة، وأجمل ما وعى التاريخ من خُلُق، وأعلى ما دونت الأيام من عظمة، لم يستفدها من أبويه لأنه شب يتيماً، ولم يتلقاها من معلم لأنه عاش أُمِّيّاً، ولم تمنحها له بيئته لأن بيئته كانت في ضلال وفساد، فكل عشيرته أهل وثنية، وكل خلطائه أولياء أصنام، فكانت البيئة المحيطة به ﷺ حتى بعثته بيئة لا يُستمد منها عظمة، وإنما كانت عظمته ﷺ مستمدة من صميم قلبه، ومشتقةً من نفسه الطاهرة التي صاغها الله بيده، واصطفاها ل.. وامتن بها على نبيه ﷺ، وفي هذا يقول الحق جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]، وبهذا زكت نفس رسول الله ﷺ وعظمت، فكانت عظمته ﷺ ساريةً في أخلاقه الكريمة كما كانت ثابتةً فيها، أوتي من جمال الطلعة، ووفرة الهيبة، وإشراقة الوجه، وسماحة النفس، ما لا يراه المرء إلا في شخص رسول الله ﷺ،

ولقد وعى عبد الله بن رواحة ﷺ ذلك في شخص رسول الله ﷺ فقال ﷺ وأرضاه.

وأجمل منك لم تر قـــــطّ عيني وأكمل منـــك لم تلد النِّسَـــاء

خلقت مـــــبرّأً من كلِّ عيب كأنك قـــــد خلقت كما تشـــاء

وكان لا يزيدها الرخاء كما لا تنقصها الشدة، ولا يظهرها الغنى كما لا يخفيها الفقر، لا يكبرها سلطان ولا يصغرها عدوان، ولا يقويها نصر ولا تضعفها هزيمة لأنها نفس ثابتة عظيمة صاغها الله بقدرته، وتولاها بعنايته لتكون رحمةً للعالمين وهداية للخلق أجمعين.

ولقد كان النبي ﷺ جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف معهم، ويوسعهم نفقته، وكان ﷺ يضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك، فعنها رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رحلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: «**هذه بتلك**». رواه أبو داود بسند صحيح. وكان النبي ﷺ في خدمة أهله وهو من هو في علو منزلته ومكانته، فعن الأسود قال: سألت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله -يعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. رواه البخاري.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» رواه الترمذي. وكما كان النبي ﷺ المثل الأعلى في حياته الزوجية من حيث تلطفه وتودده، كان الأب المحب الحاني العطوف الشفيق الناصح الموجه المعلم، يحب بناته وأبناءه ويرحب بهم ويهش لهم ويقبلهم ويوسع لهم في مجلسه، وتدمع عيناه ويحزن قلبه على فقد من فقد منهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله**». رواه البخاري واللفظ له، ومسلم. وعن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «**فاطمة بضعةٌ مني، فمن أغضبها أغضبني**».

رواه البخاري ومسلم.

ومن المواقف التي تتجلى فيها أبوة النبي ﷺ ورحمته بالأبناء أنه كان يقبل ولدي ابنته فاطمة ويقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**» رواه البخاري، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى مع النبي العشاء، فأخذ الحسن والحسين يركبان على ظهره ﷺ فلما جلس وضع واحداً على فخذه والآخرى على فخذه الأخرى. إسناده صحيح، رواه ابن أبي الدنيا.

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامه بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. رواه البخاري ومسلم. وهذه غاية في الرحمة والملاطفة والدلال ومحبة الأولاد. وقد علمنا النبي ﷺ كيف نؤدب أولادنا في كل حال حتى في حال الأكل والشراب، وكيف نمنع أولادنا مما نمنع منه أنفسنا مما لا يحل، وكيف نقيهم مما نقي منه أنفسنا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «**كخ كخ، أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة**». رواه البخاري ومسلم.

وعن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في القصعة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك**» رواه البخاري ومسلم.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا بسنة نبينا ﷺ مقتدين، وبهديه مهتدين، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التنفيـر من الدَّيـن

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، القائل فيما رواه ابن ماجه: «**إن الله مع الدائن حتى يقضي دينه ما لم يكن فيما يكره الله**».

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤]. ثم اعلموا رحمكم الله أن الله جل في علاه ندب عباده إلى القرض، ووعدهم عليه بمضاعفة الأجر فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وحَثَّ رسول الله ﷺ على قضاء حوائج الناس ونفعهم بما تيسر من مال، والتنفيس عنهم، فقال ﷺ فيما رواه مسلم: «**من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»، ورغب في ذلك فقال ﷺ فيما رواه الطبراني: «**إن لله أقواماً اختصهم الله بالنعم لمنافع العباد، فإذا منعوها نزعها منهم إلى غيرهم**».

هذا وفي الوقت نفسه حذر رسول الله ﷺ من أخذ أموال الناس وعدم ردها، فقال ﷺ فيما رواه البخاري: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»، وقد يقول قائل: كيف يؤدي الله عنه يوم القيامة؟ والجواب أن الله تعالى يصلح بين عباده فيسترضي صاحب الحق بالعوض عن حقه حتى يعفو عن أخيه فيدخل الجنة، ومن الشواهد الحديث الذي رواه أبو يعلى وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن أنس ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأينا ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي

أنت وأمي؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة -أي للحساب- فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري، وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، وقال: إذ ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل من أوزارهم، فقال الله للطالب: ارفع بصرك فانظر، فرفع فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا؟ قال: لمن أعطى الثمن، فقال: يا رب ومن يملك ذلك؟ فقال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب إني قد عفوت عنه، قال الله: فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة، ثم قال: اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين».

إخوة الإســـلام:

إنه مما ينبغي على المسلم أن لا يلجأ إلى الدَّين إلَّا إذا كانت هناك ضرورة ملحة أو حاجة قاهرة، ولا يخفى أن الضرورة تقدر بقدرها، فالدَّين همٌّ بالليل، وقد روي عن مالك عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «إياكم والدَّين، فإن أوله هَمٌّ». والواقع يصدق هذا، فكم من أفراد ساءت أحوالهم بسبب الدين، وكثيراً ما يؤثر الدَّين نفسياً على الإنسان، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد: «لا تخوفوا أنفسكم بعد أمنها، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الدَّين» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وقد يؤثر الدين أيضاً في الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، والشاهد قول الرسولﷺ فيما رواه البخاري: «**إن الرجل إذا غرم** -أي استدان- **حدّث فكذب، ووعد فأخلف**»، وقد يؤثر في العمل الصالح بعد الموت والشاهد ما رواه أحمد والترمذي بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: «**نفس المؤمن معلقة بدَينه حتى يُقضى عنه**»، ومعنى قوله ﷺ «معلَّقة»: أي محبوسة عن دخول الجنة حتى يُقضى دينه. ومهما كان بين يدي المرء للمدين عند الموت من صالح الأعمال فإنه يكون مرتهناً بدَينه عن دخول الجنة، وبذلك يتغير الحال مهما كان صلاحه.

ففي الحديث دعوة إلى الإسراع بقضاء دين الميت لإزالة ما يحبسه عن دخول الجنة، ويمكن لولي الميت أن يسأل الدائنين أن يُحللوا الميت من دينه، أو أن يجعلوه حوالة عليه يتكفل لهم بالدفع عنه إسراعاً بتبرئة ذمته، فلقد صح عن النبي ﷺ أن الشهيد يغفر الله كل الذنوب إلا الدَّين فإنه يبقى معلقاً، لأنه ليس حقاً لله عز وجل فيغفره، إنما هو حق من حقوق العباد، وتبعة من التبعات، ومع هذا كله فقد تهاون بعض الناس بأمر الدَّين وأساءوا استخدامه، فاستدانوا فيما لا ضرورة له، فنرى في عصرنا الكثير ممن يستدينوا حتى من المصادر الربوية لأمور تكميلية أو ترفيهية، وقد حذر الله وحذر الرسول ﷺ من الربا في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه والترمذي، ووثّقه المندوي في رواية عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**الربا سبعون حوباً، أهونها كوقوع الرجل على أمه**»، وفي رواية: «**أهونها كالذي ينكح أمه**» وأخرجه الإمام الذهبي في الكبائر.

فليقنع كل منَّا إخوة الإسلام بما قسمه الله تعالى له، ولا يلجأ إلى الدَّين إلَّا إذا كانت هناك ضرورة ماسة، فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي: «**ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**». وقال ﷺ فيما رواه ابن ماجه: «**ازهد فيما في أيدي الناس يحبوك**»، وبين الرسول ﷺ: أن الغني ليس بكثرة ما يملك الإنسان بل بغنى نفسه، فقال في الحديث المتفق عليه: «**وليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**».

اللَّهُمَّ ارزقنا رزقاً حسناً، وبارك لنا فيه، وقنعنا به، واكفنا اللَّهُمَّ بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك، واقضِ اللَّهُمَّ الدَّين عن المدينين، وفرج كروب المكروبين، واغفر لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين، وتوبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون.

أقول هذا وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

أسباب البركة في الرزق

الحمد لله الذي تكفل بأرزاق جميع الكائنات، ومنح لكسب الرزق أبواباً، وجعل لحلول البركة فيه أسباباً، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له القائل سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله القائل فيما رواه ابن ماجه: «**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم**».

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله عز وجل في السر والعلن، فغنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ١٣١].

ثم اعلموا رحمكم الله أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً بارك له في رزقه بركةً يصبح بها القليل كثيراً، وإذا أراد الله تعالى أن يبارك بعبد هيأ له الأسباب وفتح له الأبواب، فمن أسباب البركة في الرزق تقوى الله عزَّ وجَلّ، فهي سبب البركات، وأساس العطايا والخيرات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وذكر المفسرون في أسباب نزول هذه الآية عن ابن عباس وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابناً له يسمى سالماً فأتى رسول الله ﷺ وشكى إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فبم تأمرني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**اتقِ الله واصبر، وآمرك وإياها أن تكثر من**

قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت: نِعم ما أمرنا به، فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فأخذ غنمهم وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت الآية، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له. وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً، فسأل النبي ﷺ: أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني؟ قال: نعم، ونزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

ومن أسباب البركة في الرزق الدعاء وصدق الالتجاء إلى الله عزَّ وجَلّ والاستغفار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فبالدعاء تكشف الكُرُبات، وبالاستغفار تستمطر البركات، وينزل الغيث، ويكثر المال والبنون، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»**.

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب أنه لما وقع القحط، ولم ينزل المطر، وكاد المسلمون أن يهلكوا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، استسقى الخليفة بدعاء العباس ﷺ، وقال: يا عباس ارفع يديك، فرفع ﷺ يديه يستسقي فكان من دعائه: اللَّهُمَّ لا ينزل بلاء إلَّا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، اللَّهُمَّ إنك حفظت الغلامين بصلاح أبيهما، وقلت قولك الحق: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، ثم قال: اللَّهُمَّ احفظ أمة محمد بصلاح محمد ﷺ. فاستجاب الله له ونزل الغيث من السماء، فشربوا ونبت الزرع ونما الضرع وانقشعت المحنة وحلت البركة وجاء الفرج من الله تعالى، وأقبل المسلمون يمسحون أركان العباس ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين. وقد يقول البعض:

كثيراً ما ندعو، ولكن لا بد للدعاء من إخلاص النيَّـة، وصفاء الطوية، وصدق الالتجاء إلى الله، فمن أخلص في الدعاء خلص له العطاء، وحلت عليه بركة الدعاء.

ومن أسباب البركة في الرزق الصدق في المعاملات، وترك الغش والكذب وغيرهما من الأمور التي تمحق البركة، يقول الرسول ﷺ فيما رواه الشيخان: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**».

ومن أسباب البركة في الرزق صلة الأرحام وودهم، لقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»، فصِلوا عباد الله أرحامكم، وأدخلوا عليهم السرور، فمن وصلهم وصله تعالى، وبارك له في رزقه وفي عمره.

ومن أسباب البركة الإحسان إلى الضعفاء ومساعدتهم، فالرسول ﷺ يقول فيما رواه أبو داود: «**ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»، فمن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وفي الحديث المتفق عليه قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ أعط منفقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللَّهُمَّ أعط ممسكاً تلفاً**»، وفي الحديث القدسي الجليل المتفق عليه: «**يقول الله عزَّ وجَلّ** -أي لعبده-: **أنفِق أُنفق عليك**».

واعلموا أيها المؤمنون أن من أسباب البركة في الرزق شكر الله عز وجل على إحسانه، فالشكر دليل الرضى، وعنوان الزيادة ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى كيفية الشكر فقال ﷺ فيما رواه أبو داود: «**من قال حين يصبح: اللَّهُمَّ ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته**». وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك**»،

واعلموا أن من أسباب البركة في الرزق القناعة وترك الحرص والطمع، ففي الصحيحين عن حكيم بن حزام أن النبي ﷺ قال له: «**يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراق نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع**»، فاللَّهُمَّ ارزقنا القناعة، واجعل رزقنا رزقاً حسناً، وبارك لنا فيه، ووفقنا إلى شكر نعمتك وحسن عبادتك، واجعلنا من عبادك الراشدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

الله لطيف بعباده

أحمد الله وأُصلِّي وأُسلِّم على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله حق تقاته، وعظموه حق تعظيمه، وقدروه حق قدره، فإن الإنسان منا لو نظر في نفسه وتدبر أحواله لوجد لله عليه نعماً لا يستطيع شكرها، وأيادي ومنناً يعجز عن عدها، فكم سترنا ربنا، وكم أمهلنا، وكم أسبغ علينا من جميل ستره، وكم لطف بنا في قضائه وقدره، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

إخوة الإسلام والإيمان:

بعد أن انتهينا قبل العيد من دروس من ذي الحجة أبدأ معكم بهذا الدرس المبارك الذي هو بعنوان (الله لطيف بعباده)، والمحاور التي سيبنى عليها هذا الموضوع أربعة، وسيكون الحديث اليوم عن المحور الأول منه وهو: معنى اسم الله (اللطيف). **فأقول وبالله التوفيق: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»** كما ورد في الحديث عن الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه.

و(اللطيف) أيها الإخوة الكرام من أسماء الله الحسنى، وقد ورد في القرآن في سبعة مواضع، منها قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]. ولهذا الاسم أيها الإخوة الكرام معنيان عظيمان: الأول: أن الله يعلم دقائق الأمور وخفاياها، وما في الضمائر والصدور، فهو الذي لطف علمه حتى أدرك سبحانه وتعالى الخفايا والخبايا وما احتوت عليه الصدور، وما في الأرض من خفايا البذور، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩].

والثاني: أن الله تبارك وتعالى يحسن إلى عباده من حيث لا يحتسبون، وهو في

وصف الله تعالى يفيد اسمه اللطيف أنه المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون، فإذا يسر الله لعبده طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به، وإذا هداه من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة فقد لطف به، وإذا قيَّض الله أسباباً خارجيةً غير داخلة تحت قدرة العبد فقد لطف به، فمن لطفه أن يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر بطرق خفية لا يشعر العبد بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدريه، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقاً له إلى أعلى الدرجات وأرفع المنازل، قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت، ولهذا لما تنقلت بيوسف عليه السلام تلك الأحوال، وتطورت به الأطوار من رؤياه وحسد إخوته له، وسعيهم في إبعاده، واختصاصهم بأبيه، ثم محنته بالنسوة، ثم السجن، ثم الخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة، وانفراده بتعبيرها، وتبوئه من الأرض حيث يشاء، وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء، ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السَّارُّ، وزوال الأكدار وصلاح حالة الجميع، ثم الاجتباء العظيم ليوسف، عرف عليه السلام أن هذه الأشياء وغيرها لطف الله لهم به، فاعترف بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي لطفه تعالى خاصٌّ لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعالى محلاً لذلك وأهلاً له، فلا يضعه إلا في محله، فالله أعلم حيث يضع فضله. فإذا رأيت يا أخ الإسلام أن الله تعالى قد يسر العبد لليسرى، وسهل له طريق الخير، وذلل له صعابه، وفتح له أبوابه، ونهج له طرقه، ومهد له أسبابه، وجنبه العسرى فقد لطف به، قال ابن القيم: «واسم (اللطيف) يتضمن: علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية. ولا يتأتى ذلك كله يا إخوة الإسلام إلا بلطف رب البرية، وهذا غيض من فيض ما جاء حول معنى اسم الله اللطيف، وللحديث إن شاء الله بقية.

نسأل الله أن يفقهنا في الدين، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وجزاكم الله خيراً على حسن سماعكم وغفر الله لي ولكم.

حول الحمد والدّعاء

إخوة الإسلام والإيمان:

إن الله سبحانه وتعالى يحب الحمد ويحب العطاء ويحب أن يتذلل العبد له، من أجل ذلك حمد الله سبحانه وتعالى نفسه وأمرنا بأن نحمده فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وأخبر الله أن له الحمد في السماوات وفي الأرض وفي كل زمان ومكان فقال: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨].

وقد وصف هذه الأمة المباركة في الكتب السابقة بأنهم الحمّادون الذين يحمدون الله في السَّرَّاء والضَّرَّاء: أخرج الإمام النسائي وأحمد في مسنده عن الأسود بن سريع أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: «ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي؟ فقال النبي ﷺ : «**أما إن ربك يحمد الحمد ويحب الله العطاء ومن أجل ذلك أغدق على العباد وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**».

وقد أمرنا النبي ﷺ إذا سألنا الله جل وعلا أن نجزم في المسألة وأن نلح في السؤال فإننا نسأل رحيماً كريماً لا يتعاظمه شيء.

أخرج الإمام أحمد في مسنده وأصل الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا سأل أحدكم ربه فلا يقل: «اللهم إن شئت» ليعظم رغبته فإن الله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه**»، فالله جلَّ وعلا يحب أن يتذلل له العباد فهو العظيم الكريم ذو الجلال والإكرام وهو خالق الخلق، والخالق يجب أن يثني عليه المخلوق. فالخالق متصف بصفات العظمة والكبرياء والجلال، والمخلوق متصف بصفات الذل لهذا الرب العظيم، وكلما عظم الإنسان ربه وأحبه تحققت فيه معنى العبودية الخالصة. فالعبودية لله رب العالمين لا تكون إلَّا مع تمام الحب مع كمال الذل، ولذلك أخرج ابن ماجه في سننه وأصل الحديث في

صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدةً منهما ألقيته في جهنم**».

ولذلك كلما تواضع الإنسان لله رفعه الله وكلما تكبر على الله جل وعلا وضعه الله. أخرج الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه والحديث فيه ضعف عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من تواضع لله عز وجل درجة رفعه الله به درة، ومن تكبَّر على الله عز وجل درجة وضعه الله به درجة حتى يجعله في أسفل السافلين**» وتحقيقاً لهذه المعاني الثلاثة ولهذه الأمور الثلاثة محبة الله للحمد ومحبته للعطاء والجود والكرم ومحبته لأن يتذلل له العباد فقد أمرنا الله جلَّ وعلا بالدعاء. فالدعاء يشمل ويجمع هذه المعاني الثلاثة ففي الدعاء حمد لله وثناء عليه وفي الدعاء استدرار لكرم الله وجوده، وفي الدعاء تذلل الداعي لمن يدعوه، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] أي عن دعائي، وأطلق على الدعاء لفظ العبادة لأنه مردود العبادة وهو تعظيم الخالق وتذلل المخلوق لهذا الخالق.

وهذا المعنى موجود في الدعاء، أخرج أهل السنن الأربعة وصححه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ قول الله جل وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

إن الدعاء هو العبادة انظر يا عبد الله لهذا الحصر فالعبادة كلها مجموعة ومحصورة وموجودة في الدعاء، إن الدعاء تعريف المبتدأ وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل بينهما فمعظم العبادة وقلب العبادة وجوهر العبادة يكون في الدعاء كما أخرج الترمذي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء مخ العبادة**» لذلك أمرنا الله جل وعلا بأن ندعوه وأن نسأله وأن نلجأ إليه في سرائنا وضرائنا وفي جميع أحوالنا وشؤون حياتنا فإذا لم ييسر الله الأمر لن يتيسر فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

أخرج البزار في مسنده بإسناده وأصل الحديث في الترمذي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ليسأل أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها حتى جذع نعله إذا انقطع وحتى الملح**» ملح الطعام وملح العجين ينبغي أن نسأل الله أن ييسر عليك حصوله ووجوده فإذا لم ييسر الله حصوله ووجوده لم يحصل فلا يتحرك شيء في الوجود ولا يسكن شيء في الوجود إلا بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى وإرادته.

لذلك كان الدعاء أفضل العبادة عند الله جلَّ وعلا وكان الذي يدعو الله جل وعلا بمكان عظين عظيم عند الله، أخرج الترمذي وابن ماجه والحديث صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء**» ولذلك التهديد والوعيد على ترك الدعاء وعلى من ترك الدعاء استكباراً وعناداً ويكفي في ذلك قول الله جلَّ وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

أخرج الترمذي في سننه والحاكم في مستدركه والحديث صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من لم يسأل الله غضب عليه**» سبحان الله!!

من لم يسأل الله غضب عليه، سبحانك يا رب ما أعظمك وما أعظم كرمك، أحب العباد عندك من سألك فأكثر السؤال، وأبغض العباد من ترك السؤال.

وأخبرنا الله جل وعلا أن الذين يتبرمون من أسئلة المحتاجين الضعفاء والمساكين سيلقون عذاباً أليماً في يوم القيامة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤]. إنَّ الحكمة من كي هذه الأطراف أن المسؤول عندما سأله السائل عبس بوجهه وقضب وكلح فلما ألح عليه السائل أعرض عنه بجنبه فلما ألح عليه السائل أعطاه ظهره وولى مدبراً فيوم القيامة تكوى هذه الأطراف والجباه والجنوب والظهور التي حدث بها الإعراض، والله جلَّ وعلا أبوابه لا تحجب وخزائنه ملأى وينادينا في الليل والنهار هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من

سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له.

لا تســـألنَّ بني آدم حاجةً وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيّ آدم حين يُسأل يغضبُ

وإذا كان الدعاء بهذه المنزلة فهو لُبُّ العبادة وهو جوهر العبادة وبه خلاصة العبادة لا يجوز صرف هذا الدعاء لغير الله وصرفه لغير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله شرك يخرج العبد من الإيمان وقد كان السلف الصالح وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يلقن بعضهم بعضاً هذه العقيدة الحقة النقية الطاهرة التذلل والخضوع لله رب العالمين وعدم رد الحاجات إلا إليه.

روى الإمام أحمد والترمذي والحديث حسن صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: يا غلام في حدود العشر سنوات ولكن في هذا السن وهو في هذا العمر سيعلمه هذه العقيدة الحقة النقية ألا يخضع وألا يذل إلا لخالقه وألا يطلب العون إلا منه: «**يا غلام احفظ الله يحفظ احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة إن اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا وقد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

عبـــاد الله:

أننا نقرأ في كل ركعة من ركعات صلاتنا ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فما ينبغي أن يكذب حالُنا قولَنا، فالعبادة ومخها الدعاء لا ينبغي أن يصرف ذلك إلا لله الذي بيده النفع والضر والذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. ولذلك توعد الله من دعا غيره وأخبر بعاقبة وخيمة له فقال: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦] أي من المشركين كما قال الله جل وعلا: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢] أي بشرك كما فسر ذلك النبي ﷺ

في الحديث عنه في الصحيحين عندما شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال: «**إنما الظُّلمُ الشِّركُ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح لقمان:** ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]» فدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك يخرج العبد من التوحيد.

يا إنسان: تسأل غيرَ الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك ذلك لغيره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ [الحج: ٧٣] و: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣]، والله يقول لصفوة خلقه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. أخرج الإمام الترمذي في سننه والبيهقي في كتاب الأسماء عن حصين بن الخزاع والد عمران بن حصين أنه جاء إلى النبي ﷺ وكان على دين الشرك دين الوثنية فقال له النبي ﷺ : «**يا حصين كم إلهاً تعبد؟ قال: سبع، ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: فمن الذي تعده لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء** ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] **قال: اترك الستة التي في الأرض واعبد الذي في السماء وأسْلِم أعلمك كلمتين ينفعك الله بهما، فأسلم حصين، والد عمران، وعلَّمه النبي ﷺ أن يقول: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**» فإذا كان المخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فما ينبغي أن تصرف الدعاء إليه فلا يصرف الدعاء إلا لله الواحد القهار.

عبـــاد الله:

هذا هو الدعاء وإذا سأل الإنسان ربه فلا **بُدّ أن** يجيبه الله تعالى، فالله جلَّ وعلا رحيم كريم حيي لا بد أن يجيب الذي سأله، وأن يجيب الذي دعاه، وقد قطع على نفسه عهداً بالإجابة في محكم تنزيله فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال

جل وعلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بأثمٍ أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله** صلى الله عليه وسلم**؟ قال: أن يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أرى يستجيب لي فيتحسر عند ذلك ويدع الدعاء**».

عِبــاد الله:

إنَّ الله جلَّ وعلا قد ضمن الإجابة كما يشاء هو لا كما تشاء أنت وفي الوقت الذي يريده هو لا في الوقت الذي تريده أنت، فهو أعلم بك وبمصالحك وبالذي ينفعك فالذي يسأل ربه لا بد إلا وأن يجاب.

أخرج الإمام أبو داود في سننه والترمذي في سننه والحديث صحيح عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفْراً خائبين**» فلا بد من الإجابة، فإمَّا أن يعطيك الله نفس ما سألت، وإمَّا أن يعطيك من الخير بمقدار ما سألت، وإمَّا أن يصرف عنك من السوء والشر بمقدار ما سألت، وإما أن يدخر لك الإجابة ليومٍ تشيب فيه الولدان وتضع كل ذات حملٍ حملها، في ذلك اليوم العصيب والموقف الرهيب يقول الله: «**عبدي سألتني في الدنيا ولم أجبك وادخرت لك الإجابة لهذا اليوم العظيم**» فتتمنى في ذلك الوقت لو أن كل سؤال سألته الله في الدنيا لم يجبك عليه وأخر لك الإجابة في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] فلا بد من الإجابة ولكن الإجابة كما يشاء الله لا كما تشاء أنت وكما يريد هو وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريده أنت فهو يدبر أمور عباده وهو بهم خبير بصير.

عبــاد الله:

يَحْسُن بنا بعد هذا أن نعرف أقسام الدعاء وأنواعه فاعلموا رحمكم الله أن الدعاء ينقسم لقسمين هما: دعاء عبادة ودعاء مسألة. أمَّا الأول وهو دعاء العبادة

فهو ما تضمن ثناءً محضاً على الله رب العالمين من تسبيح وتهليل وتحميد وغير ذلك وقد تقدم. وهذه الأذكار يطلق عليها دعاء عبادة وقلنا إنها دعاء عبادة لأنها عبادة وهي في نفس الوقت دعاء لأن الذي يثني على خالقه ويصفه في الجمال والجلال هو وإن لم يطلب حوائجه من الله في ذات الوقت بصريح اللسان فقد طلب ذلك بحاله وبوصف حاله فكأنه يقول: يا رب لا تليق العظمة ولا الرحمة ولا الحمد إلا بك لأنك موصوف بكل كمال ولأنك بمقتضى ذلك إن تعطفت على العبد الفقير الضعيف ولذلك قالوا: إن دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة ودعاء المسألة ما فيه تصريح بجلب ما ينفع أو دفع ما يضر من الله رب العالمين ودعاء المسألة أيضاً يطلق عليه دعاء العبادة ويتضمن العبادة لله رب العالمين لأن السائل أخلص لله جل وعلا في دعائه ولجأ إليه ولذلك كان السؤال والدعاء مخ العبادة وبالنظر بين القسمين تخرج ستة أنواع للدعاء فأيّ دعاء دعا العبد المسلم به ربه فهو على خير.

منها أن يصرح بحاجته بلسانه كأن يسأل الله الرزق أو المغفرة أو غير ذلك فهو تصريح بالسؤال من العبد لله رب العالمين.

ومنها ألَّا يصرح بلسانه إنما إخبار عن أمره وعن شأنه وعن وضعه كما أخبرنا الله جل وعلا على لسان أبينا وأمنا آدم على نبينا وعليهما السلام أنهما قالا بعدما قارفا الخطيئة: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] فليس في دعائهما تصريح بالمغفرة إنما مجرد إخبار، «يا رب الأمر كذا وكذا فإذا لم تتداركنا برحمتك وعفوك لنكونن من الخاسرين»، فسؤال عن طريق الإخبار لا عن طريق التصريح باللسان.

وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل ووصفه وأنه ضعيف كما أخبرنا الله جل وعلا عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال عندما سقى للبنتين أغنامهما بعد أن هاجر من مصر لمدين وتولى إلى الظل فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] فليس في قوله تصريح بالسؤال إنما يبين حاله لله رب العالمين، كما أن يقول: «يا رب أنا محتاج وأنت أعلم بحالي

والمحتاج هو بحاجة لمعونة فلا تخفى عنك خافية في الأرض ولا في السماء».

وإما أن يكون الدعاء والسؤال بوصف حال المسؤول كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب وعند الشدة: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**» هذا الدعاء كان يدعو به النبي ﷺ عند حال الكرب. وفي رواية مسلم: «كان إذا حزبه أمر قال هذا الدعاء»، وليس في هذا الدعاء إلّا ثناء على الله جل وعلا ووصفه بصفات الجلال والكبرياء والعظمة، كأنه يقول: «يا رب أنت رب كل شيء ومليكه ورب العرش وبيدك كل شيء ففرج كربي فلا يتعاظمك شيء»، فالثناء على المسؤول من جملة أنواع السؤال وهو سؤال بالحال وإن لم يكن سؤال بالمقال فبصريح اللسان ولذلك ثبت في سنن ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله**» وقد استفهم كثير من العلماء؟ كيف يكون قولنا الحمد لله أفضل الدعاء مع أن واقع الأمر لا دعاء في ذلك إنما هو ثناء على الله؟ وأجاب عن هذا ابن تيمية رضي الله عنه فقال: إن ثناء السائل على المسؤول طلب يقتضي طلب السائل من المسؤول بحاله وإن لم يكن هذا الطلب بلسانه وأخبرهم أن هذا الأسلوب معروف عند العرب فهذا أميَّة بن أبي السَّلط عندما أراد أن يمدح عبد الله بن جدعان قال:

أأذكر حاجتي أم قــد كفاني　　　حياؤك إن شيمتك الحيــاء

إذا أثنى عليك المرء يومــاً　　　كفاه من تعرضه الثنــاء

أي لا حاجة لأن يطلب بصريح لسانه، إنما إذا أثنى على المسؤول فهذا طلب للحال ويقتضي عطف المسؤول على السائل. وتقدم معنا أن الترمذي روى بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: «**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**».

وإمَّا أن يكون في الدعاء وصف لحال السائل ووصف لحال المسؤول كما هو الحال في دعوة نبي الله يونس بن متّى على نبينا وعليه السلام إذ قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ

أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وصف للمسؤول إني كنت من الظالمين ووصف للسائل. وقد أطلق النبي ﷺ على هذه الكلمة بأنها دعوة مباركة عظيمة الشأن، فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**دعوة أخي ذي النون إذ هو في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لم يَدْعُ بها مسلمٌ قط إلّا استجاب الله**». وفي رواية للحاكم: قالوا يا رسول الله، أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال النبي ﷺ : ألم تسمعوا إلى قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] فهي عامة لمن يقولها فيتولّى الله جلّ وعلا تفريج الكرب عنه ونجاته. وإمَّا أن يصرح العبد بحاجته بلسانه وأن يثني على المسؤول بأن يصف نفسه بالضعف والعجز والتقصير وهذا أبلغ أنواع الأدعية، ثبت في الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي. قال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا انت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**».

عبـــاد الله:

إذا قام الإنسان بشروط الدعاء وآدابه وحققها كما فرضها الله جل وعلا يجيبه الله سبحانه وتعالى ويتولّاه ويفرج كربه ويخلصه من الشدائد التي يقع فيها، ولكن لا بد من الإخلاص في ذلك ومن تحقيق النية والعدل في ذلك ومن صَفّى صُفّي له، ومن خلص خُلص له. هذا صلة بن أشيم وهو من علماء التابعين كان في غزوة وفي سفر فمات فرسه بالطريق فقال: يا رب لا تجعل لمخلوقٍ عليّ منّة فإني أستحيي من سؤال غيرك، وعَلِم الله جل وعلا صدقه في ذلك في سرائه وضرائه فأحيا الله جل وعلا فرسه فركب حتى إذا وصل إلى أهله قال لغلامه: فكُّوا السرج فإن الفرس عارية، فنزعوا السرج عن الفرس فهبط الفرس ميتاً. وكان مرة في أحد الأسفار فاشتد به الجوع فقال: يا رب لا تُذِلَّني لغيرك ولا تجعل لمخلوق عليَّ مِنَّة، فهبطت خلفه صرة فالتفت فإذا هي ملحفة من حرير فيها رطب فأكل الرطب في سفره حتى إذا عاد إلى أهله فأعطاها الملحفة فلبستها زماناً.

وهذا ليس بعجيب وما بالنا نذهب بعيداً والله يقول في محكم كتابه إخباراً عن مريم رضي الله عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] فمن توكَّل على الله والتجأ إليه لو كادت له السماوات والأرضون ليجعلن الله له من ذلك فرجاً ومخرجاً.

روى ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن عساكر في ترجمة محمد بن داود وكان رجلاً صالحاً من أهل الشام وكان يحمل الناس بالأجرة على بغل له فركب معي في أحد الأيام رجل فلما توسطنا الطريق قال لي: اسلك هذا الطريق فإنه أقرب وأيسر، فقلت له: يا عبد الله اتق الله فإن هذا الطريق أسلكه من سنوات وأنا أحمل الناس عليه بالأجرة ولا يوجد منها طريق ثانٍ، فقال: كلّا إنه يوجد، فانخدع به وسار معه حتى إذا وصلا لواد سحيق عميق وفيه قتلى كثير فنزل هذا المجرم من على البغل وأخرج سكيناً وأراد قتل هذا الرجل فهرب منه فلما أدركه وأيس الرجل من الحياة قال: يا أيها الرجل اتق الله وخذ البغل وما عليه وخذ ثيابي واتركني، فقال: كلٌّ ذلك لي ولكن لا بد من قتلك، فقال: إذا أبيت إلا قتلي فدعني أودع الدنيا بركعتين لعل الله يقبلهما مني ويغفر لي، فقال: لك ذلك، يقول: فعرضت على نفسي القرآن فلم أتذكر منه حرفاً واحداً، والرجل واقف على رأسي يقول: أسرع وعجِّل، حتى خطر ببالي قول الله جل وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] قال: فلما قرأتها إذا بفارس من بين الوادي قد أقبل ومعه حربة فضرب بها الرجل فأصابت ذؤابته فقتلته فتمسكت بثوبه وقلت: سألتك الله من أنت؟ قال: أنا من جنود من يجيب المضطر إذا دعاه، ولله جنود السماوات والأرض وما يعلم جنود ربك إلا هو، فلا بد من إخلاص النية وصدق الالتجاء إلى الله، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

فهرس المحتـــويات

عنوان الخطبة	الصفحة

عنوان الخطبة	الصفحة

عنوان الخطبـــة	الصفحـــة

عنوان الخطبـــة	الصفحـــة

عنوان الخطبـــة	الصفحـــة

عنوان الخطبــة	الصفحــة